الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر
فى عصر المماليك الجراكسة

٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م

الدكتور
شلبى إبراهيم إبراهيم الجعيدى

المدرس بقسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة المنصورة

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه

إهـــــــداء

إلى والـدىّ نبـع الحنـــان

إلى زوجتى رمـز الوفـاء

إلى أبنائى أمل المستقبل

فهـــرس

مقدمـــة :

اتجهت أنظار الباحثين المحدثيـــن إلـــى أهميـــة الدراســـات الاقتصاديـــة والاجتماعية فتبوأت مكانتها بعد أن أهملت لفترات طويلة، ولا غرو فى ذلك، فـــهذه النواحى تساعدنا على فهم معظم الأحداث السياسية، وعوامـــل تقـــدم المجتمعـــات وتأخرها ومعرفة مواطن الضعف والقوة فى فترة الدراسة .

وموضوع هذا الكتاب " الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر فى عصـــو المماليك الجراكسة " يلقى الضوء على عامل من أهم العوامل التى أثرت فى كـــل مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية فى المجتمع المصـــرى، وأدى كل ذلك فى النهاية إلى عجز عن مواجهة الأخطار المحيطة به وسقوط مصر تحت سيطرة العثمانيين.

ولقد واجه الباحث بعض الصعوبات تمثلت فى :-

١ - تحديد أفق الموضوع وذلك لارتباط العامل الاقتصادى بجميـــع نواحـــى النشـــاط الإنسانى وتأثيره وتأثره بها، لذا تمحورت الدراسة حول النتائج ــ فقـــط ــ التـــى ترتبت على الأزمات الاقتصادية والأوبئة، دون الخوض فى عناصر أخرى .

٢ - العلاقة بين السبب والنتيجة، إذ أن هناك تداخلاً كبيراً بينـــهما فتلتحـــم الأســـباب بالنتائج فى دائرة حلزونية فيؤدى كل منهما للآخر، مما يجعل الفصل بينهما شـــاقاً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تكون الظاهرة الواحدة نتاجاً لعدة أسباب تمثـــل الأزمات الاقتصادية والأوبئة إحداها، مما يعنى أن هذه الأزمات والأوبئة لم تكـــن السبب الوحيد أو العامل المؤثر الوحيد فى حدوث هذه الظاهرة، مما أوجد صعوبـــة فى قياس مقدار معامل الارتباط بين السبب والنتيجة .

٣ - إن الأرقام التى ترد فى المصادر التاريخية، قد يكون مبالغ فيها، فضلاً عـــن أنها فى بعض الأحيان تأتى متناثرة لا تكوّن سلسلة متصلـــة تصلـــح أساســـاً للدراسة الإحصائية، يضاف إلى ذلك أن أسعار السلع الغذائية، وأجور أربـــاب الوظائف والحرف لم يرد ذكرها فى المصادر التاريخية بنوع واحد من العملـــة بل تارة تقدر بالدينار، وتارة أخرى بالدرهم الفضة، وتـــارة ثالثـــة بـــالدرهم الفلوس، وقد دفع ذلك الباحث إلى

أ- الاعتماد على كثير من الحجج الشرعية وبخاصة لمعرفة أجور العـــاملين فـــى الأماكن الموقوفة، حيث أن الأرقام التى ترد فى هذه الحجج لا تشوبها المبالغة.

ب- رصد قيمة استبدال العملة طوال عصر الجراكسة، وتحديد متوسط الاستبدال لكل عام، وتحديد أسعار السلع الغذائية ــ وبخاصة القمح، وكذلك الأجور على أساس الدرهم، حتى يُسهل إدراك العلاقة بين الأسعار والأجور .

جـ- إذا أغفل المؤرخون ذكر أسعار السلع، أو أسعار استبدال العملة فى علم من الأعوام، اعتمد الباحث على أسعار السنة السابقة على اعتبار أن المؤرخين يذكرون السعرعند تغييره .

وقد قسّمت الموضوع إلى مدخل وخمسة فصول وخاتمة :-

فالمدخل : لتحديد المفهوم اللغوى والاصطلاحى لكل من الأزمة والوباء .

والفصل الأول : يتناول فيه الباحث أسباب الأزمات الاقتصادية والأوبئة ممثلة فى حالة نهر النيل، وعدم الاهتمام بصيانة الجسور، والظروف الجوية والآفات الزراعية، وكذلك الشائعات، ثم الأخطار الداخلية والخارجية هذا بالاضافة إلى السياسة النقدية التى اتبعها سلاطين الجراكسة، والحركة المعدنية العالمية والتى تمثلت فى رواج الفلوس، وتدخل السلاطين من حين لآخر فى تحديد قيم استبدال العملة، ومنع تداول العملات الأجنبية، ثم تهريب العملةخارج مصر .

أما الفصل الثانى : يتناول فيه الباحث الآثار الاقتصادية للأزمات والأوبئة، فقد تركت الأزمات والأوبئة آثارا واضحة على المجال الزراعى من خلال نقص مساحة الأرض الزراعية، وضعف الإنتاج الزراعى، كما أثرت على القيمة الايجارية للأرض الزراعية، وكذلك أسعار بيعها، يضاف إلى ما سبق تأثر نمط حيازة الأرض الزراعية فى مصرفى تلك الفترة، بالإضافة إلى تأثر تربية الحيوان بهذه الأزمات والأوبئة .

ولم تنج الصناعة والتجارة من الآثار السلبية للأزمات والأوبئة، إذ تدهورت كثير من الحرف والصناعات، واتخذ بعض السلاطين الاحتكار وسيلة لحل أزماتهم المالية، فكسدت الأسواق، وانخفضت الصادرات المصرية فى وقت زادت فيه الواردات، وأصبح نظام المقايضة ظاهرة اقتصادية تمثل التعامل التجارى فى هذا العصر، كما أننا نجد صدى الأزمات الاقتصادية واضحاً فى المعاهدات التجارية التى عقدتها السلطة الحاكمة مع المدن التجارية وبخاصة البندقية وفلورنسا.

وكما كانت السياسة النقدية لسلاطين المماليك سبباً فى حدوث الأزمات، تأثر النظام النقدى المصرى أيضاً بها، فاتخذ السلاطين غش العملة وسيلة لحل الأزمات المالية فنقص وزنها وعيارها، وانتشرت النقود الأجنبية، ولم تثبت أسعار استبدال العملة.

كما يتناول الباحث مدى تقلص الموارد المالية للبلاد، والعلاقة بين الأجـور والأسعار فى تلك الفترة

ويتناول الباحث فى الفصل الثالث الآثار الاجتماعية للأزمات الاقتصاديـة والأوبئة وذلك من خلال رصد حركة النمو السكانى لمصر فى تلك الفترة، والبنـاء الاجتماعى والهجرات الداخلية والخارجية، وما تركته الأزمات والأوبئة من تـأثير فى التركيب الطبقى للمجتمع .

وكان للأزمات والأوبئة دور لا يغفل فى مظاهر الحياة الاجتماعية مثـل الاحتفالات بأنواعها المختلفة ورسوم دفن الموتـى، وكذلـك الطعـام والشـراب والملابس، وبعض العادات الاجتماعية والتقاليد الدينية التـى كـانوا يستخدمونها لتخفيف حدة الأزمة أو رفع الوباء، هذا بالإضافة إلى ما خلفته من آثار على كـل من الأوقاف والتصوف .

ويدور الفصل الرابع حول الآثار الفكرية للأزمات الاقتصادية والأوبئة، ومـا نتج عن ذلك من مؤلفات خطها المؤلفون فى ذلك العصر، وبعض القضايا الفقهية التى شغلت عامة الناس بل والسلطة الحاكمة لما شاع فى ذلك العصر من تفسـير دينـى لأسباب الوباء، بالإضافة إلى الطرق التى كانت متبعة للوقاية والعلاج من أوبئة والتى نبعت من أفكار المعاصرين حول أسباب المرض، ومدى انتشار العدوى مـن فـرد لآخر، هذا بالإضافة إلى أعمال السحر والتنجيم التى سادت تلك الفترة .

كما يتناول الباحث فى هذا الفصل أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة علـى الحياة الأدبية كالشعر، وفن المقامة، والمدائح النبويـة، وأدب الفكاهـة والأمثـال الشعبية التى ترددت فى ذلك العصر .

ولم يكن التعليم بمؤسساته وطلابه بمنأى عن التأثر بالأزمات الاقتصاديـة والأوبئة، ثم يتناول الباحث اثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على العمـارة ومـا أحدثته من عمائر دينية شاع استخدامها فى فترة الدراسة مثل " مغاسـل الموتـى " و " مصليات الأموات "، هذا بالإضافة إلى تأثر الفنون الإسلامية بهذه الأزمات مثل صناعة التكفيت، والخزف، والزجاج، وفن الحفر على الخشب، وفن النقش.

ويتناول الباحث فى الفصل الخامس الآثار السياسية والعسكرية للأزمـات الاقتصادية والأوبئة، إذ تأثر العمود الفقرى للنظام السياسى وهو الجيش، ممثلاً فـى فرق الجيش المملوكى، ومقرراته، بل وتجهيزاته وحملاته العسكرية .

ويتعرض الباحث للثورات الشعبية التى نبعت من دافع اقتصــادى ســواء أكانت عن طريق المقاومة الفعلية أم المقاومة السلبية، ويحــاول البــاحث تحليــل الأسباب التى أدت إلى ضعف هذه الثورات، وتفرقها فى ذلك العصر .

وفى نهاية هذا الفصل يتناول الباحث أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة علـــى سياسة مصر الخارجية فى تلك الفترة سواء مع المدن التجارية، أو مع رودس وقبرص، وسياسة مصر الخارجية مع البرتغاليين والتركمان، ثم مع العثمانيين التى نتج عنها فى نهاية المطاف سقوط مصر تحت السيطرة العثمانية ونهاية عصر الدراسة .

ثم أنهيت هذه الدراسة بخاتمة أوضحت فيها أهم النتائج.

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على عدد مــن المصــادر، كــانت الحجــج الشرعية عمادها سواء أكانت وثائق وقف أو بيــع أو اســتبدال، أمــدت البــاحث بمعلومات قيمة عن أجور أرباب الوظائف فى فترة الدراسة، كما أفادت الباحث فى التعرف على حيازة الأرض الزراعية، وأثر الأزمات الاقتصادية والأوبئــة علــى التعليم والتصوف ومنشآت الوقف بصفة عامة .

كما اعتمد الباحث على عدد كبير من المخطوطات العربية، بعضها أفــاد الباحث فى التعرف على أسباب الأزمات وبخاصة حالة نهر النيل مثل مخطــوط " كوكب الروضة للسيوطى المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥م، ونيل الرائد فى النيل الزائد للشهاب الحجازى المتوفى ٨٧٥ هـ/١٤٧٠م، ومبدأ النيل على التحريــر للمحلــى المتوفى ٨٦٤ هـ/١٤٥٩م، والفيض المديد فى أخبار النيل السعيد للمتوفى ت ٩٣١ هـ/١٥٢٤م، وكل هؤلاء المؤرخين كانوا معاصرين لفترة الدراسة .

واستفاد الباحث من مخطوط "نزهة النفوس فى بيان حكم التعامل بــالفلوس" لابن الهايم فى الآثار الاقتصادية للأزمات والأوبئة، وبخاصة السياسة النقدية .

أما المخطوطات التى تناولت الأوبئة والطواعيــن فيــأتى علــى رأســها مخطوط " بذل الماعون فى فضل الطاعون " لابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـــ / ١٤٤٩م الذى عكس فيه مفهوم العصر عن الوباء والطاعون من حيــث أســبابه، والتعريف به، وكونه شهادة وحكم البلد الذى يقع فيه الطاعون، وما يشرع فعله فــى الطاعون بعد وقوعه، ورأيه فى العدوى وغير ذلك من الآراء التى اتخذت صبغــة دينية تتلاءم مع مفهوم العصر وشخصية الكاتب وثقافته .

ويعد مخطوط " تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين " للشيخ أبى زكريا الأنصارى ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٦م اختصاراً لمخطوط ابن حجر، وإن خالفه الرأى فى بعض الفتاوى الفقهية التى أشار إليها الباحث فى موضعها .

واستفاد الباحث من مخطوط " خلاصة ما تحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوباء والطاعون " لمحمد فتح الله بن محمود البيلونى فى طرق الوقاية والعلاج التى كانت متبعة فى ذلك الوقت وما تضمنته من أعمال السحر والتنجيم .

واستفاد الباحث ــ أثناء تواجده بألمانيا ــ من المخطوطات العربية التى ضمتها دارالكتب القومية للتراث الثقافى البروسى ــ القسم الشرقى ببرلين

staatsbibliothek Zu Berlin Preussischer Kulturbesitz , Orientabteilung .

ويأتى على رأس هذه المخطوطات التى أفادت الباحث وبخاصة فى الأوبئة مخطوط " مجموعة الشفاء لأدوية الوباء مع رسائل للبسطامى " وإن كان مؤلف هذا المخطوط مجهول، إلا أنه تضمن رسائل لعبد الرحمن البسطامى (الذى عاش حوالى ٨٢٢ هـ/١٤١٩م) عن الوباء والطاعون .

ومخطوط " رسالة الإباء عن مواقع الوباء " للبدليسى الذى كتبه فى علم ٩١٧ هـ / ١٥١١م عندما توجه من القسطنطينية إلى الإسكندرية فى طريقه للحج، وقد فصل هذا المخطوط الأسباب التى تؤدى إلى انتشار الأمراض الوبائية وطرق علاجها .

أما مخطوط " تحصيل غرض القاصد فى تفصيل المرض الوافد " لابن خاتمة الأنصارى ٧٤٦ هـ /١٣٤٥م فيعد من أفضل الكتب التى اطلع عليها الباحث فى هذا المجال، لأنه لم ينظر إلى الأوبئة نظرة دينية فقط، بل نظر إليها بصفته طبيباً ممارساً لعلاج مثل هذه الأمراض الوبائية .

كما استفاد الباحث من بعض المخطوطات الأخرى التى كتبت بعد عصر الدراسة إلا أنها احتوت على رسائل كتبها معاصرون لفترة الدراسة مثلما هو الحال فى مخطوط " الرسائل الزينية فى مذهب الحنفية " لابن نجيم المصرى ت ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢م الذى تضمن ما كتبه السيوطى ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م بعنوان " رسالة فى الطعن والطاعون للسيوطى " .

هذا بالإضافة إلى مخطوط " مسكن الشجون فى حكم الفرار من الطاعون لنعمة الله الجزايرى "، ومخطوط " تحقيق الظنون بأخبار الطاعون " لابن يوسف الحنبلى .

يضاف إلى ما سبق استفادة الباحث من بعض المخطوطات التى تناولت سير بعض سلاطين عصر الجراكسة مثل " سيرة السلطان الظاهر جقمق " لابن عربشاه، ومخطوط تاريخ السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى " لمجهول، ومخطوط " هدية العبد القاصر إلى الملك الناصر أبى السعادات محمد بن قايتباى "

كما استعان الباحث بكثير من المصادر المطبوعة وبخاصة تلك التى عاصر مؤلفوها الأحداث، بل وشاركوا فيها، مثل القلقشندى، وبدر الدين العينى، وابن تغرى بردى، وابن إياس، وابن الجيعان، وابن حجر وغيرهم، ولعب بعضهم دور الناقد الاقتصادى والاجتماعى للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى عصرهم مثل المقريزى فى مؤلفاته المختلفة وبخاصة " إغاثة الأمة بكشف الغمة " وكذلك الأسدى ت ٨٥٤ هـ فى كتابه " التيسير والاعتبار " وابن شاهين فى كتابه " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " .

وتعتبر كتب الرحلات مثل رحلة طافور الذى زار مصر فى الفترة من ٨٣٩ هـ إلى ٨٤٣ هـ (١٤٣٥ - ١٤٣٩م) وكذلك كتاب وصف أفريقيا لليون الأفريقى الذى زار مصر ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م مصدران لا غنى للباحث عنهما فكل منهما دون ما شاهده فأثرت مشاهداتهما البحث فى مختلف فصوله .

هذا بالإضافة إلى استعانة الباحث بكثير من المراجع العربية والأجنبية ذات الصلة بموضوع البحث، والتى كان للمكتبة الجامعية Universitätsbibliothek بمدينة توبنجن دور بارز فى ذلك .

كما استفاد الباحث من النميات الإسلامية Islamische Numismatik بجامعة توبنجن وبخاصة تلك التى تنتمى إلى عصر الدراسة، والتى ضربت بدار الضرب بالقاهرة أو الإسكندرية .

وفى النهاية أقدم أصدق الشكر وأعمق الولاء إلى الأستاذ الدكتور حسين عبد الرحيم عليوه، والأستاذ الدكتور فان إس Van Ess أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة توبنجن بألمانيا على ما قدماه لى من عون ومساعدة فقد كان هذا الكتاب فى أصله رسالة تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه تحت إشراف سيادتهما.

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير.

د. شلبى إبراهيم الجعيدى

المنصورة فبراير ٢٠٠٢م

مدخل

مفهوم الأزمة والوباء

مفهوم الأزمـة :

لغويـــاً : أزم الدهر إذا عض، ويقال سنة آزمة وأزوم، أى سنة قليلة الخير[1] ويقول ابن سيده، الأزمة هى الشدة والقحط، أو السنة المجدبة وأزم عليهم العام أى اشتد قحطه وقل خيره[2].

واصطلاحيا : يعرفها البعض بأنها انكماش فى الدورة الاقتصادية وانخفاض فى مستواها أى نقطة التحول التى يتقلص عندها الازدهار وتبدأ حالة الركود الاقتصادى [3]، ويمكن تعريفها أيضا بأنها حالة عدم التوازن بين حجم الإنتاج والإستهلاك [4] أو عدم الموازنة بين الدخل والمنصرف سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع، وتختلف شدة الأزمة وحدتها باتساع الفارق بينهما .

ويجب أن نفرق بين نوعين من الأزمات :

النوع الأول : الأزمات الاقتصادية العامة التى تنتج من ارتفاع الأسعار بشكل لا يتلاءم مع دخول الأفراد وقدراتهم الاقتصادية، وقد عبر المؤرخون عنها فى كثير من الأحيان بحدوث " الغلاء " [5] أو " ارتفاع الأسعار " [6] أو " فقدان الخبز وازدحام الناس على الأفران " [7] أو " حدوث تشحيطه فى سائر الغلال " [8] . وهو ما يطلق عليه بصفة عامة المجاعات .

---

(١) ابن حجر : غراس الأساس، تحقيق وتعليق توفيق محمد شاهين، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠ م، ص ١٢، ١٣ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب : مادة " أزم " .

(٣) نبيه غطاس : معجم مصطلحات الاقتصاد والمال وإدارة الأعمال، لبنان، مكتبة لبنان، د.ت، ص ١٤٩ .

(٤) نعمة الله نجيب إبراهيم : أسس علم الاقتصاد، الإسكندرية، كلية التجارة، ١٩٩٥، ص٢١.

(٥) ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، لندن، ١٩٣٨،ص ٧١٦، ابن إياس : بدائع، جـ٣، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٣، ص ٣٧، ٣٩٥ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق ٣، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢، ص١١٠٠، الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان،جـ٢، تحقيق حسن حبشى، القاهرة دار الكتب، ١٩٧١، ص ١٦١ ـ ١٦٢.

(٧) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٨٥٦ .

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص٢٢٢ .

ولكى يتم التعرف على هذا النوع من الأزمات حدد بعض المؤرخين أسعاراً قياسية لبعض السلع الغذائية، ويمكن معرفة حدوث الغلاء أو الرخاء من خلال القياس أو المقارنة بهذه الأسعار .

فمتوسط الأسعار حتى أواسط القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى أن يكون أردب القمح بخمسة عشر درهما، والشعير بعشرة دراهم، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج . واللحم يزيد سعر الرطل عن نصف درهم قليلاً (١) ثم جاء الأسدى ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م ووضع قاعدة سعرية أخرى تتناسب مع عصره فأوضح أنه إذا كان سعر الأردب فى الديار المصرية بدينار من الذهب يكون الرطل من الخبز المصرى بدرهم من الفلوس، ويكن السعر وسطا، وتتحدد شدة الغلاء أو الرخاء بالابتعاد عن هذا الحد (٢) . وبالتالى فإن أسعار السلع بصفة عامة والغذائية بصفة خاصة هى المؤشر الرئيسى لحدوث هذا النوع من الأزمات، ومن أمثلة الأزمات التى تمثل هذا النوع أزمة ٧٩٧-٧٩٨هـ/١٣٩٤-١٣٩٥م حيث فقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر عدة أيام، وازدحم الناس على الأفران (٣)

وكذلك أزمة ٨٠٦-٨٠٧هـ/١٤٠٣- ١٤٠٤م التى تضاعفت أسعار القمح فيها وعجز كثير من الناس عن شرائه، وخرجوا من القاهرة لكثرة الغلاء (٤) وكذلك أزمة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م التى ضج الناس فيها من الجوع، كما تعد الأزمة الاقتصادية التى حدثت منذ أواخر ٨٥٣ وحتى ٨٥٦هـ/١٤٥٠-١٤٥٢م وكذلك أزمة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م من أكبر الأزمات الاقتصادية التى لحقت بمصر .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى،جـ٣، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٤، ص ٤٤٧، السيوطى: حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، جـ ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨م، ص ٣٣٣ .

(٢) الأسدى (محمد بن محمد خليل) : التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٧م، ص ١٤٣ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢،ص٨٥٦ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ١، ق٢ ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٢، ص ٧٠٥ .

وجدير بالذكر أن هناك بعض الأزمات المؤقتة أو المفتعلة، التي تلعب الشائعات دوراً كبيراً في حدوثها من خلال ما يطلقه خازنو الغلال أو التجار من شائعات بتوقف نهر النيل، أو أن منسوب المياه يكون قليلاً فيتهافت الناس على شراء الغلال فترتفع أسعارها [١] ومن الطريف أن المعاصرين كانوا يسمون هذه الأزمة " الكذابة " أو " المفتعلة [٢] .

كما أن هناك بعض الأزمات التي تقتصر على مدينة القاهرة وضواحيها دون أن تكون منتشرة في أنحاء البلاد، مثلما كان عليه الحال في أزمة ٨١٨ــ٨١٩هـ /١٤١٥ــ١٤١٦م، إذ كان الغلاء يتزايد بالقاهرة وضواحيها، بينما كان يتوفر القمح بالوجه القبلي، مما دفع المؤيد شيخ أن يرسل أحد أمرائه ليشتري قمحا من الوجه القبلي [٣]، كما اقتصرت بعض الأزمات الاقتصادية على صعيد مصر فقط مثلما كان عليه الحال في عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م . [٤]

النوع الثاني : من الأزمات يكون مرتبطا بالسلطة الحاكمة ودواوينها أكثر من ارتباطه بفئات الشعب، ويعبر المؤرخون عن هذا النوع من الأزمات بـ " خلو الخزائن من الأموال " [٥] أو "بيت المال مشحوت من المال"[٦] أو" احتاج السلطان المال " [٧] أو"انشحات الديوان" [٨] إذ يحدث عجز في موارد بعض الدواوين الرئيسية مثل ديوان المفرد الذي توقفت أحواله في عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤م بعد أن

---

(١) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩٢٠ .

(٢) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، جـ٣، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧٣م، ص٢٦٢، قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣، ص ١٤٧ .

(٣) العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م ، ص٢٦٧ــ٢٦٨.، ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٤، تحقيق جمال محمد محرز، وفهيم محمد شلتوت، القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١، ص٤٠

(٤) السلوك، جـ٤، ق٢، ص٦٠٣ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٨٦، جـ٣، ص ٢٧٨، جـ٤، ص ١٤ .

(٦) نفس المصدر، جـ١، ق٢، ص ٥٠٣، جـ٣، ص ١٤ .

(٧) نفس المصدر، ص٧١٦ .

(٨) نفس المصدر، جـ٣، ص ٢٤، ص ٣٦٩ .

بلغت نسبة العجز في كل سنة ١٢٠ ألف دينار (١) وبلغت نسبة العجز في هذا الديوان في عام ٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م مبلغ ٦٠ ألف دينار (٢) ويمثل هذا النوع من الأزمات أزمات ٧٨٩هـ/١٣٨٧م (٣)، و ٨٠٣هـ/١٤٠٠م (٤)، و ٨٠٧هـ/١٤٠٤م (٥)، و ٨٦٥-٨٦٨هـ/١٤٦٠-١٤٦٣م (٦)، و ٨٧٢-٨٧٣هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م (٧)، و ٨٩٤هـ/١٤٨٨م (٨)، و ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م (٩)، و ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م (١٠) وفي مثل هذه الحالات لا تستطيع السلطة الحاكمة الوفاء بالتزاماتها المعهودة مثل دفع نفقة المماليك، أو الاستعداد للقتال، وغير ذلك من المهام المكلفة بها .

والعلاقة بين النوعين من الأزمات علاقة جد وطيدة، إذ أن أزمات الدولة تنعكس آثارها على فئات الشعب المختلفة، وذلك من خلال الإجراءات التي تستخدمها السلطة الحاكمة لتخفيض الهوة بين إيراداتها ومصروفاتها من خلال فرض ضرائب، أو مصادرات، أو طرح بضائع على التجار، أو غير ذلك من الوسائل التي تؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وتكون من بين الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الأزمة الاقتصادية العامة، وكذلك حدوث الأزمات الاقتصادية العامة وبخاصة تلك التي تنتج عن عدم زراعة الأرض وقلة الإنتاج تؤدي هي الأخرى إلى عجز السلطة الحاكمة عن جباية الخراج، وبالتالي ضعف موارد الدولة وعدم قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها مما يجعلها تستخدم إجراءات أخرى للحد من أزمتها فتزداد الأزمة العامة حدة .

وفي أحيان قليلة لا يكون هناك علاقة بين ما تعانيه خزانة الدولة من عجز في إيراداتها وبين حالة الأسعار في البلاد، فعلى الرغم من خلو الخزائن من الأموال في عام ٨٩٦هـ/١٤٩٠ م (١١) إلا أن الرخاء كان في سائر السلع في نفس العام (١٢).

---

(١) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٨٨ .
(٢) نفس المصدر، ص ٧٩٦ .
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٣٨٦ . .
(٤) نفس المصدر، ص٥٣ .
(٥) نفس المصدر، ص٧١٦ . .
(٦) ابن تغري بردي : حوادث، ٤٠٨-٤٠٩، ٤٥٨-٤٥٩، ٤٦٥ .
(٧) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص١٤، ٢٤ .
(٨) نفس المصدر، ص٢٦٠ .
(٩) نفس المصدر، ص٢٧٨ .
(١٠) نفس المصدر، جـ٤، ص١٤ .
(١١) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٢٧٨ .
(١٢) نفس المصدر، ص ٢٨٤ .

وقد تكون هناك أزمة اقتصادية وارتفاع شديد في الأسعار، بينما لا يوجد عجز في خزينة الدولة، ومثل هذه الأزمات هي التي تكون ناتجة عن التلاعب في قيمة العملة مثلما حدث في عام ٨١٣ هـ/١٤١٠م(١)، أو من خلال الاحتكارات التي كانت تلجأ إليها السلطة الحاكمة(٢)

مفهوم الوباء :

لم تكن هناك ثمة فروق لغوية واضحة بين الوباء والطاعون، إذ نظر بعض علماء اللغة إلى الوباء على أنه مرادف للطاعون، يقول الحافظ في الفتح والمراد بالطاعون هو الوباء (٣) وهو قول الخليل أيضا (٤)، وقال ابن سينا إن الطواعين تكثر عند الوباء، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس (٥).

وعرّف البعض الطاعون بأنه المرض العام (٦)، وقد يرجع سبب ذلك لعموم مصابه وسرعة قتله (٧). وأوضح بعض المعاصرين أن الطاعون غير مرادف للوباء معتمدين في ذلك على المقارنة بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الصلة بالمفهومين (٨). واعتبروا الفرق بينهما فرقا في أسباب حدوثهما، فالطاعون ـ حسب هذه الرؤية ـ وخز من الجن يظهر على هيئة بثر وورم مؤلم يخرج مع لهيب ويسود ما حوله، بينما الوباء ينتج من فساد الهواء إما لأسباب سماوية أو أرضية (٩).

---

(١) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق ١، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢،، ص ١٣٣ ــ ١٣٤، الصيرفي : نزهة، جـ٢، ص ٢٦٤ .

(٢) أحمد صادق سعد : تاريخ مصر الاجتماعي - الاقتصادي، بيروت، دار ابن خلدون ١٩٧٩، ص ٤٥٣ .

(٣) آبادي (أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم) : عون المعبود شرح سنن أبي داوود، مج ٨، ط٢، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، ١٩٦٨، ص ٣٦٨ .

(٤) البدليسي (إدريس بن حسام الدين) : رسالة الإباء عن مواقع الوباء، ، Staatsbibliothek zu Berlin Spr.727، ورقة١٦ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون في فضل الطاعون، دار الكتب، ٢٣٥٣ تصوف، ميكروفيلم ٢١٠٩١ .، ورقة، ١٣ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب، مادة طعن .

(٧) آبادي : عون المعبود ، مج ٨، ص ٣٦٨، ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٢ .

(٨) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٤، ١٥ .

(٩) زكريا الأنصاري (أبو يحيى) : تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، دار الكتب، ب ٢٥٧٣٢، ورقة ٣، ٤، الأزهري (مصطفى الدهنة الدمشقي) رسالة مختصرة في الطاعون،دار الكتب، ٤٩٢ طب طلعت، ميكروفيلم ١٩٨٧٨، ورقة ٢.

لذا اعتُبِر الوباء أعم وأشمل من الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كـل وباء طاعون [١].

ولقد ميز المؤرخون بين الأوبئة والطواعين فى عرضهم للأحداث التاريخية فى ذلك العصر، فالسنوات التى انتشرت فيها الطواعين يقررون صراحـة بانتشار الطاعون بها [٢]أو يحددون نوع الوباء كقولـهم "عَـمّ الوباء بالطاعون"[٣].

أما السنوات التى لم ينتشر فيها الطاعون، وإنما أوبئة أخرى فيطلقـون عليها وباء فقط دون الإشارة إلى أنه طاعون [٤]، أو يحـددون نـوع الوبـاء كقولهم، فناء بالباردة والحمى[٥] أو " وباء بالباردة والسعال " [٦]، كما يشيرون إلى انتشار الأمراض الحادة فى الناس [٧] وأحياناً يقررون أنها بغير طعـن [٨]، أو أنها سليمة العاقبة [٩]

(١) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٧ ؛ الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فـى تواريـخ الزمـان، جـ١، تحقيق حسن حبشى، القـاهرة، دار الكتـب، ١٩٧٠ م .، ص ٢٠٢، ٤٤٢، جـ٣، ص ١٨٢، ٤١٧ . المقريزى : السلوك، جـــ٤، ق١، ص٦، ٤٢، ٢٥٧، ٣٠١، ٣٤٤، ٣٨٨، ٤٨١ جـ٤، ق٢، ص ٨٢١، جـ٤، ق٣، ص ١١٢٦ .

(٣) ابن إياس : بدائع،جـ١، ق٢، ص ٧٥١،٧٦٩، ٨٠٣، جـ٢، القاهرة، دار إحيـاء الكتب العربية، ١٩٧٢، ص ١٩، ٤٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن حجر : إنباء الغمـر بأبنـاء العمـر . جـــ٢، ط٢، بيروت، ١٩٨٦ م، ص٢١٨، جـ٣،.تحقيق السيد عبد الله بن أحمد مديحج العلـوى الحسينى الحضرمى، بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ١٩٨٦ م ٣،ص١٦٥،٣٩٧، المقريزى : السلوك : جـ٤، ق١، ص٥٢٧، ق٢، ص٦٨٩، ٧٧٩، الصـيرفى : نزهة، جـ ٢، ص٤٧٤ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٣، ص٣٩٧ .

(٦) نفس المصدر، جـ٤، ص١١٥ .

(٧) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهريـة، د. ت .، ص ٣٢١، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩١، ٣١٢ .

(٨) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٢٢، ابن إياس : بدائع،جـ٢، ص٢٩٣.

(٩) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص٧٣٨، جـ٤، ق ٣، تحقيق سعيد عبد الفتـاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٧٣،ص١٠٩٨ .

وقد استخدمت عدة مرادفات أخرى للدلالة على انتشار الوباء وقوته ونوعه مثل الفناء[1]، الفصل[2]، الموت [3]، الموتان[4]، الداء[5]، حبة الموت [6]، الوجع[7]، الآفة [8]،المرض الوابل [9]، المرض الحاد [10]، الدموية [11]، الجدرى [12]، الحب الإفرنجى[13] .

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢١٨، جـ٣، ص ١٦٥، ٣٩٧، الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ٤٧٢

Perty, Carl F. : Twilight of Majesty, The Reigns of the Mamluk Sultans al-Ashraf Qaytbay and Qansuh Al-Ghawri in Egypt, London, 1993., P.111.

(٢) الفصل من الناحية أى الخروج منها . ابن منظور : لسان العرب، مادة (فصل). وقد يكون المقصود بالفصل الخروج من الحياة، انظر ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٨٦، جـ٢، ص ٢٩٣، جـ٣، ص ٢٠٠ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١٩، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٦، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٨٥ .

(٤) البغدادى : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، دمشق، دار قتيبة، ١٩٨٣ م ، ص ٨٥، ٩٨، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٤٥، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٥ ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢،ص ٧٠٦ .الموت والموتان ضد الحياة، والموتان هو الموت الكثير الوقوع.ابن منظور :لسان العرب مادة " موت ".

(٥) ليون الأفريقى : وصف أفريقيا، جـ ٢، ترجمة محمد حجى، محمد الأخضر، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٣، ص ١٩٢، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣١ ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٩٥ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٣ .

(٧) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٦، آبادى : عون المعبود ، مج ٨، ص ٣٦٨ .

(٨) Dols, M.W : The Black death in the Middle East, Princeton University Press, 1979. P.317

(٩) المرض الوابل أى المرض الشديد، ابن منظور، لسان العرب، مادة " وبل " .

(١٠) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٢١، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٣. ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩١، ٣١٢

(١١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٠٠ .

(١٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٣٨ .

(١٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٩٥ .

ويبدو أن الأوبئة وكثرة تكرارها وملازمتها للشعب المصرى فى ذلك العصر أصبحت تعرف به، فيذكر السيوطى أشهر الأمراض فى بعض الأقاليم فيقول "طواعين الشام، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وحمى خيبر، ووباء مصر "[١].

وجدير بالذكر أن الوباء ليس مرضا وإنما صورة من صور انتشار الأمراض إذ تأخذ الأمراض ثلاث صور :

١- أمراض متوطنة : وهى أمراض توجد بصفة مستمرة فى المجتمع نتيجة لاستمرار الظروف المسببة للمرض فى البيئة .

٢- أمراض وبائية : وهى ظهور حالات مرضية بمعدل أكبر مما كان سائدا من قبل.

٣- أمراض فاشية : وهى أمراض وبائية تصيب أكثر من دولة فى العالم فى نفس الوقت [٢]، ولذا يطلق عليها البعض جائحة. [٣]

وأشهر أنواع الأوبئة التى انتشرت فى مصر فى هذا العصر هى :-

١ ـ الطاعون :

وهو أكثر الأنواع انتشاراً وأشدها تأثيراً وقد عرفه Webster فى القاموس الطبى بأنه مرض وبائى يسبب معدلاً هائلاً من الوفيات يصحبه تخلخل اجتماعى [٤] . وهو يظهر على هيئة أورام [٥] وبثور[٦] تتركز فى مواضع الأفخاذ،

---

(١) حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٣٨ .

(٢) Ib rahim Fouad Khalil : Communicable diseases , Cairo , 1998 ,p.44 – 45 .

(٣) الموسوعة العربية العالمية، جـ٢٧، السعودية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ٤٦، ٤٧ .

(٤) Foege, W.H.: Plagues: Perceptions of Risk and Social Responses, (Arien Mack. in Time of Plague), New York, 1991, P. 11-12

(٥) استخدمت عدة مسميات للدلالة على الورم، مثل الكبّة، الخراج، الدمل، الغزة ، الغدة Dols : the Black death,P.319 . مجهول : رسالة فى الطاعون .LBG. 671، Staatsbibliothek zu Berlin، ورقة ٥

ابن يوسف الحنبلى (مرعى) ١٠٣٣هـ : تحقيق الظنون بأخبار الطاعون We 1840 ، Staatsbibliothek zu Berlin، ورقة ٣٨ .

(٦) استخدمت عدة مسميات للدلالة على البثور الجلدية مثل، الحبة، القرحة، الهالة، الطفح، النفاثة، ابن حجر، بذل، ورقة ١٢، مجموعة الشفاء، ورقة ١٣ .

وتحت الإبط وخلف الأذن (منطقة الرقبة)، وأماكن أخرى مثل الأيدى والأصـابع، كما يمكن أن تشمل الإصابة سائر الجسد (١).

ويصاحب هذه الأورام والبثور ارتفاع فـى درجـة الحـرارة، والقـئ، والخفقان، وآلام شديدة فى مواضع الأورام والبثور(٢)، وكذلك ضيق فـى التنفـس، وآلام بالبطن (٣)، والصداع (٤)، والإجهاد الذى عبر عنـه المعـاصرون بـالتعب الشديد(٥)، وكذلك فقدان الشهية (٦).

ويأخذ الطاعون ثلاثة أشكال رئيسية :

= ابن نجيم المصرى (زين الدين) ٩٧٠ هـ : فى الطعن والطـاعون LBG.598، Staatsbibliothek zu Berlin، ورقة ١٨

Dols : the Black death, P.318-319

(١) ابن حجر: بذل الماعون، ورقة ١٢ – ١٣، ٤٥، الأنصارى: تحفة الراغبين ، ورقة ٣، ٤ البسطامى: مجموعة الشفاء لأدوية الوباء مع رسائل للبسـطامى، LBG.999 ،. Staatsbibliothek zu Berlin ورقة ٣٣،
السخاوى : التبر المسبوك، ص ٨٧، البدليسـى : رسـالة الإبـاء ، ورقـة ٤٠ .
الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص٤١٥ .

(٢) ابن حجر، بذل الماعون، ورقة ١٣، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٥ أبو الخير (عصام الدين) : رسالة الشفا لدواء الوباء، دار الكتب، ٩٠٠ طـب، ميكروفيلم ٣١٢١٢ .، ورقة ٢٨ .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ ١، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت، جـ١، ص ٤٧ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٤ .

(٥) مجموعة الشفاء، ورقة ٣٣، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ١٤٤ .

(٦) ابن خاتمة (الأنصارى) ٧٤٦هـ : تحصيل غرض القاصد فى تفصيـل المـرض الوافد Staatsbibliothek zu Berlin، We. 1205 ، ورقة٤٠، البيلونى (محمد فتح الله بن محمود) : خلاصة ما تحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوبا والطاعون، دار الكتب، ٦٣٣ طب، ميكروفيلم ٣١١٦٧، ورقة ٩ . وتتشابه هذه الأعراض مـع ما ذكرته الدراسات الحديثة عن أعراض الطاعون فى فيتنام عام ١٩٧٠
Martin, A.Lynn : Plague: Jesuit accounts of epidemic disease in the 16th century, sixteenth century journal publishers, 1996. p. 5 .

الأول : الطاعون الدبلي[١]:

وهو الذي ينشأ مباشرة من لدغة البرغوث، فتنتقل العدوى إلي الغدد اللمفاوية والتي توجد غالبا عند ملتقى الفخذ بالبطن، وأيضا تحت الإبط، وخلف الأذن[٢]، فالبكتيريا عندما تصل إلي الدورة الدموية تعمل علي إضعاف جدران الأوعية الدموية وتحدث خراريج تحت الجلد في تلك الأماكن .

ويبدو من خلال الأعراض التي ذكرها المعاصرون في تلك الفترة أن هذا النوع كان سائدا في معظم الطواعين التي انتشرت في مصر فى عصر الجراكسة والتي عبر عنها المعاصرون بورم يخرج مع لهيب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ، ويحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن[٣] وأغلب ما يكون تحت الإبط أو خلف الأذن[٤] .

وهذا النوع من الطاعون يصيب الإنسان لفترة تتراوح ما بين يوم وستة أيام[٥]، ترتفع خلالها درجة حرارة الجسم ويصاب الإنسان بقئ، وخفقان وآلام في مواضع الأورام[٦] .

ويبدو أن ابن حجر العسقلاني قد أصيب بهذا النوع من الطواعين في عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ووصف ما شعر به وحدد مدة إصابته فيقول " وفي ليلة الأحد خامس صفر وجدت وجعا تحت إبطي الأيمن ونغزة مؤلمة فنمت علي ذلك، فلما كان في النهار زاد الألم قليلا، فنمت القائلة، وانتبهت والأمر علي حاله، فلما كان

---

(١) الدبل هو الخراج أو الدمل ابن منظور : لسان العرب، مادة دبل.

(٢) Benedictow. O. J : Plague in the late Medieval Nordic Countries, Epidemiological studies, Norway, 1993 , p.23 .

(٣) المغابن : جمع مغبن وهي مواضع الأفخاذ وهي أصل الفخذين والآباط .
ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٤٥ . الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقة٤.

(٤) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٢-١٣ . مجموعة الشفاء لأدوية الوباء، ورقة ٣٣ .

(٥) Martin : Plague , p.4.

(٦) الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقة ٣، ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٣، آبادى : عون المعبود، مج٨، ص٣٦٨، ٣٧٩، الصيرفى : نزهة النفوس، ج٣، ص ٤١٥
Martin : Op. Cit . p.4.

العاشر برزت تحت إبطي كالخوخة اللطيفة، ثم أخذت في الخفة قليلا إلـي العشـر الأخير منه(١).

ومن خلال وصف بعض أدباء العصر لبعض أعراض هذا الطاعون الدبلـي ومواضع انتشاره في الجسد يمكننا القول أن أهم الطواعين التي تمثل هذا النوع، حدثت في أعوام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م(٢) و٨١٩هـ/١٤١٥م(٣) و٨٢٢هـ/١٤١٩م(٤)

الثاني : الطاعون التسممي أو الدموي

عندما تكون الإصابة بالطاعون الدبلي قوية لاتظهر له أعـراض طبيـة خارجية إذ تهاجم البكتيريا في هذه الحالة القلب مباشرة، وتؤدي إلي وفاة المريـض خلال ٢٤ ساعة قبل أن تتطور الأورام(٥)، وهذا النوع يسمي الطـاعون التسـممى أو الدموي(٦)، يفقد الإنسان خلاله الإدراك والإحساس، ويقع مصعوقا، ولذا سـمي أيضا بالطاعون الصاعق(٧) .

الثالث : الطاعون الرئوى :

وهو أخطر الأنواع الثلاثة لحدوث الالتهاب الرئوي الحاد، وتنتج خطـورة هذا النوع من أنه لا يحتاج في انتشاره إلي الفئران السوداء أو البراغيث - كما هـو الحال في الطاعون الأول - وإنما يمكن انتشاره من خلال الهواء المحمل بـالرذاذ عندما يكح المصاب أو يعطس أو يتكلم، وبذلك تزداد العـدوى مـن هـذا النـوع ولا تقتصر علي المخالطين للمصاب، بل تصيب كل من يستنشق الـهواء الملـوث ولذلك فإنها تصيب الحيوانات أيضا (٨) .

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٨٧ . ويمثل معدل الوفيات بيـن المصـابين فـي الطاعون الدبلي (في التاريخ الحديث) ما بين ٦٠% و ٩٠%

Martin : Op. Cit , p.6

(٢) ابن إياس : بدائع، ج١، ق٢، ص ٧٧٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج٢، ص ٦ .

(٤) نفس المصدر، ص ٤٣ .

(٥) Benedictow : Plague , p.24

(٦) Maxcy public health & preventive Medicine , Colifornia , 1992 , p.239 Rosenau Martin : Op. Cit ,p.4.

(٧) فوزي السيد : تاريخ الأوبئة، ص ٢٤ .

(٨) Walloe, Lars: Plague and Population, Narway 1350-1750, University of Oslo, 1995., p.14 Benedictow · Plague . p.25. Martin · Plague . p.2

وتتمثل أعراض هذا النوع في الارتفاع الشديد في درجة الحرارة، وآلام في الرأس وضعف عام في الجسم، وسرعة في النبض، وفقدان الشهية، وقيء، وعطش، وتكون كل تلك الأعراض سببا في هلاك المريض في أسرع وقت(١) .

كما يتميز هذا النوع من الطاعون بأن مدة إصابته تتراوح من يوم إلى ثلاثة أيام ولا تظهر أورام مؤلمة لدى المريض، ولكن تعتريه الكحة والبصق الدموي، ولذا فإن معدل وفاته للمصابين تقريبا ١٠٠% في الحالات غير المعالجة(٢) . يؤكد ذلك ابن خاتمة بقوله إنه لم ير فى حياته أحدا أصيب بهذا النوع ونجا منه إلا شابا واحدا .(٣)

ويختلف هذا النوع من الطاعون عن الطاعون الدبلي بأن الأخير ينتشر غالبا في الطقس الدافئ، بينما الطاعون الرئوي غالبا ما يحدث في فصل الشتاء، وبخاصة في المنازل المزدحمة رديئة التهوية(٤).

ومن خلال وصف المؤرخين لطاعون ٨٣٣هـ/١٤٣٠م، الذى انتشر في فصل الشتاء، وتزايد الموت السريع نتيجة للنزلات التي تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان في أقل من ساعة(٥)، ويضرب ابن تغري بردي أمثلة لسرعة موت الناس، فذكر أن ثمانية عشر صيادا كانوا في موضع واحد فمات منهم في يوم واحد أربعة عشر، ومضي الأربعة ليجهزوهم إلي القبور فمات منهم وهم مشاة ثلاثة، ثم مات الأخير بعد أن أوصلهم إلي القبور . وركب أربعون رجلا في مركب وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد فماتوا جميعا قبل وصولهم، وكان الإنسان إذا مات تغيرت رائحته سريعا مع شدة البرد(٦) .

= على السيد على محمود : الفناء الكبير والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، القاهرة، المجلة التاريخية، مجـ ٣٣، ١٩٨٦ ، ص ١٥٣ .

(١) فوزى السيد السيد المصرى : تاريخ الأوبئة والصحة العامة فى مصر، ١٨١٣ - ١٨٨٢م، دكتوراه، آداب طنطا، ١٩٨٩، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) Martin : Plague , p.2.

(٣) تحصيل غرض القاصد، ورقة ٤١.

(٤) Martin :Op. Cit , p.2.

(٥) المقريزى : السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٢٤ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٤، ص ٣٣٩ .

ومن المعروف أن السلالات البكتيرية التي تصيب الإنسان أثناء الطواعين يمكن أن تصيب الماشية(١) وبخاصة إذا كان الطاعون الرئوي هو المنتشر في تلك الفترة . ولذلك فإن الحيوانات الداجنة والأسماك أثناء هذا الوباء لم تكن بمنأى عن العدوى والوفاة، بل وكذلك بعض الحيوانات المفترسة(٢) .

كل هذه الدلائل توضح أن طاعون ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م يمثل الطاعون الرئوي في تلك الفترة .

٢ـ الحب الإفرنجي :

ولم يظهر هذا الوباء فى مصر إلا فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى ـ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، ومات به عدد كبير من الناس (٣)، وأطلق عليه أيضاً " داء الإفرنج " (٤) وترجع سبب هذه التسمية إلى أن منشأه من بلاد الإفرنج، ثم بدأ ينتشر منها إلى بلاد الروم، ومنها إلى بلاد العرب حتى بلغ الهند والصين (٥) .

وكانت أعراض هذا الداء تتمثل فى أوجاع المفاصل، واللثة، واللسان، بالإضافة إلى أمراض جلدية مثل الجرب والجدرى (٦)، وقد اعتبر أحد الرحالة أن مصر من أكثر البلاد إصابة بهذا الداء (٧).

٣ـ الوباء بالباردة والأمراض الصدرية :

وفى هذا النوع من الأوبئة يصاب الفرد بالسعال، ويتبع ذلك حمى، ويعد أشهر أوبئة مصر فى عصر الجراكسة الذى حدث فى عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م

---

(١) Joshua lederberg : panademic as a Natural evolutionary phenomenon, (Arien Mack, in Time of plague) , New York , 1991 , p.30.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٨٢٥ . الصيرفى : نزهة النفوس، ج٣، ص ١٩١ . ابن إياس : بدائع، جـ٤، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص١٤٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٩٥ .

(٤) لبون الإفريقى : وصف إفريقيا، جـ٢، ص ١٩٢ .

(٥) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ١٥ – ١٦ .

(٦) نفس المخطوط والصفحة . .

(٧) ليون الأفريقى : وصف إفريقيا، جـ٢، ص ١٩٢ .

من هذا النوع، فبعد هبوب رياح رطبه انتشر السعال وذات الصدر والحمى وتزايد الموتان فى الناس [١].

وفى بعض الأحيان يصحب ذلك أعراض الجدرى كما حدث فى عام ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م [٢].

ويلاحظ على أهم الأوبئة التى انتشرت فى مصر خلال عصر الجراكسة ما يلى :-

أولاً : أن مصر خلال تلك الفترة انتشر بها ٤٢ وباء [٣] من بينها ٣٢ طاعون، وعشرة أوبئة أخرى حدد المؤرخون نوع بعضها مثل الوباء بالباردة والحمى، أو بالباردة والسعال، أو بالسعال وذات الصدر والحمى، والبعض الآخر أشاروا إليه بوقوع الفناء أو الوباء دون تحديد لنوع هذا الوباء .

ثانياً : إن بعض هذه الأوبئة اقتصر على ثغور مصر الساحلية، أو كانت بداية لانتشاره فى أنحاء البلاد، فاقتصر وبائى ٧٨٨هـ / ١٣٨٦ م ـ ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م على مدينة الإسكندرية [٤] وفى عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧م كثر

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١٩، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٨٥ – ٦٨٦ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٣٨ .

(٣) انظر جدول ٢٣ . لم يدخل ضمن هذا العدد الأوبئة التى أصابت الحيوانات فقط دون الإنسان مثل وباء ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م ووباء ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٠٣، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٠٧، ٧١٠ – ٧١١ وكذلك بعض الأمراض التى ظهرت فى بعض السنوات بشكل غير وبائى مثلما حدث فى أعوام ٨٢٥هـ (انظر المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٢٥) و ٨٢٦هـ (المقريزى :السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٤٨) و ٨٣٠ هـ المقريزى : السلوك ، جـ٤، ق٢، ص ٧٣٨ و ٨٥٤ هـ (ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ص ٩١، ٩٢، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٢١ . و ٨٥٥ هـ (السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٤٧، ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، ص ١٠٦) و ٨٥٦ هـ (ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، ص ١٢٢، ١٢٣، ابن إياس :بدائع، جـ٢. ص ٢٩٣) و ٨٨٨ هـ (ابن إياس :بدائع، جـ٣، ص ٢٠٠) .

(٤) الصيرفى :نزهة، جـ١، ص ١٣١، ابن إياس :بدائع، جـ١، ق٢، ص٣٧٠، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٤٤.
ابن حجر : إنباء غمر، جـ٢، ص ٢١٨، جـ٣،ص ١٦٥ .

الموت بالطاعون بدمياط والإسكندرية والمناطق المجاورة لهما (١)، ثم عاد الوباء إلى الإسكندرية والبحيرة في عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠ م (٢) وفي شعبان ٨٢٧هـ / يونيه ١٤٢٤م انتشر الوباء بدمياط (٣)، ويبدو أنه خمد ثم عاد نشاطه مرة أخرى في جمادى الأولى ٨٢٨ هـ مارس ١٤٢٥م، واشتد نشاطه في رجب من نفس العام (٤) .

كما اقتصر الطاعون في أواخر عام ٩١٨هـ / فبراير ١٥١٣م على ثغر الإسكندرية وبعض السواحل ولم يدخل منه إلى مصر شئ في هذا الوقت (٥) .

وفي كل الحالات السابقة يكاد يتقوقع الوباء في المناطق الساحلية من مصر دون انتقاله إلى بقية الأجزاء الأخرى من البلاد، إلا أن هذا الوضع قد تغير في عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م عندما انتشر الطاعون بالإسكندرية (٦)، ثم فشا خارجها في إقليم البحيرة وفي بعض بلاد الغربية (٧)، ثم انتقل سريعا إلى القاهرة(٨) .

ويعتقد الباحث أن حالة نهر النيل لم تكن ذات تأثير على هذه الأوبئة السابقة لأن الأعوام التي حدثت فيها الأوبئة السابقة كان فيضان نهر النيل معتدلا(٩) وحتى في السنوات التي هبط فيها النيل سريعاً، أو توقف عن الزيادة لم تؤثر بشكل كبير على تلك المناطق، على اعتبار أنها من المناطق المنخفضة التي تقع في شمال مصر والتي يمكن أن تروى أراضيها عند وصول نهر النيل حداً متوسطاً .

وقد يرجع انتشار هذه الأوبئة بمدينة الاسكندرية إلى حركة الملاحة التجارية وانتقال بعض الفئران الحاملة للميكروب من خلال السفن التجارية .

---

(١) المقريزي :السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٨٨ .
(٢) الصيرفي :نزهة، جـ٢، ص ٤٧٤، المقريزي : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٥٢٧ .
(٣) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٦٧ .
(٤) نفس المصدر، ص ٦٨٩ .
(٥) ابن إياس :بدائع، جـ٤، ص ٢٩٥ .
(٦) نفس المصدر، جـ٣، ص ١٨ .
(٧) ابن تغري بردي :حوادث الدهور، ص ٦٩٦ .
(٨) نفس المصدر والصفحة، بدائع، جـ٣، ص ٢٨ .
(٩) انظر الأشكال من ١٠ إلى ١٢ .

ثالثاً : أن بعض الأوبئة لم تظهر من داخل مصر، وإنما دخلتها من بعض المناطق المجاورة لها، ففى عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م وقع الطاعون بالشام وطرابلس ونابلس وفلسطين وحوران وعجلون، ثم دخل مصر وفتك في أهلها غاية الفتك [١]. وبدأ الطاعون ينتشر بمصر فى عام ٨١٩هـ / ١٤١٦م بعد أن انتقل إليها عن طريق العدوى من بلاد الشام وبغداد[٢].

وقبل أن ينتشر الفناء العظيم بمصر فى أوائل ربيع الآخر ٨٣٣ هـ / ديسمبر ١٤٢٩م كان قد تقدم وقوعه بغزة وصفد ودمشق فى شعبان ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م واستمر إلى ربيع الآخر ٨٣٣ هـ [٣]، لذا توقع الناس انتشاره فى مصر حتى أن أطفال الكتاتيب تحدثوا فى هذا الشأن، وودع بعضهم بعضا، فما أهلّ شهر ربيع الآخر حتى انتشر الطاعون بالبلاد [٤]، مبتدئاً بالوجه البحرى ثم بالقاهرة ثم أنحاء البلاد [٥].

وانتقل طاعون ٨٤١ هـ / ١٤٣٧م من بلاد الشرق وما وراء النهر إلى بلاد الشام ثم انتقل إلى مصر والقاهرة، ثم إلى الإسكندرية والصعيد، وما سوى ذلك من البلاد [٦].

وعبْر الخط التجارى من بلاد الشام إلى مصر سار وباء ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م، فقد انتشر فى غزة فى المحرم ٨٦٤هـ [٧]، ثم انتقل إلى قطيا والصالحية فى صفر من نفس العام [٨]، وفى ربيع الآخر وصل إلى بلبيس وخانقاة سرياقوس [٩] ثم ظهر بإقليم الشرقية والغربية من الوجه البحرى فأفنى عدداً كبيراً

---

(١) ابن إياس :بدائع، جـ١، ق٢، ص ٨٠٣ .
(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٦٣ .
(٣) نفس المصدر، جـ٣، ص ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣ .
(٤) نفس المصدر، ص ١٨٣، المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٨٢٢ . .
(٥) ابن إياس :بدائع، جـ٢، ص ١٢٨ .
(٦) ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٤٥، ٢٤٧ . .
(٧) ابن إياس :بدائع، جـ٢، ص ٣٥٦ . .
(٨) ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، ص ٣٣١ . .
(٩) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٥٧ .

من سكانهما (١)، ولما أخذ الطاعون في الانحطاط من تلك المناطق أخذ فى الزيادة بالقاهرة ومصر وضواحيها كما هى عادة الطاعون وانتقاله من بلد إلى أخرى (٢) .

ويقرر ابن إياس أن طاعون عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م أتى إلى مصر من حلب وذلك بعد فترة انقطاع دامت ما يزيد عن ستة عشر عاما، وبينما تناقص أثره فى القاهرة فى رجب ٨٩٧هـ . اتجه إلى صعيد مصر فى شعبان ٨٩٧هـ (٣) .

وفى شعبان ٩٠٢هـ / ١٤٩٧ م جاءت الأخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزة وهو زاحف نحو الديار المصرية (٤)، وقد صدقت هذه الأخبار إذ وصل الطاعون إلى قطيا فى جمادى الأخر ٩٠٣ هـ / يناير ١٤٩٨م، ثم انتشر بالقاهرة فى رجب من نفس العام (٥) .

وكما كانت قطيا والصالحية مدخلاً شرقيا لبعض الطواعين التى أصابت مصر، فإن صعيد مصر كان مدخلاً جنوبياً لبعض الطواعين، مثلما كان عليه الحال فى عام ٨٣٩هـ / ١٤٣٦م، فقد انتشر الطاعون فى عدن ببلاد اليمن فى جمادى الأولى ٨٣٩هـ، وبلاد الحبشة، وامتد إلى بربرة وبلاد الزنج، وفى شعبان ٨٣٩هـ وقع الطاعون ببلاد الصعيد قادماً من تلك المناطق (٦) .

رابعاً : المدة الزمنية للوباء :

اهتم بعض المؤرخين برصد بداية ظهور الوباء وتتبع حركته من حيث اشتداده وانتشاره، وتناقصه ثم تلاشيه، والذى يعبر عنه البعض بالقول " ارتفع الوباء" . ويلاحظ على هذه الأوبئة ما يلى : -

أ - أن أقصر الأوبئة بقاء تلك التى تركزت فى مناطق بعينها دون أن تنتشر فى أنحاء البلاد، وبعض هذه الأوبئة اكتفى المؤرخون بالإشارة إلى تحديد بدايتها دون تحديد نهايتها، ولذا لم يتمكن الباحث من معرفة المدة التى استغرقتها هذه الأوبئة.

---

(١) النجوم، جـ١٦، ص ١٣٨ .

(٢) نفس المصدر، ص ١٣٩ . .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢

Petry : Twilight of Majesty, P.112

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٥٩ .

(٥) نفس المصدر، جـ٣، ص ٣٨٦، ٣٨٧ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٦٩ .

ب - إن بعض الأوبئة استمر أكثر من سنه مثل وباء ٨٠٦ - ٨٠٧ هـ / ١٤٠٣ - ١٤٠٤ م وبعضها قارب على العام مثل وباء ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م، الذى استمر ما يقرب من عشرة أشهر، وغالبا ما تكون مثل هذه الأوبئة منتشرة فى أنحاء البلاد، وقد يرجع طول بقاء مثل هذه الأوبئة إلى أن بعضها لم ينتشر فى مصر فى وقت واحد، بل إنها كانت تنتقل من مكان لآخر، تنخفض حدته فى منطقة، ثم تزداد فى منطقة أخرى وهكذا .

ج - أن معظم الأوبئة تراوحت مدة بقائها ما بين ثلاثة شهور وأربعة شهور، يبدأ ظهوره فى الشهر الأول، ثم يشتد ويفشى فى الشهر الثانى أو الثالث ثم يتناقص فى الشهر الأخير ويختفى الوباء، ومن أمثلة ذلك وباء ٧٩٠هـ و٨٠٠هـ، ٨١٩ هـ، ٨٥٩ هـ، ٨٩٧ هـ .

خامساً: اختلفت المدة الزمنية الفاصلة بين كل وباء والذى يليه، ففى بعض الأوقات تتوالى الأوبئة على مصر فى سنوات متتالية أو بفاصل زمنى قصير، فالفترة من عام ٨١٥هـ/١٤١٣م إلى عام ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م لم يمر عام خلالها دون انتشار وباء .

إلا أنه يلاحظ أنه منذ عام ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م بدأت المدة الزمنية الفاصلة بين كل وباء والذى يليه تتزايد، إذ أن الوباء الذى يلى وباء ٨٥٩هـ، حدث عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م أى بعد ٥ سنوات تقريباً، ثم زادت المدة الفاصلة إلى ٩ سنوات فحدث وباء ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م، وحوالى ثمان سنوات ونصف ليحدث وباء ٨٨١هـ / ١٤٧٦ - ١٤٧٧م، ثم تصل المدة إلى أقصى حد فاصل بين وبائين فى عصر الجراكسة فتصل المدة إلى ١٦ سنة تقريباً ليحدث وباء ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م.

سادساً: إن عدد الأوبئة التى انتشرت فى مصر فى عصر الجراكسة ٤٢ وباء حدث ما يقرب من نصفها فى فصل الربيع، إذ بلغ عدد الأوبئة التى انتشرت فى هذا الفصل ٢٠ وباء بنسبة ٤٧,٦% . ويلى ذلك فى النسبة،الأوبئة التى انتشرت فى فصل الشتاء واستمرت فى فصل الربيع، إذ بلغ عددها تسعة أوبئة بنسبة ٢١,٤% أى أن فصل الربيع ومناخه المتقلب ساعد على انتشار الوباء، حيث أن ٦٩% من الأوبئة حدثت فى هذا الفصل (١).

---

(١) انظر جدول ٢٤ .

الفصل الأول

أسباب الأزمات الاقتصادية والأوبئة

- حالة نهر النيل
- الظروف الجوية والآفات
- الشائعات
- الأخطار الداخلية والخارجية
- السياسة النقدية

حالة نهر النيل :

قام النظام السياسى فى عصر المماليك على أساس إقطاعى يعتمد اعتمادا كبيرا على الأرض كمصدر للثروة، ولذا فإن أحوال النيل نقصا أو زيادة تؤثر فى جميع أركان الحياة، ونوّه بتلك الظاهرة القاضى الفاضل حين قال فى وصف النيل " ... إنه كأنما غار على الأرض فغطاها، وغار عليها فاستقعدها وما تخطاها، فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب إلا إياه " (١) . وهذا وضع النيل على مر العصور إن فاض أغرق، وإن نضب أحرق .

ويبدو من خلال كتابات بعض المؤرخين أن الحد الأمثل لفيضان النيل ــ قبل العصر المملوكي وأوائله ــ ما بين ستة عشر وثمانية عشر ذراعاً، فإذا وصلت مياه النيل إلى ستة عشر ذراعاً عبر عن ذلك بماء السلطان وكان فى ذلك تمام خراج السلطان ، وأصبح من حق عوام الناس معرفة مقدار الزيادة اليومية فى النيل، وكتبت البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة . وكسر خليج القاهرة وأقيمت الاحتفالات بوفاء النيل (٢) .

وإن زاد على الستة عشر ذراعاً واحد ازداد فى الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأراضى المرتفعة (٣)، وإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً كانت الغاية القصوى ويحدث الضرر الشامل إذا زاد عن ذلك ، فتستبحر من مصر مساحات كبيرة لا تصلح للزراعة(٤)، هذا ما كان عليه حال نهر النيل قبل العصر المملوكى وأوائله.

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٣، ص٣٦٣ . النويرى : نهاية الأرب، جـ١، ص٢٨١ .

(٢) المنوفى (أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى) : الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، دار الكتب، ٦٦جغرافيا، ميكروفيلم ٤٨١٠٨ : ورقة ٢٣ .
ابن إياس : نشق الأزهار فى عجائب الأقطار، دار الكتب، ٤٣٩ جغرافيا، ميكروفيلم ٤٥٨٥٣، ورقة ١٧٢، المقريزى: الخطط، جـ١ ص ٥٩، ص ٤٧٦.
Ferdinand, Wuestenfeld: Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Aegypten, Islamic Geography, 52, Frankfurt, 1992. P. 22 .

(٣) المحلى (محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن هاشم المصرى جلال الدين): مبدأ النيل على التحرير، دار الكتب، ميكروفيلم ٤٥٨٤٧.، ورقة ٢١

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣، ص ٣٠٠، ليون الأفريقى : وصف إفريقيا ، جـ٢، ص ٢١٤ .
المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٦٠، البغدادى : الإفادة والاعتبار، ص ٧٧ .

وقد تغير الحال فى عصر المماليك الجراكسة بسبب إهمال الجسور وعدم تطهير الترع والقنوات والذى أصبح سمة تميز هذا العصر عن العصور السابقة له مما أثر على الإنتاج الزراعى وأحدث كثيراً من الأزمات . فقد أدى تفرق الإقطاعات فى أقاليم مختلفة من البلاد بعد الروك الناصرى،وتدهور النظام الإقطاعى فى عصر الجراكسة، وعدم إقامة المقطعين فى قراهم لمدة طويلة ، أدى ذلك إلى أن تقاعس أصحاب الإقطاعات عن بذل المال لصيانة الجسور(١)،معتمدين فقط على خصوبة الأرض لتضمن لهم الحد الأدنى من الإيراد .

وفى ظل تراجع الأمراء والسلطة الحاكمة عن مسئوليتهم فى حفظ الجسور وبخاصة السلطانية -ألقى العبء على كواهل الفلاحين غير القادرين، وأنشئت بعض الوظائف لتحصيل الأموال المقررة، فاستنزفت منهم أموال كانت تجبى منذ عهد السلطان فرج بن برقوق – بهدف حفظ الجسور – إلا أن هذه الأموال غالباً ما كان ينهبها الأمراء المماليك ثم يسخرون أهالى البلاد فى عمل الجسور .(٢)

وبينما كان أثناء حكم الناصر محمد بن قلاوون، يوجه ٢٥% من دخل الجند لحفظ الجسور وقنوات الرى، فإن سلاطين المماليك فى عصر الجراكسة كانوا غير قادرين على فرض أى جزء من تكلفة المحافظة على السدود على جنودهم (٣)، الذين كانوا دائماً يهددون بالتمرد ويخرجون على النظام العام مطالبين بزيادة الرواتب(٤)، فما بالنا إذا فُرض عليهم أى نسبة ضريبية من دخلهم .

أدى هذا الإهمال إلى أن أصبح حد الوفاء اسما على غير مسمى إذ أصبح مستوى الستة عشر ذراعاً – الذى كان علامة الوفاء فى الماضى – غير كاف لرى معظم الأراضى، وإذا بلغ الفيضان ما يقارب العشرين ذراعاً لا يعم الأرض كلها.(٥)

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ٢٠ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ١، ص ١٠١ . إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨ .، ص ٢٤

Levanoni, Amalia : Aturning point in Mamluk History, The third reign of al-Nasir Muhammad Ibn Qalawun 1310-1341, Koln, 1995., P.170 .

(٣) Levanoni . Aturning Point , P.170

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص٤٣، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٠٤ .

(٥) المنوفى : الفيض المديد، ورقة ٢٣ . المحلى : مبدأ النيل، ورقة، ٢١،٢٢ .

ويؤكد القلقشندى ذلك بقوله " ولولا ما منّ الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة فى النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعاً فما فوقها إلى ما جاوز العشرين لفات رى أكثر البلاد وتعطلت زراعتها " (١).

وعلى الرغم من تعدد الإشارات لتهدم الجسور وتقطعها طوال عصر الجراكسة (٢) ، إلا أننا لم نسمع عن إقامة مشاريع للرى إلا ما ذكر عن إعادة حفر خليج الإسكندرية على عهد السلطان برسباى ٨٢٦هـ / ١٤٢٣ م، ومع ذلك لم يستمر على كفاءته مدة طويلة إذ سرعان ما عادت الرمال تملؤه(٣). ثم أعيد حفره فى ٨٤٠هـ/١٤٣٦م (٤) ومحاولات الظاهر جقمق تجديد بعض القناطر (٥).

بل بلغ إهمال الجسور حداً جعل سد قناطر بحر منجا ــ وهو السد الذى يحتفل بافتتاحه ــ ينهار أثناء الافتتاح فى ١٥ شعبان ٨٥٦ هـ/٢سبتمبر ١٤٥٢م، بعد أن دُفن تحت أنقاضه ما يزيد عن عشرين شخصاً. (٦) ثم انقطع نفس الجسر مرة أخرى فى ٢٧ شعبان ٨٥٩ هـ/١٢أغسطس١٤٥٥م وغرق ما تحته من البلاد، وانخفض منسوب النهر وتحرّك سعر الغلال .(٧)

لذلك يكون النيل قاصراً إذا بلغ سبعة عشر ذراعاً فما حولها ، ومتوسطا إذا بلغ ثمانيةعشر ذراعاً إلى تسعة عشر ذراعاً فما حولها ،وعالياً إذا بلغ أكثر من عشرين ذراعاً ، بل إن بعض المناطق فى الصعيد الأعلى لا تروى إذا وصل مقياس النيل عشرين ذراعاً وإنما تُروى من أكثر من ذلك " (٨) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٤٩، ٤٥٠ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص٦٤٦،٨٠٦ . الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص١٦٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٤١ .

(٣) محمد أمين : التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، دكتوراه، آداب عين شمس، ص ٢١٥ .

(٤) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٣٨١ -٣٨٢

(٥) السخاوى : الضوء اللامع،جـ ٣، ص ٧٣ .

(٦) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص١٣١

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) المنوفى : الفيض المديد ، ورقة ٢٣ ، المحلى : مبدأ النيل، ورقة ٢١، ٢٢ .

ويؤكد المقريزى هذه الحقيقة بقوله " إذا بلغ الماء فى سنة إصبعا من عشرين لا يعم الأرض كلها لما قد فسد من الجسور " [١] . ويؤكد المنوفى ذلك أيضاً بقوله : " وأما أرض مصر الآن فلا تروى جميعها إلا من عشرين ذراعاً وأصابع " [٢] .

مما سبق يتضح أن الحد الأمثل لفيضان النيل فى عصر المماليك الجراكسة ما بين ثمانية عشر وعشرين ذراعا ويمكن أن تحدث الأزمات الاقتصادية إذا انخفض منسوب النهر عن ثمانية عشر ذراعاً أو ازداد عن عشرين ذراعاً وتزداد حدة الأزمات وشدتها كلما ابتعدنا عن هذين الحدين .

وندرس فيما يلى أثر نهر النيل فى إحداث الأزمات الاقتصادية والأوبئة من خلال حالات الفيضان الشديد (الاستبحار)، وحالات الانخفاض الشديد (الشراقى)

العلاقة بين حالة النهر والأزمات

أولا : حالات الاستبحار

ويقصد بها الحالات التى يزيد فيها الفيضان عن عشرين ذراعا، أو يثبت النهر إلى مابعد أوانه وبخاصة فى هاتور، فمدة النيل من حيث زيادته ونهايته إلى حين نقصه ثلاثة أشهر وهى أبيب ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابة، ويكون مدة مقامه من بعد نهاية مده إلى نقصه اثنتا عشرة ليلةً [٣]، فإن ثبت النهر إلى هاتور حدث ضرر شديد حتى ولو لم يبلغ مقياس النهر عشرين ذراعا .

فى هذه الحالة تغطى المياه مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية، وتظل بها إلى ما بعد موسم الزراعة، ويفوت على الفلاح فرصة زراعة الأرض، مما يؤدى إلى ضعف الإنتاج وقلته فترتفع الأسعار، هذا بالإضافة إلى تقطع الجسور، وقطع الطرق، وتعطل حركة النقل بين البلاد .

وجدير بالذكر أنه قد حدثت عشرون حالة استبحار فى عصر الجراكسة[٤]، ارتفعت الأسعار فى تسع سنوات خلالها، تمثل نسبة ٤٥% كان

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ ١، ص٦٠ .
(٢) المنوفى : الفيض المديد، ورقة ٢٣ .
(٣) ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة،مكتبة مدبولى، ١٩٩١، ص٧٤ .
(٤) انظر جدول رقم ١ .

من أهمها ما حدث فى عام ٧٩٨هـ/١٣٩٥م، فعلى الرغم من أن النيل لـم يبلـغ العشرين ذراعا إلا أن ثباته لفترة أطول من المعتاد ـ فوّت على الفلاحين زراعـة الأرض في الوقت المناسب،فارتفعت الأسعار فى هذا العام(١).

وفى رجب ٨١٢هـ/ نوفمبر١٤٠٩ م استمرت زيادة النيل حتى بلغ اثنيـن وعشرين ذراعا وإصبع من ثلاثة وعشرين، وزاد الطين بلة أنه ثبـت إلـى نصـف هاتور فغرق كثير من الضياع والبساتين، وانقطعت الطرقات، وارتفعت الأسعار(٢).

وتكـرر ذلـك فـى أعـوام ٨٢٤هـ/١٤٢١م(٣) ٨٢٥هـ/١٤٢٢م(٤) و ٨٤٥هـ/١٤٤١م(٥) و٨٨٢هـ/١٤٧٧م(٦)، وغيرها من السنوات كما هو موضح فى جدول حالات الاستبحار .

ثانيا : حالات الجفاف

يقصد بحالات الجفاف عدم وصول الفيضان إلى ثمانيـة عشـر ذراعـا، أو توقف النيل عن الزيادة، أو هبوط النيل قبل أوانه، وفى كل هذه الحالات تضطرب أحوال البلاد، إذ يتهافت الناس على شراء الغلال وتخزينها، فترتفع الأسعار .

ففى شوال ٧٨٧هـ/نوفمبر ١٣٨٥م توقف النيل عن الزيادة فوصل إلى سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعا، فتزايد سعر الغلال واشتد الأمر على الناس(٧).

وفى عام ٧٩٦ هـ/١٣٩٣م بلغت زيادة النيل سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً(٨)، ولم يستطـع هـذا القدر أن يفى بمتطلبات الأراضى الزراعيـة ، فشرق أكثرها وتعطلت الزراعة (٩)، وهرع الناس إلى شراء كميات مـن القمـح

(١) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٤٧٦.
(٢) نفس المصدر، ص٨٠٠،٨٠١ . ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٤ .
(٣) أمين سامى : تقويم النيل، جـ١، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٦، ص٢٠٩.
(٤) ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٥ . ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص٨٣ .
(٥) السخاوى : التبر المسبوك،ص١٢ . ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص٢٢٩ .
(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص١٣٤ .
(٧) نفس المصدر، جـ١ ق ٢، ص ٣٦٦ .
(٨) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٩١ .
(٩) المقريزى إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين محمد الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التـأليف والترجمـة والنشـر، ١٩٤٠ .، ص ٤١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٤٧٠ .

زائدة عن احتياجاتهم فارتفعت الأسعار إلى أكثر من الضعف عن عام ٧٩٣ هـ/١٣٩٠م [١].

ولم يكن تأثير هذا الانخفاض مقصوراً على عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م ، وإنما تعداه إلى العام الذى يليه ٧٩٧هـ/١٣٩٤م - على الرغم من زيادة النيل[٢] - لقلة البذور ولعدم زراعة أكثر البلاد فى العام الماضى لتتأكد حقيقة ما قاله المقريزى " وهذه عادة بلاد مصر من الزمن القديم إذا تأخر جرى النيل بها أن يمتد الغلاء سنتين " [٣].

وتعد أزمة عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣م من أهم الأزمات التى كان فيها نهر النيل العامل الرئيسى فى إحداثها فقد توقف النيل عن الزيادة ونزل إلى أقل من ستة عشر ذراعاً [٤]، فشرقت الأراضى وتشحطت الغلال ووقع الغلاء وحصل بذلك ضرر عظيم للناس[٥]، وتعد هذه السنة " أول سنى الحوادث والمحن التى ضربت فيها ديار مصر وفنى معظم أهلها ، واتضعت بها الأحوال، واختلت الأمور خللاً ، آذن بخراب ديار إقليم مصر " [٦]، وبطبيعة الحال استمرت هذه الأحوال فى العام التالى ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م وساعد على استمرارها انخفاض مستوى الفيضان حتى صار الناس يخوضون بر مصر إلى بر الجيزة .[٧]

وفى شعبان عام ٨٢١ هـ/سبتمبر ١٤١٨م انتهت زيادة النيل إلى عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعاً إلا أن النيل أسرع فى الهبوط [٨]، مما دفع الناس إلى الزرع قبل أوانه فصادف الحر الشديد وكثرة الدود ففسد أكثر

---

(١) الصيرفى نزهة النفوس، جـ١، ص٣٩١ .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٥٣ .

(٣) المقريزى : إغاثة الأمة، ص ٤٢ .

(٤) الصيرفى :نزهة النفوس ، جـ٢، ص ١٨٠ .

(٥) ابن إياس: نشق الأزهار، ورقة ١٨٣، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص ٦٨٠.
المقريزى : إغاثة الأمة، ص ٤٢ ، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٨٠ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ١ ق٢، ص ٦٩٠، ٦٩١

(٧) ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٣ .

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق١، ص ٤٦٠ .

الزرع وارتفعت الأسعار، ووقع الغلاء بالديار المصرية واستمر عاماً كاملاً[١]، وزاد الأمر سوءا انتشار الطاعون فى هذا العام [٢]، ثم نقص النيل عن منتهى أوان الزيادة فى عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م فتزايد الغلاء [٣]، كما توقف عن الزيادة أيضا فى عام ٨٢٣ هـ/١٤٢٠م فوقع الغلاء والشراقى، ونودى في الناس بالصيام والخروج للاستسقاء .[٤]

وفى سنتى ٨٣١ هـ/١٤٢٧م و ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م كثر الشراقى فى غالب البلاد لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه قبل موعده وتقطع الجسور. [٥] ونجد أن مؤشر ارتفاع الأسعار فى هذه السنوات يرتفع نظرا لما أحدثته سرعة هبوط النيل من أضرار بالنسبة للزراعة .

وفى جمادى الآخرة ٨٥٣ هـ/ يوليه ١٤٤٩م توقف ماء النيل عن الزيادة بل تناقص بدرجة كبيرة فأضطرب الناس لذلك وتزايدت الأسعار إلى أن بيع أردب القمح بأربعمائة درهم [٦]. ثم حدثت " سنة الشراقى العظيم " [٧]عام

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٢٠ . ابن إياس : بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٩ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص٤٣. ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص١٤٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٩. المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٥٠٥ .

(٤) السيوطى : كوكب الروضة، دار الكتب، ٥٥٤ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٥٠٩٤٩ .، ورقة ١٤٧ .

المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٥٣١ .

ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٤. ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٩٧ .

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق ٢، ص ث٧٦٤. ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٢، ١٢٥ -١٢٦ .

ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٥ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٣٩٦ . ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٦ .

(٧) ابن عربشاه : التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق " أبى سعيد جقمق "، جـ٢، منشور ضمن رسالة أحمد عبد الحميد خفاجى : السلطان الظاهر جقمق وعصره .، دكتوراه، آداب الإسكندرية ١٩٧٢، ص ٢٥٨ .

٨٥٤هـ التي لم يصل فيها نهر النيل إلى حد الوفاء، بل هبط إلى أقل منسوب له في عصر المماليك الجراكسة على الإطلاق وهو خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع [١]، فكانت بذلك من أسوأ الأزمات التي واجهتها مصر في عصر المماليك الجراكسة، فقد شرق غالب البلاد بالوجهين القبلي والبحري وعمّ البلاء جميع الناس وارتقى سعر القمح إلى ألف درهم للأردب [٢].

ثم ترك ذلك تأثيره على عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م حتى وصل سعر أردب القمح إلى ١٥٠٠ درهم [٣]. ساعد على ذلك أيضا تزايد انخفاض النيل بحيث خاض الناس في عدة أماكن من ساحل بولاق إلى "منبابة" [٤]، وقاسى الناس في هذه السنة من البلاء والشدائد والغلاء والجهد مالا مزيد عليه، وأشرفت القاهرة على الخراب [٥]، وسجلت هذه الفترة أعلى أسعار للمواد الغذائية في عصر المماليك الجراكسة .

وبعد أحد عشر عاماً ٨٦٦ هـ/١٤٦١م توقف النيل عن الزيادة، وعلى الرغم أن ذلك لم يستمر طويلاً [١٤ يوماً فقط]، فقد حدث للناس قلق شديد وتكالبوا على شراء الغلال [٦] "وغلا سعر كل شئ من المأكولات بسبب توقف النيل عن الزيادة " [٧]. وهمّ السلطان بهدم المقياس حتى لا يعلم الزيادة من النقص [٨].

وتكرر نفس الموقف في الفترة من ٨٧٠ هـ/١٤٦٥م إلى ٨٧٣ هـ/١٤٦٨م إذ توقف النيل عدة أيام في كل عام من أعوام تلك الفترة مما أدى

---

(١) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ٨٧ . ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٨١ .

السيوطي : كوكب الروضة، ورقة ١٥٠. ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٦ .

(٢) السخاوي : التبر المسبوك، ص٣١٢.

(٣) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص١٠٠.

(٤) السخاوي : التبر المسبوك، ص ٣٥٠ .

(٥) ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ص ١٠٨، ١٠٩ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٩٤ .

(٧) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ٤٢٩ .

(٨) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٩٤، ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٧ .

إلى تشحط الغلال وتكالب الناس على شراء القمح، وتوجه القضاة والعلمـــاء إلـــى المقياس للاستسقاء [١].

وفى شعبان ٨٨٩ هـ/ أغسطس ١٤٨٤م هبط النيل سريعا فشرق أكـــثر البلاد وزاد سعر الغلال وترك ذلك أثره على أسعار العام الذى يليه [٢]، وتكـــرر نفس الموقف فى أواخر عام ٩٠٢ هـ [٣].

وجدير بالذكر أنه قد حدث تسع وعشرون حالة انخفاض لنهر النيـــل طـــوال عصر الجراكسة، ارتفعت الأسعار بشكل مباشر في ست عشرة حالة منها أى ما يقـــرب من ٥٥ % من الحالات . وهذا يعنى أن تأثير انخفاض النهر فى إحداث الأزمات أكـــبر من تأثير الفيضانات الشديدة فى إحداثها، وقد يرجع ذلك إلـــى أن عمليـــات الاســـتبحار على الرغم من أنها تعطل مساحات كبيرة من الأرض الزراعيـــة، إلا أنـــها تخلـــف وراءها درجة عالية من الخصوبة تزيد من الإنتاج، مما يعوض بعضـــا مـــن خســـائر الاستبحار .بينما حالات الانخفاض الشديدة للنهر، تترك آثارها فى السنوات التالية لها

العلاقة بين حالة النهر وانتشار الأوبئة :

أولا : حالات الاستبحار :

أوضح المقريزى ــ فى معرض حديثه عن منسوب نهر النيل قبل عصـــر الجراكسة ــ وجود علاقة بين ازدياد فيضان نهر النيل وحدوث الوبـــاء، فقـــال : "وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا كانت العاقبة فـــى انصرافـــه حـــدوث وباء"[٤] .ويذكر بعض الباحثين أن من بين الأسباب التى تؤدى إلى انتشار الأوبئـــة، تراكم أو تواجد المياه القذرة فى البرك، وهى المياه التى تتخلـــف مـــن فيضانـــات النيل، وتؤدى إلى تكاثر الفئران وتزايدها نتيجة لتزايد القاذورات، والقمامة [٥] .

---

(١) ابن إياس: نشق الأزهار، ورقة ١٨٧، ١٨٨، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٤٠، ٤٤٩.
ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٧٦ .

Carl Petry : protectors or Practorians . P.104

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٠٩ .

(٣) نفس المصدر، ص ٣٦٩، ٣٧٠ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٥٩ .

(٥) Conrad, Lawrence Irvin: Die Pest und ihr soziales umfeld im nahen Osten des fruehen Mittelaters. Der Islam zeitschrift fuer geschichte und Kultur des Islamischen Orients. Band 73. Berlin. 1996. .P.86-87.

ولكن إلى أى مدى تكون حالات الفيضان سببا للوباء ؟

يمكن مناقشة ذلك من خلال إدراك العلاقة بين حالات الفيضان الشديد لنهر النيل فى عصر الجراكسة، وحدوث الأوبئة، فمن خلال رصد حالات الاستبحار فى عصر الجراكسة، اتضح أنه قد حدثت عشرون حالة فيضان أو استبحار فى هذا العصر، انتشر فى نفس سنواتها ستة أوبئة فقط [١]، اثنان منها وقعا قبل أن يتم الاستبحار:

١- فى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م انتشر الوباء فى صفر [٢]، قبل أن يحدث الاستبحار فى جمادى الأولى من نفس العام [٣]بل إن الطاعون تناقص فى بداية جمادى الأولى [٤] .

٢- وفى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤ م بدأ انتشار الوباء فى ربيع الآخر [٥] قبل أن يتم الاستبحار فى أوائل هاتور [٦]، الموافق ٨ رمضان ٩٢٠هـ / ٢٨ أكتوبر ١٥١٤م .

أما الأوبئة الأربعة الأخرى، ثلاثة منها لم تكن نابعة من أرض مصر، وإنما وفدت إليها، اثنان منها من بلاد الشام وهما وباء ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م [٧]، ووباء ٨٤١ هـ / ١٤٣٧م [٨]، والثالث كان قادما من بلاد اليمن ٨٣٩هـ/١٤٣٦م [٩] .

أما الوباء الرابع فقد حدث فى عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م، وعلى الرغم من أنه بدأ بعد انهباط المياه بشهر، إلا أنه لم يكن منتشرا فى أنحاء مصر، وقد عبر عنه ابن إياس بقوله وقع بالقاهرة بعض وباء [١٠] .

---

(١) انظر جدول رقم ١ .
(٢) ابن إياس : بدائع،جـ٢،ص ٤٣ .
(٣) نفس المصدر،جـ٣، ص ١٣٤ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٨٠ .
(٥) ابن إياس : بدائع،جـ٤،ص ٣٧٥ .
(٦) أمين سامى : تقويم النيل، جـ١، ص ٢٤٧ .
(٧) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٢٢، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٨٣.
(٨) ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٤٥، ٢٤٧ .
(٩) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٦٩ .
(١٠) نفس المصدر، جـ١، ق٢، ص ٤٧٦ .

والمقريزى الذى ذكر أن العاقبة فى انصراف النهر ـ بعد الفيضان ـ حدوث وباء لم يشر إلى مثل هذه العلاقة فيما أدرك من عصر الجراكسة، سوى الإشارة إلى انتشار الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى "عند انحطاط ماء النيل" وذلك فى فصل الخريف من عام ٨٢٥ هـ (الموافق ذو القعدة وذو الحجة) (١) .

مما سبق يتضح أنه لا توجد ثمة علاقة ذات دلالة بين ما خلفته حالات الاستبحار من مياه وحدوث الأوبئة .

ثانيا : حالات انخفاض النهر :

تعد حالات انخفاض نهر النيل وقصور مياهه عما تحتاجه الأرض الزراعية من بين الأسباب الرئيسية التى تؤدى إلى انتشار الأوبئة، إذ غالباً ما تتوقف معظم الأرض الزراعية عن الإنتاج، وتتعذر الأقوات، وترتفع الأسعار، وتنخفض القدرة الشرائية لعدد كبير من الناس، مما يؤدى إلى سوء التغذية، وعدم القدرةعلى مقاومة الأمراض لكثير من فئات الشعب (٢)، فالتنذية السيئة تجعل أعداداً هائلة من الفقراء أكثر قابلية للأمراض الوبائية (٣) .

وإذا كان الوباء يمكن أن يكون سبباً فى حدوث المجاعة، بما يحدثه من وفاة للإنسان والحيوان، بحيث لا تجد الأرض من يزرعها، وتكون النتيجة حدوث المجاعة، فإن المجاعات أيضاً تكون سبباً فى حدوث الأوبئة (٤)، ولذلك نجد عدداً من الأوبئة حدثت بعد فترات المجاعات والغلاء .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٤، ق٢، ص٦٢٥ .

(٢) اشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادى عبله، دمشق، دار قتيبة،١٩٨٥ .، ص ٣٩٦، حسن حبشى : الاحتكار المملوكى وعلاقته بالحالة الصحية، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد التاسع، ١٩٦٤، ص ١٥٣ .

(٣) Bendictow : plague, P.116.

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ١٤٥ .

(جدول ١)

العلاقة بين حالات الاستبحار وانتشار الأوبئة

م	السنة	اصبع	ذراع	المصدر	الأوبئة
١	٧٨٥	٥	٢٠	بدائع،ج١،ق٢،ص٣٣٥	-
٢	٧٩٣	ثبات النيل		أمين سامي، تقويم النيل، ص ٣٢	-
٣	٧٩٧	ثبات النيل		، تقويم النيل، ص ٣٢	وباء في شوال
٤	٧٩٨	أمين سامي		ثبات النيل ,, ,, ,, ص٤٧٦	-
٥	٨١٢	١	٢٢	,, ,, ,, ص٨٠٠ ـ ٨٠١	-
٦	٨٢٢	٢١	٢٠	,, ج٣،ص١٣٤	وباء بدأ في صفر
٧	٨٢٤	ثبات النيل		أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٠٩	-
٨	٨٢٥	١	٢٠	نزهة النفوس، ج٣، ص٩ السلوك، ج٤، ق٢، ص٦١٨	-
٩	٨٣٣	١٢	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٠	وباء
١٠	٨٣٦	٥	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٢	-
١١	٨٣٩	١٢	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٢	وباء
١٢	٨٤١	١٥	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٢	وباء
١٣	٨٤٣	١١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٤	-
١٤	٨٤٤	٢١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٤	-
١٥	٨٤٥	١٥	٢٠	السخاوى، التبر المسبوك، ص١٢ بدائع، ج٢، ص٢٢٩	-
١٦	٨٤٦	٢١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢١٤	-
١٧	٨٦١	١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٢٠	-
١٨	٨٨٢	٢١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٢٨	-
١٩	٩١٧	١١	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٤٦	-
٢٠	٩٢٠	١٦	٢٠	أمين سامي، تقويم النيل، ص ٢٤٦	وقع بعض طعن فى الشرقية ولم يفش بمصر بدائع، ج٤، ص٣٧٥

وبمقارنة حالات انخفاض النهر بإنتشار الأوبئة يتضح ما يلى :-

١- ان تسعة أوبئة قد انتشرت فى السنوات التى انخفض فيها النهر بنسبة ٣١% من حالات انخفاض نهر النيل، حيث حدثت ٢٩ حالة انخفاض لنهر النيل .

٢-أن سبعة أوبئة من هذه التسع، كان يسبقها ارتفاع شديد فى الأسعار ومجاعات مما ساعد على انتشارها، نتيجة للضعف الصحى العام الناتج عن سوء التغذية وهذه الأوبئة تتمثل فى السنوات التالية :-

٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م، ٨٠٦ - ٨٠٧ هـ / ١٤٠٣ - ١٤٠٤ م، ٨١٩ هـ / ١٤١٦، ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م، ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م .

٣-الوباءان الآخران لم يرد أسعار فى سنة حدوثهما، وهما وباء ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م والوباء الذى انتشر فى ذى الحجة ٨٥٢ هـ / يناير ١٤٤٩ م .

وجدير بالذكر أن نهر النيل أيضا يمكن أن يعمل بشكل غير مباشر على انتشار الوباء وذلك من خلال انعدام الوعى الصحى بين الناس فى تلك الفترة، فسكان المناطق المطلة على النيل أو فروعه لم يحافظوا على نظافة مياهه، فكانوا يلقون فيها القاذورات ويصرفون مخلفاتهم فى مياه النهر المصدر الرئيسى لمياه الشرب (١) .

وعندما لا يستطيع البعض دفن موتاهم خلال انتشار الأوبئة، يقومون بإلقاء جثثهم فى النهر (٢)، فيؤدى تحلل وتعفن هذه الجثث إلى أن تتغير خواص مياه الشرب، فيصبح لها لون وطعم ورائحة، ويزداد الأمر سوءاً فى صعيد مصر عند انخفاض منسوب المياه إذ يختلط بالخضرة الموجودة بالمياه دود وحشرات صغيرة(٣)، ويضطر الناس إلى شرب مياه رديئة تؤدى إلى كثير من الأمراض(٤). كما اعتقد كثير من الناس أن مياه النيل فى شهر طوبة أجود أنواع المياه حتى صار كثير منهم يخزنه فى الأوانى ويشربه على مدار السنة كلها زاعمين - خطأ - أنه لايتغير (٥)، ولعل ذلك كان من بين الأسباب التى أدت إلى انتشار الأوبئة بينهم.

---

(١) ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائى، بغداد، ١٩٦٨ ص ٢٥ .
Conrad : Die pest, P. 89

(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٧٢ / ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٣٩٨.

(٣) البغدادى : الإفادة والاعتبار، ص ٨٠، السيوطى : كوكب الروضة، ورقة ١١٤ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٥) نفس المصدر، ص ٦٥ .

الظروف الجوية والآفات :

تعتبر الظروف الجوية والآفات قاسما مشتركا لإحداث الأزمات الاقتصادية والأوبئة في نفس الوقت إذ أن كلا منهما يعمل على ضعف الإنتاج الزراعى،وإهدار الثروة الحيوانية، بالإضافة إلى ما يسببانه من نقل للأمراض وانتشار للأوبئة . ويمكن توضيح ذلك من خلال الإجابة على تساؤلين

١ــ كيف كانت الظروف الجوية والآفات سببا فى الأزمات الاقتصادية ؟

٢ــ كيف كانت الظروف الجوية والآفات سببا فى انتشار الأوبئة ؟

١ـ كيف كانت الظروف الجوية والآفات سببا فى الأزمات الاقتصادية ؟

تكاتفت الظروف المناخية السيئة والآفات الزراعية على ارتفاع الأسعار فى عام ٨٣١ هـ/١٤٢٧م إذ كثر عبث الفئران فى الغلال، وانخفضت درجة الحرارة بصورة كبيرة، وأكلت الدودة المناطق المزروعة ؛ لذا ارتفع سعر القمح من ١٧٠ درهم فى المحرم ٨٣١ هـ/ أكتوبر ١٤٢٧م إلى ٣٠٠ درهم فى ذى القعدة / أغسطس ١٤٢٨م و ٤٠٠ درهم فى ذى الحجة من نفس العام . (١)

وأدى هبوب الرياح الحارة فى عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م إلى قلة الإنتاج وارتفاع الأسعار(٢). كما أتلفت فى عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م نخيل منطقة دمياط و قصب السكر المزروع .(٣)

وكان للرياح الباردة التى هبت فى عام ٨٤٤هـ /١٤٤٠م، وكذلك فى عام ٨٧٠هـ /١٤٦٥م أثرها فى إتلاف مساحات كبيرة من البرسيم وأشجار البساتين والفول مما أدى إلى ارتفاع أسعاره وأسعار بقية الحبوب الأخرى .(٤)، وأدت البرودة فى عام ٩١٤ هـ/١٥٠٨م إلى تشحيطة فى القمح على حد قول ابن إياس.(٥)

وعلى الرغم من أن مصر تعتمد اعتمادا شبه كلى على مياه نهر النيل فى الزراعة، إلا أن كمية الأمطار الساقطة تؤثر إيجابا أو سلبا على الإنتاج الزراعى.

---

(١) السلوك، جـ ٤ ق٢، ص ٧٦٤، ٧٧٨، ٧٨٢ - ٧٨٣ .

(٢) نفس المصدر، ص ٨٠٤ .

(٣) نفس المصدر، ص ٩٠٦، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ٢٧٥ .

(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥١١ - ٥١٢ . المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٣، ص١٢١٥ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٥٠ .

فعندما انخفضت كمية الأمطار الساقطة في عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥م لم ينجب الزرع بنواحي الوجه البحري كله من الشرقية والغربية والبحيرة وانخفض إنتاجه وقت الحصاد. (١)

كما قل إنتاج بعض الفواكه والموالح التي كانت تعتمد على ماء المطر في شتاء ٨٣٨ هـ/١٤٣٥م(٢) وساعدت قلة الأمطار، بل انعدامها، على ارتفاع أسعار الغلال في شوال ٨٦٩هـ/١٤٦٤م لعدم كفاية إنتاج الزرع بالوجه البحري . (٣)

وكما كان لقلة المطر أثره، كان لكثرته أيضا آثاره السلبية الممثلة في تلف الزروع، بل وتعرض الثروة الحيوانية ـ التي يعتمد عليها الفلاح في زراعته والحرفيون في إدارة آلاتهم البسيطة ـ للهلاك، وبخاصة أن حظائر هذه الحيوانات غالبا لا تقيها شدة البرد أو غزارة المطر .

ففي عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م تلف الزرع وهلكت الدواب من كثرة الأمطار وشدة البرد (٤) . كما تلف كثير من الزرع، وهلك كثير من الطيور والدواجن في ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م (٥)، وفي رجب ٩١٦هـ/أكتوبر ١٥١٠م تعطلت الأسواق عن البيع والشراء لشدة البرد وغزارة الأمطار وتعطبت سائر الفواكه حتى البطيخ والثوم والبصل والرياحين والأزهار والغلال، وقتلت عدة بهائم(٦)

وساعدت الحشرات والآفات على حدوث الأزمات الاقتصادية أيضا وبخاصة الفئران والديدان ، حيث تتلف الفئران الكثير من الغلال، إما بأكلها في سنبلها قبل حصادها، أو تقضي على ما كان في " الجرون " من محاصيل ،

---

(١) حلمي محمد سالم : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة في العصر المملوكي، دكتوراه، آداب الإسكندرية، ١٩٧٠ ص ٢٠٣ .

(٢) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٩٣٩ .

(٣) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ٤٩٩ .

(٤) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٥٦ .

(٥) النوري (جلال الدين) : تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفاء، ضمن كتاب حوادث الدهور، لندن، ١٩٨٣ م، ص ٧٤٠، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٧٤، ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٦، ص ٢٢٨ .

(٦) ابن إياس : بدائع،جـ٤، ص ١٩٥، ١٩٨ – ١٩٩، ٢٠٢ .

حتى أن بعض النواحـى لم يصل نتاجها أكثر مـن البـذور التـي بـذرت فـى الأرض[1]. وأفسدت الفئران ما نبت من الزرع [2] .

كما لم تسلم الزراعة أيضا من هجمات الدودة، ففى بعض الأحيـان كـان الدود يقضى قضاء تاما على المحاصيل الزراعية، وبخاصـة البرسيم الـذى يعد الغذاء الرئيسى للحيوانات، ولم يكن أمام الفلاح فى ظل هذه الظـروف سـوى أن يعيد بذر البرسيم أكثر من مرة [3]، مما يعنى زيـادة تكلفـة الإنتـاج الزراعـى، وبالتالى ارتفاع أسعار الأعلاف بصفة عامة سواء كانت أعلاف خضراء أو جافة ، ففى رمضان عام ٨٢١ هـ/أكتوبر ١٤١٨م أتلفت الدودة كثيـرا مـن البرسـيم المزروع بأراضى الجيزة [4]، ولذا ازداد سعر حمل التبـن خمسـة أضعـاف إذ وصل سعر الحمل الواحد فى شوال من نفس العام إلى دينار، بعد أن كان خمسـة أحمال بدينار[5] وبيع الفدان من البرسيم فى عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م بحوالى ألفـى درهم " لأن الدود رعى أكثر البرسيم " [6]، لذلك ارتفعت الأسعار فى كل المنتجات الحيوانية من سمن، ولحوم، وجبن وبالتالى ارتفعت أسعار الزيوت، كما ارتفع سعر العسل .[7] كما تسـلط الـدود علـى البرسـيم الأخضـر والقمـح فـى عـام ٨٣١هـ/١٤٢٧م .[8]

وفى شوال ٨٥٥هـ رعت الدودة البرسيم الأخضـر أكـثر مـن رعـى الجاموس والبقر بسائر إقليم مصر حتى ارتفع ثمن فدان البرسيم عشـرة دنـانير (أى حوالى ٢٨٥٠درهم فلوس) . [9] وهو أعلى سعر له طوال عصر الجراكسـة، وما يترتب على ذلك من ارتفاع فى أسعار كافة المنتجات الحيوانية

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٣٠، ق ٢، ص ٨٥٩ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٣٩ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق ٣، ص ١١٧٦ .

(٤) نفس المصدر، جـ٤، ق١، ص ٤٦٥ .

(٥) نفس المصدر، ق١، ٤٦٧ .

(٦) الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .

(٧) نفس المصدر، ص ٤٥٣ .

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق ٢، ص ٧٦٦ .

(٩) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١١٦، ١١٧ السخاوى : التبر المسـبوك، ص ٣٥٣ .

وأتلف الجـــــراد بعض الزراعات مثل الخيار والبطيخ والقثاء والقـوع، كمـــا حــدث فــي أعــوام ٨٣٠هــــ/١٤٢٦م [١]، ٨٤١هــــ/١٤٣٧م [٢]، ٨٤٣هـ/١٤٣٩م [٣]، ولكن انتشار الجراد لم يكن لفترات طويلة، بل في أحـــوال كثيرة تقضي عليه الرياح . [٤]

٢- كيف كانت الظروف الجوية والآفات سببا فى انتشار الأوبئة ؟

كما أدت الظروف الجوية والآفات إلى ضعف فـــي الإنتـــاج الزراعـــي، ساعدت أيضا في انتشار الأوبئة، فقد أوضح أطباء العصر أن سبب الطاعون هـــو فساد الهواء إما لأسباب سماوية كالشهب والرجوم[٥]، أو لأسباب أرضيـــة كالمـــاء الآسن والجيف الكثيرة، وكثرة الحشرات[٦] فيتعفن الهواء ممـــا يؤثـــر علـــي كـــل الكائنات الحية. وتزداد العفونة عندما تجتمع الحرارة والرطوبة[٧] .

وطبقا لهذا التفسير فإن اتجاه الرياح يساعد علي انتشار الوبـــاء أو عـــدم انتشاره، فالرياح الباردة تحفظ الأجسام من العفونة، بينما الرياح الجنوبيـــة الحـــارة الرطبة تساعد علي تعفن الأشياء ولذلك يعد فصل الربيع أكثر الفصـــول ملاءمـــة لانتشار الوباء لاجتماع الحرارة والرطوبة معا في هذا الفصل[٨].

وقد مال بعض المؤرخين إلي هذا التفسير، فكثيرا ما كانوا يربطون بيـــن هبوب الرياح الجنوبية وانتشار الوباء، ففي وباء ٨٠٦هـ/١٤٠٣م عندمـــا هبـــت رياح الخماسين الحارة مع رعد ومطر، اشتدت الأمراض بديار مصر وفشت فـــي

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص١١١ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق ٢، ص ١٠٣٤، ١٠٤٦ . الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤٠٦، ٤١٧ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٨٦، ٢٢١ .

(٤) نفس المصدر، ص ٨٦، ١١١، ١٨٦ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٤، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنـــون، ورقـــة ٣٧، مصطفي الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٢ .

(٦) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٤، الكازروي : المغني، ورقة ٤٦١ .

(٧) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٧ .

(٨) ابن رشد : وسائل ابن رشد الطبية، تحقيق جورج شحاته قنواتى، وســـعيد زايـــد، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧ م .، ص ٨٦-٨٧. البدليسى : رسالة الإبـــاء، ورقة ٣٩ .

الناس، ثم عقب هذه الرياح الحارة هواء شمالي بارد، فكانت الأمراض في الأيـــام الباردة تقف ويقل عدد الموتى، فإذا هبت الرياح الحارة الرطبة كثر عدد الموتـــى، وكانت الأمراض حادة(١) .

وكان هبوب الرياح الجنوبية في أواخر عام ٨١٥هـ/مارس١٤١٣ م سببا فـي انتشار الوباء، وتزايدت قوته عندما رطب الحر في صفر ٨١٦هـ/ مايو١٤١٣م(٢) .

وزاد من انتشار الوباء في شوال ٨٤١هـ/مارس ١٤٣٨م هبـوب ريـاح عاصفة فهلك من الدواب والناس ما لا يحصى عدده (٣) .

ولكن هذه العلاقة بين الرياح الجنوبية وانتشار الوباء لم تكن قاعدة عامـــة بدليل انتشار الأوبئة في مصر في فصول أخري غير فصل الربيع، بـــل إن مـن أخطر الأوبئة التي ضربت مصر كان وباء ٨٣٣هـ/١٤٣٠م الذي انتشر في فصل الشتاء(٤) . ويعلل الأطباء حدوث الوباء في فصلي الشتاء أو الصيف إذا لـم يكـن الحر والبرد فيهما شديدين (٥) .

وجدير بالذكر أن التفسير الطبـى الحديـث أوضـح بصـورة أساسـية أن القوارض البرية بصفة عامة هي السبب الرئيسي في حدوث الطاعون، وتساعد علـي انتشاره بصورة كبيرة الحيوانات المنزلية أو المستأنسة(٦) . وظل هذا الاعتقاد سـائدا إلي أن تم اكتشاف الميكروب المسئول عن المرض وسمي Pasteurella pestis نسبة إلي لويس باستير، واعتبرت الفئران وحدها المسئولة عن نقل هذا المرض(٧) .

ثم بدأت شكوك أحد الباحثين Yersin حول دور الفئران كناقل للميكـروب إلي أن تم معرفة الناقل الرئيسي للمرض وهو برغـوث الفئران الـذي يحمـل

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ١١٢٤ حاشية (٦)، ص ١١٢٥ .
(٢) نفس المصدر ، جـ٤، ق١، ص ٢٥٧-٢٥٨ .
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٨٣ .
(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢١، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٢٤٣ .
(٥) مجموعة الشفاء، ورقة ٢٧ .
(٦) Benedictow : Plague, p.23 .
(٧) Martin: Plague? Jesuit accounts of epidemic disease in the 16th century, sixteenth century journal publishers, 1996, p.1, conrad : Die pest, p.85.

الميكروب وينقله للإنسان ولذلك سمي هذا الميكروب باسم Yersina pestis . وقد تم اكتشاف ذلك أثناء انتشار الطاعون في هونج كونج عام ١٨٩٤م(١).

ومن خلال البحوث الطبية المكثفة تم تحديد نوع معين من الفئران وهو الفأر الأسود حيث إن هذا النوع كان المعرض بصورة كبيرة لحمل ميكروب Yersina pestisويموت بصورة كبيرة خلال الطاعون، وما يجعله ناقلا خطيرا للميكروب هو علاقته بالإنسان حيث يعيش بالقرب من الإنسان، ولذا يسمي " الفأر المنزلي " وهو متسلق جيد للجدران والأسطح ويحتاج إلي الدفء، ولذا فإنه يعيش بين البشر(٢). كما تم تحديد نوع البرغوث أيضا، وكذلك طريقة نقله للطاعون، ففي عام ١٩٦٠م حدد Pollitzer نوع البرغوث الذي يلعب الدور الرئيسي في نقل الميكروب إلي الإنسان(٣).

أما عن طريقة نقله للمرض فعندما يعض البرغوث الفأر المحمل بالميكروب تبتلع الميكروب إلي المعدة، فتسد القناة الهضمية للبرغوث الذي يضطر لعض فأرا آخر يمتص منه بعض الدم لكي يعمل علي فتح القناة الهضمية، وعند ملئها بالدم ترجع بعضه إلي الفأر لكي تأخذ غيره فينتقل الميكروب إلي الفأر(٤) .

وبعد مقتل الفأر تنخفض درجة حرارة جثته، فيتركه البرغوث ويبحث عن عائل بديل (الإنسان) يمص بعضا من دمه، ويعطيه بعضا آخر محملا بالميكروب من معدته فتنتقل العدوى(٥) .

وفي ضوء هذا التفسير الطبي الحديث يمكن القول أن ما أحدثه وباء ٨٠٦-٨٠٧هـ،١٤٠٣-١٤٠٤م من تدهور عمراني كبير في أنحاء البلاد، أدي إلي وجود مساحات كبيرة من الأراضي الخالية المهملة التي تجمعت فيها القمامة والقاذورات، وأصبحت بيئة صالحة لتكاثر الفئران، أدي ذلك إلي تكرار الأوبئة بصورة شبه دائمة في ذلك العصر، حيث تعد الأماكن المهجورة في بعض المناطق سببا في انتشار وتزايد الفئران ودليلا علي إمكانية حدوث الوباء(٦) .

---

(١) Lars Walloe : Plague and population , p.11, Martin : Plague , p.1-2
(٢) Martin : Plague , p.3.
(٣) Lars Walloe : Plague and population , p.14.
(٤) Conrad . The Plague , p.6-8 .
(٥) Martin : Plague . p.4.
(٦) Conrad : Die pest , p.87. Benedictow ; Plague , p.22.

وعلى الرغم من هذا الدور الأساسي الذي تلعبه الفئران في انتشار الأوبئة وبخاصة الطاعون إلا أن المؤرخين في تلك الفترة سواء في الشرق أو الغرب لم يدركوا العلاقة السببية بينهما، فقد أشار البعض إلى حركة بعض الحيوانات وقت انتشار الطاعون، ومن بينها الفئران التي تقفز من جحورها إلي سطح الأرض، وتتصرف كما لو كانت متسممة وتموت، وكذلك كثرة الضفادع والحشرات. إلا أنهم اعتقدوا أن هذه الحيوانات تستطيع استقبال تعفن الهواء قبل الإنسان، وبذلك فهي تعد بمثابة إنذار للمرض(١) .

كما أن المقريزى أشار إلي تزايد الفئران في بعض السنوات التي انتشرت فيها الأوبئة دون إدراك علاقة بينهما، ففي عام ٨١٨هـ/١٤١٥م أشار إلي تزايد الفئران التي أتلفت كثيرا من الغلال (٢) وفي نفس العام كان الوباء منتشرا بمصر(٣)، وفي رجب ٨٣١هـ/ أبريل ١٤٢٨م كثر عبث الفئران في الغلال (٤) وفي نفس الشهر بدأ انتشار الوباء في مصر(٥) .

مما سبق يتضح أن كلا من الظروف الجوية والآفات ساهمت بشكل مباشر في الأزمات الاقتصادية والأوبئة، بل إن برغوث الفئران كان السبب الرئيسى في انتشار وباء الطاعون .

الشائعات :

لعبت الشائعات دورا في إحداث الأزمات الاقتصادية، إلا أنها غالبا ما كانت أزمات مؤقتة لا تستغرق وقتا طويلا، إذ سرعان ما تعود الأمور إلي وضعها الطبيعي بعد جلاء الحقيقة .

والظروف التي أحاطت بالمجتمع المصري وبخاصة كثرة الفتن والاضطرابات ، وعدم شعور الناس بالأمن – جعلت الشعب المصري في ذلك

---

(١) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠ . الكازروي : المغني، ورقة ٤٦٢.
أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوباء، ورقة ٢٨ .
Dols : The black death , p.89.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١،ص ٣٣٠ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠١، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٩، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٢٦ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٧٨

(٥) نفس المصدر، ص ٧٧٩ .

العصر -مهيئا لتقبل الشائعة وترديدها،فكانت الشائعة تسير بينهم كسريان النار في الهشيم، عبر عن ذلك بعض المؤرخين بالقول " تركبت الإشاعة إلى أن طارت في جميع البلد" (١) أو " طار هذا الخبر إلى بولاق وظواهر القاهرة إلى مصر " (٢).

فكان يكفي أن يرجف بمرض السلطان أو موته حتى تضطرب الأحوال، ويخشى أصحاب البضائع من نهبها فينقلونها من الأسواق إلي أماكن أكثر أمنا، وتغلق الأسواق وترتفع الأسعار .

فعندما أشيع وفاة الظاهر برقوق ٥ شوال ٨٠١ هـ/١١يونيه١٣٩٩م غلقت الأسواق(٣)، وعندما مات في نصف شوال " لم يكن حينئذ بالقاهرة قمح يبلغ ثلاثين درهما للأردب فبيع في اليوم الثاني لموته الأردب من القمح بأربعين درهما"(٤) .

وعندما أشيع بالقاهرة موت السلطان المؤيد كثر اضطراب الناس وتخوفوا من النهب (٥)، وعندما قوي الخبر بوفاته نهب الناس الأخباز من الأسواق وتزاحموا علي الدقيق " وصار لهم ضجة وعيطة في الطواحين" (٦) بينما توفي السلطان بعد ذلك بعدة أيام .

وقد يرجع سبب هذا الاضطراب أنه عندما يشاع مرض السلطان أو وفاته ينقسم الأمراء والعساكر فرقا(٧)، ويحاول كل قادر الوصول إلي الحكم فتحدث الفتن والمؤامرات ولا يدري أصحاب الأسواق ماذا تخبئه الظروف لهم فيغلقون متاجرهم فتحدث الأزمة . ولذا فإن الشائعات التى تنتشر حول حدوث الفتن والمؤامرات، كانت تؤدى هى الأخرى إلى اضطراب الأسواق وإغلاقها

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٤، ص ١٣٢ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٣، ق٣، ص١٠١٩، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٥٨٧

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، ٥، ص ٥٩٤ ، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق ٢، ص ٥٢٤.

(٤) المقريزى : إغاثة الأمة، ص ٤٢ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ١٠٣، ١٠٧ .

(٦) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٨٧ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ١٤، ص ١٠٧-١٠٨ .

ففي جمادي الأولي ٧٩١هـ/ أبريل ١٣٨٨م كثرت الشائعة في القاهرة بوصول الناصري ومنطاش فتزاحم الناس في شراء الخبز وأكثروا من شراء البقسماط والدقيق والدهن ثم أغلقت الأسواق(١) .

وفي ذي القعدة ٨٠٠ هـ / يوليه ١٣٩٧م عندما رفض المماليك السلطانية النفقة ــ لقلتها ــ كثرت الشائعة بوقوع فتنة فتخوف الناس ولم تفتح الأسواق علي الرغم من عدم وقوع الفتنة (٢) .

ومن أكبر الأمثلة الدالة على تأثير الإشاعة فى أحوال البلاد الاقتصادية أنه نتيجة لتخوف الناس من حدوث فتنة بين سودون طاز أمير آخور والأمير يشبك الدوادار، وبينما هم في صلاة الجمعة في ٢٤ شوال ٨٠٢ هـ/ ١٨ يونيه ١٤٠٠م ارتجت القاهرة وظواهرها وغلقت أبواب الجوامع واختصر الخطباء الخطبة، ونزلوا عن المنابر، وأوجزوا فى الصلاة، وفى بعض الجوامع لم يخطب وبعضها الآخر لم تصل فيه الجمعة، وخرج الناس يختطفون الخبز وأغلقت الأسواق . ثم بعد ذلك لم يظهر للإشاعة صحة وإنما كان سبب ذلك أن مملوكين تخاصما تحت القلعة وكان حمار قد ربط في تخت من خشب ونفر من ذلك وسحب التخت فجفلت الخيول التي تنتظر أربابها بالقرب من جامع شيخو بالصليبية حتى تنقضي الصلاة، فلما رأي الناس الخيول ظنوا أن الواقعة قد وقعت بين الأميرين المذكورين لتهيئهم لذلك مسبقا (٣) .

وتتكرر هذه الحوادث، ويتكرر معها إغلاق الأسواق وتتعطل المعايش ويحصل للرعية من الانزعاج أمر كبير من غير موجب (٤) .

كما لعبت الشائعات التي تدور حول مدي وفاء النيل دورا كبيرا في افتعال الأزمات، إذ استغل البعض القلق الذي كان يساور الناس دائما حول وفاء النيل

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٦٠٨ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ٥، ص ٥٨٥، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٠٧ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠١٨، ١٠١٩ .
ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٨٧/ ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٤، ص ١٣٢.

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٩ ، جـ١٥، ص ٥٠،، جـ١٦، ص ٩٦-٩٧. المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٦٥، جـ٤، ق٢، ص ٩٣١، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٢٩، ابن إياس : بدائع،جـ٤،ص ٢٤١،٣٧١ .

ويشيعون توقفه عن الزيادة رغبة في بيع الغلال بأغلى الأثمان – فيتهافت الناس علي شرائها، " ويمسك أربابها ما بأيديهم منها، لا سيما أهل الدولة فيرتفع لذلك سعرها " [١] . ومن الطريف أن المعاصرين كانوا يسمون مثل هذه الأزمة "الكذابة" أي الأزمة المفتعلة[٢] .

فبينما كان سعر القمح في شوال ٨٣٧هـ/ مايو ١٤٣٤م ١٥٠ درهما للأردب إلي ما دونها ارتفع في ذي الحجة ٨٣٧هـ/ يوليه ١٤٣٤م إلي ٢٠٠ درهم وذلك بسبب " إرجاف المرجفين بتوقف النيل " مع استمرار زيادة النيل بغير توقف[٣].

وفي بعض الأحيان تفشل محاولات خزان الغلال في ترويج الشائعات وإطلاق الأكاذيب – نتيجة لوفاء النيل – وانخفاض الأسعار فتخيب آمالهم وتتكسر قلوبهم[٤] .

وقد استخدمت الشائعات في عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م بشكل مضاد حتى تهدأ نفوس الناس، إذ بالغ القياس المختص بقراءة مقياس النيل في قراءته، فاستراب بعض الناس في الأمر وتوجه جماعة منهم فشاهدوا المقياس – علي غير عادة – فظهر لهم كذب القياس . وأمر السلطان جقمق بعدم التوسع في هذه المبالغات حتى لا تضطرب العامة[٥] .

كما تأثرت الأحوال الاقتصادية بسبب الشائعات التي كانت تتردد حول ضرب نقود فضية جديدة أو المناداة علي الذهب بنقص سعره ، فقد ارتفعت الأسعار بسبب الشائعة التي راجت في المحرم ٨٦١ هـ /نوفمبر ١٤٥٦م وهي أن السلطان عزم علي ضرب نقود فضية جديدة ليتعامل بها الناس بالعدد، وتبطل النقود الفضية القديمة، فرفض الباعة بيع بضائعهم بالنقود القديمة لتوجسهم خيفة من نقص قيمتها بعد ظهور النقود الجديدة، وسعي كل مالك للنقود القديمة للتخلص

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٢٠ .

(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص٢٦٢ ، قاسم : دراسات، ص ١٤٧ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٢٠ .

(٤) نفس المصدر ، جـ٣، ق٢، ص ٤٧١ .

(٥) جرجس فام ميخائيل : السلطان جقمق وحالة مصر فى عصره، ماجستير، آداب القاهرة، د.ت، ص ٤١ .

منها عن طريق شراء ما يحتاجون إليه وما لا يحتاجون إليه خوفا من الخسارة التي قد تلحق بهم من فارق السعر بين النقود الفضية الجديدة والنقود الفضية القديمة، ولـم يهدأ حال الناس إلا عندما نودي من قبل السلطان في ١٣ صفر ٨٦١هـ/ ١٠ ينـاير ١٤٥٧م أن المعاملة بالفضة علي ما هي عليه . ولكن عندما اكتشف الناس أن هـذه حيلة حتى ينتهي السلطان من ضرب نقوده الفضية الجديدة، ارتفعت الأسعار (١) .

كما توقف الناس والتجار في أخذ الذهب في صفـر ٨٣٤هـ/ أكتوبـر ١٤٣٠م " من كثرة الإشاعة بأنه ينادي عليه " لأن الدينار الأشرفي كان يتعامل بـه الناس بمائتين وخمسة وثمانين بينما تمت المناداة عليه بمائتين وخمسـة وثلاثيـن. فخسر الناس خمسين درهما في الدينار الواحد(٢).

وفي بداية ٨٦٢ هـ/١٤٥٧م ارتفعت الأسعار للإشاعة بين النـاس بـأن السلطان يريد المناداة علي الذهب بنقص سعره(٣).

وعلى الرغم من بعد المسافة بين صعيد مصر والقاهرة عاصمـة البـلاد، إلا أن الشائعات التي ترددت حول ما يدور هناك من أحداث كان لها صدى واضـح في القاهرة، ففي عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م، عندما انخفضت الأسعار قليلا ـ بعـد الأزمة الشديدة ـ مبشرة بحلها، أرجف خزان القمح ـ أن الفتـن ببـلاد الصعيـد عظيمة، وأن الغلاء واقع من عدم وصول القمح .(٤)

وفي المحرم ٨٧٤هـ / يوليه ١٩٦٩م ارتفعت أسعار الغلال إلي ثلاثـة دنانير للأردب بعد أن كانت دينارين لرواج شائعة أن الأمير يشبك عندما توجه إلي الوجه القبلي حكر علي الغلال بها، ومنع المراكب من حمله إلي القاهرة (٥) .

---

(١) حوداث الدهور، ص ٢٩١ . رأفت محمد محمد النبراوى : السكة الإسلامية فـي مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، مركز الحضارة العربيـة للإعـلام والنشر، ١٩٩٣، ص ٢٩٦.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٥٢ .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٣١ .

(٥) مجهول : كتاب في التاريخ، ورقة ٥ . عبد القادر أحمد طليمات : مقدمـة كتـاب تاريخ الأمير يشبك، ص ١٧ .

الأخطار الداخلية والخارجية :

إن من أكثر العوامل التى تساعد على حدوث الأزمات وتعقدها وجود مناخ سياسى مضطرب تسوده القلاقل والفتن والمنازعات، وهو ما حدث بالفعل فى عصر المماليك الجراكسة إذ ابتليت مصر بفتن ومؤامرات داخلية واسعة النطاق كان لها أبعد الأثر فى خلق الأزمات الاقتصادية، تمثل ذلك فى ثورات العربان من ناحية، والصراع بين أمراء المماليك وثوراتهم من ناحية أخرى، بالإضافة إلى الأخطار الخارجية، ولسنا معنيين فى هذا الصدد ببحث أسباب هذه الفتن أو تلك الأخطار، وإنما معنيون ببحث انعكاساتها وآثارها على أوضاع المجتمع، ومدى إسهامها فى خلق الأزمات الاقتصادية المتوالية، ويتمثل ذلك فى تسببها فى نقص الموارد المالية للدولة وعدم قدرتها على تلبية الاحتياجات المالية المتزايدة التى يتطلبها الإنفاق على إخماد هذه الفتن مما يجعل خزانة الدولة تعانى من عجز كبير.

خطر العربان

على الرغم من أن بعض العربان حازوا بعضاً من امتيازات رجال السيف، بل تمتعوا باستقلال محدود فى مشيخاتهم ووراثة هذه المشيخات، مما لم يصل إليه أمراء المماليك أنفسهم، إلا أنهم لم يتوقفوا عن انتفاضاتهم وتخريبهم المستمر(١)، فما كاد ينطفئ تمرد للعربان إلا ويشتعل تمرد آخر ينبئ بأوخم العواقب على المنطقة التى تقوم بها، فكثيراً ما كانوا ينتهزون فرصة الفتن الداخلية بين الأمراء، أو تغيب الجيش عن البلاد(٢) أو ينتهزون فرصة الفيضان عندما تكسو مياه النيل أراضى الحياض، فيصبحون فى مأمن من وصول قوات من العاصمة لردعهم(٣)، وعندئذ يقومون بإنتفاضاتهم .

هذه الانتفاضات المستمرة فى طول البلاد وعرضها وغاراتهم على الفلاحين ساهمت فى تدهور الإنتاج الزراعى ونقص الموارد المالية للبلاد، وذلك بعدة طرق :

أولاً : تخريب القرى وانخفاض الإنتاج الزراعى وذلك من خلال مهاجمة هذه القرى والاستيلاء على كل ما تصل إليه أيديهم من غلال وأموال وحيوانات تعد

---

(١) طرخان : النظم الاقطاعية، ص ٢٣٧ .

Ashtor : Miscellanea, P.109.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ١٤، ص ٣٨.

(٣) ابن إياس: بدائع، جـ ٣، ص ٣٩٨.

أهم وسائل الإنتاج الزراعى لدى الفلاحين فتتعطل أعمالهم، وتكرر ذلك فـــى سنوات متعددة[١]، منها مهاجمتهم لصعيد مصر والدلتا وتخريبهم القرى فى عـــام ٨٧٠ هــــ/ ١٤٦٥م[٢] والأزمة الاقتصادية التى ألمت بمصر فى عام ٨١٨ هـــ/ ١٤١٥ م لم يكن سببها هبوط النيل، أو قلة الغلال، وإنما كان سببها الرئيسى ثـــورات العربـــان الذيـــن قطعوا الطرق على المسافرين وقتلوا كثيرا من الناس، وعجــز الأجنــاد عــن قبــض مغلاتهم لشدة بأس العربان[٣]، ولكثرة النهب والتخريب الذى أصاب بلاد الصعيد فـــى عام ٨٢٥ هـــ/ ١٤٢١ م حدثت مجاعة بها بحيث صار يحمــل إليــهم القمــح مــن القاهرة، وذلك لخراب معظم بلادها، ودثور بعضها وعدم زراعة أرضها[٤].

واعتبر ابن تغرى بردى عام ٨٧٢ هـــ/ ١٤٦٧ م أشــد أعــوام القــرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أزمة وشدة، لشدة فساد العربـــــان الذيـــن استغلوا عدم استقرار السلطة الحاكمة (تولى أربعة سلاطين الحكم فى هذا العـــام) وعاثوا فى البلاد الفساد، وانتشرت ثوراتهم فى شمال مصر وجنوبـــها، واســتولوا على غالب إنتاج تلك المناطق مع قلته [٥] . وتزايدت ثورات العربان فـــى أوائــل القرن العاشر الهجرى، حتى أوشكوا فى بعض السنوات على امتلاك كثــير مــن الإقطاعات الزراعية، وطرد أصحابها منها [٦] .

وكان قطع الجسور أحد الوسائل التى استخدمها العربان فى قتالـــهم مــع السلطة الحاكمة للإضرار بأهم مقومات الاقتصاد المصرى فـــى ذلــك الوقــت، إذ تغرق الأراضى فى غير موعد ريها، وتغرق الـ..رون وهـــى مليئـــة بالمحــاصيل الزراعية، وينخفض مستوى النهر نتيجة لهذه الأعمال [٧] .

---

(١) انظر الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص٢٣٢، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٤٢٦ ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ٢٢٦ .

(٢) Lapidus : Muslim cities , P. 28

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق١، ص ٣١٦ ـ ٣١٧، ٣١٩ ـ ٣٢٠، ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٦٩، ٧٣، ٧٥ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٦٠٣، ٦١٠، ٦١٥، ابن تغــرى بــردى : النجوم جـ ١٤، ص ٢٤٩ .

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٣١، ٦٥١ ـ ٦٥٥ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٥١، ٥٢ .

(٧) نفس المصدر، ص ٩٦، ٣٢٥ .

وفى أواخر عصر دولة المماليك، وعندما تحقق عرب الشرقية من موت قانصوه الغورى ضاعفوا من حالات السلب والنهب وعاثوا فى البلاد الفساد، فسرقوا كثيرا من المواشى ولم يجد الفلاح ما يساعده على القيام بمهمته، بل إنهم قتلوا أعدادا منهم، فاضطر كثير من الفلاحين للهجرة إلى القاهرة هربا منهم [(١)]. وكل هذه الهجمات أدت فى النهاية إلى تدهور فى الإنتاج الزراعى، ونقص فى موارد الدولة .

ولم تقف السلطة الحاكمة مكتوفة الأيدى أمام هذه الثورات من قبل العربان، بل أرسلت التجريدات العسكرية لقمع هذه الفتن، وتأديب العربان،إلا أن ذلك لم يعد على الفلاحين والإنتاج الزراعي بالفائدة،بل حدث أبلغ الضرر، فكما تفنن العربان فى أنواع الإيذاء والتخريب فى البلاد، لم يكن المماليك أقل ضراوة منهم . ففى كل حالات الصراع بين العربان والسلطة الحاكمة يصبح الفلاحون بين حجرى الرحى لا يستطيعون إرضاء الطرفين، فأهل الدولة أمامهم يطلبون مالهم وما ليس لهم، يستولون على الغلال، ويسلبون الحلى والأموال، ويسوقون الخيل والجمال والأبقار، بل ويأخذون معهم النساء والأبناء يستعبدونهم فى العاصمة [(٢)]. والعربان من خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم لا يسعهم إلا السلب والنهب ، وفى الحالتين يقع العبء على الفلاحين وقراهم وإنتاجهم الزراعى والحيوانى، إذ يهلك الطرفان الحرث والنسل، فيضطر الفلاح إلى التسحب من قريته، فيتزايد الخراب وتنقص الموارد، وتصبح البلاد عاجزة [(٣)].

ثانيا : كما يتمثل نقص الموارد أيضا فى سيطرة بعض الثائرين على الأموال السلطانية أو خراج بعض المناطق، وحرمان بيت المال من أهم مصادره المالية، مما يسبب عجزا فى موازنة الدولة . ففى رمضان ٧٩٢ هـ/ أغسطس ١٣٨٩م،عندما توجه ابن الحسام إلى الصعيد، وحصل بها الأموال السلطانية،

---

(١) عبد المنعم ماجد : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨، ص٦٩.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٣، ص ٨١٧، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٩٥، ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٨٠ .

(٣) الأسدى (محمد بن محمد خليل) : التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٧م .، ص ٩٤ .

كبس عليه ابن التركية، ونهب جميع ما حصله (١)، وفى صفر ٩٠٤ هـ / سبتمبر ١٤٩٨ م، استولى الجويلى (من مشايخ عربان البحيرة) على خراج إقليمى الغربية والبحيرة، وقرر عدم تسليمه إلى السلطة الحاكمة، وساعده على تحقيق غرضه عدم قدرة السلطة الحاكمة على إرسال حملة لقتاله بسبب فيضان النيل وشدة بأس العربان فى ذلك الوقت (٢). كما استولى عربان الشرقية على بعض الأموال السلطانية فى شوال ٩١٢ هـ/ فبراير ١٥٠٦ م (٣) .

ثالثا : أدت ثورات العربان إلى نقص الموارد المالية للدولة أيضا من خلال ازدياد نفوذ قبيلة هوارة فى صعيد مصر، والسيطرة على المنطقة الممتدة من جنوب أسيوط حتى بلاد النوبة واضطر سلاطين المماليك إلى الاعتراف لهم بهذه السيطرة حتى ضعف نفوذ هوارة فى منتصف القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، واستطاعت السلطة المملوكية استعادة نفوذها على جنوبى البلاد . فى تلك الفترة التى ضعفت فيها قبضة السلطة المملوكية على جنوب مصر، حرمت خزانة الدولة من موارد هذه البلاد (٤). كما توقف ملوك النوبة عن إرسال الجزية إلى حكام مصر (٥).

يضاف إلى ما سبق أن خطر العربان كان له صدى أيضا على الأحوال الاقتصادية فى المدن الكبرى وبخاصة الأسواق إذ كانوا يقطعون الاتصالات والنقل بين القرى ــ كمنتج للحبوب ــ والمدن ــ كمستهلكين لها ــ ويمنعون وصول إمدادات الحبوب إلى القاهرة، فتحدث بها الأزمة(٦).

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص٣٢ .

(٢) ابن إياس : بدائع،جـ٣، ص ٣٩٨، محمود محمد السيد : تاريخ القبائل العربية فى مصر فى عصر الدولتين لأيوبية والمملوكية، ماجستير، آداب الاسكندرية، ١٩٧٧، ص ١٣٤، إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية، ص ٣٣٨ .

(٣) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، ق٢، جـ١، ص ٣١٢ .

(٤) عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ١٠٦ .

(٥) نفسه، ص ١٠٢ .

(٦) Lapidus, IRA.M.: Muslim Cities in the later Middle Ages, Cambridge University, 1984. .P.28

أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة،ترجمة أحمد صليحة، سلسلة الألف كتاب الثانى، ع١٢، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٩٥.

لقد ابتليت مصر فى عصر المماليك الجراكسة أيضا بمؤامرات واسعة النطاق دبرها أمراء المماليك بعضهم ضد البعض، أو دبرها بعض الأمراء ضد سلطانهم، لأن مفاهيم العصر السياسية جعلت العرش يليه كل قادر على ترجمة آماله وطموحاته إلى عمل عسكرى يمتد أياما ـ يضطرب خلالها الأمن وينتشر الفساد (١) ـ دون أن يأبه لنتائج ذلك على اقتصاد الدولة .

كما تفككت عرى الروابط المعنوية القوية التى كانت تربط المملوك بأستاذه من ناحية (الأستاذية) وتربطه بزملائه من ناحية أخرى (الخشداشية) فى عصر المماليك البحرية، وحل محلها رابط مادى خلال عصر المماليك الجراكسة، جعل سيوف المماليك تتجه لمن يدفع أكثر، وأصبح من الصعب السيطرة على حركتهم(٢) بعد أن "تبين قصور اليد عن ردعهم " (٣)، مما أدى إلى ارتباك أمور الدولة فى مختلف النواحى وعلى رأسها النواحى الاقتصادية.

وإذا كانت ثورات العربان فى مجملها عادت بنتائجها السلبية على الريف المصرى والإنتاج الزراعى، فإن الصراع بين الأمراء أو ثورات المماليك المتكررة، عكست آثارها على مجتمع المدينة وبصورة خاصة العاصمة، مما كان له أسوأ الأثر على الإنتاج الصناعى وحركة التجارة، فالصراع بين الأمراء كان يتطلب فى كثير من الأحيان شدة الطلب على حيوانات النقل فتصادر خيول وبغال الطواحين والمعاصر، وجمال السقائين، وحمير المكارية فتتوقف الطواحين عن العمل ويرتفع سعر الدقيق ويمنع الخبز من الأسواق، ويحدث ضرر كبير للناس(٤)، لأن الحيوانات كانت هى التى تدير كثيرا من المنشآت الصناعية، فضلا عن ارتفاع أسعار المياه (٥).

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، ط١١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨، ص ٣٦٩، قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ٤٧ .

(٢) قاسم، دراسات، ص ٤٨، انطوان خليل ضومط : الدولة المملوكية التاريخ السياسى الاقتصادى والعسكرى طـ٢، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٢، ص ٣٨ ـ ٤٠

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٨٠٥ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٣،ق٢، ص ٦٧٨ ـ٦٨١، ابن إياس : بدائع،جـ١، ق٢، ص٥٧٥،٧٧٠،٨٠٤، جـ ٣، ص ٢٧٥، جـ٤، ص ٣٦٤،جـ٥، ص ٢٨ . ابن حجر : إنباء الغمر : ج٤، ص١٢٩ .

(٥) ابن شاهين (عبد الباسط بن خليل الملطى) : الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم، دار الكتب، ٢٤٠٣ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٥١٥١٥، ج٢، ورقة ١٥٦.

وفى أثناء الصراع على السلطة أيضا تضطرب الأسواق استعداد للقتال، ففى عام ٧٩١هـ /١٣٨٨م أثناء الصراع بين برقوق ويلبغا الناصرى، أمر برقوق سكان القاهرة بأن يدخروا قوتهم لمدة شهرين استعدادا للحصار، فأكثر الناس من شراء الخبز والدقيق وغير ذلك خشية الحصار فارتفعت الأسعار بدرجة كبيرة (١). ولما قرب الناصرى من الديار المصرية تعطلت الأسواق ووقع النهب فى الحواصل التى بالقلعة وبالقاهرة وضواحيها مما أثر فى مخزون الغلال (٢)، وزاد الأمر سوءا انتشار الطاعون فى البلاد (٣).

وكان للمماليك الجلبان دور غير محمود فى إحداث الأزمات الاقتصادية وبخاصة فى مدينة القاهرة، وبدأ هذا الدور فى أواخر عام ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م عندما تزايد أذاهم فى حق الناس وصاروا ينهبون كل ما تقع عليه أيديهم حتى غلت الأسعار فى سائر المبيعات وعلق على ذلك ابن تغرى بردى بقوله " فصار هذا هو الغلاء بعينه، وزيادة على الغلاء عدم الشئ " (٤).

وصار هجوم المماليك الجلبان على الأسواق أمرا مألوفا فى الحياة اليومية، فكثيرا ما كانت تتوقف حركة البيع والشراء فى الأسواق بل وتغلق الأسواق (٥)، وربما استمر الحال على ذلك أكثر من عشرة أيام(٦) لا يجد فيها الناس متطلبات حياتهم، فكان يساعد مع العوامل الأخرى على اشتداد الأزمات حدة، مما حدا ببعض الباحثين باعتبار أن خطر المماليك الجلبان على حياة الناس فى القاهرة كان أكثر من تهديد الغزو الأجنبى أو الهجمات البدوية (٧).

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص٣١٩، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص٢٠٣، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٥، ص ٤٠٧.

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص٣٢٠ ـ ٣٢١، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٥، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٥،ص ٤١٤ ـ ٤١٨ .

(٣) الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ١٩٤ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ٩٨، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٣٣٥.

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٩٦، ١٩٧، ٢٩٥،جـ٤، ص ١٧٧ ـ ١٧٩، ٤٢٨، ٤٣٠ ـ ٤٣١، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٣٠.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٤٢٧ - ٤٣١

(٧) Lapidus : Muslim cities, P.37 .

وجدير بالذكر أن هذه الأزمات كانت قصيرة المدى أو أزمات مؤقتة ومقصورة على مدينة القاهرة دون غيرها من المدن، ولكن تكرار حدوث هذه الاضطرابات، وقلة الفاصل الزمنى بينها، ترك أسوأ الأثر على حركة الأسواق بالقاهرة .

الأخطار الخارجية :

ساهمت الاضطرابات والأخطار الخارجية التى واجهتها مصر ـ على الحدود الشرقية والشمالية ـ بدرجة كبيرة فى إحداث الأزمات الاقتصادية بالبلاد، وكلما زاد الضغط الحربى كلما ازدادت الأزمة، ولقد شهدت مصر خلال عصر الجراكسة عدة نزاعات على الحدود، مما يعد إيذانا بأن الأمن الخارجى الذى كانت تنعم به مصر فى ظل الناصر محمد بن قلاوون قد انقضى أمره، وأصبح تاريخا ماضيا(١)، يشهد على ذلك عدد التجريدات العسكرية التى وجهتها مصر ضد تيمورلنك(٢) أو ضد الدويلات التركمانية(٣)، وحروب شاه سوار(٤)، وحسن الطويل(٥)، وسلاطين آل عثمان(٦) بالإضافة إلى الحملات ضد قبرص(٧) ورودس(٨) بل والبرتغاليين(٩) .

---

(١) أندرية ريمون : القاهرة العثمانية بوصفها مدينة، المجلة التاريخية، المجلد العشرون، القاهرة، ١٩٧٣ – القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر التوزيع، ١٩٩٣ ، ص ١٣٢ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٨٠٣ ،

Ayalon, David: The system of payment in Mamluk military society, Journal of Economic and Social History of the Orient, 1, 183, Leiden, 1958, P. 273.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٧٦ .

(٤) مجهول : تاريخ السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى، دار الكتب، ٦١ تاريخ، ميكروفيلم ١٦٣٤١، ورقة ٥، ٦ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٨٠ ـ ٨٢ .

(٦) نفس المصدر، ص ٢٥١ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ١٤، ص ٢٦٨، الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ٧٧، ٨٤.

(٨) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٥، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، ٣٥١ .

(٩) فاروق عثمان أباظة : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، الاسكندرية، مطبعة الانتصار، ١٩٨٨، ص ٤٨ .

ولا يقف أثر هذه الأخطار الخارجية عند حد ما تلقيه على الخزينة المصرية من أعباء لإرسال تجريدات عسكرية أو الاستعداد للمواجهة، وإنما في بعض الأحيان تحدث ضغطا ــ من أهل المناطق التى تمت السيطرة عليها ــ على مصر وبخاصة القاهرة، مما يسبب أزمة بها، فبعد استيلاء تيمورلنك على دمشق ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م حدثت هجرة جماعية لكثير من أهل الرملة وغزة والقدس ودمشق وصفد وحماة وطرابلس إلى الديار المصرية محدثين ضغطا على الأسواق المصرية التى أصبحت خالية من الخبز، ولا يستطيعون الحصول عليه من الأفوان إلا بعد مشقة زائدة[١]، وازدادت الأحوال الاقتصادية سوءا عندما عاد السلطان على وجه السرعة من دمشق، فظن الناس هزيمته، فأخذوا يبيعون ما عندهم ويستعدون للهرب من مصر خشية زحف تيمورلنك على القاهرة، وغلت أسعار المواد الغذائية غلاء فاحشا لشدة الحاجة إليها على حين هبطت أسعار المنقولات بسبب كثرة المعروض منها[٢].

هذه الظروف السيئة اضطرت السلطان أن ينادى فى القاهرة بخروج الغرباء إلى أوطانهم وبلادهم لتخفيف العبء الاقتصادى على مدينة القاهرة.

وازدادت الأزمة عندما قرر السلطان فرج إعداد تجريدة أخرى لقتال تيمورلنك في وقت عجز فيه بيت المال عن الإنفاق عليها، لذا اتخذ السلطان فرج عدة إجراءات أدت إلى ازدياد الأزمة الاقتصادية حدة [٣]، حيث ارتفعت الأسعار فى وقت انخفضت فيه القدرة الشرائية لدى معظم فئات الشعب.

والمثال الثانى لحدوث ضغط أو هجرة جماعية إلى مدينة القاهرة نتيجة للأخطار الخارجية، أنه بعد هزيمة المماليك فى مرج دابق ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م تخوف أهالى الشرقية وبلبيس من النهب والقتل إذا ما تحرك العثمانيون نحو

---

(١) الصيرفى: نزهة، جـ ٢، ص ٩٧.

(٢) حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ١٤٢. ضومط: الدولة المملوكية، ص ٣٣٨.

(٣) شرع فى تحصيل الأموال من كل الجهات، انظر بالتفصيل ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٦١٩ ــ ٦٢٠، ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٤، ص٢١٠، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٩٨.

The Cambridge History of Islam, Volume IA, edited by:P.M.Holt, London. 1970. Vol-IA. P. 221

مصر، وبخاصة أنهم يمثلون الجبهة الشرقية ومدخل البلاد الشرقي، لذا هاجروا إلى القاهرة، فكانت هجرتهم من الكوارث، إذ تبع ذلك قلة الأقوات وارتفاع الأسعار(١).

وأكبر الآثار التي ترتبت على الأخطار الداخلية والخارجية على حد سواء، وساهمت بدور فعال في إحداث الأزمات الاقتصادية، هو ما تحملته الدولة للإنفاق على هذه التجريدات والحملات :

لقد عانت خزانة الدولة من جراء إعداد الحملات التي كانت توجه لقمع حركات التمرد والعصيان الداخلية، وكذلك الأخطار الخارجية، إذ أنفقت السلطة الحاكمة من موارد مصر الاقتصادية مالا طاقة لها به(٢)، فكثرة هذه الحركات والأخطار تعني الحاجة المستمرة إلى نفقات إضافية للجند غير جوامكهم العادية ليسيروا إلى الحرب، في وقت اشتد فيه طمع الجند وزادت شراهتهم للمال، وصاروا لا يتحركون ولا يخرجون في تجريده من التجريدات إلا بعد أن يتقاضوا الثمن أضعافا مضاعفة (٣). فلم ينجح برقوق في أن يكسب الحكم لنفسه دون أن يوفي احتياجات مماليكه وأنصاره بالمال الكثير (٤)،وفي مواجهة ذلك أنفق منطاش على أنصاره نحو ١٠ مليون درهم فضة (٥) ولم تكن كل هذه المبالغ تحت يديه بل جمعها من بيع غلال الحواصل الظاهرية التي لم تف بمتطلباته من المال، فاقترض من مال الأيتام خمسمائة ألف درهم (٦) مما ترك أثرا سيئا على حالة البلاد الاقتصادية .

---

(١) عبد المنعم ماجد، طومان باي، ص ١٤٨ .

(٢) Bacharach : The Dinar versus the Ducat, I JMES, 4, 1973, P.80
Levanoni : Aturning point, P.136

(٣) أندريه ريمون : القاهرة، ص١٥٤، أحمد عبد الرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩، ص ١٣٣ . ضومط : الدولة المملوكية، ص٣٠٣

(٤) ابن تغري بردي : النجوم، جـ ٥، ص ٣٩٦ – ٣٩٧، المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٩٣ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٣٣٣ – ٣٣٤، ابن تغري بردي : النجوم، جـ ٥، ص ٤٨٨ .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٢، ص ٣٣٤ .

وخرجت في عهد الناصر فرج بن برقوق ثمان تجريدات تكلفت كل منها ما بين ٤٠٠ ألف دينار(١) ومليون دينار كان "يجبيها من دماء أهل مصر ومهجهم"(٢)، هذا بخلاف نفقة الأجناد التي تسلموها قبل الخروج للقتال (٣)، والخيل والبغال والجمال والسلاح والثياب والآلات التي تخرج في كل تجريدة (٤)، والتي قد تكلف أضعاف ما تتكلفه النفقة العسكرية على التجريدة .

واستمرت حروب شيخ ضد الإمارات التركمانية من سنة ٨١٨ هـ/١٤١٥م حتى ٨٢٢ هـ/١٤١٩ م بشكل شبه مستديم، أرسل خلالها أربع حملات(٥)، كانت نفقة إحداها ٤٠٠ ألف دينار(٦).

وتعددت الحملات الحربية التي جهزها برسباي لغزو قبرص من ناحية (٧) أو لقتال بعض عناصر الاضطراب في المناطق الشمالية من المملكة من ناحية أخرى(٨). وعلى الرغم من أنه حصل على غنائم كثيرة من حملته التي أرسلها إلى قبرص ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م، وفرض فدية على ملك قبرص ــ لفك أسره ــ قدرت بمائتي ألف دينار(٩) إلا أن ذلك لا يتناسب مع ما أنفقه على الحملات الثلاث التي أرسلها لغزو قبرص، بدليل ارتفاع الأسعار في نفس العام الذي حصل فيه

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٣، ص ١٣٤، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٨١٦ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق١، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٣، ص ١٣٠ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٣، ق٣، ص ١١٦٣ .

(٥) Darrag .A : L Egypte sous le regne de Barsbay 825-841 \1422-1438, Damas . 1961, P. 58 .

(٦) Ayalon : The system of payment, P. 273

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٢٦٨، ٢٧٦، الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ٧٧، ٨٤ .

(٨) من أمثال قرايلك، وشاه رخ، وجانبك الصوفي . انظر ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٥٠ ــ ٣٥١، جـ ١٥، ص ٣٤ ــ ٣٥، ٩٠، الصيرفي: الصيرفي: نزهة، جـ ٣، ص ٢٦٦، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ١٥٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٩ ــ ١٨٠ .

(٩) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٧٢٦، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ١٠٨، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٠٤ .

على الغنائم، رغم زيادة منسوب النيل [١] مما يؤكد أن هذه النفقات كانت سببا في ارتفاع الأسعار .

أما حملاته الأخرى فعلى الرغم مما تكلفته من نفقات باهظة، إلا أن بعضها لم يأت بالنتائج المرجوة، فبعد أن أنفق برسباى على حملته ضد آمد ٥٠٠ ألف دينار وتلف له من السلاح والمتاع والخيل والجمال مثل ذلك، وأنفق الأمراء بمصر والشام مثل ذلك ومع هذا كله "كانت سفرة كثيرة الضرر قليلة النفع [٢]"، ولو أن برسباى استرضى " قرايلك " الذى وجه إليه هذه الحملات بنصف ما ذهب من الكلف فى نعل خيوله وخيول عساكره لرضى ودخل فى طاعته على حد قول قرايلك [٣] .

وأنفق السلطان جقمق ثلاثة ملايين دينار على الحروب التى خاضها خلال السنوات الثلاث الأولى من حكمه [٤]

أما قايتباى الذى "لم يجد فى خزائن من تقدمه من السلاطين ما ينفقه ويسد به الحال [٥] كان أكثر السلاطين إرسالا للتجريدات العسكرية، إذ أرسل نحو ست عشرة تجريدة بلغت نفقاتها ٧,٠٦٥,٠٠٠ دينارا، خارجا عما كان ينفقه على المماليك عند عودتهم من التجاريد [٦]. تكلفت إحدى هذه الحملات ٣,٥ مليون دينار كانت موجهة ضد العثمانيين، فجاءت من حيث التكلفة . أكبر حملة برحت الديار المصرية منذ قيام الدولة المملوكية الثانية [٧] . يضاف إلى ذلك أن هذه المجهودات العسكرية الضخمة كانت تفرض على السلطان شراء عدد كبير من المماليك لسد العجز الذى أحدثته الحروب من ناحية، والأوبئة من ناحية أخرى [٨] فقد اشترى قايتباى من المماليك

---

(١) وصل المنسوب ٢٠ ذراعا، انظر شكل ١٠ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ٦، ص ٧١٢ .

(٣) Ayalon : The system , P. 274.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ٣، ص ١٢٢٨ - ١٢٢٩ .
Ashtor : A Social and Economic History of the near east in the middle ages , london , 1976, p. 329.

(٥) مجهول : تاريخ السلطان قايتباى، ورقة ٤ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٣٢٥ .

(٧) محمد مصطفى زيادة : نهاية السلاطين المماليك فى مصر، المجلة التاريخية، مج٤، ع١، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٠٦ .
Ayalon : The system of payment , P. 273 .

(٨) Bacharach : The Dinar versus the Ducat , p.80 , Lapidus : Muslim cities , p 35.

مايزيد على ألفي مملوك مما زاد في الإنفاق العسكري [١]، كما تفرض هذه الأخطار على السلطة القيام ببعض التحصينات الدفاعية كبناء الأبراج والقلاع [٢]

هذه النفقات المتزايدة جعلت السلطان قايتباي دائم الشكوى من قلة المال في الخزانة، وعجزه عن تجهيز الحملات، تكرر ذلك في أعوام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م [٣]، ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م [٤]، ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨م [٥]، ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م [٦]، وفي كل مرة يحاول الحصول على موافقة القضاة وشيوخ الإسلام لجمع المال من الأوقاف والأملاك، أو فرض ضرائب جديدة تعمل على اضطراب أمور البلاد الاقتصادية .

وفي عصر الغوري تعاورت عدة أخطار مسيحية وإسلامية على السلطنة المملوكية، لذا تعددت تجريداته العسكرية لمواجهة هذه الأخطار، فتتوقف خلال إعداد معظمها مناشط الحياة الاقتصادية وبخاصة في القاهرة، وتنفق فيها الأموال الطائلة . فعندما اتجه الغوري لقتال العثمانيين ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م حمل معه ما ادخره في خزائنه وأودعه في قلعة حلب التي استولى عليها السلطان سليم غنيمة باردة عقب معركة مرج دابق [٧] .

أما الخطر المسيحي، فقد تمثل في دأب الفرنج على مهاجمة شواطئ الدولة المملوكية وموانيها، وقطع الطريق على السفن التجارية في عرض البحر، بل والسيطرة عليها وأخذ أموال التجار [٨] . وكان الغرض الأساسي من هذه

---

(١) مجهول : تاريخ قايتباي، ورقة ١٠ .
(٢) إبراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠، ص٣٢٣ .
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ١٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ .
(٧) محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، سلسلة أعلام العرب، العدد ٥٢، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، ص ٤٩، ١٥٠، ١٦٤ .
(٨) لمزيد من التفاصيل : انظر ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٣، ص ١٦٠، ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٩١ . الصيرفي : نزهة، جـ ١، ص ٣٦٢، جـ ٢، ص ١٦٨، جـ ٣، ص ٣٦٨ . المقريزي : السلوك، جـ ٣، ق٢، ص ٨١٣، جـ ٤، ق ٢، ص ٩٢١ . ابن تغري بردي : النجوم، جـ ١٤، ص ٢٤٩ _ ٢٥٠، ٢٦٦. جـ ١٥، ص ٣٣٤ .

الهجمات هو عدم قيام الاتصال المباشر بين التجار الأوربيين وأسواق مصر والشام، وفرض الحصار البحرى على الموانى المصرية مما يهدد موارد ثروتها .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الأحداث التى تقتصر على إرسال بعض السفن للهجوم على ثغور مصر الشمالية، لم تكن ذات تأثير كبير على أحوال البلاد الاقتصادية، لأن هذه العمليات غالبا ما تكون خاطفة ولا تستمر وقتا طويلا، بالإضافة إلى أنها ليست هجوما شاملا يؤثر فى أحوال البلاد، على الرغم من ذلك إلا أنها تثير القلق والاضطراب وتجعل الطرق التجارية غير آمنة مما يهدد تجارة العبور بين أوربا والشرق الأقصى والتى كانت تمر عبر مصر . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن بعض هذه الهجمات حدثت فى وقت حدوث أزمات اقتصادية فى مصر مما زاد من حدة الأزمة، ففي شوال ٨٥٤ هـ / نوفمبر ١٤٥٠ م استولى الفرنج على أربعة مراكب مشحونة بالغلال والدقيق المستورد بما تزيد قيمته على ١٠٠ ألف دينار، فى وقت كانت فيه الأزمة على أشدها فى مصر، وكانت هذه الغلال لازمة لعلاج هذه الأزمة، الأمر الذى أدى إلى ارتفاع الأسعار عن ذى قبل[١].

وإذا كانت هذه الهجمات لم تفلح بشكل كبير فى تحقيق أهدافها، إلا أن جهود البرتغاليين فى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، جاء الضربة الأخيرة لمركز مصر المتميز فى تجارة العصور الوسطى، وحطم الدعامة الثانية للاقتصاد المصرى، وهى تجارة العبور، وحرم مصر من أهم مصادر دخلها الخارجى[٢]، إذ بدأ يقل نشاط موانى البحر الأحمر وموانى البحر المتوسط المصرية[٣]. وإذا كان بعض الباحثين يركزون على اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كسبب منفرد فى إحداث التدهور الاقتصادى المصرى فى الدولة المملوكية، مرتكزين على أنه كان آخر الأحداث البارزة التى كان لها تأثير سلبى فى حياة الدولة المملوكية فى نهاية

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص٣٢٣ -٣٢٤، ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، ص٩٦-٩٧.محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية، ص٤٠

(٢) Younis, Bechir Iman: Die einwirkungen der Mamlukischen beziehungen zu Nubien und Begaland auf die Historische entwicklung dieser gebiete, Hamburg, 1971, p.60 .

(٣) نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص١٤٤

عهدها[١]، إلا أن كثيرا من الأزمات قد حدثت قبل اكتشاف طريــق رأس الرجــاء الصالح الذى لم يكتشف إلا فى أوائل القرن العاشر الهجرى أواخر الخامس عشــر الميلادى ــ مما يعنى أن هذا العامل كان أشبه بالقشة التى قصمت ظهر البعير .

السياســة النقـديــة :

كانت سياسة سلاطين الجراكسة النقدية والحركة المعدنية العالمية فى تلــك الفترة من بين الأسباب التى أدت إلى الأزمات الاقتصادية ، ويمكن توضيــح ذلــك من خلال العناصر التالية

١ - رواج الفلوس.
٢ - التدخل فى تحديد قيم تغيير العملة.
٣ - منع تداول العملات الأجنبية.
٤ - تهريب العملة خارج مصر.

١ـ رواج الفلوس

عندما تولى المماليك حكم مصر فى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ساروا على نهج أسلافهم الأيوبيين فى ضرب الدنانير الذهبية والدراهم الفضيــة والفلــوس النحاسية.[٢] ولم تزل هذه القاعدة ثابتة تقريبا إلى أن نضبت العملات الفضيــة فى بداية عصر دولة المماليك الجراكسة وحل محلها الفلوس[٣] ، التى أغرقــت الأسواق المحلية " وراجت رواجا صارت من أجله هى النقد الغالب فى البلد "[٤]، تباع ويقوم بها الأشياء وينسب إليها أثمان المبيعــات جليلــها وحقيرهــا وقيــم الأعمال، وبها يؤخذ خراج الأرض، وعشور أموال التجــارة، وعامــة مجــابى السلطان، وغير ذلك[٥]، وأصبحــت العملــة التــى يتقــاضى بــها الموظفــون

---

(١) فاروق عثمان : أثر تحول التجارة العالمية، ص ٤٨ ــ ٤٩ .
آمال أحمد حسن العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصــر المملوكــى، دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٤٢ .

(٢) Bacharach : The Dinar versus . P.80

(٣) Labib, Sobhi: Handelsgeschichte Agyptens im spaetmittelalter (1171-1517), Wiesbaden, 1965., P.271

(٤) المقريزى : إغاثة الأمة، ص ٧١ .

(٥) نفس المصدر، ص ٧٦، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦، جــ٤، ق٢، ص ٩٤٢ .
سعيد عاشور : أضواء جديدة على المؤرخ أحمد بن على المقريزى وكتاباته، عــالم الفكر، المجلد ١٤، ع٢، الكويت، ١٩٨٣، ص ١٩٥ .

مرتباتهم[١] لذا بدأ ما يطلق عليه بعض المؤرخين "رواج الفلوس"[٢]، أو ما يطلق عليه بعض الباحثين المحدثين "عصر النحاس"[٣] إشارة إلى المعدن الذى تسك منه الفلوس .

وإذا كان بعض المؤرخين يرجع سبب ذلك إلى استخدام الناس للفضة فى صنع الأوانى والحلى طلبا للفائدة[٤]، وإلى السياسة المالية التى اتخذها جمال الدين محمود بن على الاستادار طمعا فى جنى الأرباح لنفسه من خلال جلب النحاس الأحمر من بلاد الفرنجة[٥]، إلا أننا لا نستطيع تفسير ذلك بمعزل عن الحركة المعدنية العالمية فى تلك الفترة وحالة الفضة والذهب فى عالم العصور الوسطى ، فقد كانت توجد حركة واسعة النطاق للمعادن الثمينة فى شكل سبائك أو عملة متداولة من أوروبا الغربية إلى عالم البحر المتوسط فى تبادل مع المواد الخام والأشياء الكمالية التى كانت تستوردها من هناك.[٦] إلا أنه فى نهاية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى نقصت الفضة من البلدان الأوروبية وازداد الطلب عليها فى إيطاليا ، وارتفعت أسعارها فى نفس الوقت الذى زاد إنتاج مناجم النحاس فى بعض المناطق الأوروبية.[٧]

لذا انقطع ما كان يصل إلى مصر من الفضة من بلاد الفرنج[٨]، وزاد الطين بلة عندما قام بعض رجال الدولة بنقل ما تبقى من فضة فى مصر

(١) ابن إياس: بدائع، جـ١ ق٢، ص ٦٧٧، المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١١.
(٢) المقريزى : إغاثة، ص ٤٧ .
(٣) Ashtor : Asocial and Economic , P.305 Bacharach : Circassian Monetary Policy (Copper), JESHO, 19, part 1, 1976, , P.34 .
(٤) المقريزى : النقود القديمة والاسلامية، تحقيق رأفت محمد النبراوى، العصور، مج٣، جـ١، المملكة العربية السعودية، دار المريخ، ١٩٨٨، (١١٧ - ١٤٧) ص ١٤١ - ١٤٢.
(٥) المقريزى : إغاثة الأمة، ص ٧١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٩٤.
Bacharacn : Circassian Monetory policy, Copper , P.35 Circassian Monetary Policy (Silver), (NC 1971), , P.268
(٦) Levanoni : Aturning point, P.135. Shochan : From silver to copper : monetary changes in fifteenth - century Egypt , Stvdia Islamica , 32 , Paris , P.99 – 100 .
(٧) Ashtor : A social and Economic , P.305 , levanoni : Aturning point , P.135
Bacharach : Copper , P.34
(٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣، ص ٤٦٧ .

إلى أوروبا المتعطشة لها فى تلك الفترة فى مقابل استيراد كميات كبيرة من النحاس[١].

كما بدأت تقل العملات الذهبية من مصر لعدة أسباب أهمها :

١-قلة إنتاج بعض المناجم التى كانت تعتمد عليها مصر فى إمدادها بمعدن الذهب مثل مناجم النوبة[٢]

٢-تسببت أيضا ثورات العربان وبخاصة فى صعيد مصر فى انقطاع الذهب عن الحكم المملوكى وانهيار مركز عملته.[٣]

٣-على الرغم من الأزمات الاقتصادية العميقة فى عصر سلاطين الجراكسة إلا أن سلاطين المماليك وأمرائهم استمروا فى شراء المماليك، ولم يقوموا بمحاولات تخفيض البضائع الكمالية من بلدان البحر الأسود[٤]، بل استنزفوا رصيد البلاد من العملات الذهبية عن طريق استيرادهم حاجات الترف ومظاهر البذخ من الخارج[٥]، وعن طريق اكتنازهم للذهب[٦] لحمايتهم من تقلبات الزمن بدلا من استخدامه كوسيلة لتوسيع الإنتاج .

٤-كانت التجارة الخارجية من أكبر موارد الذهب لمصر المملوكية[٧] ، وبخاصة

---

(١) Levanoni : Aturning point , P.134 Lapidus : Muslim cities , p.30

(٢) أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٣٣ .

(٣) نفس المرجع، ص ٤٧٨ – ٤٧٩ .

(٤) Bacharach: The Dinar , p.80 Levanoni : Aturning point , P.136
Udovitch : England to Egypt , P.126 – 128 .

(٥) قاسم عبده قاسم : أحمد ابراهيم الهوارى : الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ١٠٨ .

(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٩٥، ٣٩٧ . أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٣٣ .
ويتضح ذلك أيضا من خلال الأموال المصادرة من كبار رجال الدولة مثل جمال الدين محمود بن على، وعلاء الدين بن الطبلاوى، وغيرهم .
انظر البيومى إسماعيل : مصادرة الأملاك، جـ٢، ملحق رقم (٣) .

(٧) Levanoni : Aturning point , P. 136 .

تلك التي كانت تدفعها المدن الإيطالية ثمنا للسلع الشرقية[١]، إلا أن جزءا من البهارات التي استوردت من الشرق كانت تستهلك في مصر بدلا أن تصدر إلى أوروبا وقد أدى ذلك إلى قلة الذهب الذي كان يجب أن يصل إلى مصر من أوربا في مقابل البهارات[٢]، ثم زادت هذه الأزمة حدة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وحدوث العجز في الميزان التجاري. [٣]

٥-تغير حركة معدن الذهب العالمية، فمنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر كان ذهب مالي يقسم إلى ثلاثة أقسام – على حد قول أحد الرحالة البنادقة الذي زار غرب أفريقية في عام ٨٦٠ ــ ٨٦١ هـ/ ١٤٥٥ - ١٤٥٦م... قسم يتجه إلى مصر وسورية ، وآخر يتجه إلى تونس وثالث يتجه إلى المدن الإيطالية عبر وهران وفاس ومراكش .

ونظرا لعدم وجود أي دليل على ازدياد إنتاج الذهب في غرب السودان فإن الكميات المتزايدة التي حصل عليها الأوروبيون لابد وأنها بالضرورة قللت نصيب مصر وسوريا من الذهب [٤] هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإنه بعد وصول البرتغاليين إلى ساحل غانا عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، بدأوا في مقايضة الأهالي بسلعهم على ذهب السودان، فبدأ هذا الذهب يتجه منذ ذلك الوقت إلى المحيط الأطلسي، وليس إلى البحر المتوسط، فشحت العملات الذهبية من مدن إيطاليا وبالتالي من مصر، وأدى ذلك إلى حدوث أزمة في عملة مصر الذهبية.[٥]

---

(١) تكشف الوثائق الأوروبية عن مئات الآلاف من النقود الذهبية – التي كان معظمها دوكات بندقية – كانت تصل إلى الشرق العربي مع التجار الغربيين لشراء التوابل وغيرها من البضائع، وكانت هذه النقود ٠تضرب نقودا ذهبية على الطراز الإسلامي .
هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور وسطى، جـ٣، ترجمة أحمد رضا ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٤ م، ص ٣١٤
Bacharach : The Dinar Versus ther Ducat . P.79

(٢) Levanoni : Aturning point , P.136

(٣) محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية، ص ٢٤٦ .

(٤) أشتور : التاريخ الاقتصادي، ص ٤١٨ .

(٥) نعيم زكي : طرق التجارة، ص ٣٦١، أحمد صادق : تاريخ مصر. ص ٤٣٣ .

مما سبق يتضح أن سلاطين المماليك عندما أغرقوا الأسواق بالعملات النحاسية كانوا يتبعون اتجاهات السوق [١] أولا، ثم يحققون المكاسب الشخصية ثانيا، أوأنهم وجدوا الظروف مواتية لهم من خلال حالة المعادن في عالم العصور الوسطى - لتحقيق مكاسب شخصية لهم . ومما يؤكد أنهم كانوا يتبعون اتجاهات السوق أيضا أنهم حاولوا أن يعودوا إلى الفضة بعدما وصل إلى أيديهم قدر محدود منها جلبه العسكر من بلاد الشام في رمضان ٨١٧هـ/نوفمبر ١٤١٤م[٢] وتم ضرب الدراهم المؤيدية، وتعامل الناس بها في ٢٤ صفر ٨١٨هـ/ ٥مايو ١٤١٥م[٣] .وأصبحت ذات جودة عالية [٤] . كما أنهم حاولوا جذب الواردات الفضية أو الذهبية إلى مصر لتأسيس نظام مالي قائم على هذين المعدنين الأساسيين من خلال فرض قدر معين من التوابل باسم التوابل السلطانية ليشتريها البنادقة بعملتهم الذهبية، كما فرضوا عليهم مقررا معينا من الفضة يوردونه لدار السكة كل سنة .[٥] إلا أن هذه المحاولات لم تنجح بشكل كبير بسبب أن سلاطين المماليك لم يهتموا بأصول المشكلة وهى نقص الإمداد الثابت للمعادن الثمينة إلى مصر[٦]، لذلك فإن سك أنصاف وأرباع الدراهم بدلا من الدرهم الكامل الوزن يدل على أن مخزون الفضة في دور السك المصرية قد تناقص.[٧]

٢ـ التدخل في تحديد قيم تغيير العملة :

أدى كثرة تدخل السلاطين المباشر في تحديد قيم تغيير أو تبادل العملة بما يتلاءم مع مصالحهم الشخصية[٨] إلى عدم ثبات العملة، إذ أنهم لم يتركوا قيمها لسياسة العرض والطلب وإنما كانوا يتدخلون في تحديد قيمتها، فغالبا ما كان

---

(١) Levanoni : Aturning point , P.135 .

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٨٧ - ٢٨٨، ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١٦.
Ashtor : Asocial Economic , P.323 .

(٣) المقريزى : كتاب النقود الإسلامية المسمى " شذور العقود في ذكر النقود " تحقيق محمد السيد على بحر العلوم، النجف، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٧، ص ٣٢، المقريزى : النقود (النبراوى)، ص ١٣٨ .
انظر أيضا الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٤٩ .

(٤) Lapidus : Muslim cities , P.32

(٥) نعيم زكى : طرق التجارة، ص ٣٦٢ .

(٦) Levanoni : Aturning point , P.135

(٧) Ashtor : Asocial Economic , P.324 .

(٨) Bacharach : The Dinar versus the Ducat , P.82 .

السلطان المملوكى يقرر سعر العملة الجديدة التى تضرب باسمه بسعر مرتفع، بينما ينادى على التى قبلها بسعر منخفض فتشترى بدار الضرب وتضرب ، وأثبتت هذه الإجراءات إخفاقها وأدت فى الغالب إلى الأزمات الاقتصادية (١)، إذ كثيرا ما تسبب خسائر كبيرة لأصحاب الثروات الذين كانت تصل خسارتهم بمقدار الثلث(٢)، كما كانت تتعطل الأسواق ويخشى الناس من التعامل بها .

وتزداد حدة الأزمة عندما تتكرر النداءات على فترات متقاربة إذ يحدث خللا فى النظام الاقتصادى ويترك عدم ثقة الناس فى ثبات العملة، فقد تغيرت قيمة الدينار بالنسبة للدرهم أكثر من خمس عشرة مرة خلال ثلاث سنوات من عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م إلى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. (٣)

وعندما أراد السلطان فرج أن يحقق ربحا لنفسه رفع سعر الرطل من الفلوس فى ٢٣ صفر ٨١٣هـ/٢٨ يونيه ١٤١٠م من ٦ دراهم إلى ١٢ درهما فغلقت الأسواق وتعطلت أسباب الناس، وفقد الخبز وغيره من المآكل، وعندما اضطر السلطان للتراجع فتحت الأسواق وعاد الأمر كما كان أولا (٤) . وكرر فرج المحاولة مرة أخرى فى ذى القعدة ٨١٤ هـ/فبراير ١٤١١م فنادى على الفلوس باثنى عشر درهما لكل رطل، فأغلقت الأسواق وقل الخبز حتى إن الناس كانوا يقتتلون على الأفران من أجله، ولم يتراجع السلطان عن ذلك إلا بعد أن توسط لديه أهل الحل والعقد . (٥)

وفى محاولة السلطان المؤيد شيخ لرد سعر الذهب والفضة إلى ما كان عليه فى أيام الظاهر برقوق (٦) ، أمر بترخيص الذهب والفضة عام ٨١٩هـ/١٤١٦م حتى وقع الضرر على كثير من الناس لانحطاط النقود بديار

---

(١) آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٨ .

(٢) عبد الرحمن فهمى : المسكوكات (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا وآخرون)، القاهرة تاريخها فنونها آثارها، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠ ص ٥٤٩.

(٣) انظر جدول ٢٥ .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ٤، ق١، ص ١٣٣ - ١٣٤، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٢٦٤ .

(٥) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ٢٩٢ .

(٦) نفس المصدر، ص ٣٦٨ .

مصر مع ثبات أسعار المبيعات وأجر الأعمال[1] . لأن تخفيض سعر العملة دون تخفيض مماثل فى أسعار السلع فيه غبن وظلم للناس .

ثم كرر المحاولة فى صفر ٨٢١هـ/مارس ١٤١٨م عندما نادى بتخفيض سعر الذهب والفضة، فهاج الناس واضطربت أحوالهم لما نزل بهم من الخسارة، ولم يلتفت السلطان إليهم واستمر الحال إلى أن أمر المحتسب بخفض أسعار السلع بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة، وأجبر أهل الأسواق على ذلك، وحددت نسبة أرباحهم بما لايزيد عن ٢% من قيمة السلعة، فتخوفوا من جلب البضائع، وكثرت الخسائر، وتوقفت أحوال الناس .[2]

كما أنه قام بتوزيع كميات كبيرة من الدنانير الذهبية بالقاهرة لشراء كميات من النحاس يضربها فلوسا بسكته ويبطل المعاملة السابقة، فنودى فى القاهرة من كان عنده فلوس فليحضرها إلى ديوان السلطان، وهدد من امتنع عن ذلك وحصل السلطان من وراء ذلك على ربح كبير[3]، كما حمل إلى الغربية مبلغ كبير من الذهب فى ربيع الأول ٨٢١ هـ / إبريل ١٤١٨م ليستبدل بالفلوس مما أدى إلى نزوح كثير من الأهالى إلى القاهرة فى طلب الفلوس، فزاد الطلب عليها وقل الطلب على الدينار، فانخفض سعره إلى ١٧٠ درهما[4]، بعدما كان فى صفر من نفس العام ٢٣٠ درهما.[5]

وعندما ضرب الظاهر جقمق دراهم جديدة منع المعاملة بالدراهم الأشرفية وقصر التعامل على دراهمه فقط، وهدد من يخالف ذلك فاضطرب الناس وتوقفت أحوالهم، وعندما سمح بالتعامل بالدراهم الأشرفية حدد سعرها بعشرين درهما فقط بينما رفع سعر الدراهم الظاهرية إلى أربعة وعشرين درهما، مما يعنى خسارة الذين يمتلكون الدراهم الأشرفية بنسبة ١٦,٥ % من قيمة أموالهم.[6]

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٦٤ .
(٢) نفس المصدر، ص٤٣٧، ٤٣٩ . الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص٤١٠ .
(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣٧، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٤، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٠٠ .
(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق١، ص ٤٣٩ .
(٥) نفس المصدر، ص ٤٣٧ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

وفى عصر السلطان إينال كثرت جريمة الغش فى المعاملات بتزييف النقود فى عصره ، لذلك قام بتخفيض قيمة الدينار إلى ٣٠٠ ثلاثمائة درهما بعد أن وصل سعره إلى ٣٧٠ درهما[١]. وكثرت الشائعات حول عزم السلطان ضرب عملة جديدة وإبطال المعاملة القديمة، فتخوف التجار من بيع ما عندهم من بضائع بالعملة القديمة (العتيقة) خوفا من نقصان أسعارها بعد صدور العملة الجديدة كما هى العادة المتبعة، وبالتالى قل المعروض من السلع فى الوقت الذى ازداد فيه تهافت الناس على شراء ما يحتاجونه بل ومالا يحتاجونه، فرغبة فى التخلص مما فى أيديهم من عملة قبل ظهور العملة الجديدة اضطروا إلى شراء بعض السلع الزائدة عن ضرورات حياتهم خوفا من الخسارة مما يعد استهلاكا فى غير موضعه، لذا ارتفعت أسعار القمح إلى ٤٧٠ درهما، وغلت أسعار كل شئ إلى ضعفه[٢].

وتمثل محاولات إينال بتسعير الفضة المغشوشة ــ وإن كانت بأقل من الدرهم الإينالى ــ اعترافا رسميا بشرعية التعامل بها وهو أمر غير سليم من الناحية الاقتصادية وله أضراره السلبية . ففى ١٨ ربيع الأول ٨٦١هـ/ ١٥فبراير ١٤٥٦م حدد السلطان سعر الدرهم من الفضة المغشوشة ١٨ درهما فلوسا، بينما الدرهم الإينالى ٢٤ درهما فلوسا. وبما أن العامة غالبا تكون معظم معاملاتهم مغشوشة لذلك ثاروا خوفا من خسارة أموالهم بنسبة ٢٥% [٣]، إلا أنهم خسروا أكثر عندما ارتفعت الأسعار بنسبة ٣٣% إذ وصل صرف الدينار إلى ٤٠٠ درهما بعد أن كان ٣٠٠ درهما[٤].

وعندما نادى السلطان الأشرف إينال فى أول ربيع الأول ٨٦٢هـ/ ١٧يناير ١٤٥٨م بتسعير الفضة المغشوشة كل درهم بستة عشر درهما، وأن يكون سعر الدرهم بأربعة وعشرين درهما نقرة فخسر الناس بذلك ثلث أموالهم (٣٣,٣ %).[٥] وتخفيف من حدة هذه الخسارة رسم السلطان بنقص أسعار كل البضائع بمقدار الثلث[٦]، فتم تعويض الناس خسارتهم فى المعاملة، ووقع العبء

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ٩٩، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٣٦ .
(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٩١ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٦، ص ١٠٤ .
(٤) نفس المصدر والصفحة .
(٥) نفس المصدر، ص ١١٥ .
(٦) نفس المصدر، ص ١١٦، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٤٤ .

على التجار، وتكررت خسائر الناس المالية وتوقفت أحوالهم من جــراء المنـاداة على العملة فى ذى الحجة ٨٦٩هـ/ يوليه ١٤٦٤م[١] و ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[٢].

وفى عام ٨٧٩هـ/١٤٧٤م ضرب السلطان قايتباى فلوساً جديدة وحـدد سعرها بقيمة أعلى من الفلوس العتق ليجنى الفرق بين السعرين فجعل كـل رطـل من الفلوس الجدد بست وثلاثين، بينما كان كل رطل من الفلـوس العتـق بأربعـة وعشرين ".فخسر الناس فى هذه الحركة الثلث من أموالها "[٣].

وفى عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م تعطلت الأسواق أكثر من مرة وقلت البضـائع بسبب الفلوس الجدد التى كانت غالباً ما تخسر فى المعاملة الثلث.[٤]

إن كثرة تدخل السلاطين فى عمليات السوق أفقدت السوق حريته وخلقـت جواً من عدم الاستقرار فى الأسواق لعدم ثبات العملة فزاد الارتباك فـى أحـوال البلاد الاقتصادية . لأنه فى معظم الأحيان كانت أسعار العملة التى يتم النداء عليـها من قبل السلطة الحاكمة تصبح أسعار السوق الفعلية نتيجة لما يتمتع به الممـاليك من قوة لفرضها.[٥] إلا أنه فى بعض الأحيان كان الصيارفة لا يعـيرون المنـاداة ــ التى يتم من خلالها تحديد قيمة العملة – اهتماماً فاستخفوا بما يُرسم لهم لعلمـهم " بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت "[٦]؛ فعلى الرغـم مـن النـداء بمنـع التعامل بالدراهم البندقية، والدراهم اللنكيـة[٧]، والقرمانيـة[٨] فـى ربيـع الأول ٨٣٢هـ/ ديسمبر ١٤٢٨م [٩]، إلا أن الصيارفة لم يعيروا ذلك اهتماماً بدليل إعـادة النداء مرة أخرى فى ١٠ شوال مــن نفـس العـام ــ ١٤يوليـه ١٤٢٩م [١٠] .

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥٠٣ .

(٢) نفس المصدر، ص ٦٧٥، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٠ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٠٥ .

(٤) نفس المصدر، جـ٤، ص ٢٠، ٢٤ .

(٥) Bacharach : The Dinar . P.82 .

(٦) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٧ .

(٧) من ضرب بلاد العجم .

(٨) ضرب بنى قرمان من أصحاب الروم .

(٩) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٧٩٣ .

(١٠) نفس المصدر، ص ٨٠٥ .

ثم تكرر النداء ثلاث مرات على نفس الأمر فى عام ٨٣٤ هـ/١٤٣٠م(١). كل هذه الأحداث خلقت جواً من عدم الاستقرار فى الأسواق لعدم ثبات العملة فزاد الارتباك فى أحوال البلاد الاقتصادية .

٣ـ منع تداول العملات الأجنبية :

حاول بعض سلاطين المماليك منع تداول العملات الأجنبية المنافسة للعملات المصرية، ففى محاولة برسباى إصلاح الخلل فى النظام النقدى فى عصره، والذى كان فى صالح العملات الأجنبية، شرع فى ضرب الدينار الأشرفى فى صفر ٨٢٩هـ/ديسمبر ١٤٢٥م ، ولكى يفسح المجال أمامه منع تداول الدينار الافرنتى(٢)، وألزم الناس بحمل ما عندهم من الإفرنتية إلى دار الضرب(٣)، فتعرضوا للخسارة المادية الكبيرة عند التبديل، حيث صار من يمتلك دنانير أفرنتية يحتاج استبدالها بدنانير أشرفية، وفى الوقت الذى كان فيه وزن الأشرفى قد بلغ ٣,٤١ جرام كانت نسبة الذهب به قد بلغت ٩٧% من نسبة الذهب بالدينار الأفرنتى الذى بلغ وزنه ٣,٥١ جرام، وبالتالى خسر أصحابها ٣% من قيمتها وتزداد نسبة الخسارة فى حالة انخفاض وزن وعيار الأشرفى(٤)، وهذا ما أوضحه المقريزى بقوله [فصار من عنده شئ من الإفرنتية يحتاج أن يتعوض بدله من الصيارفة دنانير أشرفية فيخسر فى كل دينار أفرنتى سبعة دراهم ونصف، إن كان نقصه قمحه وما زاد على القمحة فبحسابه، فتلفت أموال الناس بسبب ذلك، وربحت الصيارفة أرباحاً كثيرة "(٥).

وقد يكون ذلك من بين أسباب وقوع الغلاء بالديار المصرية(٦)، إذ ارتفع سعر القمح فى نفس الشهر (صفر ٨٢٩ هـ/ ديسمبر ١٤٢٥م) والذى يليه إلى

---

(١) نفس المصدر، ٨٥٢- ٨٥٣، ٩١٢ .
الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢١٧، ٢١٨، ٢٨٣ .

(٢) الدينار الأفرنتى : دنانير من ضرب فلورنسا ، وتسمى المشخصة لوجود صور أشخاص منقوشة عليها وأطلق عليه فى القاهرة اسم " فلورى " .
عبدالرحمن فهمى : المسكوكات، ص ٥٤٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٢٨٣ -٢٨٤، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٠٩ - ٧١٠ .

(٤) النبراوى : السكة الإسلامية، ص ٢٥٣.
Bacharach: The Dinar, P.88.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٧١٢ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٠٤ .

٣٠٠ درهم للأردب سوى كُلفه ٢٠ درهماً، بعد أن كان فى أواخر ٨٢٨ هـ / أكتوبر ١٤٢٥م بمائتى درهم [١] .

وعندما منع برسباى الناس فى ربيع الأول وشوال ٨٣٢هـ/ ديسمبر ١٤٢٨م ويوليو ١٤٢٩م من المعاملة بالدراهم البندقية، والدراهم اللنكية والقرمانية، فاستغل البعض الفرصة وتصدوا لشراء هذه الدراهم الممنوعة بأقل من قيمتها لعلمهم " بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت " فخسر الناس أموالاً كثيرة[٢]

ولذلك يرى البعض أن برسباى كان مسئولاً عن اضطراب العملة فى عهده لتدخله فى عيار الذهب والفضة، وإنقاصه وزنها مع الاحتفاظ بقيمتها الإسمية ومنع تداول النقد الأجنبى[٣].

ويمكن القول أن محاولات برسباى لإصلاح النقد تحمل عبئها عدد كبير من الناس وخلّفت وراءها بعض الأزمات إلا أنها حققت نجاحاً على المدى الطويل، وجعلت الدينار الأشرفى قادراً على مواجهة النقود الأجنبية[٤]، وأصبح من أحسن معاملات عصره، بل وتمنى اللاحقون لعضره بقاءه.[٥]

٤ـ تهريب العملة خارج مصر :

كان لتجار العملة (أو الصيارفة) دور بارز فى تهريب العملة خارج مصر وبخاصة إذا ما كان هناك بون شاسع بين سعر هذه العملة فى مصر والأقطار الأخرى، مما أثر فى أسعار النقد داخلها ، ومن ثم إحداث أزمة اقتصادية، فهم يسعون وراء تحقيق الأرباح الطائلة بغض النظر عن انعكاسات ذلك على الاقتصاد المصرى، ففى عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م حقق تجار العملة أرباحاً تزيد خمسة أضعاف عن متاجرتهم فى العملة داخل مصر وذلك بقيامهم بتهريب

---

(١) نفس المصدر، ص ٧١٠، ٧١٢ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٩٣، ٨٠٥، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٧، ٢١٧ .

(٣) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة، ص ٢٧٩، نعيم زكى : طرق التجارة، ص ٣٥٦ .

(٤) Bacharach : The Dinar , P. 77.

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٨٩ .

الفلوس من مصر إلى بلاد الحجاز واليمن والهند وبلاد المغرب بأسعار مرتفعة بلغ الرطل منها ثلاثين درهماً[1]، بينما كان فى مصر بستة دراهم.[2]

وفى محاولة السلطان برسباى مواجهة هذا النزف الخارجى للفلوس رفع سعرها بنسبة ٥٠% لتصبح تسعة دراهم لكل رطل، إلا أن هذا الإجراء لم يأت بالنتائج المرجوة.[3] فاضطر السلطان مرة أخرى فى رفع ثمن الفلوس تشجيعاً للناس على إخراج مدخراتهم – بعد شحهم – وطرحها للتداول ومنعاً لاستخدامها فى صناعة الأدوات المنزلية بأغلى من ثمن الفلوس، فرفع ثمن الرطل من الفلوس إلى ١٢ درهماً " فربح من كان عنده منها شئ وخسر من له مطالبات، فقد صار درهمه نصفاً "[4]

وظل سعر الفلوس يتصاعد حتى نودى عليه فى ٨ ربيع الآخر ٨٣٢هـ بثمانية عشر درهماً لكل رطل، وعلى الرغم من ذلك فالناس " متضررون من عدم وجود الفلوس " [5] ، ولعل ذلك كان سبباً فى رفع الأسعار فى نفس الشهر الذى تمت فيه المناداة، فبعد أن كانت الغلال كاسدة، ولم تجد من يطلبها فى ذى الحجة ٨٣١هـ/ سبتمبر ١٤٢٨م ، وبيع القمح بأقل من ٣٥٠ درهماً.[6] ارتفع سعرها فى ربيع الآخر ٨٣٢ هـ/ يناير ١٤٢٩م إلى ٥٠٠ درهم.[7]

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٤٢،

Ashtor : Asocial and Economic , P.325 .

(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٤ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٩٨ .

(٥) نفس المصدر، ص ٧٩٤، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٨ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٨٣ .

(٧) نفس المصدر، ص ٧٩٤، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٨ .

الفصل الثانى

الآثـــار الاقتصـــادية

- الزراعة وتربية الحيوان
- الصناعة والتجارة
- الموارد الماليــــة
- النظــــام النقدى
- الأسعــــار
- الأجـــــور

الزراعة وتربية الحيوان :

كانت الزراعة وتربية الحيوان من العناصر الأكثر تأثراً بالأزمات الاقتصادية والأوبئة بقدر ما كان انهيارها سبباً فى إحداث هذه الأزمات، ويمكن تناول ذلك من خلال العناصر التالية :

أ - مساحة الأرض الزراعية والإنتاج الزراعي.
ب- القيمة الايجارية للأرض الزراعية.
ج - أسعار بيع الأرض الزراعية .
د - نمط الملكية الزراعية.
هـ - تربية الحيوان.

أ- مساحة الأرض الزراعيـة :

نتج عن الأزمات الاقتصادية والأوبئة أن تقلصت المساحة المزروعة بدرجة كبيرة، فقد عانت الزراعة من نقص كبير فى الأيدى العاملة ووسائل الإنتاج نظراً لكثرة ماهلك من البشر والدواب، فضلاً عن تفشى ظاهرة هجرة الفلاحين من المزارع، ولم تُجْد فتيلاً سياسة المماليك، فى تخصيص موظفين رسميين لإرغام هؤلاء المهاجرين على العودة إلى قراهم [(١)]. فعلى الرغم من وفاء النيل عام ٨٠٧ هـ/١٤٠٤م إلا أن الأرض لم تجد من يزرعها لكثرة وفيات الفلاحين فى العام السابق [(٢)]، فقد مات من أهل مصر فى الغلاء والوباء نحو ثلثى الناس ففقدت الأرض زراعها وتقلصت المساحات المزروعة. [(٣)]

كما نتج عن الأزمات والأوبئة أن ارتفعت أسعار البذور، بل يقوم الناس – نظراً لحاجتهم الشديدة للطعام – باستهلاك البذور المعدة لزراعة العام القادم، فيأتى موعد الزراعة، والأرض مهيأة للزراعة، ولكن لا توجد البذور اللازمة للزراعة فتبور الأرض. [(٤)]

---

(١) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامى "طور الانهيار"، جـ٣، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٢م، ص ٥٦ – ٥٧.
(٢) ابن إياس: بدائع، جـ١ ق٢، ص ٧٢٤.
(٣) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٣، ص ١٥٢.
(٤) المقريزى: إغاثة، ص ٤٦، ٤٧.

لذا اقتصرت المساحة المزروعة على ٦٠٠ ألف فدان في حين أن الأرض الصالحة للزراعة كانت تبلغ ٢,٥ مليون فدان من قبل [١]، وكان الفارق بين المساحتين بعضه عامراً ثم خرب [٢].

ولم تقتصر هذه المساحات التي خربت على مناطق بعينها بل شملت كل أنحاء البلاد إذ تدمرت بلاد الفيوم، وخربت بلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية [٣]، وكانت صورة الخراب أشد في صعيد مصر فقد دثر العديد من قراه في عامي ٨٠٦هـ و ٨٠٧هـ/١٤٠٣ـ١٤٠٤م [٤]، واتسع الخراب في وباء ٨٠٨هـ/١٤٠٥م [٥].

وعلى الرغم من أن الأشرف برسباي عمّر في أيامه غالب قرى مصر قبليها وبحريها مما كان قد خرب في أزمة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وما تلاها [٦]، وأعاد حفر خليج الإسكندرية " الترعة الأشرفية " [٧]، إلا أن المساحة الكلية لم تصل إلى ما كانت عليه قبل عصر الجراكسة. [٨] ونتيجة لتكرار الأوبئة والأزمات في عصر الجراكسة هبط عدد القرى المأهولة بالسكان إلى ٢٣٠١ قرية عدا بلاد الجيزية [٩]، بعد أن كان عشرة آلاف قرية في العصر الفاطمي[١٠]، مما يعني الانخفاض الشديد في مساحة الأرض الزراعية.

---

(١) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٤٢٤ – ٤٢٥.

(٢) طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٦٤ .

(٣) ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٣، ص ١٥٢.

(٤) ابن إياس: بدائع، جـ١ ق٢، ص ٦٩٧، ٧٢٤، المقريزي: الخطط، جـ١، ص ١٩٨.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٣، ص٥٢.

(٦) نفس المصدر، جـ١٥، ص ١٠٩.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٤ ق ٢، ص٦٤١، ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١٧٤.

(٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ط٢، الإسكندرية ،دار المعارف، ١٩٦٩ .، ص ٥٢٢.

(٩) ذكر ابن الجيعان أن إجمالي قرى مصر خارجاً عن بلاد الديوان بالجيزية ٢١٦٣ قرية، ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ٣، إلا أن التفصيلات التي أوردها ابن الجيعان تختلف عن العدد الإجمالي وهي تبلغ ٢٣٠١ خارجاً عن بلاد الديوان بالجيزية، وأوضح أحد الباحثين أن عدد القرى في عام ٨٠٧ – ٨٣٨ هـ / ١٤٣٣ – ١٤٣٤م بلغت ٢١٧٠ قرية. Robert lopez : England to Egypt , p.115 .

(١٠) Ibid .

كما يؤكد انخفاض هذه المساحة كثرة عدد القرى التى تغيرت عبرتها فى مصر فى عصر الجراكسة لنقص مساحتها القابلة للزراعة أو لانخفاض إنتاجها أو لزوالها. فقد وصلت نسبة هذه القرى إلى ٢٣,٩٥% من عدد قرى مصر، وبينما كانت النسبة فى الوجه البحرى ٢٢,٥٦%، تزايدت هذه النسبة فى صعيد مصر إلى ٢٧,٢٨% [١]، كما أدى نقص المساحة المزروعة إلى ضعف الإنتاج الزراعى، وقد يكون انخفاض أعداد معاصر القصب فى اواخر عصر الجراكسة راجع إلى تدهور المساحات المزروعة بصفة عامة وليس دليلا على تغير نمط الزراعة أواتجاهه نحو محاصيل أخرى.

إن نظرة إلى الفارق الكبير فى خراج الأرض توضح مدى تقلص المساحة المزروعة وكذلك ضعف إنتاجيتها خلال عصر الجراكسة، ففى عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م بلغ الخراج حوالى ١٠,٨١٦,٥٨٤ ديناراً، ثم انخفض فى عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م إلى ٩ر٤٢٨ر٢٨٩ دينار، ثم انخفض إلى ١٩% فقط من هذه القيمة فوصل إلى ١٨٠٠٠٠٠ دينار بعد السيطرة العثمانية على مصر ٩٢٣هـ/١٥١٧م [٢] .

ب- القيمة الإيجارية للأرض الزراعية :

تختلف قيمة الإيجار تبعاً لخصوبة الأرض، وطريقة ريها، ونوع المحصول فضلاً عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء. وكثيراً ما استغلت أوقات الشدة والغلاء لرفع قيمة الإيجار للأرض الزراعية [٣].

ويوضح القلقشندى القيمة الايجارية للفدان فى بداية عصر الجراكسة (عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) وما يطرأ عليه من تغيير عندما تغلو الغلال وترتفع الأسعار:

فأرض الباق [٤] : كان إيجارها ٤٠ درهماً ثم تزداد القيمة الإيجارية عندما ترتفع الأسعار وتصبح أكثر من مائة درهم، وكذلك أرض

---

(١) Ibid .

(٢) Ibid , Levanoni , Aturning point , p.138

(٣) إبراهيم طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٤٠.

(٤) أرض الباق هى الأراضى التى تزرع إثر القرط والقطانى [أصناف البقول] والمقاتى حيث أن هذه الأصناف لاتجهد الأرض لذا تعد من أغلى الأراضى قيمة، وأوفاها سعراً، لأنها تصلح لزراعة القمح والكتان. ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص ٢٠١.

البرايب[1] كان إيجارها ٣٠ درهماً، ثم ارتفع إيجارها إلى ثمانين درهماً، وبلغت أرض البرش [2] نحو المائتين درهماً.[3]

وبعد أزمة ووباء ٨٠٦هـ وارتفاع الأسعار ازدادت القيمة الإيجارية للأرض الزراعيةأكثر من ذلك، إذ استغل خدم الأمراء ووكلائهم الفرصة وأرادوا التقرب إلى أمرائهم بزيادة إيراداتهم، فاستحضروا المستأجرين من الفلاحين وضاعفوا عليهم قيمة الإيجارات عاماً بعد عام حتى أن إيجار الفدان – بعد حوادث هذه الأزمة – صار عشرة أمثال ما كان عليه قبلها .[4]

فصار يؤخذ فى الباق عن كل فدان نحو ٤٠٠ درهم بعد ٤٠ درهماً [5]، ولا جَرَمَ أن هذا التزايد المستمر فى القيمة الإيجارية يؤدى أيضاً إلى أزمات أخرى مما يجعل النتائج تلتحم بالأسباب فى دورة كاملة.

وعندما فسدت العملة فى عام ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م قام المقطعون برفع القيمة الإيجارية للفدان لتعويض الفاقد بالنسبة لدخلهم فجعلوا كل فدان بستة أمثال ما كان عليه [6].

وإذا كانت الزيادات السابقة فى القيمةالإيجارية كانت تتم من قبل المقطعين أو وكلائهم إلا أنه عندما حدث الارتفاع الشديد فى الأسعار فى المحرم ٨١٩هـ/ مارس ١٤١٦م إلى ٩٠٠ درهم [7]، صدر مرسوم سلطانى بزيادة القيمة الإيجارية

---

(١) أرض البرايب هى الأراضى التى تزرع إثر القمح والشعير، وهى دون الباق، لأن الأرض تضعف بزراعة هذين الصنفين .
ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٢) أرض البرش عبارة عن أرض خلت من أثر ما زرع فيها للسنة الماضية. ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص٢٠٢.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٤٥٤.

(٤) المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٤٥- ٤٦.

(٥) بل ووصل إيجار الفدان من الأرض الخصبة إلى ٦٠٠درهم أى بزيادة قدرها خمسة عشر ضعفاً القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٥٤

(٦) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق ١، ص ٧٥٨. المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٨

(٧) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٤٢.

للفدان مبلغ مائتى درهم فيصير الفدان بستمائة درهم بعد أن كان بأربعمائة درهم[١]، وبالتالى فإن إيجار الفدان من الأرض الأكثر خصوبة تزيد عن هذا القدر.

وهذا يتسق مع قوانين العرض والطلب، إذ أنه عندما تحدث الأزمات الاقتصادية وبخاصة الناتجة عن انخفاض منسوب النيل أو عن فيضانه الشديد تقل المساحات القابلة للزراعة نتيجة لتشرق الأرض أو استبحارها، فيزداد الطلب على استئجارها وبالتالى ترتفع قيمتها الإيجارية .

كذلك يجب أن تتناسب القيمة الإيجارية مع أسعار الإنتاج ولذا فإنه على الرغم من أن المصادر لا تمدنا بتطور القيمة الإيجارية حتى نهاية العصر المملوكى، إلا أنه من المتوقع أن ترتفع القيمة الإيجارية أثناء الأزمات والأوبئة التالية وبخاصة فى أزمة عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م حيث بلغ متوسط سعر الإردب من القمح فى هذا العام إلى ١١٨٢,٥ درهما، مما يعنى أن إيجار الفدان فى هذا العام قد ارتفع عن هذا السعر، حيث إن النسبة بين القيمة الايجارية للفدان ومتوسط سعر إردب القمح تزيد غالبا عن واحد صحيح، كما هو موضح بالجدول .

(جدول ٢)

قيمة إيجار الأرض الزراعية

العام	متوسط سعر أردب القمح	قيمة الإيجار	قيمة الإيجار بالنسبة لسعر أردب القمح
٧٨٤ ــ ٧٩٠	٣٠,٣درهم	٤٠ درهم	١,٣
٨٠٦ ــ ٨١٠	٢٠٤,٣ درهم	٤٠٠ درهم	١,٩٥
٨١٩	٥٩٥ درهم	٦٠٠ درهم	١
٨٥٥	١١٨٢,٥ درهم	ــــ	

ج ـ أسعار بيع الأرض :

إن المصادر التاريخية تضن علينا بها، كما أن معظم وثائق بيع الأراضى الزراعية بعصر الجراكسة تذكر السعر الذى بيعت به الأرض الزراعية دون أن تحدد المساحة المباعة بالفدان وإنما تذكر نسبة الأرض المباعة من المساحة الكلية، [كأن يقال " بيع تسعة عشر قيراطا من أصل أربعة وعشرين قيراطا شائعا بمبلغ

(١) نفس المصدر، ص ٣٤٥.

٣٢٠٠ دينار أشرفى "] أو أن يقال " بيعت ستة أسهم وثلثا سهم من أصل أربعة وعشرين سهما شائعا فى أراضى ... بمبلغ ٥٤٠ دينار " (١).

أو أن يقال هذا تبايع شرعى لجميع الحصة التى قدرها نصف حصة وربع حصة وثمن حصة من أصل إثنا عشر حصة طينا سوادا شايعا فى أراضى ناحية ...... " (٢)

أما الوثائق التى تم تحديد المساحة بها والأسعار فإنها لا تكفى لإعطاء دلالة واضحة لمدى تأثر أسعار بيع الأرض بالأزمات الاقتصادية والأوبئة وذلك لعدة أسباب :

أولا : أنها لا تغطى فترة زمنية طويلة من عصر الجراكسة.

ثانيا : أن السنوات التى أرخت بها هذه الحجج (الوثائق) لم تذكر المصادر التاريخية التى تم الاطلاع عليها – أسعار السلع الغذائية بها سوى ما قاله ابن تغرى بردى فى عام ٨٦٣هـ، ووقع الغلاء فى جميع الأشياء " (٣).

ثالثا : أن هذه السنوات لم يحدث بها أوبئة، حتى أن الوباء الذى انتشر فى مصر فى ذى الحجة ٩١٨هـ، وظل مستمرا فى عام ٩١٩هـ تناقص فى ربيع الآخر (٤).، بينما كان تاريخ الحجة ٢١ جمادى الآخر ٩١٩ هـ.(٥)

وجدير بالذكر أن سعر بيع الأرض الزراعية يرتبط بجودتها ومدى خصوبتها وموقعها، كما يرتبط أيضا بمدى نفوذ البائع أو المشترى. وفوق ذلك يرتبط أيضا بالأزمات الاقتصادية إذ من المتوقع أن ترتفع أسعارها فى ظل التناقص المستمر للمساحة القابلة للزراعة فى عصر الجراكسة، والذى فشل سلاطين الجراكسة فى الحد منه(٦).

---

(١) حجة ٢٠٩ دفتر خانة، انظر أيضا السيدة زينب محمد محفوظ هنا: وثائق البيع فى مصر خلال العصر المملوكى ،دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٧٧ .، ص ٢٤٨ – ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤ ..

(٢) حجة ٢٤٤، دار الوثائق.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ ١٦، ص ١٣٠.

(٤) انظر جدول ٢٣.

(٥) حجة ٦٥ دفترخانة.

(٦) Lopez: England to Egypt. P. 116.

والجدول التالي يوضح سعر الفدان في السنوات التي تم ذكرها.

(جدول ٣)

أسعار بيع الأرض الزراعية

السنة	عدد الأفدنة / المكان	الثمن	سعر الفدان	المصدر
٨٦٣ هـ	٦٦,٣٣(سمرباية بالغربية)	١٢٠ دينار أشرفي	١,٨١	السيدة زينب: وثائق البيع ص٢٦٢
٨٦٧ هـ	٢٠٠٠(سمرباية بالغربية)	١٧٠٠دينار أشرفي	٨,٥	السيدة زينب: وثائق البيع ص٢٦٢
٨٦٧ هـ	٣٠٣ (العاقولة الكبري) بالفيوم	٦٦٠دينار أشرفي	٢,١٨	السيدة زينب وثائق البيع ص ٢٦٨
٨٧٩ هـ	٤٠٠قصبة(فدان) بظاهر الثغر السكندري	٥٢دينار أشرفي	٥٢	٦٧٦ دفترخانة
٨٨٣ هـ	٩٧,٢٩(سمرباية بالغربية)	٧٠دينار أشرفي	٠,٧٢	السيدة زينب: وثائق البيع ص٢٦٢
٩١٩ هـ	٥٨ (أراضي ناحية قليوب)	٤٠٠دينار أشرفي	٦,٩	٦٥ بيع دفتر خانة

ويتضح من الجدول السابق ما يلي :

١ - أن سعر الفدان قد اختلف في القرية الواحدة، فبينما كان سعر الفدان في " سمر باية " بالأعمال الغربية [١] بمبلغ ١,٨١ دينار أشرفي عام ٨٦٣ هـ/١٤٥٨م، ارتفع سعره عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م إلى ٨,٥ دينار أشرفي، ثم انخفض سعر الفدان عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م إلى ٠,٧٢ دينار أشرفي. وقد يكون سبب انخفاض سعر الفدان في هذه الحالة الأخيرة إلى أن هذه الأرض لم تكن ذات جودة عالية وبخاصة أن سمرباية كان بها خرس[٢]، ولم تمدنا

---

(١) ابن الجيعان: كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، تحقيق برنهارد موريتس، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، المجلد الخمسون، ١٩٩٢ م.، ص ٨١.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

المصادر التاريخية بأسعار للقمح فى هذه الأعوام حتى نتمكن من إدراك العلاقة بين أسعار السلع وسعر الفدان، وإن كانت فى الغالب علاقة طردية، كما لم يقع فى هذه السنوات أوبئة أيضا .

٢ - كما يتضح أيضا أن سعر الفدان فى ظاهر المدن غالبا ما يكون سعره مرتفعا إذ بلغ سعر ٤٠٠ قصبة [فدان] بظاهرالثغر السكندرى إلى ٥٢ دينار.

د ـ نمط حيازة الأرض الزراعية :

كانت الأراضى الزراعية فى عصر سلاطين المماليك تقسم إلى خمسة أقسام :

١- أراضى الديوان. ٢- أراضى الإقطاع ٣- الوقف.
٤- الرزق. ٥- الملكية الحرة .

أما بالنسبة لنصيب الأقسام السابقة من الأراضى فى عصر المماليك البحرية وبداية عصر الجراكسة، فإن القلقشندى يقرر أن القسمين الأوليين (الأراضى الديوانية وأراضى الإقطاع) تمثل كل الأرض ماعدا النزر اليسير مما يجرى فى الأوقاف ونحوها " مما لايعتد به لقلته " [(١)].

وكان آخر مسح للأرض الزراعية فى مصر أثناء الروك الناصرى قد أعطى السلطان الحق فى عشرة قراريط من الأراضى المصرية، فى حين أن الأربعة عشر قيراطا الأخرى كانت من حق الأمراء والأجناد[(٢)]. إلا أن الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى عصر الجراكسة كان لها دور فعال فى تغيير وضع الملكية

---

(١) القلقشندى: صبح، جـ٣، ص ٤٥٥ .

Halm, Heinz: Aegypten nach den mamlukischen Lehenstregistern, 1, Oberaegypten und das Fayyuem, Goettingen, 1979., P . 43-53

(٢) Rabie, H.M. : The size and value of the Iqta in Egypt (Cook : Studies in the Economic History of the Middle East from the Rise of Islam to the present day, London, 1970.,p137 .

Poliak : Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon 1250-1900. London, 1939.,p.24 .

Sato, Tsugitaka : The Evolution of the Iqta System under the Mamluks -An analysis of al-Rowk al-Husami and al-Rowk al-Nasiri, Memoirs of the Toyo Bunko, 37, 1979, ,p111

الزراعية حتى نهاية هذا العصر، ويتضح ذلك بصورة خاصة على الأراضي الإقطاعية، والملكية الحرة التي اتجه جزء كبير منها إلى الأوقاف.

أولا – الأراضي الإقطاعية : (١)

أدت كثرة الأوبئة وما خلفته من وفيات عدد كبير من الفلاحين وهجرة الكثيرين منهم إلى المدن تاركين قراهم، أدى ذلك إلى تخريب المزارع وتدهور إنتاجية الأرض الزراعية، فانخفضت عوائد الإقطاعات ــ لذا آثر بعض الأمراء والأجناد تقاضي الجوامك " الرواتب " بدلا من الإقطاع لكي يحافظوا على حياة الترف والبذخ التي عاشوها ما دام الإقطاع لم يعد يفي بمتطلباتهم (٢).

كما حرص أجناد الحلقة على التخلي عن إقطاعاتهم والاشتغال بالوظائف العامة، وهذا يفسر لماذا حاز بعض الحرفيين ضياعا (٣) وبخاصة وقت الأزمات والأوبئة (٤)، فكان ذلك من بين أسباب تدهور الإقطاع العسكري وتناقص مساحته.

وقد كانت زيادة معدل الوفيات أثناء الأوبئة من بين أسباب تزايد المنقلات الإقطاعية بين عدد كبير من الأمراء في وقت قصير. ففي وباء ٨٣٣هـ/١٤٢٩م انتقل الإقطاع الواحد إلى ستة أفراد (٥)، وأحيانا إلى تسعة أفراد من المماليك في مدة قصيرة (٦) " والكل يموتون بالطاعون " (٧).

---

(١) هي الأراضي التي تختص بالأمراء والأجناد، القلقشندي: صبح، جـ٣، ص ٤٥١.
Lapidus: A Histroy of Islamic Societies, New York, 1988, P. 354.

(٢) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، جـ٣، ص ٤١، ٥٦ – ٥٧. قاسم وآخر، الراوية التاريخية، ص ١٠٨ .
Michel, M.Bernard : L'organisation financiere de L'Egypte sous les Sultans Mamelouks d'apres Qalqachandi, Islamic Geography, 52, Frankfurt, 199?., p.241 Halm: Agypten , 1 , p.54

(٣) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، جـ ٣، ص٤١، ٥٧.
ضومط: الدولة المملوكية، ص ١٤٠.

(٤) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص٤٥٩.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٥، ص ١٦٥.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٨٢٧، الصيرفي: نزهة، جـ٣، ص ١٨٩
Ayalon : The plague and its effects upon the Mamluk army (Journal of the Royal Asiatic Society , part 1. London , 1946 ., P.72

(٧) ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٥، ص ١٦٥.

وفي وباء ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩م أدت وفاة بعض الأمراء (بالطاعون) إلى كثرة التغيير في الوظائف الإدارية وما يتبع ذلك من تنقل الإقطاعات بدرجة كبيرة. فبوفاة الأمير تشغر وظيفته وإقطاعه فيحصل أحد الأمراء على وظيفة المتوفى وإقطاعه تاركا وظيفته لأمير آخر ... وهكذا. ويذكر ابن تغرى بردى عددا من الأمراء الذين توفوا في صفر ٨٥٣ هـ/مارس ١٤٤٩م بالطاعون وما ترتب على ذلك من مناقلات إقطاعية.

ومن أمثلة ذلك في ٢٣ صفر ٨٥٣ هـ/١٨ابريل ١٤٤٩م أنعم السلطان بإقطاع الأمير قراخجا الحسنى ـــ بعد موته بالطاعون ـــ على الأمير " تنم " أمير مجلس، وأنعم بإقطاع " تنم " على الأمير " جرباش المحمدى الناصرى، وأنعم بإقطاع جرباش ووظيفته على الأمير سودون المحمدى المؤيدى " المعروف بسودون أتمجكى، وأنعم بإقطاع سودون أتمجكى على الأمير جانبك اليشبكى ".[١]

وقد تكررت حركة المناقلات الإقطاعية نتيجة الوفاة بالطاعون في وباء٨٦٤هـ /١٤٥٩م [٢]، وقد ساعد السلطان إينال في تحو يل إقطاعات ضحايا الوباء إلى مماليكه الأجلاب [٣] الذين استغلوا كثرة وفيات الأجناد ومرضهم من أصحاب الإقطاعات – فصاروا يتحسسون أخبار المرضى ممن بيدهم إقطاع للسيطرة عليه، وازداد الأمر سوءا عندما استغل الأجلاب هذا الوباء للسيطرة على إقطاعات القرانيص الأحياء مستغلين تساهل السلطان في ذلك، لذلك خرج إقطاع غالب الناس ـــ الحي والميت. [٤]

وبالغت الأجلاب في طلب الأقاطيع حتى صار بعضهم إذا كان له صاحب في صحة وسلامة ـــ أخذ إقطاعه وكتب به منشورا وأخفاه على أمل وفاة صاحبه في الطاعون. ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : " وهذا من أغرب ما رأيناه في هذا الوباء " [٥].

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٩٠ – ٣٩٢.

(٢) نفس المصدر ،جـ١٦، ص ١٤١.

(٣) ابن تغرى بردى: حوادث، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

(٤) نفس المصدر والصفحة، ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٦، ص ١٤٢ – ١٤٣ .
Dols : The Black death , P. 271 .

(٥) ابن تغرى بردى: حوادث، ص ٣٣٥ – ٣٣٦.

ونتيجة للإقطاعات التى خلت بوفيات المماليك بالطاعون فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ثارت فتنة كبيرة بين المماليك الجلبان بسبب تفرقة هذه الإقطاعات [١]. وأصبحت الفرصة متاحة للبعض بامتلاك عدد كبير من الإقطاعات ،بل إن صغار المماليك ــ المماليك الكتابية ــ الذين كانوا مازالوا يدرسون بالمدارس العسكرية استولوا على إقطاعات قبل أن يصبحوا فرسانا [٢] .

ولقد أثرت الأزمة المالية فى عام ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م فى زيادة نصيب المماليك الأجلاب من الإقطاعات على حساب أولاد الناس، فنتيجة لعدم قدرة الخزانة على الوفاء بمطالب المماليك الأجلاب ــ لجأ السلطان إلى إخراج إقطاعات أولاد الناس وتوزيعها على المماليك الأجلاب لاسترضائهم. [٣]

هذا التزايد فى المناقلات الإقطاعية – سواء كان نتيجة لأزمة أو وباء ــ جعل الفلاح يخضع لأكثر من سيد إقطاعى فى السنة الواحدة، وبالتالى تقديم إلتزامات لأكثر من شخص مما أضر بأحواله، كما أدى إلى تشتت أراضى الإقطاعى فى أكثر من مكان، فأصبح لا يوليها اهتماما فازداد الأمر سوءا.

ثانيا ـ الملكية الحرة :

يشير ابن الجيعان إلى حدوث عمليات البيع فى مساحات من الأراضى الزراعية من بيت المال تراوحت ما بين قرى بأكملها، ومساحات من قرى أخرى، فقد بيعت شنهور [من الأعمال القوصية] كاملة ومساحتها ٣٤٣٨ فدان من بيت المال [٤]. وبيع من أراضى أبو قرقاس [٥] ٤٠٠ فدان من بيت المال [٦]، وبيع من صنافير وكفرها [من الأعمال القليوبية] ٣٠ فدان [٧]، وبيع من ترسا وحصة بنى

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ٣، ص ٢٩٢ .
أحمد عبدالرازق، العلاقات الأسرية فى المصطلح المملوكى، القاهرة، المجلة التاريخية، مج ٢٣،١٩٧٦، ص ١٧١.

(٢) Ayalon: The plague ,p.72

(٣) ابن إياس: بدائع، جـ٣، ص ٣٥٩.

(٤) ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ١٩٤.

(٥) أبوقرقاص (من أعمال الأشمونين).

(٦) ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ١٧٤.

(٧) نفس المصدر، ص ١١.

قادوس [من الأعمال الجيزية] ٢٥٠ فدان (١)، كما بيع من الخندق (٢) [أحد أقاليم الضواحى] والقصير (٣) [من الأعمال القليوبية] مساحة من الأرض الزراعية من بيت المال لم يحدد ابن الجيعان مساحتها.

والمتأمل للتغييرات التى حدثت فى ملكية الأراضى، كما أوردها ابن الجيعان يشهد تغيرا كبيرا، ففى كثير من الحالات يشير إلى أن هذه الأراضى كانت للمقطعين والآن لهم وأوقاف وأملاك (٤)، أو كانت للمماليك والحلقة والآن لهم وأملاك وأوقاف ورزق (٥)، أو كانت للديوان الشريف والآن أملاك وأوقاف ورزق(٦)، مما يعنى أن نمط الملكية الزراعية قد تغير، فقد زادت الملكية الحرة بشكل واضح فى عصر الجراكسة (٧) .

ولكن ما مدى مسئولية الأزمات والأوبئة عن هذه البيوعات ؟

على الرغم من الإشارات المتعددة التى أوردها ابن الجيعان، والتى تدل على تغير نمط الملكية الزراعية إلا أنه لم يوضح فى أى السنوات تم هذا البيع أو هذا التغير مما جعل هناك صعوبة فى إدراك العلاقة أو معامل الارتباط بين حدوث الأزمات والأوبئة من ناحية، وبين عمليات البيع أو التغير فى الملكية التى ذكرها ابن الجيعان.

ولقد وردت بعض الإشارات الواضحة التى تؤكد قيام بعض السلاطين بالبيع من أملاك بيت المال عقب بعض الأزمات والأوبئة، فبعد أزمة عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م والتى استمر أثرها فيما تلاها من سنوات، وعندما اضطر السلطان للإنفاق على المماليك للسفر فى ٤ ذى القعدة ٨٠٧ هـ/٥ مايو ١٤٠٥م

---

(١) ابن الجيعان: التحفة السنية ص ١٤٢.
(٢) نفس المصدر، ص ٥.
(٣) نفس المصدر، ص ١١.
(٤) انظر نفس المصدر على سبيل المثال، ص ٣٧، ٥٣، ٥٩، ٨٩.
(٥) نفس المصدر، ص ١١، ١٥، ١٧، ٣٤.
(٦) نفس المصدر، ص ٦.
(٧) Ashtor : Miscellanea , Debat sur L evolution Economico- Sociale de L Egypte a la fin du Moyen age, Apropos d un livre Recent (Semenova, L. A. Salah addin et les Mamlouks en Egypt . Moscou . 1966, GESHO . vol 7 , part1 , Leiden ,1969 ,(pp. 102-112) . P. 104

والخزانة خاوية ــ اقترض مــن مال الأيتام، وعندما لم يستطع رد القرض اضطر إلى بيع أملاك بلد كامل من الجيزة لسداد هذا القرض. (١)

إلا أن هذه الإشارة غير كافية لإدراك العلاقة بين الأزمات والأوبئة من ناحية وعمليات البيع من ناحية أخرى، مما يجعل الباحث يلجأ إلــى محاولـة إدراك هذه العلاقة من خلال أعداد وثائق البيع من بيـت المـال فـى عصـر الجراكسة. (٢)

ويتضح من خلال جدول وثائق البيــع مــن بيـت المـال أن الأزمـات الاقتصادية والأوبئة في النصف الأول من عصـر الجراكسـة حتـى عـام ٨٥١ هــ/١٤٤٧م لم تؤثر بدرجة كبيرة فى عمليات البيع من بيت المال ،حيث إن هـذه العمليات كانت قليلة إلى حد ما فهى تمثل ٥٢ حالة فى مدة ٦٧ عاما بمتوسـط ٧٨, حالة فى كل عام (٣)، أى أقل من حالة واحدة فى العام.

ويبدو أنه منذ الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٥٢ هــ/١٤٤٨م وما تلاهـا من حدوث الشراقى العظيم ٨٥٤هــ/١٤٥٠م وأثر ذلك فى ارتفـاع الأسـعار الشديد الذى استمر حتى ربيع الثانى ٨٥٦هــ / ابريـل ١٤٥٢م(٤)، ومطالبـة المماليك السلطانية بمضاعفة الكسوة ــ فرض على السلطان الظاهر جقمق بيـع مساحات من أملاك بيت المال. إذ بلغت أعداد وثائق البيع من بيت المال فـى الفترة من ٨٥٢هــ/١٤٤٨م إلى ٨٥٦ هــ/١٤٥٢م ٢٤ وثيقـة بمتوسـط ٤,٨ حالة فى كل عام.

---

(١) المقريزى: السلوك، جــ ٣، ق٣، ص١١٥٦، ابن إياس: بدائع جــ١، ق٢، ص ٧١٦.

(٢) اعتمد الباحث على أعداد وثائق بيع أملاك بيت المال التى قام بدراسـتها البـاحث عماد غازى: دراسة دبلوماتية فى وثائق البيع من أملاك بيـت المـال فىعصـر المماليك الجراكسة، دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٩٥.

(٣) قد يكون هناك حالات بيع من بيت المال لم يتم العثور على وثائق لها فـى الوقـت الحالى أو فقدت وثائقها، يؤكد ذلك أنه على الرغم من إشارة المقريزى وابن تغـرى بردى عن بيع بلد كامل بالجيزة من بيت المال ٨٠٧هــ/١٤٠٤م، إلا أنه لم يوجـد وثيقة بيع من بيت المال فى هذا العام.

(٤) انظر جدول ٣٢ .

ويبدو أيضاً أن عدم قدرة الخزينة - لمدة طويلة - على دفع النفقة الكاملة للمماليك السلطانية [١]، ثم حدوث وباء وأزمة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م، وما تبع ذلك من عجز كبير في خزانة الدولة أعوام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م [٢]، ٨٦٧هـ/١٤٦٢م [٣] ٨٦٨هـ/١٤٦٣م [٤]، يبدو أن ذلك فرض على السلطة الحاكمة التصرف في أملاك بيت المال وبيعها لسد العجز في ميزانيتها، إذ بلغت عقود البيع من بيت المال في الفترة من ٨٦٣هـ إلى ٨٦٨ هـ حوالي ١١٥ وثيقة بيع، بمتوسط ١٩,١٧ حالة في كل عام.

(جدول ٤)

عدد وثائق البيع من بيت المال

نقلا عن عماد بدر الدين محمود غازى : وثائق البيع

السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع
٧٨٤		٨١٤		٨٤٤	٦	٨٧٤	١	٩٠٤	٤
٧٨٥		٨١٥		٨٤٥	١	٨٧٥	١	٩٠٥	٥
٧٨٦		٨١٦	١	٨٤٦		٨٧٦		٩٠٦	٣
٧٨٧		٨١٧		٨٤٧		٨٧٧	٢	٩٠٧	١١
٧٨٨		٨١٨		٨٤٨	١	٨٧٨		٩٠٨	١٧
٧٨٩		٨١٩		٨٤٩	٢	٨٧٩	١	٩٠٩	١٠
٧٩٠		٨٢٠		٨٥٠	٢	٨٨٠	١	٩١٠	١٣
٧٩١		٨٢١		٨٥١	٢	٨٨١	٣	٩١١	١٣
٧٩٢		٨٢٢		٨٥٢	٤	٨٨٢		٩١٢	٩
٧٩٣		٨٢٣		٨٥٣	١٠	٨٨٣	١	٩١٣	٦

---

(١) Ayalon , The system of payment in Mamluk military society, Journal of Economic and Social History of the Orient, 1, 183, Leiden, 1958. , P. 57

(٢) ابن تغرى بردى: حوادث، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) النوري: تحفة الظرفا، ص ٧٥٦.

(٤) ابن تغرى بردى: حوادث، ص ٤٥٨ -٤٥٩، ٤٦٥.

السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع	السنة	عدد وثائق البيع
٧٩٤		٨٢٤	١	٨٥٤	٥	٨٨٤		٩١٤	٢٢
٧٩٥	١	٨٢٥		٨٥٥	٤	٨٨٥		٩١٥	٩
٧٩٦		٨٢٦		٨٥٦	١	٨٨٦	٢	٩١٦	٨
٧٩٧		٨٢٧		٨٥٧	١٠	٨٨٧	٣	٩١٧	٨
٧٩٨		٨٢٨	١	٨٥٨	٧	٨٨٨		٩١٨	٨
٧٩٩		٨٢٩	١	٨٥٩	٧	٨٨٩	٢	٩١٩	١٤
٨٠٠		٨٣٠		٨٦٠	٥	٨٩٠	٤	٩٢٠	١١
٨٠١		٨٣١	٤	٨٦١	٩	٨٩١	٩	٩٢١	١٧
٨٠٢	٢	٨٣٢		٨٦٢	٤	٨٩٢	٢	٩٢٢	٧
٨٠٣		٨٣٣	٣	٨٦٣	٢٠	٨٩٣	٧		
٨٠٤	١	٨٣٤	١	٨٦٤	٣٩	٨٩٤	٧		
٨٠٥		٨٣٥		٨٦٥	١٨	٨٩٥			

أما الفترة من ٨٨٢ هـ/١٤٧٧م وحتى ٨٩١ هـ/١٤٨٦م وهى الفترة التى لم يحدث فيها وباء ولم تحدث فيها أزمة اقتصادية حادة تناقصت أعداد وثائق البيع، إذ بلغت فى تلك الفترة ٢١ وثيقة [١]، بمتوسط ٢,١ حالة فى كل عام .

وحاجة السلطان الغورى إلى المال دفعته إلى بيع كثير من أملاك بيت المال المعمور ليصرف ثمنه فى كلفة الغزاه والمجاهدين [٢]. إلا أنه أتخذ من العجز فى ميزانية بيت المال ستاراً يختفى وراءه لتملك أكبر مساحة من الأرض الزراعية من بيت المال بحجة درء الأعداء وكلفة الغزاه والمجاهدين، فتوسع فى البيع من أملاك بيت المال بما يزيد عن الحاجة، فقد كان يأمر ببيع الأراضى

---

(١) عماد أبو غازى: وثائق البيع، ص ٢٩٤ - ٢٩٦

* تم الاعتماد فقط على الأعداد التى أوردها.

(٢) عبد اللطيف إبراهيم على: دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراه ،آداب القاهرة، ١٩٥٦، ص ٢٩.

لبعض أمرائه وموظفيه ثم يقوم بشرائها مرة أخرى [١]، وهي الأراضي التي اوقف مساحات كبيرة منها على منشآته [٢]

مما سبق يتضح أن عجز خزانة الدولة ووجودها في أزمة شبه مستمرة وبخاصة في النصف الثاني من عصر الجراكسة اضطر السلطة الحاكمة إلى بيع مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية من بيت المال، وبالتالي إخراجها من الأراضي الديوانية أو الإقطاعية إلى الملكية الحرة ـ التي أصبحت أحد الموارد الأساسية لتكوين أراضي الوقف [٣]. ومن هنا يتأكد صدق رواية الاسحاقي الذي يؤكد في بداية السيطرة العثمانية على مصر أن أراضي الأوقاف التي هي في الأصل من ملك حر، أصبحت تشكل عشرة قراريط من أراضي مصر [٤]. أي بنسبة ٤١,٦٦%، فإذا ما أضيف إليها أراضي الرزق [٥] التي بلغت مساحتها حوالى٢,٤٦% من المساحة الكلية للأرض الزراعية بواقع ٥٩, من القيراط [٦]، وما بقي من أملاك حرة لاتضح لنا أن الأزمات الاقتصادية كانت سبباً في تغيير نمط الملكية الزراعية في أواخر عصر الجراكسة عما كان عليه الحال أولها .

---

(١) انظر فهرست وثائق القاهرة، ص ٢٤٢ مسلسل ٦٤٣ / ص ٢٤٨، مسلسل ٦٥٨، ٦٥٩ / ـ ص ٢٦٠ مسلسل٦٩٠ / ص ٢٦٤ مسلسل ٦٩٨ / ص ٢٦٥ مسلسل ٦٩٩ / ص ٣٠١ مسلسل ٨٠٢ / ص ٣٠٣ مسلسل ٨٠٥ / ص ٣١١ مسلسل ٨٢٩ / ص ٣١٤ مسلسل ٨٣٩/ ص ٣١٤ مسلسل ٨٤٠. انظر أيضا: محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠ .، ص ٣٠١ / عماد أبو غازي: وثائق البيع، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) بلغت وثائق وقف الغوري التي وصلتنا أكثر من مائتي وثيقة وقف رغم ما كانت تعانيه البلاد في عصره من فقر وفاقه . محمد أمين: الأوقاف، ص ٩١.

(٣) Johansen, B.: The Islamic law on land tax and rent, London, 1988., p.81
Fernandes, L.: The evolution of Asufi institution in Mamluk Egypt, The Khanqah, Berlin, 1988..p.46
تنص بعض وثائق الوقف صراحة على أن أصل ملكية العين الموقوفة مشتراة من بيت المال المعمور. انظر على سبيل المثال حجة ٢٤٢ دار الوثائق وكذلك محمد أمين: الأوقاف، ص٣٠٠.

(٤) انظر الأوقاف

(٥) أراضي الرزق. هي الأراضي التي يأخذ مغلها قوم من الناس على سبيل البر ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص٦١٩

(٦) أمين سامي تقويم النيل، ص١٢٦

(جدول ٥)

تقسيم الأراضى الزراعية فى مصر

نوع الأرض	روك لاجين ٦٩٥ هـ/١٢٩م	الروك الناصرى ٧١٥ هـ/١٣١٥	أواخر عصر الجراكسة
١- الأراضى السلطانية	٤	١٠	١٣,٤١
٢- الأمراء.	١٠	١٤	
٣ – الأجناد.	١٠		
٤- الملكية.	-		
٥- الأوقاف.	-		١٠
٦- الرزق.	-		,٥٩
	٢٤	٢٤	٢٤

هـ - تربية الحيوان :

تعرضت ثروة مصر الحيوانية فى كثير من الأوقات فى عصر الجراكسة للانهيار نتيجة للأوبئة المتعددة التى انتشرت فى هذا العصر، بعض هذه الأوبئة اقتصر على الحيوانات فقط مثلما حدث فى عام ٧٩٤هـ / ١٣٩١م، عندما انتشر الوباء فى الأبقار فقط [١]. وبعضها الآخر أصاب الحيوانات فى الوقت الذى أصاب فيه الإنسان مثلما هو عليه الحال فى أوبئة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م [٢]، ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م [٣]، ٨٤١هـ / ١٤٣٧م [٤]، ٨٩٧هـ / ١٤٩١م [٥].

ولقد أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة على تربية الحيوان بشكل مباشر من خلال إصابة هذه الحيوانات بالوباء، أو من خلال قلة المراعى وندرة الأعلاف

---

(١) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٤٧ .

(٢) المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٤٣ .

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص٦، ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٣٨ .

(٤) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٧ .

(٥) عبد العزيز محمود عبد الدايم: مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٩٦، ص ١٥٨ .

نتيجة لعدم زراعة الأرض أو انخفاض إنتاجها فتهلك الحيوانات، ففي وباء ٨١٦هـ / ١٤١٣م ماتت الجمال من قلة العلف [١]، وهلك نصف الجمال في عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م "من عدم ما يطعمونه للجمال" [٢].

ونتيجة لسرعة هبوط النيل وانتشار الشراقي في معظم أراضي مصر عام ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م، ارتفعت أسعار الفول والشعير، فشحت أنفس الفلاحين بعلف البهائم والأنعام، فكثر موت الجاموس[٣]، وهزل ما بقي من الغنم والبقر، وتعذر وجود اللحم[٤].

وفي وباء ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م هلك كثير من الحيوانات وبخاصة الأغنام والأبقار بسبب ندرة الأعلاف وغلو أسعارها، وانتشار الوباء بين الناس[٥]، ثم استمر الحال في عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م إذ ارتفعت أسعار الأعلاف بدرجة كبيرة[٦].

نتج عن هذه الأوبئة المتعددة، وهلاك الحيوانات من قلة الأعلاف أن تعطلت عمليات الحقل، ووسائل النقل التي كانت تعتمد عليها اعتمادا رئيسيا، بل وتعطل كثير من المعاصر والمطاحن التي كانت تدار بهذه الحيوانات، وأهدرت ثروة اقتصادية لها قيمتها وأهميتها.

كما نتج عن هذه الأوبئة أن ضعف الإنتاج الحيواني بصفة عامة، مثل الجلود والأصواف والألبان والجبن، وارتفعت أسعارها [٧].

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ٦.

(٢) مجهول: كتاب في التاريخ من ٨٧٣ حتى ٩٠٤ هـ، دار الكتب، ٥٦٣١ تاريخ، ميكروفيلم ١٤٦١٨، ورقة ٢٥.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٠٧، ٧٠٩ - ٧١٠، ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١٠٣.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٧١٠

(٥) ابن تغري بردي: النجوم، جـ١٥، ص ٤٠٣.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣١٢.

(٧) Conrad : Die pest. P.99

ولم تكن الحيوانات الداجنة والأسماك بمنأى عن تأثير هذه الأوبئـــة [1]، إذ انتشر بينها الوباء، وطفت كثير من الأسماك على وجه الماء ميتة فى وبــــاء ٨٣٣ هـــ / ١٤٢٩م [2].

وعلى الرغم من أن مصر كانت غنية بعسل النحـــل وشـــمعه [3]، إلا أن إنتاجها من العسل والشمع، تأثر بحدوث الأوبئة المتكررة. فإذا كان السبب الرئيسى للأوبئة هو تزايد الفئران ونقلها للجرثومة إلى الإنسان، فإن الفئران تعد العدو الأول للنحل [4]، لذا فإن سنوات الأوبئة غالبا ما تقل فيها أعداد خلايا النحل [5] هذا مـــن ناحية، ومن ناحية أخرى فإن لون العسل، وطعمه، ورائحته، وصفائه، وحلاوتــه " كل ذلك على قدر النبات الذى يجرسه النحل "[6] .

ولما كان وقت الأوبئة والجفاف تقل المراعى والأزهار التى يمتص النحـل رحيقها، فإن هذه المواصفات السابقة تنحو إلى الأردأ، كما يقل الإنتـــاج، أو يكـاد ينعدم، وترتفع أسعاره .

ففى وباء ٨٣١هـــ / ١٤٢٧م لم يكد يوجد عند قطاف عسل النحـــل منـــه شئ، وهلك النحل من قلة المراعى[7]، وكذلك فى وباء ٨٤١هــــ / ١٤٣٧م هلـك

---

(١) الصيرفى: نزهة النفوس، جـــــ٣، ص ١٩١، ابـــن إيـــاس: بدائـــع، جـــــ٤، ص ١٤٩ .

(٢) المقريزى: السلوك، جـــ٤، ق٢، ص ٨٢٥، القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى): أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، القاهرة، مكتب المتنبـى، د.ت، ص ٢١٢، ابن تغرى بردى: النجوم، جـــ١٤، ص ٣٣٩ .

(٣) Wolfgang : Ägypten , P.67.

(٤) المقريزى: نحل عبر النحل، ص ٦٥ .

(٥) أوضح المقريزى أن الوضع الطبيعى لخلايا النحل أن يموت فى السنة على الأكـــثر ٢٠% منه، المقريزى: نحل عبر النحل، ص ٧٤، إلا أن هذه النسبة تـــتزايد فـــى سنوات الوباء .

(٦) المقريزى: نحل عبر النحل، تحقيق عبد المجيـد ديـاب، القـاهرة، دار الفضيلـة، ١٩٩٧، ص ٧٥

(٧) المقريزى: السلوك: جـــ٤، ق٢، ص ٧٧٩.

النحل (١) وارتفعت أسعار العسل بدرجة كبيرة فى عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م لقلة مازرع من البرسيم الأخضر(٢) وضعف إنتاجه (٣) .

الصناعة والتجارة :

الحرف والصناعات :

كانت الأزمات الاقتصادية والأوبئة أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى تقهقر الصناعة، وبصفة خاصة تلك التى ضربت البلاد فى بداية القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى. فالصحوة السكانية التى حدثت فى أوربا بعد الموت الأسود ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م والتى أدت إلى تعويض الخسائر الاقتصادية (٤)، لم تحدث فى مصر فى عصر الجراكسة، حيث إن كثرة الأوبئة وشدتها قد منع إمكانية حدوث أى صحوة اقتصادية مما جعل الاقتصاد المصرى يدخل فى سلسلة حلزونية من النقصان، إذ تحول كثير من المصانع إلى أماكن سكنية أو مخازن للغلال (٥)، بعد أن هجر كثير من أصحاب المصانع مصانعهم لإفلاسهم وعدم قدرتهم على إدارتها، ولم يكن فى مقدور السلاطين إعادة فتح هذه المصانع من جديد، إما بتهيئة الظروف المناسبة لأرباب الصناعات، أو بفتحها لحسابهم الخاص (٦) .

وقد كانت **صناعة النسيج** من أهم الصناعات التى تأثرت بذلك، إذ لم يعد يتردد أسماء كثير من البلاد التى كانت تنتج أفخر أنواع الثياب مثل تنيس، ودبيق،

---

(١) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص٤١٧ .

(٢) أجود مراعى النحل القرط (وهو نبات عشبى كلئى يماثل البرسيم) المقريزى: نحل عبر النحل، ص ٧٤ والجلبان.
محمد الحبيب الهيلة: النظم الإدارية بمصر فى القر ن التاسع الهجرى من خلال كتاب روضة الأديب ونزهية الأريب لمحمد بن إبراهيم بن ظهير الحنفى الحموى، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، جـ ٣، القاهرة، دار الكتب، ١٩٧١، ص ١٠٨٨.

(٣) السخاوى: التبر المسبوك، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٤) Levanoni : Aturning point , P. 137.

(٥) Ashtor : The Economic Decline of the middle East during the later Middle Ages - An Outline, Asian and African studies 15, Haifa, 1981. , p.272 Ashtor : The Ascendancy of venice , P. 204
ضومط: الدولة المملوكية، ص ١٥٨

(٦) ضومط: الدولة المملوكية، ص ١٥٩ .

وشطا، وفقدت الإسكندرية شهرتها كمركز صناعى ممتاز للثياب الفاخرة [١]، بعد أن أغلقت دار الطراز بها فى عهد برسباى [٢]. وبعد أن تناقص عدد مصانع النسيج بها، فطبقا لنتائج الإحصاء الذى قامت به السلطات المملوكية فإن عدد الأنوال فى الإسكندرية قد انحدر من ١٤ ألف فى نهاية القرن الثامن الهجرى إلى ٨٠٠ فقط فى عام ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٤م [٣]. أى أنه لم يبق سوى ٥,٧% من عدد الأنوال التى كانت موجودة فى نهاية القرن الثامن الهجرى .

كما أدت الأزمات الاقتصادية والأوبئة إلى زيادة تكاليف الإنتاج للمنتجات الصناعية المصرية وذلك من خلال زيادة أجور العمالة والتى كانت فى حد ذاتها نتيجة لنقص الأيدى العاملة التى تعقب الأوبئة [٤]، بالإضافة إلى الصعوبة البالغة فى الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة مثل ألياف الكتان التى ارتفعت أسعارها وقت الأزمات بدرجة كبيرة، إذ زاد سعر الرطل من الكتان فى الفترة من المحرم ٨٠٦ هـ/ يوليو ١٤٠٣م إلى المحرم ٨١٦هـ إبريل ١٤١٣م إلى عشرة أضعاف [٥]، وانخفض إنتاج الأصواف بعد هلاك الأغنام وقت الأوبئة [٦]. هذا بالإضافة إلى ارتفاع أسعار الأصباغ التى كان يجب استيرادها من أوربا [٧] وبدلا من أن تقوم السلطة بتنشيط الصناعة المصرية وحمايتها من المنافسة الأجنبية، اتجه

---

(١) هايد: تاريخ التجارة، جـ٣، ص ٣١٧، حسن محمد نور عبد النور: السجاد المملوكى (دراسة أثرية فنية فى ضوء مجموعة متحف الفن والصناعة بفيينا والتى يبلغ عددها ١٥٩ سجادة، دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١. ص ٣١٦

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٣٩٢، محمد أمين: التنظيمات الحكومية، ص ٢١٨

Wiener, Muller.M.: Eine Stadtgeschichte Alexandrias von 564-1169 bis in die Mitte des 9/15 Jahrhunderts, Berlin, 1992., P. 239

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٠٩، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص٢٧٩

Muller :Op. Cit, P. 239 Ashtor : The Ascendancy of venice , P. 204 .

(٤) Ashtor : The Economic decline , p 274

Levononi : Aturning point , P. 139 .

(٥) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٧٨، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٦.

(٦) Conrad : Die pest , p99

(٧) Ashtor : The Ascendancy of venice, P. 200

المماليك انفسهم إلى تفضيل الأقمشة المستوردة [١]، مما أفضى فى النهاية إلى أن ازدادت صناعة المنسوجات وهنا على وهن

وأدى الضعف الاقتصادى الذى أصاب معظم فئات المجتمع وقت الأزمات والأوبئة وما تركه من انخفاض مستوى المعيشة إلى توقف أغلب المصريين فى القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى عن ارتداء الملابس المرتفعة الأسعار، لذا كان يجب على مصانع النسيج أن تقوم بإنتاج ملابس بسيطة وبأقل ثمن، فقلت صناعة الملابس الحريرية والأقمشة النفيسة الأخرى، وزادت صناعة الأقمشة الصوفية الخشنة، وملابس أقل ثمنا تتلاءم مع دخل معظم فئات المجتمع[٢].

ولقد تركت الأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرها على الحرف التى ترتبط بصناعة النسيج، فبينما نجد بعض الحرف تزدهر وتنشط، نجد كثيرا من الحرف تخبو وتضمحل، ففى وقت الأزمات تزدهر حرفة الصباغة، والرفا، وذلك لضعف القدرة الشرائية لكثير من الناس على شراء الجديد من الملابس، وبالتالى يتجهون إلى صبغ ملابسهم القديمة أو مداواة عيوبها. وعلى العكس من ذلك نجد كثيرا من الحرف يضعف نشاطها مثل حرفة الخياطة، والفرائين [٣]، والحريريين [٤]، والبزازين [٥] لعدم القدرة على شرائها. وكذلك البابية الذين يقومون بغسل الثياب وكيها، حيث لم يعد أبناء الشرائح الاجتماعية ميسورة الحال قادرين على إرسال ثيابهم ومفروشاتهم إلى البابية لغسلها وكيها [٦].

أما الذين يبيعون لوازم النسيج كالمغازل والكتان، فقد أغلقت حوانيتهم فى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م إذ خرب سوق الجملون الصغير، وسويقة أمير الجيوش التى تختص بهذه الحرف، وعندما عمر بعضها لم يعد إلى حالته

---

(١) محمد أمين صالح: التنظيمات الحكومية، ص ٢٤١ .

(٢) Ashtor: L Evolution des prix dans le procheorient a la Basse – Epoque, JESHO, vol 4, part 1, Leiden, 1961, P. 45

آشتور: التاريخ الاقتصادى، ص ٣٩٠.

(٣) الفرائون: الذين يبيعون الفراء .

(٤) الحريريون: الذين يبيعون الحرير

(٥) البزازون: الذين يبيعون الثياب.

انظر المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٠١. الشيزرى: نهاية الرتبة، ص ٦١ .

(٦) نفس المصدر والصفحة، قاسم: دراسات، ص ١٢٦ .

الأولى[1]، كما خربت قيسارية الصبانة التي كانت تحتوى على مصاطب برسم الخياطين، وأصبحت غير مسكونة على حد قول ابن دقماق [2]، وتلاشى أمر قيسارية طاشتمر[3]، التى كان يسكنها " عقادو الأزرار" فى عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م .

كما تدهورت الصناعات الغذائية والحرف المرتبطة بها، ويأتى على رأس هذه الصناعات صناعة السكر، التي خربت مصانعها فى الوجهين القبلى والبحرى، فالفسطاط وحدها كانت تحتوى على ستة وستين مطبخا من مطابخ السكر العامرة فى عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م [4] أحصى ابن دقماق منها ثمانية وخمسين مطبخا [5]، غير أن هذه الصناعة تدهورت فلم يبق منها فى بداية القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى سوى ١٩ مصنعا فقط قائمة بالإنتاج، أما بقيتها فقد توقفت خمسة منها تماما عن العمل، وتعمل خمسة أخرى فى إنتاج غير السكر، أى غيرت نشاطها، وسبعة عشر مصنعا استعملت مساكن ومستودعات للملح والفحم، ولم يعرف مصير الإثنى عشر الباقية [6]. كما تدهورت هذه الصناعة أيضا فى " سمهود" [7] فبعد أن كان بها سبعة عشر حجرا لاعتصار قصب السكر نجد أن ابن دقماق وابن ظهيرة يتحدثان عنها بصيغة الماضى " يقال إنه كان بها سبعة عشر حجرا " [8] مما يعنى أنها لم تعد موجودة فى عصرهما .

وقد يرجع هذا التناقص المستمر فى أعداد معاصر القصب ومصانع السكر إلى قيام السلاطين والأمراء إلى فرض أسعار خاصة للسكر [9]، بالإضافة إلى

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٠١ .

(٢) آمال أحمد حسن العمرى: المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى، دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٣٦ .

(٣) أنشأها الأمير طاشتمر فى أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة: المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩١ .

(٤) المقريزى: الخطط، جـ١، ص ٣٤٣ .

(٥) قاسم: دراسات، ص ١٢١ .

(٦) ضومط: الدولة المملوكية، ص ١٦٥، محمد أمين صالح: التنظيمات الحكومية، ص ٢١٨.

(٧) مدينة بالجانب الغربى من النيل، مركز نجع حمادى محافظة قنا .

(٨) عاصم محمد: مراكز الصناعة، ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

(٩) Ashtor : Levantine Sugar Industry in the later Middle Ages-An Example of Technological Decline, Israel Oriental studies 7. Tel Aviv, 1977., P.236

نقصان القوى البشرية الناتجة عن الأوبئة (١)، وخراب الدواليب فى أزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، وانخفاض المساحة المزروعة بقصب السكر، وبالتالى قلة اعتصاره وعدم كفاية الناتج من القصب لتشغيل مابقى من الدواليب (٢)، يضاف إلى ما سبق انتشار الأوبئة فى الحيوانات، وارتفاع أسعار الأعلاف وقت الأزمات مما أدى إلى تعطيل كثير من معاصر القصب (٣) .

أدت هذه العوامل السابقة مجتمعة إلى ضعف إنتاج السكر المصرى، وفساد نوعيته وارتفاع أسعاره، فى الوقت الذى زاد فيه منافسة السكر المصنع فى قبرص وصقلية (٤) ولذا بعد أن كان الإنتاج من السكر المصرى يصدر إلى دول البحر المتوسط وغيرها من دول أوربا (٥) أصبح فى مرحلة أفول، وبدأت هذه الدول فى استيراد كميات كبيرة من قبرص وصقلية، ومن المحتمل أيضا من أسبانيا(٦) .

وكما ظهرت صناعات بديلة للمنسوجات مرتفعة الأسعار، عمد الأهالى أيضا فى مصر إلى صناعة بديلة للسكر بعد خراب مصانعه وارتفاع أسعاره، فقاموا باستخراج النيد من القمح، وراجت تلك الصناعة فى جميع أرجاء مصر لرخص ثمنها، كما استعمل البعض منهم العسل المستورد من أوربا (٧). وتأثرت صناعة الحلوى بخراب مصانع السكر بالوجهين القبلى والبحرى بعد أن مات أكثر صناعها فى وباء ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م (٨)، ويبدو أن صناعة الحلوى قد توقفت تماما فى موسم سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م إذ لم يعرض منها شئ بالأسواق (٩)، ولذا خبا " سوق الحلاويين " بعد أن كان أبهج الأسواق يعج بالحلوى المتعددة الألوان (١٠)

---

(١) Levanoni : Aturning point, P. 141
Ashtor : The Ascendancy of venice, P. 200

(٢) المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٨٣ .

(٣) السخاوى: التبر المسبوك، ص ٣١٢ .

(٤) Levanoni : Aturning point, P. 141 .

(٥) Ashtor : Levantine sugar industry, P. 235

(٦) Levanoni : Aturning point, P. 141 .

(٧) ضومط: الدولة المملوكية، ص ١٦٦ .

(٨) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٩ .

(٩) نفس المصدر، ص ١٠٠ .

(١٠) نفس المصدر، ص٩٩، Subhi Labib : Handelsgeschichte, P. 297 .

والخراب الذى عم المعاصر فى عصر الجراكسة لم يقتصر على معاصر قصب السكر فقط وإنما شمل معاصر الزيوت أيضا [١] .

وتدهورت صناعة طحن الغلال بعد أزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، إذ أغلقت ٨٠ مطحنة فى منطقة واحدة لعدم الحاجة لمثل هذا العدد الكبير من المطاحن [٢] بعد أن تناقص أعداد المستهلكين وما يترتب على ذلك من اضمحلال حرف الطحانين، والفرانين، والخبازين .

وفى وقت الأوبئة التى تصيب الحيوانات تكاد تختفى الحرف القائمة على الإنتاج الحيوانى، مثل الجبانين واللبانين [٣] والقصابين، والكبابجية، وبياعى اللحوم والطباخين، والشوايين، والبواردية، والنقانقيين، فبعد أن كانت الأسواق المتخصصة فى بيع هذه الأشيا، عامرة خرب أكثر حوانيتها وتعطل بعد عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، ومن ذلك سوق باب الفتوح [٤]، وسوق خان الرواسين [٥]، وسويقة الصاحب [٦]، وسوق حارة برجوان الذى خرب أكثر حوانيته " وصار أوحش من وتد فى قاع بعد أن كان الإنسان لا يستطيع أن يمر فيه من ازدحام الناس ليلا ونهارا إلا بمشقة " [٧] واختل سوق البند قانيين – الذى كان يضم كثيرا من بائعى المأكولات وتلاشى أمره بعد عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م [٨]، كما خرب سوق الشوايين فى نفس الفترة [٩] .

وبصفة عامة فقد تغيرت الحالة التى كان يصفها المقريزى، فبعد أن كان الناس يفاخرون بمصر سائر البلاد من كثرة ما يرمى على الكيمان والمزابل من الشقاف الحمر التى يوضع فيها اللبن والجبن – اختل حال القصبة وخرب بعد عام

---

(١) عاصم محمد: مراكز الصناعة، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢) أشتور: التاريخ الاقتصادى، ص ٣٨٨ .

(٣) Conrad : Die pest , P. 99

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٥ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) نفس المصدر، ص ١٠٤.

(٧) نفس المصدر، ص ٩٥ – ٩٦ .

(٨) نفس المصدر، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٩) نفس المصدر، ص ١٠٠ .

٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م وتعطل أكثر ما تشتمل عليه من الحوانيت بعد أن كانت مع سـعتها تضيق بالباعة [١] مما يوضح ضعف معدل الاستهلاك اليومى للمواد الغذائية.

وما حدث لصناعة المنسوجات والصناعات الغذائية يصدق علـى كافـة الحرف والصناعات الأخرى، وهو بدوره انعكاس لمدى التدهور الـذى تضـافرت عدة عوامل لصنعه [٢] .

أما بالنسبة للصناعات الترفية فإن الاستهلاك الترفى كان سـمة اجتماعيـة واضحة فى عصر المماليك البحرية، ساعد على ذلك أن المجتمع كان يعيـش فـترة نمو وازدهار [٣]، ولكن بعد أن تعرض هذا المجتمع فى عصر الجراكسة لكثير مـن الهزات الاقتصادية والأوبئة، فإن صناعات الترف مثل صناعة الحوائص والمـهاميز والسروج والنحاس المكفت قد شاهدت تدهوراً ملحوظاً نظـرا لانخفـاض مسـتوى المعيشة، إذ أصبحت الطبقة الوسطى غير قادرة ماديا علـى شـراء المنتجـات ذات الجودة العالية والمرتفعة الأسعار [٤]، واضطر الناس إلى الاكتفاء بالضروريات [٥] .

فبعد أن كان المهماز فى عصر المماليك البحرية وبدايـة عصـر الجراكسـة يصنع في غالبه من الذهب الخالص والفضة الخالصة أصبـح فـى أواخـر عصـر الجراكسة لايكاد يوجد مهماز واحد من الذهب، بل فى أحسن حالاته يطلى بالذهب، كما بطلت البدلات الفضة التى كانت برسم لجم الخيـل، كمـا بطلـت السلاسـل الفضيـة والمخاطم الفضية التى كان يزداد الطلب عليها قبل المحن من الأعيان وعلية القوم [٦].

ولقد تأثر سوق اللجميين أيضا بأزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م فبعد ما كان يحـوى عدداً كبيراً من الطلائيين وصناع الكفت ورسم اللجم والركب والمهاميز وعـدة مـن صناع السروج تلاشى هذا السوق وقل صناعه بعد ما غلب على الناس الفقر [٧].

---

(١) نفس المصدر، ص ٩٥، قاسم: دراسات، ص ١٢٠ .

(٢) قاسم: دراسات، ص ١٢٣ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) Ashtor : The Ascandancy of venice, P. 202 .

(٥) قاسم: دراسات، ص ١٧٧ .

(٦) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٧- ٩٨ .

(٧) نفس المصدر، ص ٩٨ .

وتغيرت أنشطة بعض الأسواق لكي تتلاءم مع الوضع الجديد، فبعد أن كان سوق الحوائصيين تباع فيه حوائص الأجناد المصنوعة من الذهب والفضة، والمرصعة بالجواهر، تغير نشاطها وصار أكثر حوانيتها يباع فيها الطواقي (١) .

كما تأثرت صناعة الفراء، والشمع الذى قل استعماله على أثر الأزمات الاقتصادية التى ضربت البلاد فاستعيض عن الشمع بالسرج، ولم يبق بسوق الشماعين سوى خمسة حوانيت فقط بعدما كانت تزيد على عشرين حانوتاً (٢). وتلاشى سوق العنبريين أيضا بعد أزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م بعد أن قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر (٣) .

مما سبق يمكن القول إن الأزمات الاقتصادية والأوبئة تركت بصماتها واضحة على كثير من الحرف والصناعات، فأدت إلى اضمحلالها أو تلاشيها، إلا أنها كانت أكثر تأثيراً على الحرف والصناعات الكمالية التى ارتبطت بحياة القصور والطبقة الحاكمة أكثر من تأثيرها بالحرف والصناعات التى كانت ترتبط بالحياة اليومية والتى تخدم عامة الناس .

وبصفة عامة فإن اضمحلال بعض الحرف أو قلة أعداد القائمين بها وقت الأزمات والأوبئة لا يعنى القضاء عليها تماماً أو عدم وجودها، بدليل استعانة السلطان سليم الأول – بعد دخوله مصر بأرباب الحرف والصناعات من خمسين مهنة أو حرفة تم نقلهم جميعا إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية (٤)، فكان ذلك بمثابة الضربة القاصمة للحرف والصناعات المصرية .

وعلى العكس من حالات التدهور التى صحبت الكثير من الحرف السابقة، فإن هناك بعض الحرف التى تزدهر ويزداد الطلب على القائمين بها وقت الأزمات والأوبئة، ففى وقت الأوبئة يزداد الطلب على العطارين

---

(١) نفس المصدر، ص ٩٩ .

(٢) نفس المصدر، ص ٩٦. Subhi Labib : Handelsgeschichte . P 297

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) عبد المنعم ماجد: طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨، ص ١٩٢ – ١٩٣

ليلى عبد اللطيف أحمد :المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، القاهرة، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٧، ص ٣٥ – ٣٦

والأطباء [١] والفصادين والحجامين، وكذلك القائمين باعمال السحر والتنجيم لعلاج المرضى، كما يرداد الطلب على حمالي الموتى، والغسالين وحفارى القبور، والقراء، والمنشدين، والوعاظ، والمذكرين، والمكبرين، الذين ترتبط أعمالهم بدفن الموتى ومراسم الدفن التى كانت شائعة فى ذلك الوقت وكذلك الندابات اللاتى يندبن فى المآتم، إلا أن بعض هذه الحرف النسائية كالندابة، أو الرجالية مثل المذكرين والمكبرين قد تتعرض للكساد، وبخاصة عندما يأمر بعض السلاطين بمنع الندب أو النياحة، وكذلك المكبرين فى مراسم الدفن [٢] .

ويذكر المؤرخون عدة أحداث تدلل على رواج أحوال أرباب هذه الحرف، مثلما حدث فى وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م كان الحفارون لا ينامون الليل لكثرة الأموات الواصلة إليهم، وقضى الناس ليلهم فى تجهيز الأموات وتحصيل العدة، والحفار، والحمالين [٣].

وفى وباء ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٣٨ م مع كساد المبيعات، وغلق الحوانيت، إلا أن أروج الحوانيت التى كانت تبيع الأكفان وما يحتاج إليه الموتى من القطن والسدر والكافور، ويقرر الصيرفى " أن الحفّارين والغسالين والقراء والحمالين فحالهم فى رواج، وكذلك الأكفانية الذين تؤخذ منهم عدة التابوت " [٤] .

ونتيجة للطلب المتزايد على مثل هذه الحرف وزيادة عائدها المالى عما كان عليه الحال فى الظروف العادية، انضم بعض أرباب الحرف الأخرى للعمل فيها لكثرة ماتدره عليهم من عائد [٥].

---

(١) فى بعض الأحيان يتعرض الأطباء لعقوبات شديدة وقت الوباء - تصل إلى حد التوسيط ففى وباء ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م رسم السلطان بتوسيط الأطباء، وذلك لاستبطائه العافية وظنه أنهم يقدرون على شفائه وأنهم يقصرون، أو أنهم أساءوا التدبير وأخطأوا فى علاجه.
ابن عريشاه: التأليف الطاهر، ص ٢٣٤ .

(٢) السخاوى: التبر المسبوك، ٣٢٥. .

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٢٨، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٩٠.

(٤) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٤

(٥) حسين مصطفى حسين رمضان: طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الإسلامية، دكتوراه، آثار القاهرة ، ١٩٨٧، ص ١٦
Dols The Black death, P 263

الاحتكـــــار:

بعدما تطرق الفساد فى النظام الإقطاعى، واضمحل الإنتاج الصناعى وحدث العجز فى الميزان التجارى مع الغرب لم تعد تكفى موارد البلاد لسد الحاجات المالية المتزايدة للدولة، فى نفس الوقت لم تلجأ السلطة الحاكمة إلى إصلاح الخلل فى هـذه القطاعات، بل لجأت إلى تخريب قطاع آخر، فاشتغل السلاطين بالتجارة، ومنعـوا أى شكل من أنواع المنافسة الحرة من خلال اتباعهم سياسة الاحتكـار التجـارى لحـل أزماتهم المالية من خلال ما تدره هذه السياسة من أربـاح(١). فظـهرت المتـاجرات الشخصية للسلاطين فيما عرف باسم " المتجر السلطانى " وأنشـئ ديـوان حكومـى خاص لإدارة هذه العمليات يدعى " ديوان المتجر " (٢).

وقد حققت هذه السياسة ثراء كبيرا لهم علـى حسـاب تفـاقم الأزمـات الاقتصادية وتدهور الوضع المالى لصغار التجار الذين أجبرتهم السـلطة الحاكمـة على شراء البضائع بأسعار مغال فيها. فقد كانت أرباح هذه التجـارة الاحتكاريـة تتزايد بصورة خاصة فى فترات القحط والمجاعة، إذ كان المحتكرون يخزنون كـل المواد الغذائية غير سريعة التلف طلبا للربح مما يـؤدى إلـى ارتفـاع الأسـعار، وازدياد الأزمة حدة (٣) كما كانت بعض السلع المحتكرة ـ مثل السكر ـ تسـتخدم كعلاج فى فترات الأوبئة فى ذلك الوقت (٤)، ولذلك يمكن القول أن الاحتكار نتـج عن أزمة الدولة المالية، وكان من بين أسباب الأزمات الاقتصادية العامة التى تنـدر فيها الأقوات وترتفع الأسعار .

وقد شهد عصر برسباى أزمة مالية كبيرة، لذا بلغـت سياسـة الاحتكـار أشدها منذ عهده، فعلى الرغم من وجود المتجر السلطانى قبل عصره إلا أن حريـة التجارة كانت مكفولة فى السلع ماعدا البلسم والشب والنطرون والزمرد الذى كـانت تحتكره الدولة منذ فترات طويلة (٥)، أما فى عصر برسباى فقد انضـم إلـى هـذه السلع قائمة أخرى من السلع الاستراتيجية على رأسها السكر والتوابل، وفى كثـير

---

(١) قاسم وآخر: الرواية التاريخية، ص ١٠٨، ضومط، الدولة المملوكية، ص ٢٢٠ .
The cambridge History of Islam, vol IA, P.221 - 222 .

(٢) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٤٥٣ ..

(٣) الأسدى: التيسير والاعتبار، ص ١٣٨ ..

(٤) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٤٥٣ ..

(٥) Lapidus : The Grain Economy. P.1

من الأحيان القمح، وأصبح للمتجر السلطانى أولوية البيع على سائر التجار وطنيين أو أجانب [1] واستغل دخله فى المساهمة فى حل الأزمات المالية .

فعندما كشف عن أمر الديوان المفرد فى عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م وجد بـه عجز ستين ألف دينار، فعين له مبلغ ثلاثين ألف دينار برسم المتجر السلطانى، ووزعت الثلاثين ألف الأخرى على الكشاف والولاة [2]

لذا توسع السلاطين في سياسة الاحتكار، وصارت سياسة ثابتة يسيرون عليها حتى نهاية عصر الجراكسة لنظرتهم القصيرة المؤقتة لحل الأزمة المالية، ولكنها على المدى البعيد كانت سببا رئيسيا فى انهيار النظام التجارى، فلحق بالإنتاج الزراعى والصناعى، ولم يعد هناك من القطاعات ما يمكن الاعتماد عليه .

ولقد ارتبطت بالسياسة الاحتكارية عملية طرح البضائع أو " الرمايات " التى كانت تتخذها السلطة الحاكمة محاولة منها فى مواجهة متاعبها المالية، حيث كانت تقوم بتوزيع أو رمى البضائع على التجار بأسعار ترتفع عن أسعار السوق، وتطالبهم فى كثير من الأحيان بتسديد أثمانها فى الحال[3] مما كان يؤدى إلى خسارة التجار وكساد الأسواق وارتفاع الأسعار. وبالتالى فإن محاولات السلطة الحاكمة حل أزمتها المالية كان دائما يأتى على حساب فئات الشعب الضعيفة مما يؤدى إلى أزمة اقتصادية عامة .

وترى إحدى الباحثات أن عملية طرح البضائع على التجار بأسعار مرتفعة لن تزيد الوضع الاقتصادى سوءا، على اعتبار أن ارتفاع الأسعار سيقصر الشراء على الأثرياء، فيتوفر فى الخزائن السلطانية مال كثير يستفاد به فى شراء المواد الغذائية[4].

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٦٦

Ashtor : Levantine sugar industry , P. 242 – 243

Lapidus : Muslim cities, P.52-53

(٢) جمال جرجس يوسف: الاحتكار فى الدولة المملوكية الثانية، دكتوراه، بنات عين شمس، ١٩٨٥، ص ١٦٢ .

(٣) قاسم: دراسات، ص ٥٢

Levanoni : Aturning point, P. 140-141 , Lapidus: Muslim cities, P.56.

(٤) حياة ناصر الحجى: المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك، ٦٩٤ – ٦٩٥ هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٥ م , حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ع ٧، جامعة قطر، ١٩٨٤، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

وقد يكون ذلك صحيحا إذا كانت البضائع المطروحة من السلع الكمالية التي يقبل عليها الأثرياء فقط مثل الملابس مرتفعة الأثمان أو الحلى والأوانى البلور(1)، إلا أنه من الملاحظ أن السلع التى كانت تطرح تتمثل فى الماشية والأغنام والفراريج والزيت والعسل والسكر والفول بل والقمح العمود الفقرى لغذاء الشعب المصرى، مما يعنى ارتفاع الأسعار الشديد ووقوع العبء على كاهل كل فئات الشعب. إذ تتكرر الأمثلة التى توضح ارتفاع الأسعار بسبب الرمايات أو طرح البضائع(2).

كساد الأسواق :

إن حالة الأسواق تعد مقياسا ومؤشرا هاما لمدى تأثير الأزمات على الحياة الاقتصادية، فكلما تعددت الأسواق وازداد ما يعرض فيها من السلع وكثرة التبادل فيها، دل ذلك على انتعاش الحياة الاقتصادية وازدياد موارد الثروة، وعكس ذلك دليل على اضطراب الحياة الاقتصادية وضمورها .

ولقد تأثرت حركة الأسواق فى مصر بعدة عوامل متباينة كان من أهمها حدوث الأزمات والأوبئة، إذ أدت إلى اندثار بعض الأسواق وتلاشيها، وخراب البعض الآخر أواختلاله، ويذكر المقريزى أنه بعد أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م قد خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق إلى باب البحر بالمقس ٥٢ سوقا كانت عامرة، فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا، وإذا كان هذا حال ظاهر القاهرة الغربى فكيف ببقية الجهات الثلاث الباقية ؟ (3).

ومن بين سبعة عشر سوقا كانت فى " القصبة " (4) تلاشى واختل منها بعد أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م ثلاثة عشر سوقا بنسبة تزيد عن ٧٦%

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ٤، ص ٤٤٢ .

(٢) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ١، ص ١٤٣، ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص٣٧٩
ابن إياس: بدائع، جـ ٤، ص ٢٤٣.
ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٣٨، ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
المقريزى: السلوك، جـ٣ ،ق٣، ص١١١٣، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٤، ٩٣٣، ٩٧٢، ١٠٠١ .

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٤ .

(٤) كانت القصبة أعظم أسواق مصر، ويقصد بها ما بين الحسينية إلى المشهد النفيسى، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٥ .

منها[١]، وثلاثة أسواق لم يوضح أحوالها بعد الأزمة وازداد نشاط سوق واحد وهو "سوق الجوخيين" وهو وضع يتوافق مع انخفاض مستوى المعيشة وقت الأزمات، فقد اضطر كثير من الناس إلى لبس الجوخ بعد أن كان لبسه مستهجنا[٢] .

أما عدد الأسواق والسويقات التى ذكرها المقريزى خارج باب زويلة، فقد بلغت أربعة وثلاثين سوقا وسويقة، بلغ عد الأسواق والسويقات التى خربت أو اختلت أو تلاشت أو دثرت أربعة عشر سوقا وسويقة بنسبة ٤١% [٣]، أما السويقات التى أدركها المقريزى عامرة ـ أى أنها لم تعد عامرة بعد الأزمة ـ اثنتان، والعامر منها اقتصر على اثنين فقط أحدهما سوق الخلعيين المتخصص فى بيع الملابس القديمة فقد كان من أعمر أسواق القاهرة [٤]، وقد يرجع ذلك إلى بيع كثير من الورثة لملابس ذويهم المتوفين بعد الوباء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى شدة الإقبال على مثل هذه الملابس المستعملة بعد أن أصيبت الغالبية من الناس بضيق ذات اليد، فأصبحوا غير قادرين على شراء الجديد من الملابس، أما عن بقية الأسواق لم يذكر المقريزى شيئا عن أحوالها بعد أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٢ م .

ولم تقتصر حركة الكساد على الأسواق القائمة فقط، بل إن الحركة المائجة للباعة المتجولين تتوقف وقت الأوبئة والمجاعات [٥] .

ويمكن تفسير هذا الكساد الحاد للأسواق والسويقات فى ضوء عدد من العوامل التى نتجت فى معظمها عن حدوث الأزمات والأوبئة .

١ – الانخفاض الشديد لأعداد السكان الناتج عن الأوبئة، والذى ترتب عليه قلة الإنتاج الزراعى والصناعى من ناحية، وقلة أعداد المستهلكين من ناحية ثانية[٦]، وانشغال الناس بمرضاهم وموتاهم أثناء الأوبئة، وتعطل الأسواق من البيع والشراء[٧].

---

(١) انظر جدول ٣٠ .
(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٨ .
(٣) انظر جدول ٢٩ .
(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص١٠٤ .
(٥) Wolfgang : Ägypten , P.86.
(٦) قاسم: دراسات، ص ٤٦ .
(٧) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٣، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٨.

٢ - عدم تسديد نفقات الجند أو تأخيرها الناتج عن الأزمات الاقتصادية أدى بشكل غير مباشر إلى كساد الأسواق وذلك من ناحيتين : الأولى : أن المماليك عندما كانت تتأخر جوامكهم كانوا يضطرون إلى مهاجمة الأسواق، ومن أمثلة ذلك عندما عجز السلطان عن دفع نفقة الجند في المحرم ٩١٦هـ/ أبريل ١٥١٠م توجهوا إلى سوق جامع أحمد بن طولون ونهبوا منه عدة دكاكين، وكذلك دكاكين الصليبية، ثم توجهوا إلى سوق تحت الربع، وغير ذلك من الأسواق، فنهبوا ما يقرب من خمسمائة وسبعين دكانا (١).
الثانية : إن جوامك المماليك السلطانية كانت تصرف في شراء احتياجاتهم سواء من السلع الضرورية أو الكمالية، الأمر الذى كان ينشط جزئيا حركة السوق بفوائض إيراداتهم، فلما اختل أمر هذه النفقات أثر على حركة السوق، وقد أدرك المقريزى العلاقة بين كساد الأسواق وقلة العطاء، إذ اعتبر قلة العطاء من أسباب كساد الأسواق (٢) .

٣ - انخفاض مستوى المعيشة وقلة الدخل اضطرت الغالبية العظمى من الناس إلى الاستغناء عن مواد الترف والاقتصار على ما هو ضرورى (٣)، لذلك فإن الأسواق المتخصصة فى بيع السلع الترفية مثل سوق اللجميين والحوائصيين أغلقت وقت الأزمات والأوبئة (٤). كما أغلق سوق الرقيق فى وباء ٨٤١ هـ / ١٤٣٨م إذ لم يتمكن أحد الأغنياء من بيع عبده لعدم قدرة البعض على شرائه، أو تخوف البعض الآخر من سرعة موته بالطاعون فيكون قد خسر ثمنه (٥) .

٤ - لجأ بعض السلاطين أثناء الأوبئة إلى منع قطاع كبير من المستهلكين من الخروج للشراء تمثل هذا القطاع فى النساء اللاتى منعن من الخروج إلى الطرقات فى وباء ٨٤١ هـ / ١٤٣٨م، اعتقادا من السلطان ــ بعد أن أفتاه الفقهاء ــ أن ذلك يخفف من شدة الوباء مما أدى إلى تعطل الأسواق التى تبيع حاجات النساء (٦) .

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ٤، ص ١٧٧ - ١٧٩ .
(٢) المقريزى: السلوك، جـ ٣، ق٢، ص ٦١٨ .
(٣) Dols : The Black death, P.164.
(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٩٦ .
(٥) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٤٧، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٨.
(٦) ابن عربشاه: التأليف الطاهر، ص ٢٣٢. ابن تغرى بردى: النجوم، جـ ١٥، ص ٩٥

٥ - التدخل الكبير فى سعر العملة لعلاج الأزمات الاقتصادية للدولة أدى إلى تعطل الأسواق أكثر من مرة، ومن ثم كسادها [١] .

٦ - قيام السلطة الحاكمة بطرح البضائع على التجار وفرضها عليهم بأسعار مرتفعة، وكذلك احتكار بعض السلع والمتاجرة فيها لسد الخلل فى ميزانية الدولة، كل ذلك كان يجعل التجار يلجأون إلى الهرب وغلق الأسواق، أو رفع الأسعار، وكلها من العوامل التى تساعد على كساد التجارة فى الأسواق المحلية[٢] .

كما نتج عن الأزمات الاقتصادية والأوبئة أيضا تدهور بعض المراكز التجارية، فقد نتج عن ندرة سكان مصر بعد الأوبئة وبخاصة فى مصر العليا أن تدهورت مدينة قوص التى كانت تعد عاصمة لمصر العليا أثناء فترة المماليك البحرية، ومركزا لتجارة البحر الأحمر إلى الشرق والنوبة والسودان. وبلغت من شهرتها أنه من بين ٥٣٢٠ ترجمة ذكرها ابن حجر كان عدد الذين ترجم لهم من قوص أكثر من كل من ترجم لهم من أنحاء الدلتا بما فيها الاسكندرية [٣]. ولذا كان ما تركته أزمة ووباء ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م على هذه المدينة محل اهتمام المؤرخين الذين أعلنوا عن وفاة ١٧ ألف فى قوص، وبعدها انهارت قوص وتوارت إلى النسيان [٤] .

وبعد أزمة ووباء ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م أمسى ثلثا الاسكندرية فى حالة خراب واقتصر النشاط فى المدينة على التعامل مع السفن الأجنبية، وفى المنطقة المحيطة بالميناء [٥] ثم ازداد أمر الإسكندرية سوءا فى أواخر عصر الجراكسة، ففى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م عادت السفن التجارية الأوربية دون أن تجد فى أسواق الاسكندرية من البضائع ما تشحن به [٦]، وفى أواخر عام ٩٢٠

---

(١) انظر " التدخل فى تحديد قيم تغيير العملة ص٤٩

(٢) قاسم عبده قاسم، دراسات، ص ٥٣ .

(٣) Hanna .N : An Urban history of Bulaq in the Mamluk and Ottoman periods , supplement aux annales Islamologiques , le caire , 1983 ., P.17

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٢٦
Dols : The Black death, P.164-165

(٥) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٤٢٧ .

(٦) حسيين السيد: العلاقات السياسية، ص١٣٤

هـ/١٥١٤م لم يكن بثغر الإسكندرية أحد من أعيان التجار لا من المسلمين ولا من الفرنج، وتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب حتى قيل " طلب الخبز بها فلم يوجد " (١) كناية عن شدة خرابها .

انخفاض الصادرات وزيادة الواردات :

أدى الهبوط الحاد بل الانهيار فى الإنتاج الصناعى إلى عواقب بعيدة المدى فى التبادلات التجارية مع الدول الأوربية، فلقد أدى ذلك إلى زيادة الاستيراد من الدول الأوربية، وعوائد هذا الاستيراد جعلت من الممكن للتجار الأوربيين أن يحصلوا على كميات كبيرة من السلع الشرقية غالية الثمن بنظام المقايضة، وعلى حد قول آشتور، وإذا لم يكن قد حدث ذلك فإن الأوربيين كانوا سيواجهون صعوبات جمة فى شرائها وخاصة بعد ارتفاع أسعارها (٢). فانخفاض الإنتاج الزراعى والصناعى أدى إلى قلة الصادرات المصرية من الإنتاج المحلى مثل السكر ،والتمر، والموالح، والكتان، والشب، والملابس الرقيقة (٣)، وأصبحت التجارة فى معظمها تعتمد على السلع العابرة، فكانت تجارة وسيطة فى الفلفل والبخور والرقيق والحديد والنحاس والخزف الصينى (٤) .

وبعد أن كانت مراكز صناعة النسيج فى مصر تقوم بتصدير كميات كبيرة من إنتاجها إلى أوربا فى عصر المماليك البحرية (٥) أصبحت الأزمات الاقتصادية والأوبئة مسئولة عن الزيادة فى الورادات من الملابس والكتان الأوربى (٦) .

وتلقى المعاهدات المعقودة فى أواسط ونهاية القرن الخامس عشر بين البندقية وفلورنسا من جهة وسلطان القاهرة من جهة أخرى، بالإضافة إلى كتاب الحوليات فى البندقية ــ تلقى الأضواء على استيراد مصر لكميات كبيرة من الأقمشة، فعلى سبيل المثال وصل الاسكندرية فى عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠م سفينة من سفن جنوة تحمل ٤٦٠٠ قطعة من الأقمشة الأوربية، وثلاث سفن فرنسية تحمل

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ٤، ص ٤٢٤ .

(٢) Ashtor : The Ascendancy of venice, P. 200 .

(٣) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ١٩٦، آمال العمرى: المنشآت التجارية، ص ٢٥ .

(٤) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٣٨٧، ضومط: الدولة المملوكية، ص ٢٣٩ .

(٥) Petry : Protectors.. P.117

(٦) Ashtor : The Economic Decline, P. 272 .

١٣ ألف قطعة [١]. كما أن أحد الرحالة يتحدث عن تعدد فنادق القماش فى مصر التى كانت تضم المنسوجات الأجنبية .. مثل قماش بعلبك وقماش الموصل، وأجواخ البندقية والشملات الآسيوية[٢].

أما بالنسبة للغلال، فقد كانت مصر أثناء السنوات الطبيعية قادرة على تصدير كميات كبيرة من الغلال للبلدان الأخرى [٣]، ولكن أوقات المجاعات كانت تقوم باستيراد الحبوب من الخارج من خلال المندوبين السلطانيين الذين كانوا يرسلون لشراء هذه الحبوب أو التعاقد عليها [٤] أو من خلال التجار، وأصبح الاعتماد على هذه الحبوب المستوردة ذا تأثير كبير على الأسواق الداخلية، حتى إذا ما قل الواصل من البحر ـ على حد تعبير الصيرفى ـ يقع الغلاء بالديار المصرية [٥] . ففى أثناء أزمة الغلال وارتفاع أسعارها فى جمادى الأولى ٧٩٨ هـ / فبراير ١٣٩٥م شجع ذلك جالبى الغلال على استيراد كميات كبيرة منها، وبعد وصولها انخفضت الأسعار [٦] .

وفى الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م وما تلاها يوضح المؤرخون للتاريخ الفينيسى أن لديهم معلومات تفيد استيراد مصر للحبوب بواسطة التجار الأوربيين الجنويين، كما أن التجار القطالونيين قد خصصوا رحلة فى جمادى الثانى ٨٠٧ هـ / ديسمبر ١٤٠٤م من بالرمو لنقل الحبوب إلى الإسكندرية ودفعوا مبالغ ضخمة لها [٧] .

---

(١) آشتور: التاريخ الاقتصادى، ص ٤٠١
Ashtor : The Ascendancy of venice. P.205

(٢) الشملات: منسوجات من شعر نوع خاص من الماعز تربى فى قونية بآسيا الصغرى، وكان هذا الشعر ناصع البياض ناعما .
ليون الإفريقى: وصف إفريقيا، ص ٢٠٥، أندريه ريمون: القاهرة، ص ١٣٥ .

(٣) Ashtor : The Economic decline. P.258

(٤) Lapidus, IRA.M.: The Grain economy of Mamluk Egypt , (JESHO),vol 7, part 1. Leiden ,1969,p.5 .

(٥) الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٣٥٦ .

(٦) المصدر السابق، جـ١، ص ٤٢٩ .

(٧) Ashtor: The Wheat supply of the Mamluk Kingdom, Asian and African studies 15. Haifa, 1984 , P. 286.

وفى أزمة ووباء ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م قام أحد التجار القطالونيين بتصدير القمح إلى مصر (١) .

وفى أزمة ووباء ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م وما تلاها من ارتفاع شديد فى أسعار القمح حتى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م (٢)، أدت هذه الأزمة الشديدة إلى أن السلطات المملوكية لم تكتف فقط باستيراد القمح من أوربا فقط، بل قامت باستيراده من آسيا أيضا (٣) .

وعندما أصبحت هناك ندرة كبيرة فى القمح وارتفاع أسعاره فى عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ - ١٤٧٠ م قامت مصر باستيراد الحبوب من أوربا، إذ توضح الوثائق الفينيسية أن أحد التجار الفينيسيين قد جلب فى نفس الفترة إلى مصر ١٣٨٦ أردبا من القمح إلى مصر(٤)، وتكرر استيراد القمح فى أزمة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦ - ١٤٨٧م (٥) .

أدت زيادة الواردات فى نفس الوقت الذى انخفضت فيه الصادرات المصرية إلى ما يطلق عليه فى العصر الحديث " العجز فى الميزان التجارى " وهو أمر سوف يتفاقم عندما تنهار تجارة العبور بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وانخفاض قدر المعاملات النقدية بين المماليك والمدن التجارية الكبرى. فالبندقية التى بلغ حجم تعاملها النقدى فى الموسم الواحد من سنوات الرواج ثلاثمائة ألف دوقة، انخفض فى السنوات الأخيرة إلى حوالى ٢٤ ألف دوقة فقط فى عامين(٦) أى أن التعامل اقتصر فقط على نسبة ٤% من المعاملات السابقة فى الأوقات العادية .

كذلك انخفضت مشتروات البنادقة من التوابل، فبعد أن كانوا يشترون ٥٠٠ طرد على الأقل من التوابل، أصبح لا يزيد فى عام ٩١٨هـ / ١٥١٢ م عن

---

(١) Ibid , P. 286 - 287 .

(٢) انظر جدول ٣٢ .

(٣) Ibid. P. 287

(٤) Ibid, P.287-288.

(٥) Ibid , P.290 .

(٦) نعيم زكى، طريق التجارة، الملحق رقم ٨، ص ٤١٤ .

أكثر من ٢٠٠ طرد فقط [١]، كما أصبحت الأرباح المصرية من تجـارة البندقيـة لا تصل لأكثر من مبيعات يوم واحد من السنوات الماضية [٢] .

وفي وقت الأوبئة تتوقف أحيانا حركة التجارة مثلما حدث في وبـاء ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩م إذ انقطع الواصل من البلاد الشامية وارتفعت الأسعار [٣]، هذا مـن ناحية ومن ناحية أخرى فإنه ينتج عن الأوبئة وفاة بعض التجار الأجـانب، فكـان ذلك من بين الأسباب التي أدت إلى إغلاق الفنادق فـي الإسـكندرية أثنـاء وبـاء ٩١٩هـ / ١٥١٣م لندرة النزلاء من التجار الفينيسيين والقطلان مما أثـر علـى حركة التجارة [٤]، كما أن هلاك الدواب التي تقوم بنقل التجارة أثر على حركتـها، وبخاصة أن الطريق التجاري البحري كان يصل إلى ميناء عيذاب أو القلزم ومنـها تنقل التجارة على الدواب عبر صحراء مصر الشرقية إلى مجرى نهر النيل لتتجـه فيه إلى موانى مصر على البحر المتوسط [٥]، وبالتالي فإن هلاك الدواب الناتج عن الأوبئة أو ارتفاع أسعار الأعلاف يوقف حركة النقل التجاري عبر الصحراء .

يضاف إلى ما سبق أن وقت المجاعات والأوبئة يكون الاهتمام باسـتيراد السلعة الرئيسية وهي القمح، وتتوارى السلع الترفية مثل الجوز واللـوز والفـراء وغيرها من السلع التي كان يتم استيرادها بكميات كبيرة في أوقات الرخاء [٦] .

كما انخفضت أعداد الرقيق المصدرة إلى مصر، فلكي تملأ السلطة الحاكمـة الصفوف التي نضبت بأثر الأوبئة عملت على استيراد العبيد [٧]، إلا أنه في أواخـر عصر الجراكسة وما نتج عن الأزمات الاقتصادية من غش للعملة، فإن تجار الرقيـق قد أحجموا عن تزويد سلطنة المماليك بالرقيق في أواخر عصر الجراكسة لرفضـهم

---

(١) نعيم زكي: المرجع السابق، ص ٤١٣، محمد أمين صالح: التنظيمـات الحكوميـة، ص ١٣١ .

(٢) نعيم زكي: المرجع السابق، ص ٤١٠ .

(٣) المقريزي: السلوك،، جـ٣، ق٣، ص ١٠٠٣ .

(٤) Dols : The Black death, P.279.

(٥) سعيد عاشور: أضواء جديدة على المقريزي، ص ١٨٣، هايد: تـاريخ التجـارة، جـ٣، ص ٣٠١ .

(٦) Ashtor : The Economic decline. P. 260-261.

(٧) Lapidus : Muslim cities, P.35.

التعامل بالعملة الذهبية والفضية الرديئة فى عصر السلطان الغورى [١]، مما نتج عنه انخفاض مستمر فى الأعداد القادمة من بلاد القفجاق والقوقاز [٢] .

نظام المقايضة :

يعد ظهور نظام المقايضة فى التجارة الدولية أحد النتائج الرئيسية للأزمات الاقتصادية التى لحقت بالبلاد وبخاصة فى القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى، فقد ظل التبادل التجارى قائما على أساس المعادن النفيسة سواء كانت عملة ذهبية أو سبائك لتضرب فى مصر، حتى إذا جاء القرن الخامس عشر، وازدادت الأزمات حدة فى أواخره بدأت تظهر فى معاهداته بنودا خاصة بنظام المقايضة لم تكن موجودة فى المعاهدات السابقة على اعتبار أنها إحدى نظم عمليات الدفع فى التجارة [٣] .

وجدير بالذكر أن أسباب ظهور المقايضة تعود إلى الجانب الأوربى فى المقام الأول فقلة الذهب البندقى، وعجزه عن تلبية كافة طلبات الدفع فورا بعد ازدياد حجم السلع المتبادلة، بالإضافة إلى القيود التى فرضتها الإدارة البندقية على تجارها مع تحريم الاستدانة، والشراء والبيع بالأجل، فاضطرهم ذلك إلى الالتجاء للمقايضة [٤] .

على الرغم من ذلك فإن ضعف العملة المصرية وكثرة غشها أجبر الأوربيين على التخلى فى بعض الأحيان عن النظام النقدى واتباع نظام المقايضة

---

(١) على السيد محمود: الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين، ع ١٨، القاهرة، الهيئة العامة لكتاب، ١٩٨٨، ص ١٣، لبيبة إبراهيم مصطفى محمد: الرقيق وتجارته فى مصر والشام فى عصر دولة سلاطين المماليك، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٦١.
محمود رزق سليم: الأشرف قانصوه الغورى، سلسلة أعلام العرب، العدد ٥٢، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت، ص ١٥١ .

(٢) Shai, Har-El: Struggle for Domination in the Middle East, The Ottoman – Mamluk War 1485-91, KÖln, 1995., P.55 .

(٣) توفيق اسكندر: نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية فى العصر الوسيط، القاهرة، المجلة التاريخية، مج٦، ١٩٥٧ ،. ص ٣٨، ٣٩. نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٣٦٣ .

(٤) توفيق اسكندر: المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١ .

لعدم ثقتهم فى النقد المصرى [١] وبخاصة أن الميزان التجارى فى نهاية عصر الجراكسة لم يعد فى صالح مصر. وعندما كان السلاطين والتجار يتذمرون من نظام الدفع بالمقايضة، لجأ الأوربيون إلى أسلوب آخر اعتبر حلا وسطا هو " نظام نصف المقايضة " تدفع بموجبه نصف أثمان السلع نقدا،والنصف الآخر عينا[٢]

وعلى أية حال فقد أدى اتباع نظام المقايضة فى التعامل التجارى إلى ارتفاع أسعار السلع، لأن أسعار سلع المقايضة تزيد عن سعرها النقدى [٣].

وجدير بالذكر أن نظام المقايضة لم يقض على نظام التجارة بالنقد، إذ فرضت السلطة المملوكية قدرا معينا من التوابل السلطانية (توابل الذخيرة الشويفة) على تجار البنادقة يشترونه بالذهب [٤].

ولم يقتصر نظام المقايضة على المعاملات التجارية الخارجية، بل شاع فى أنحاء مصر وبخاصة عندما تشتد الأزمات، فمن شدة فقر أهل صعيد مصر فى عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م وسوء أحوالهم كانوا لا يتبايعون إلا بالغلال لعدم وجود الذهب والفضة [٥]، كما كانوا من قبل يتعاملون بالكودة [٦] لشراء الأمور الصغيرة[٧]. وفى عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م عندما ارتفعت الأسعار بسبب تغيير سعر الذهب والفضة، وعلم الناس أن السلطان سيقوم بضرب دراهم جديدة يتم التعامل بها، تخوف التجار من بيع بضائعهم بالدراهم المتداولة، ولجأوا إلى عملية المقايضة خوفا من نقص العملة [٨]. وتمثل العودة إلى انتشار نظام المقايضة العينية فى

---

(١) حسين السيد: العلاقات السياسية، ص ١٦٦، ١٦٧ .عبد الرحمن فهمى: النقود العربية، ص ١٠٣ .

(٢) ضومط: الدولة المملوكية، ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٣) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٣٦٤، آمال العمرى: المنشآت التجارية، ص ٢٤٢ .

(٤) عبد الرحمن فهمى: المسكوكات (ضمن كتاب القاهرة، لحسن الباشا وآخرون)، ص ٥٤٨ .
توفيق اسكندر: المرجع السابق، ص٤٤، نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٤٠٩ .

(٥) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٠٥، آشتور: التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٨.

(٦) الكودة: الودع الذى يستخرج من البحر. المقريزى: إغاثة، ص ٦٩، حاشية ١ .

(٧) المقريزى: إغاثة، ص ٦٩ .

(٨) ابن تغرى بردى: حوادث، ص ٢٩٣ .

التبادلات الداخلية تراجعا كبيرا بعجلة التطور، ودليـــلا علـــى هبـــوط المســـتوى الاقتصادى والمعيشى .

كما تزايد البيع بالأجل أو البيع بالتقسيط بين الناس لعدم القدرة على دفع ثمن بعض السلع دفعة واحدة [١] .

ونجد صدى الأزمات الاقتصادية واضحا فى المعاهدات التجاريـــة التـــى عقدتها السلطة الحاكمة فى الفترة الأخيرة مع البندقية وفلورنسا. فبارســـباى الـــذى حاول إصلاح الخلل الاقتصادى من خلال سياسة قصـــيرة النظـــر مســـتندة إلـــى الاحتكارات الحكومية أكره فى نهاية المطاف على التخلى عنـــها ورضـــخ لإرادة تجار البندقية [٢] .

وقد أعطى السلطان قايتباى امتيازات كبيرة للتجار الفلورنســـيين فـــى أعوام ٨٩٥ هـــ / ١٤٨٩م، ٩٠٢هـــ / ١٤٩٦م، ٩٠٣ هـــ / ١٤٩٧م لم يكـــن قد حصلوا عليها من قبل [٣]، مثل حق وصول الرعايا الفلورنســـيين للقـــاهرة لاستئناف القضايا أمام السلطان نفسه، وتسهيل العيش لهم خلال إقامتـــهم فـــى مصر وغير ذلك [٤]. وعلى الرغم من أن البعض يفسر ســـبب إعطـــاء هـــذه الامتيازات تخوف قايتباى من تقدم العثمانيين، وبالتالى يحاول التحـــالف مـــع الدول الغربية [٥]، إلا أن حاجته الملحة للمال أيضا كانت من بين العوامل التـــى دفعته إلى ذلك[٦]، بل إن قايتباى قام بتخفيض ثمن الحمل من التوابل الســـلطانية إلى ثمانين دوكة، بعد أن بلغ سعره فى عصر برسباى ما بين ١٢٠ إلـــى ١٣٠ دينارا ، وذلك تشجيعا للحركة التجارية[٧] .

---

(١) ليون الأفريقى: وصف إفريقيا، جـ٢، ص ٢٠٦ .

(٢) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظـــهور الإسلام حتـــى بدايـــة الإمبراطورية العثمانية، ترجمة بدر الدين القاســـم، ط٣، بـــيروت، دار الحقيقـــة، ١٩٨٣، ص ٢٦٥ .

(٣) أشتور: التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٩

(٤) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٦١ .

(٥) هايد: تاريخ التجارة، جـ٣، ص ٣٦٤ .

(٦) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٦١.

(٧) نعيم زكى: طرق التجارة، ص٣٣٦.

ولعل الأزمة الاقتصادية الخانقة فى عصر الغــــورى، دفعتــه لأن يفــك الحصار المحظور على دخول التجار الغربيين إلى رشيد واعتبارها ميناء تجاريـــا يستطيع الغربيون زيارته بعدما كان دخول فرع رشيد محظورا تماما على الغربيين حتى أواخر القرن الخامس عشر(١).

والموقف المالى السئ للغورى دفعه أيضا إلى أن يخطب ود حكام البندقيــة وفلورنسا، ويحمل لهم الهدايا، بل إنه اضطر فى وقت شحت فيه العملـــة الذهبيــة والفضية بصورة واضحة ــ وبخاصة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصـــالح أن يفاوض البنادقة لدفع ثمن التوابل نحاسا (٢) .

أثر الأزمات الاقتصاديــة والأوبئــة علــى النظــام النقــدى

وجد معظم سلاطين المماليك فى تزييف العملة وســيلة ســهلة لمواجهــة الأزمات الاقتصادية التى لحقت بهم (٣)، ناسين أو متناسين أن ذلك سوف يرتد مــرة أخرى ليزيد الأزمات احتداما، ويدفع بالتضخم إلى اشده، فقد كانوا يقومـــون فـــى معظم الأحيان بحلول مؤقتة لما يعترضهم من مشكلات أو أزمات اقتصاديـــة دون النظــر لعـــواقب ذلك، وأصبـــح غش العملة الصورة التى تمارس باســتمرار حتى نهاية العصر المملوكى (٤).

وكان العجز المالى فى الخزانة السلطانية، وعدم قــدرة الســلاطين علـــى الوفاء باحتياجات المماليك السلطانية من جوامـــك، وكذلــك مواجهـــة الأخطـــار الخارجية، من الدوافع الرئيسية لغش النقود للحصول على أمول إضافية لمواجهـــة هذه الاحتياجات. واتخذ تزييف العملة مظهرين أساسين همـــا : إنقـــاص وزنـــها، أو إضافة بعض المعادن الأقل قيمة إلى المعدن الأصلى. (٥)

---

(١) يرجع سبب الحظر إلى التخوف من إدخال الغربيين أساطيل حربية فى هـــذا الطريـــق، وربما الصعود بها فى فرع النيل حتى القاهرة ،هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كـــانت رشيد ميناء البحرية المصرية الكبير،وكانت السلطة الحاكمة تتخوف من قيامهم بعمليـــات خطرة بحجة الذهاب والإياب.هايد: تاريخ التجارة، جــ٣، ص ٣٠١.

(٢) توفيق اسكندر: نظام المقايضة، ص ٤٥، نعيم زكى: طرق التجـارة، ص ٨٥، ٨٨، ٣٦٢ .

(٣) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، جــ٣، ص ٦٤.

(٤) Ayalon : The system of payment , P.48

(٥) قاسم عبده قاسم :دراسات، ص ٧.

١ـ من حيث الوزن :

تعرضت العملة فى عصر المماليك الجراكسة وبخاصة وقت الأزمات الاقتصادية إلى نقص فى أوزانها، وذلك إما من خلال ضربها ناقصة، أو من خلال ما يطلق عليه بعمليات القص والهرش [١] بعد ضربها. فلكى يوازن السلاطين بين قلة موارد الذهب وحاجتهم إلى المال عمدوا إلى تغيير وزن العملة مع الاحتفاظ بقيمتها الإسمية. [٢] فبعد أن كان الدينار وزنه مثقالا أى ٤,٢٥جرام فى عصر المماليك البحرية، نجده نقص فى بداية الدولة الجركسية، إذ أننا نادرا ما نجد قطعة من النقود الذهبية المصرية ترجع إلى هذا العصر يبلغ وزنها مثقالا أو مثقالين أو ثلاثة مثاقيل تماما. [٣]

وعلى الرغم من أن الدنانير السالمية التى ضربها يلبغا السالمى فى عصر السلطان فرج فى جمادى الأولى ٨٠٣هـ / ديسمبرـ يناير ١٤٠٠م ضربت فى بداية الأمر على وزن المثقال ٤,٢٥جرام، إلا أن النصوص التاريخية تؤكد على نقص وزنها، فالغالب فيها نقص أوزانها، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كلفة ضربها [٤]، بل اعتبر البعض أن خفة وزنها كان سببا فى عدم التعامل بها. [٥]

وكانت الأزمة الاقتصادية الكبرى فى عام ٨٠٦هـ وما تلاها من آثار سببا فى إفساد أهل الدولة للعملة. ففى المحرم ٨٠٩هـ/يونيه١٤٠٦م صار الدرهم بعد أن كان قيراطا وبعض قيراط لا يساوى كل خمسة منه أو ستة قيراطا[٦] أى أن وزنه انخفض الى الخمس أوالسدس. وعندما اشتكى المقريزى من فساد العملة – وكان يومذاك محتسبا – أجيب بأن الدافع لذلك قيمة جوامك المماليك السلطانية التى تزيد عن مليون ومائتى ألف درهم شهريا نقدا، عدا ما يحق لهم من لحم وعليق وكسوة. [٧]

---

(١) معنى الهرش أن يبردمن العملة قدرا من وزنها حتى تصير أقل من الوزن الذى ضربت به، ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ٧٨،
المقريزى: السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٦٠٣.

(٢) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٣٦٢.

(٣) النبراوى: السكة الإسلامية، ص ٢٣٣.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٤١

(٥) Bacharach : The Dinar , P. 85

(٦) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٥٩.

(٧) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٨، ابن إياس: بدائع، جـ١ ق٢، ص ٧٥٨.
ضومط: الدولة المملوكية، ص ٣٦١.

كما انخفض وزن الدينار الناصرى الذى ضربه الناصر فرج، إذ تؤكد المصادر التاريخية أن وزنه جاء ١٩ قيراطاً من ٢٤ (١). أى أن متوسط وزنه كان ٣,٣٦ جرام بنسبة ٧٩,١ % من المثقال. وتؤكد النميات هذه الحقيقة، وإن بلغ متوسط وزن الدينار الناصرى أكثر من ذلك قليلاً إذ بلغ متوسط وزنه فى عام ٨١٠هـ / ١٤٠٧م حوالى ٣,٤١جرام (٢)، ثم ارتفع متوسط الوزن إلى ٣,٥٦ جرام فى عام ٨١٢هـ / ١٤٠٩م، ثم تناقص مرة أخرى إلى ٣,٤٣جرام.

وبصفة عامة فإن متوسط وزن الدنانير الناصرية فى عصر السلطان فرج بلغ ٣,٤٧ جرام بنسبة ٨١,٦ % من المثقال، وهو ما يزيد بمقدار ٠,١١ جرام أو بنسبة ٢,٥ % من المثقال عما ذكره المقريزى(٣).

وفى عام ٨١٧هـ / ١٤١٤م كانت الدنانير الهرجة ناقصة الوزن(٤)، وعندما انتشر الوباء وحدثت الأزمة الاقتصادية فى عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥م لم تسلم العملات الأجنبية من عمليات القص والهرش فبعد أن كان يساوى الدينار الإفرنتى ٨١,٢٥ % من المثقال هرشه الناس حتى خف وزنه، وأصبح ٧٨,٣٣ % من المثقال (٥)، أو بمعنى آخر أن الدينار الإفرنتى كان يضرب ببلاده على وزن ٣,٤٥ جرام، إلا أن عمليات الهرش التى أجريت له جعلت متوسط وزنه ٣,٣٣ جرام بنقص ٠,١٢ جرام ويبدو أن انخفاض وزنه بدأ يتزايد حتى نودى فى شعبان ٨٢١هـ / ١٤١٨م بألا يتعامل الناس به إذا كان ناقصاً. (٦)

كما تعرضت الدراهم المؤيدية لعمليات القص والهرش وأصبح التعامل بها بالميزان، وبعد أن ثبت وزنها فى أوائل حكم الأشرف برسباى تعرضت

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٤ ق١، ص ٣٠٦.

(٢) يذكر بعض الباحثين أن الدينار الناصرى ضرب سنة ٨١١هـ /١٤٠٨م كمحاولة من جانب السلطان فرج بن برقوق للتصدى لهجوم الدوكات البندقية على النقود الذهبية، إلا أنه وُجد طراز من الدينار الناصرى مؤرخ بعام ٨١٠هـ /١٤٠٧م. النبراوى: السكة الإسلامية، ص ٦١، ٦٢.

(٣) انظر جدول ٦ .

(٤) Bacharach : Op. Cit, P. 85

(٥) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٥.

(٦) نفس المصدر، ص ٤٥٥، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

مرة أخرى لعمليات القص والهرش، فرسم بأن تضرب مجهولة، ويكون التعامل بها بالميزان. [١]

كما تناقص وزن الدينار الأشرفي (برسباي) فوصل إلى ٣,٣٨ جرام بنسبة ٧٩,٥% من المثقال [٢]. وعندما بدأ الشعور بالأزمة المالية في عصر جقمق نتيجة لكثرة الإنعامات والنفقات على الأمراء والمماليك السلطانية، ونفقات حملة رودس الأولى – لجأ إلى إصدار دراهم ظاهرية ناقصة في وزنها عن الدراهم الأشرفية بمقدار ٠,٢٢ جرام [٣] ومرتفعة في سعرها بنسبة ٢٠% إذ أنه سعّر الدراهم الأشرفية بعشرين درهماً فقط، بينما رفع سعر الدراهم الظاهرية إلى أربعة وعشرين درهماً. [٤] مما يعني أنه حقق أرباحاً لصالح الخزانة تقدر بنسبة ٢٧%.

أما بالنسبة لوزن الدينار فقد ظل على ما كان عليه الحال تقريبا في عصر برسباي إذ بلغ متوسط وزنه ٣,٤ جرام بنسبة ٨٠% من المثقال. [٥]

وعلى الرغم من ندرة المسكوكات الذهبية لعصر المنصور عثمان (ابن جقمق) ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م [٦]، إلا أن المصادر التاريخية توضح أنه تصدى لعلاج الأزمة الاقتصادية في صفر ٨٥٧ هـ – فبراير ١٤٥٣م – والتي كان سببها نفقة الجند – بتخفيض وزن الدينار مرة أخرى في سك الدنانير التي أسماها "المناصرة" مستفيداً من الفرق في الوزن لصالح الخزانة، إذ نقص كل دينار عن الأشرفي قيراطين ذهب.[٧]

وفي عصر قايتباي ظلت أوزان العملة على تناقصها إذ وصل الدينار الأشرفي (قايتباي) إلى ٣,٣٩ جرام بنسبة ٧٩,٨% من المثقال .[٨] وترجع

---

(١) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ١٢٧ – ١٢٩.
(٢) انظر جدول ٦ .
انظر أيضاً Bacharach : The Dinar , P. 91
(٣) بلغ متوسط وزن الدرهم الأشرفي (برسباي) ٠٣ر١جرام، بينما كان متوسط وزن الدرهم الظاهري ٠,٨١ .جرام.
Bacharach : Silver , P. 281
(٤) ابن تغري بردي: النجوم، جـ ١٥، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .
(٥) أنظر جدول رقم ٦ .
(٦) النبراوي، السكة الإسلامية، ص ٨٦.
(٧) ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ٣٠٤
(٨) انظر جدول ٦.

الأسباب التي دفعت قايتباى إلى ذلك مواجهة الاحتياجات المالية المتزايدة بسبب الحملات العسكرية التي قام بها [١]. لذا تناقصت أوزان العملة بصورة واضحة حتى تم النداء أكثر من مرة على أن تكون المعاملة بالميزان وليست بالعدد .[٢] واضطر السلطان قايتباى في بعض الأحيان أن يسلك طريقا مغايرا لطريقه المألوف حتى لا يشكو له الناس من فساد عملته. [٣]

وللتخلص من الضائقة الاقتصادية أنقص قانصوه الغورى وزن عملته، إذ وصل وزن الدينار ٣,١٩ جرام بنسبة ٧٥% من المثقال [٤] .

ومن الملاحظ على أوزان النقود فى مصر فى عصر الجراكسة.

أولا : أن وزن الدنانير الذهبية تناقصت من بداية عصر الجراكسة حتى نهايته إلى أن وصل وزنه إلى أدنى وزن له في عصر قانصوه الغورى إذ نقص وزن الدينار عن الوزن الشرعي بنسبة ٢٥% من الوزن .

ثانيا : أنه بينما تمكن سلاطين المماليك البحرية من سك دراهم فضية ثابتة القيمة وصل متوسط وزنها إلى ٢,٩٧ جرام [٥]، نجد أن وزن الدراهم الفضية في عصر سلاطين الجراكسة في تناقص مستمر، فالدرهم النوروزى وصل وزنه إلى ١,٤٥ جرام ثم تناقص المؤيدى بمقدار ٠,٠٥ جرام. ثم تناقص الدرهم الأشرفى (برسباى) عن المؤيدى بمقدار ٠,٢٧ جرام. ثم تناقص الدرهم الظاهرى (جقمق) عن الأشرفى بمقدار ٠,٢٢ جرام حتى وصل الدرهم الأشرفى (إينال) إلى وزن ٠,٧٥ جرام، أى ما يقارب ٥١,٧ % الدرهم النوروزى و٢٥,٣% من وزن الدرهم في عصر المماليك البحرية[٦] .

---

(١) Bacharach : The Dinar , P. 89

(٢) ابن إياس: بدائع، جـ٣، ص ١٢١، ١٦٧، ١٨٩.

(٣) نفس المصدر، ص ١٢١ .

(٤) أنظر جدول ٦.

(٥) قاسم عبده قاسم: دراسات، ص ٥٦.

(٦) انظر جدول ٧.

(جدول ٦)

متوسط وزن الدينارفى مصر

فى عصر الجراكسة

السلطان	متوسط وزن الدينار بالجرام
الناصر فرج بن برقوق	٣,٤٧
برسباى	٣,٣٨
جقمق	٣,٤
قايتباى	٣,٣٩
قانصوه الغورى	٣,١٩

تم استخراج هذه المتوسطات من خلال أوزان الدنانير التى ذكرها أ.د / رأفت النبراوى فى كتابه السكةالإسلامية فى مصر، عصردولة المماليك الجراكسة، بالإضافة إلى ما هو موجود من دنانير مملوكية (عصر الجراكسة) بجامعة توبنجن، ضرب القاهرة والإسكندرية .

(جدول ٧)

متوسط وزن النقود الفضية فى مصر

فى القرن التاسع الهجرى / ١٥م

النقد	الوزن بالجرام
النوروزى	١,٤٥
المؤيدى	١,٣٠
الأشرفى (برسباى)	١,٠٣
الظاهرى	٠,٨١
الأشرفى (إينال)	٠,٧٥

نقلا عن : Bacharach : Circassian Monetary policy . silver p281.

ثالثا : أصبحت العملة النحاسية فى عصر الجراكسة خفيفة الوزن لدرجة أنه أصبح من الصعب حساب وزنها(١)، وبخاصــة بعـد أزمـة عــام ٨٠٦ هــ إذ يؤكدالمؤرخون على أنه في عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م صار وزن الفلوس ربـع درهم بعد أن كان مثقالا (٢) .

٢ ـ العيـــار

نتج عن ضرب عملات خفيفة الوزن أن صـــار التعـامل بـالوزن لا بالعدد، ولذلك نجد النداءات المتكررة التى تحث الناس على التعامل بـالوزن.(٣) وعندما يبطل العدد، ويتم التعامل بالميزان يتحايل الناس على ذلك من خـــلال إضافة بعض المعادن الأقل قيمة إلى العملة الأصلية مما يضعف من عيارهـــا، فعند تحليل إصدارات برقوق من العملة دلت على انخفاض نقاوتها مما يؤكـــد انخفاض عيارها.(٤)

وضرب الناصر فرج ٨٠٨هـ ١٤٠٥م دنانير عيارها أقل من عيار الدنـــانير القديمة(٥) وعندما ضرب الناصر فرج أيضا الدينار الناصرى جاء عيار الذهب فيه أقـل من الحـــد الأمثـل(٦)، كما تدخل السلطان برسباى فى عيار الذهب والفضة بما يتفـق مع مصلحته(٧)، وظل نقص العيار سياســة متبعة فـــى عصـــر الجراكســة إلـــى أن وصلــت نسبــة الـــذهب فـــى الدينــار الأشرفـــى (قايتباى) ٩٥%. (٨)

---

(١) Bacharach : Copper , P.41 Levanani : Aturning point , P.135 .

(٢) المقريزى: شذور العقود، ص ٨٧، السيوطى : حسن المحاضرة، جـــــ٢، ص ٣٠٨.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق ١، ص ١٦٦، شذور العقود، ص ٨٧، ابن إيـــاس: بدائع، جـ٣، ص ١٢١، ١٦٧ .
الأسدى: التيسير والاعتبار، ص ١١٨، حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٠٨.
سعيد عاشور: أضواء جديدة على المقريزى، ص ١٩٦،
Bacharach : Copper , P.39

(٤) Bacharach : Silver , p.268 - 269

(٥) المقريزى: شذور العقود، ص ٨٧ .

(٦) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦ .

(٧) طرخان: مصر في عصر الجراكسة، ص ٢٧٩.

(٨) Bacharach : The Dinar , P. 89

كما استخدم النحاس فى الدراهم بنسبة كبيرة، فبعد أن كانت نسبة النحاس تمثل فى الدراهم نسبة الثلث[1]، أصبح الدرهم منذ فترة حكم السلطان فرج مغشوشا لما يخلط به من معادن أقل قيمة [2]، وبنسبة كبيرة أصبحت تمثل ما يزيد عن الثلثين بل فى بعض الحالات وصلت نسبة النحاس فى الدراهم ٩٠% والباقى (١٠%) فضة [3].

وكما حاول الغورى التخلص من ضائقته الاقتصادية بخفض وزن عملته أضاف إلى ذلك فساد عيارها حتى يقال " إن النصف الفضة كان ينكشف فى ليلته فيصير من جملة الفلوس الحمر "[4]، لذا علق ابن إياس على نقوده بأنها أنحس المعاملات، جميعها زغل ونحاس وغش، لا يحل صرفها ولا يجوز فى ملة من الملل "[5].

ولم تنج الفلوس أيضا من نقص عيارها إذ بدأ المؤرخون يسجلون الغش فيها بإضافة المسامير والحديد ونعال الخيل إليها حتى صارت القفة من الفلوس، تحتوى على ٧٥% من الشوائب والباقى نحاس فى عام ٨٢٤هـ، ثم توالى الأمر إلى أن وصلت نسبة الشوائب إلى ٨٠% من وزن الفلوس فى السنوات التالية[6]

وجدير بالذكر أن عملية تزييف النقود لم تكن مقصورة على السلاطين [7] فقط بل مارس هذا العمل بعض الأمراء و طوائف الزغلية من الشعب الراغبة فى الثراء السريع [8]

---

(١) قاسم عبده قاسم: دراسات، ص ٥٦

labib : Handelsgeschichte P.271 .

(٢) Ayalon : The system , P.47 .

(٣) المقريزى: شذور العقود، ص ٨٧، السيوطى: حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٠٨.
ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١١.

(٤) حسن الباشا: قانصوه الغورى (كتاب القاهرة، حسن الباشا وآخرون)، ص ١٤٤.

(٥) عبدالرحمن فهمى: المسكوكات (كتاب القاهرة، حسن الباشا وآخرون)، ص ٥٤٩.
محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، جـ٣، ص ٦٤، نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٣٥٨.

(٦) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٢٩-٦٣٠.

Bacharach : Copper , P. 41- 42

(٧) ابن إياس: بدائع، جـ٣، ص ٢١١، جـ٤، ص ١٥٣، طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٣٤١

(٨) الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢، ص ٢٨٥

انتشار النقود الأجنبية :

كانت النقود المصرية لها اليد العليا فى التعاملات التجارية فى منطقة البحر المتوسط ولا يمنع هذا من تواجد عملات أجنبية مقبولة أيضا بجوارها[1] إلا أن الأزمات الاقتصادية وما يتبعها من غش للعملة أدت إلى تدهور قيمة العملة، وعدم حصولها على ثقة المتعاملين بها، لذا بدأت تتجه أنظارهم نحو العملات الأوربية التى انتشرت بصورة واضحة خلال عصر الجراكسة [2]، حتى أنها أصبحت نقدا رائجا منذ عام ٧٩٠ هـ/١٣٨٨م [3]، واستخدمت فى دفع مرتبات أرباب الوظائف فى بعض المنشآت الدينية [4].

كما أنفق السلطان شيخ فى عام ٨١٨هـ/١٤١٥م على المماليك لكل منهم ثلاثين دينارا إفرنتيا [5]. وفى عهد ابنه السلطان أحمد قام الأمير ططر بإعطاء كل مملوك مائة دينار إفرنتيه [6]، ولعبت الدوكة دورا رئيسيا فى المراكز التجارية الرئيسية فى عصر الجراكسة [7] ومما يدل على ذلك أن جمرك الإسكندرية أصر على دفع الرسوم الجمركية بالسبائك الذهبية أو بالدوكات مما يدل على مدى ما

---

(١) أحمد صادق: تاريخ مصر، ص ٤٣٦.

(٢) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا ،جـ٣، ص ٦٤

Labib: Geld und Kredit, Studien zur Wirtschaftsgeschichte Ägypten im Mittelalter, Akten des vierundzwanzigsten internationalen Orientalisten Kongresses, Muenchen, 1957., P.323 .

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤ ق١، ص ٣٠٥

ذكر ابن تغرى بردى أن الدينار الأفرنتى كثرت المعاملة به فى حدود سنة ٨٠٠ هـ. النجوم، جـ ١٤ق، ص ٢٨٣، إلا أن رواية المقريزى أصح لتأكيد القلقشندى لها، وذكر أسعار استبدالها منذ عام ٧٩٠. القلقشندى: صبح، جـ٣، ص ٤٤٢.

(٤) استخدم الدينار الأفلورى (ضرب فلورنسا) لدفع المرتبات فى وقف الزينى خوشقدم.

النبراوى: السكة، ص ٣٤٠

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٤، ص ٣٥.

(٦) نفس المصدر، ص ١٨٥.

(٧) Labib : Ein Brief des Mamluken Sultans Qaitbey an den Dogen von Venedig aus dem Jahre 1473,
Der Islam. Zeitschrift fuer geschichte und Kultur des islamischen Orients. 32. Berlin, 1957, P. 326 – 327

تمتعت به تلك النقود من انتشار فى مصر فى عصر المماليك الجراكسة.[1] وبالتالى أخذ مركز العملات الأجنبية يقوى فى مقابل العملة المصرية.

وبالنظر إلى أسعار استبدال العملة المصرية ومقارنتها بالعملة الأجنبية وبخاصة الدينار الإفرنتى الأكثر تداولا فى الأسواق المصرية نجد أن قيمة الدينار المصرى قبل أزمة ٨٠٦ هـ ترتفع قليلا عن الدينار الإفرنتى، وعندما اشتدت الأزمة فى الفترة مابين ٨٠٦هـ إلى ٨٠٨ هـ ارتفعت أسعار الدينار المصرى بسبب التدخل المستمر فى قيم استبدال العملة، إذ تغيرت قيمة الدينار ١٥ مرة خلال تلك الفترة، ثم بدأ الفارق بينهما ينخفض مما يؤذن بتدهور العملة المصرية فى مواجهة العملة الأجنبية .

وعلى الرغم من قيام السلطان فرج بمحاولة إصلاح العملة المصرية فى مواجهة الدنانير الإفرنتية وضربه الدينار الناصرى على وزن الدينار الإفرنتى فى بداية الأمر [2]، إلا أن انخفاض عياره وعدم ثبات وزنه دفعه إلى التراجع فى مواجهة الدوكة (الإفرنتى) التى كانت تتميز بالوزن الثابت والعيار المرتفع[3] والاستدارة فى الشكل، ولذا كانت دائماً يتم التعامل بها بالعد وليس بالوزن[4]، ولذلك تساوى سعر استبدال الناصرى مع الإفرنتى فى عام ٨١٣هـ/١٤١٠م[5]

ثم بدأ يتغيّر الوضع المالى وأصبحت نسبة الاستبدال فى صالح الدينار الإفرنتى وتراجعت قيمة الدينار الناصرى[6]، فبينما كان الإفرنتى يستبدل بـ ٢٣٠ درهماً فى المحرم ٨١٦هـ/إبريل ١٤١٣م استُبدِل الناصرى بـ ٢١٠ درهماً [7]. بفارق ٢٠ درهماً بنسبة ٩,٥ % من الناصرى لصالح الافرنتى. ثم تزايد هذا الفارق لصالح الإفرنتى فى عام ٨١٨هـ/١٤١٥م إلى ٥٠ درهماً بنسبة ٢٧,٨%

---

(١) آمال العمرى: المنشآت التجارية، ص ٢٣١.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٤١.

(٣) الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٢٧٦.

(٤) نعيم زكى: طرق التجارة، ص ٣٥٩، رأفت محمد محمد النبراوى: مسكوكات المماليك الجراكسة فى مصر "نظمها وقيمها النقدية" دراسة أثرية، دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١ .، ص ٤٠.

(٥) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٦٥.

(٦) انظر الشكل رقم ١٣ " العلاقة بين الدينار والإفرنتى ".

(٧) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١ ،ص٢٦٦، العينى: السيف المهند، ص٣١٥.

من الناصرى عندما استبدل الناصرى فى رجب ٨١٨ هـ بـ ١٨٠ درهما واستبدل الإفرنتي بـ ٢٣٠ درهما[١]. وظل هذا الفرق فى ذى القعدة ٨١٨هـ[٢]. وفى ١٢ ربيع الآخر ٨١٩هـ كان الفارق ٥٠ درهما لصالح الافرنتى.[٣]

وعلى الرغم من محاولات برسباى منع تداول الدوكات والدراهم الأجنبية وإصدار أوامر بحمل ما فى أيدى الناس منها إلى دار الضرب بغية تحويلها إلى عملات إسلامية، إلا أن الناس – لعلمهم بفساد العملة المصرية – أصروا على استعمال العملات الأجنبية، واستهانوا بما أصدره السلطان من أوامر. يؤكد ذلك مظهران أساسيان.

أولا : كثرة النداءات وتكرارها بين حين وآخر لإبطال المعاملة بالذهب المشخص والدراهم البندقية، حتى وصل عدد النداءات والأوامر فى عهد برسباى إلى تسعة نداءات فى الفترة من صفر ٨٢٩ هـ إلى ١٧ شعبان ٨٣٨ هـ[٤]، مما يعنى أن المصلحة الاقتصادية كانت تطغى على المصلحة القومية أو الاتجاهات الدينية

---

(١) ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٤٠.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٥٤.

(٤) هذه النداءات كانت فى الأوقات التالية

صفر ٨٢٩ هـ: ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١٠٤، المقريزى: السلوك، جـ٤ ق ٢، ص ٧٠٩.

١٥ جمادى الآخرة ٨٢٩هـ: المقريزى: السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٧٢٠.

٧ صفر ٨٣٠هـ، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٣٦.

٥ ربيع الأول ٨٣٢ هـ، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٧، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٩٣.

١٠ شوال ٨٣٢ هـ / المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٠٥.

٢٤ صفر ٨٣٤ هـ / الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢١٧.

٤ ربيع الأول ٨٣٤ هـ / المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٥٢ – ٨٥٣ / الصيرفى: نزهة، جـ٣، ص ٢١٨.

شعبان ٨٣٧ هـ / المقريزى: السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٩١٢ / الصيرفى: نزهة، جـ٣، ص ٢٨٣.

١٧ شعبان ٨٣٨ هـ. الصيرفى: نزهة، جـ٣، ص ٣١٦، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٤١.

ثانياً : تزايد أعداد الدوكات البندقية التي دخلت مصر في تلك الفترة. حقيقة ليس لدينا أعداد مؤكدة لما دخل مصر وحدها من دوكات، ولكن قدرت عدد الدوكات البندقية التى ضربت فى سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣ م بحوالى ١,٢٠٠,٠٠٠ دوكة، أرسل منها إلى مصر وسوريا حوالى ٣٠٠,٠٠٠ دوكة بنسبة ٢٥% من الكمية المضروبة، ثم تزايد هذا العدد في عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م إلى ٤٦٠,٠٠٠ دوكة (١) وبالتالى تزايد نصيب مصر من هذه الدوكات.

على أية حال فإن محاولات برسباى لإصلاح العملة قد رفعت من قيمة الدينار الأشرفى فى مواجهة الدوكة بل زاد عليها من ٥ إلى ١٠ دراهم فى الدينار الواحد (٢). مما يعنى استعادة مكانته فى مواجهة العملات الأجنبية ،ولذلك لم يعد المؤرخون يذكرون قيمة استبدال هذه العملات الأجنبية منذ عام ٨٣٤هـ.

تذبذب أسعار استبدال العملة :

إن أسعار استبدال العملة أو تغيير الذهب بالدراهم فى مصر لم يثبت على حال فى عصر الجراكسة بل يعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الأحوال. فقد كان سعر الصرف السائد فى عصر المماليك البحرية وأوائل عصر الجراكسة هو عشرون درهماً للدينار الواحد (٣).

و فى عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ارتفع سعر الدينار حتى بلغ ٢٣,٢٥ درهما(٤)، وأرجع أحد الباحثين سبب ذلك إلى حدوث وباء ٧٨٨ هـ/١٣٨٦م وانتشاره بالديار المصرية واستمراره حتى عام ٧٩١ هـ /١٣٨٩م(٥)، إلا أن هذا الوباء لم يكن له تأثير على ارتفاع سعر الدينار وذلك لعدة أسباب :

أولاً : أن هذا الوباء لم يتعد الإسكندرية، ولم ينتشر فى أنحاء البلاد. (٦)

---

(١) Bacharach : The Dinar . P. 79 .

(٢) المقريزى: السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٨٥٣ ، الصيرفى: نزهة، جـ٣، ص ٢١٨.

(٣) القلقشندى: صبح، جـ٣، ص ٤٤٢، ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٣١.

(٤) النبراوى: السكة الإسلامية، ص ٢٣٣، المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٥٣.

(٥) النبراوى : السكة الإسلامية، ص ٢٣٣.

(٦) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٧٠، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ١، ص ١٣١. المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٤٤ / ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢١٨.

ثانياً : أنه لم يستمر حتى عام ٧٩١هـ، لأنه لم يثبت أن حدث وبـــاء فـــى عــام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م .

ثالثاً : أورد ابن إياس عند حديثه على هذا الوباء أنه وقع فى نفس الشـــهر الـــذى حدث فيه الرخاء بالديار المصرية حتى أبيع اللحم البقـــرى، كـــل رطليـــن ونصف بدرهم وأبيع اللحـــم الضـــآن السميط كـــل رطلين بدرهم " ووقـــع الرخـــاء فى سائر البضـــائع والحبـــوبات قاطبة " (١).

رابعاً : أن بعض المؤرخين أوضح أن سعر اســـتبدال الدينـــار فـــى ربيـــع الأول ٧٨٨هـ كان ٢٠ درهماً (٢) وليس ٢٣,٢٥ درهما .

مما سبق يتضح أن وباء ٧٨٨هـ/١٣٨٦م لم يكن له تأثير علـــى أســـعار المبادلة، كما لم يؤثر وباء ربيع الأول ٧٩٠ هـ/مارس١٣٨٨م فيها أيضاً، حقيقـــة أنه فى نفس شهر بداية الوباء كان سعر الاستبدال ٢٥ درهماً (٣)، إلا أن ذلك كـــان منذ ٢٠ رمضان ٧٨٩ هـ /٥أكتوبر ١٣٨٧م (٤).

ولم يعثر الباحث على سعر الاستبدال عام ٧٩٥ هـ/١٣٩٢م وهو العام الـــذى حدث فيه وباء فى ربيع الآخر، إلا أن عدم ذكره فى المصادر يوحى بأنه ظـــل ثابتـــا على مقدار ٢٥ درهماً، كما كان عليه فى الأعوام السابقة، وكذلك استقر الاستبدال أثنـــاء وباء ٧٩٧هـ /١٣٩٤م ووباء ٨٠٠هـ/١٣٩٧م إذ أن سعر الدينار لم يرتفع إلـــى ٣٠ درهماً إلا فى عام ٨٠١ هـ/١٣٩٨م (٥) وهو عام لم يحدث فيه وبـــاء واســـتمر هـــذا السعر أثناء وباء ٨٠٢ هـ/١٣٩٩م (٦)، مما يعنى أنه لم يكن له تأثير أيضاً.

ولقد تركت الأزمة الاقتصاديـــة (ومـــا تبعـــها مـــن وبـــاء فـــى عـــام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م) أثرها على أسعار الصرف إذ ظل يرتفع الدينار من شهر لآخر

---

(١) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٧٠.
(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٣١
(٣) نفس المصدر، ص ٢٩٠.
(٤) نفس المصدر، ص ٢٦١.
(٥) المقريزى: شذور العقود، ص ٨٦.
(٦) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٣، ص ٩٧٧.

خلال هذا العام، فبلغ فى ربيع الأول ٧٠ درهماً [١]، ثم تزايد فى ربيع الآخر إلــى ٧٢ درهماً [٢]، وفى جمادى الأولى إلى ٧٣ درهماً [٣]، ولم ينته عـــام ٨٠٦ هـــ إلا والمثقال فى القاهرة قد وصل إلى ١٥٠ درهماً، وفى الإســكندرية إلــى ٣٠٠ درهماً [٤]، مما يعنى أنه ارتفع فى القاهرة فى هذا العام فقط بنسبة ١٠٧ %، وارتفع عما كان عليه الحال فى بداية عصر الجراكسة بنســبة ٧٥٠%. وتضــاعفت فــى الإسكندرية النسب السابقة، وعلى الرغم من انتشار الوباء فى صعيد مصر فى ذى الحجة عام ٨٠٨هـــ بدرجة كبيرة حتى أطلق عليه ابن تغرى بــردى " الطــاعون العظيم " [٥]، إلا أنه لم يكن له تأثير على أسعار تغيير العملة فى مصر إذ انخفـض سعر المثقال فى أول المحرم من العام التالى (٨٠٩هــ) إلى ١٣٥ درهمــاً [٦] ..، بعد أن كان سعره ١٦٥ درهماً فى ١٨ ربيع الآخر ٨٠٨هـــ [٧] .

وفى أوائل عام ٨١٣ هــ/مايو ١٤١٠م تغيرت أسعار العملة، فارتفع سـعر المثقال فى صفر إلى ٢٠٠ درهماً [٨]، بعدما كان فى المحرم من نفس العــام ١٨٠ درهماً [٩] .

وقد اعتبر القلقشندى هذا السعر زائداً عن الحد عندما قــارن بيــن تغيــير العملة فى عام ٧٩٠هـــ /١٣٨٨م وما وصل إليه الحال فى عام ٨١٣هـــ /١٤١٠م إذ زادت قيمة الدينار بنسبة عشرة أضعاف عما كــان عليــه الحــال أول عصــر الجراكسة فيقول " وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصرى فيما أدركنــاه فــى التسعين والسبعمائــة وما حولــها عشــرون درهمــاً، أما الآن فقــد زاد وخــرج عن الحد خصوصاً فى سنة ٨١٣هـــ "/١٤١٠ م [١٠].

---

(١) الصيرفى: نزهة، جـــ٢، ص ١٨٠.
(٢) نفس المصدر، ص١٨٢
(٣) نفس المصدر والصفحة
(٤) المقريزى: إغاثة، ص٧٦.
(٥) النجوم، جـــ١٣، ص٥٢
(٦) ابن إياس: بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٧
(٧) ابن تغرى بردى: النجوم، جـــ١٣، ص٤٣
(٨) المقريزى: السلوك، جـــ٤، ق١، ص ١٣٣.
(٩) نفس المصدر، ص ١٣١.
(١٠) القلقشندى: صبح، جـــ٣، ص ٤٤٢.

ونتيجة لهذه الأزمة النقدية اضطر السلطان فرج فى ٢٣ صفر ٨١٣هـ أن يرفع سعر الرطل من الفلوس إلى الضعف إذ نودى عليه بأثنى عشر درهماً الرطل بعدما كان بستة دراهم فقط، فغلقت الأسواق وتعطلت أسباب الناس، واضطر إلى التراجع فنودى على أن يكون الرطل بتسعة فسكن الحال قليلاً، ثم نودى أن يعود الوضع إلى ما كان عليه بستة دراهم ففتحت الأسواق وعاد الأمر كما كان أولاً [١].

وفي نفس العام ارتفع سعر الدرهم الكاملى من خمسة دراهم فى المحرم ٨١٠هـ [٢] إلى ستة وسبعة دراهم فى المحرم ٨١٣هـ، بينما الدرهم النقرة ١٢ درهماً [٣]. ثم ارتفع الدرهم الذى لم يُغش فى ذى الحجة ٨١٣هـ إلى ١٣ درهماً من الفلوس [٤].

وفي الفترة من ٨١٥ إلى ٨٢٣ هـ لم يكد يمر منها عام إلا وانتشر فيه الوباء في بعض مناطق مصر أو فى البلاد كلها حتى أننا يمكن أن نطلق على عصر المؤيد شيخ (٨١٥هـ- ٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م) أنه عصر وباء، كان أشد الأزمات فى تلك الفترة أزمة ٨١٨/٨١٩هـ/١٤١٥ـ١٤١٦م إذ وصل الدينار الهرجة فى ذى القعدة ٨١٨هـ إلى ٢٧٠ درهماً من الفلوس [٥]، ثم واصل ارتفاعه حتى وصل فى ذى الحجة ٨١٨هـ إلى ٢٨٠ درهماً من الفلوس [٦]، وهو ما لم يحدث من قبل، ولذلك اضطر السلطان المؤيد إلى تخفيض سعر الذهب الافرنتى والهرجة مرتين فى ذى الحجة ٨١٨هـ / فبراير ١٤١٦م [٧]. ولم يزل يأمر بترخيص الذهب والفضة فى عام ٨١٩ هـ /١٤١٦م إلى أن انحطت الهرجة من ٢٨٠ إلى ٢٣٠ والإفرنتى من ٢٥٠ إلى ٢١٠ [٨].

---

(١) المقريزى: السلوك،جـ٤، ق١، ص ١٣٣.
(٢) ابن إياس: بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٧٦، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٥١.
(٣) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٣١، الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٢٦٤.
(٤) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٦٦.
(٥) نفس المصدر، ص ٣٣٥.
(٦) نفس المصدر والصفحة، ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٤، ص ٤٠.
(٧) محمد أمين: التنظيمات الحكومية، ص ١٩٤.
(٨) الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٣٦٨، المقريزى: شذور العقود، ص ٨٨.

أما بالنسبة للدرهم، فبعد أن وصل فى صفر ٨١٨هـ/ إبريل١٤١٥م إلى ١٨ فلسا [١]، أمر السلطان بتخفيض سعره إلى ١٦ درهما، وكذلك كل رطل من الفلوس بخمسة دراهم ونصف ونودى بتهديد من يخالف ذلك. [٢]ونتيجة لذلك ازداد الأمر تأزما "لانحطاط النقود بديار مصر مع ثبات أسعار المبيعات وأجر الأعمال"[٣]، لذا عندما نودى فى المحرم ٨٢٠هـ على الفلوس بأن كل رطل بستة دراهم استقامت الأحوال.[٤]

وعندما حدثت الأزمة الاقتصادية فى ٨٢١هـ /١٤١٨م كانت بسبب قلة الفلوس [٥]، لذا كثر عرض الذهب فى الأسواق فانخفض سعره من ٢٨٠ درهما فى آخر ذى القعدة ٨٢٠هـ / يناير١٤١٧م [٦] إلى ٢٣٠ فى ١٠ صفر ٨٢١ هـ /٢٠مارس١٤١٨م [٧]. كما انحط سعر النصف الفضة المؤيدى من ٩ دراهم [٨] إلى ٧ دراهم [٩] خلال نفس الفترة فلما هاج الناس وكثر اضطرابهم أمر السلطان بأن يخفض التجار أسعار بضاعتهم بقدر ما انخفض من سعر الذهب والفضة [١٠]، ثم انخفض سعر الدينار بدرجة كبيرة فوصل إلى ١٧٠ درهما فى ١٤ ربيع الأول من نفس العام ٨٢١ هـ، وما ذلك إلا " لعزة الفلوس وهوان الذهب " [١١]

ولا توجد علاقة مباشرة بين وباء ٨٣٣هـ/١٤٣٠م وارتفاع قيمة تغيير العملة فى ذلك الوقت لعدة أسباب :

١ - أن السبب الرئيسى فى ارتفاع قيمة العملة يرجع إلى ندرة معدن الذهب فى ذلك الوقت. [١٢]

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٠٧.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٦٣، ابن إياس: بدائع، جـ٢ ،ص ٢٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٦٣.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٨١، الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٣٨٣.

(٥) انظر التدخل فى تحديد قيم تغيير العملة ص٤٩.

(٦) الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٤٠٠ .

(٧) نفس المصدر، ص ٤١٠.

(٨) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٢٧.

(٩) الصيرفى: نزهة، جـ٢، ص ٤١٠.

(١٠) نفس المصدر والصفحة، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣٧.

(١١) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣٩.

(١٢) النبراوى: السكة الإسلامية، ص ٢٥٥

٢ - أن الدينار ارتفع من ٢٣٠ درهما فى ١٠ شوال ٨٣٢ هـ [(١)] إلى ٢٨٠ درهما فى صفر ٨٣٣هـ [(٢)]، وهذا الارتفاع قد حدث قبل الوباء - الذى بدأ فى ربيع الآخر من نفس العام - بشهرين

٣ - ظل سعر الدينار طوال فترة الوباء (من ربيع الآخر ٨٣٣هـ إلى أول شعبان ٨٣٣هـ /ديسمبر ١٤٢٩ إلى إبريل ١٤٣٠م) مستقرا بل وبقية العام إلى أن نودى عليه فى صفر ٨٣٤ هـ / أكتوبر ١٤٣٠م أن يكون سعر الدينار الأشرفى ٢٣٥ درهما. [(٣)]

أما الأزمة الاقتصادية التى بدأت تشتد فى عام ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م، وازداد اشتعالها فى عام ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م نتيجة لانتشار الأوبئة فى تلك الفترة[(٤)]، ثم استمرار الأزمة فى عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م لحدوث " الشراقى العظيم[(٥)] " فقد ارتفع سعر الرطل من الفلوس إلى ٤٢ درهما فى عام ٨٥٤ هـ [(٦)]، وهو أعلى سعر وصل إليه الرطل من الفلوس فى عصر المماليك قاطبة إذ أنه يوازى سبعة أضعاف ما كان عليه الحال فى أزمة عام ٨٠٦ هـ، لذا اضطر السلطان إلى تخفيض قيمته والمناداة عليه بأن يكون الرطل من الفلوس ٣٦ درهما[(٧)] .

إن الفترة ما بين ٨٥٩ هـ و ٨٩٧ هـ وهى الفترة التى تباعدت فيها الأوبئة بفاصل زمنى كبير إلى حد ما مقارنة بالأوبئة الأخرى نجد أن سعر الدينار يسجل أعلى قيمة له فى مواجهة الدرهم فى عصر المماليك إذ وصلت قيمته فى عام ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨م إلى ٤٦٠ درهما للدينار [(٨)]. وفى نفس العام وصلت

---

(١) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٠٥.
(٢) النبراوى: السكة الإسلامية، ص ٢٥٥.
(٣) ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ١٣٧، المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٥٢، الصيرفى: نزهة، جـ٣، ص ٢١٨.
(٤) انظر جدول ٢٣.
(٥) ابن عربشاه: التأليف الطاهر، ص ٢٥٨، ابن تغرى بردى: حوادث ص ٨٧، السخاوى: التبر المسبوك ص ٣١٠.
(٦) السخاوى: التبر المسبوك، ص ٣٠٧.
(٧) نفس المصدر والصفحة.
(٨) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٦، ص ١١٥، ابن إياس: بدائع، جـ٢، ص ٣٤٤.

قيمة الدرهم المغشوش إلى ١٦ درهما، والدرهم الإينالى ٢٤ درهما نقرة [١]، وهو أعلى سعر سجله الدرهم الفضى فى عصر المماليك أيضا، لأنه ارتفع بمقدار ٤٨٠% عن سعره فى الأزمة الاقتصادية عام ٨٠٦هـ.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هناك صعوبات متزايدة فى معرفة أسعار استبدال العملة [٢]، فلم يشر المؤرخون إليها سوى ما ذكره ابن ايـاس فى عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م " أن الدينار الذهب يصرف من الفلوس الجدد بثلاثين نصفا "[٣]، ولما كان النصف الفضة فى نفس العام يصرف بأربعة عشر درهما [٤]، فصرف الدينار يبلغ ٤٢٠ درهما.

مما سبق يتضح ما يلى :

أولا : أن الفترة الأولى من حكم الجراكسة (عصر برقوق) كانت نسبة عدم الثبات بين الدرهم والدينار قليلة إذ تراوحت من ٢٠ إلى ٢٦,٥ درهم. وأن الأوبئة التى حدثت فى عصره لم يكن لها أثر يذكر فى أسعار استبدال العملة.

ثانيا : بدأت ترتفع نسبة عدم الثبات بين الدرهم والدينار منذ عصر السلطان فرج وبصورة خاصة أثناء الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م. حتى وصلت إلى ١٥٠ درهما فى القاهرة و ٣٠٠ درهم فى الإسكندرية، ولم تنخفض هذه النسبة إلا بدرجات محدودة فى السنوات التالية ثم تعاود الارتفاع مرة أخرى.

ثالثا – لا توجد علاقة ذات دلالة بين سنوات الأوبئة وارتفاع أسعار العملة الذهبية وبخاصة الأوبئة التى تقتصر على مدينة أو إقليم معين ولم تنتشر فى أنحاء البلاد، وإنما الأمر يتعلق بصورة أكبر بالتدخل المباشر للسلاطين فى أسعار العملة من خلال الأوامر والنداءات المتكررة لتحديد قيم تغيير العملة بما يتلاءم مع مصالحهم وبما يحل أزماتهم المالية، ولم تتأثر أسعار المبادلة بالأوبئة إلا فى وباء ٨٠٦هـ، ٨١٣هـ و ٨١٨هـ و ٨١٩هـ و ٨٥٣ هـ. [أما الأوبئة التى حدثت ابتداء من ٨٦٤ وحتى نهاية العصر فلم نتعرف على أسعار المبادلة خلال سنوات حدوثها].

(١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٦، ص ١١٥.

(٢) Ayalon : The system of payment , P.48 .

(٣) ابن إياس: بدائع، جـ٣، ص ٣٩٥.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٨٨.

أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على الموارد المالية :

في ظل انهيار النظام الإقطاعي والعجز المالي المتفاقم، وزيادة نفقات الدولة المختلفة، كان لابد للسلطة الحاكمة من تقليص الفجوة بين الإيرادات والنفقات، ولم يتم ذلك من خلال تنمية موارد الإنتاج، وإنما اتجهت إلى عملية امتصاص مستمرة للثروة القومية متمثلة في فرض الضرائب المستمرة والمصادرات، والاستيلاء على المواريث ولذا عرفت هذه الوسائل في ذلك العصر " بالمغارم" "و الكلف" "والمظالم" مما يعكس رأى الناس فيها[١] فقد كانت السلطة الحاكمة في تلك الفترة قادرة على تخريب البلاد أكثر من دفع وتطوير مواردها[٢] ويمكن معرفة مدى تأثير الأزمات الاقتصادية والأوبئة على الموارد المالية من خلال العناصر الرئيسية لتلك الموارد .

الخراج :

وهو ما يفرض على الأراضي الزراعية سنويا[٣] .ولم يكن الخراج يدفع كله نقداً بل كان بعضه يدفع عينا، فمعظم أراضي الوجه القبلي كان يدفع خراجها عينا بواقع من ٢-٣ أردب لكل فدان في المتوسط، بينما كان غالب خراج الوجه البحري نقدا بقيمة من ٣٠-٤٠ درهم لكل فدان طبقا لطبيعة الأرض[٤] .

فقد كان لتقدير الخراج ارتباط بمدى جودة الأرض وإنتاجيتها، فقد كانت الأرض الجيدة تدفع خراجها غلة ثلاثة أرادب للفدان بكيل الناحية، أما الأرض الرديئة فتكون أقل من أردبين، بل في بعض الحالات يصل خراجها إلى سدس أردب فقط للفدان[٥]، ولما كانت هذه الأراضي في معظم الأزمات تشرق أو تستبحر فتضعف جودتها فتنحو نحو الأقل في التقدير الخراجي .

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص١٦.

(٢) Bernard Michel : l' Organisation Financiere, P.245 .

(٣) المقريزي : الخطط، جـ١، ص ١٠٣.

(٤) القلقشندي : صبح، جـ٣، ص ٤٥٣ – ٤٥٤.

Sato, Tsugitaka: The Evolution of the Iqta System under the Mamluks – An analysis of al-Rowk al-Husami and al-Rowk al-Nasiri, Memoirs of the Toyo Bunko, 37. 1979, P.115.

Lapidus : The Grain Economy , P.3.

(٥) النويري : نهاية الأرب، جـ٨، ص ٢٥٤.

كما تأثرت قيمة الخراج بالأزمات الاقتصادية أيضا عندما ازدادت حركة البيع من أملاك بيت المال لمواجهة العجز فيه، إذ تحولت مساحات كبيرة من الملكيات الحرة إلى الأوقاف، وحرم بيت المال من قدر كبير من الخراج، خاصة وأن أراضى الأوقاف كانت معفاة من الخراج والضرائب(١) فبعدما كانت معظم أراضى مصر يفرض عليها الخراج ويزود بيت المال بالقسط الأكبر من الموارد المالية – حيث كانت مساحة أراضى الأوقاف محدودة لا يلتفت إليها – ضعفت هذه النسبة بعد أن أصبحت أراضى الأوقاف تمثل عشرة قراريط من أربعة وعشرين قيراطا، بالإضافة إلى أرض الرزق التى تمثل حوالى٠,٥٩ من القيراط(٢) مما يعنى أن الأراضى التى أصبحت تدفع الخراج فقط حوالى ١٣,٤٧ قيراطا من ٢٤ قيراطا بنسبة ٥٦ % من أراضى مصر

ويتضح مدى النقص الذى عانت منه خزانة الدولة فى هذا المورد (الخراج) عندما نعلم أنه عندما صدر قانون نامه العثمانى ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣م وعادت معظم أراضى الوقف إلى ملكية الدولة، زادت موارد الخزينة السلطانية المرسلة من مصر بنسبة ٨٠ %(٣) .

كما كان لعملية تقدير الخراج ارتباط وثيق بالنيل ومساحة الأرض المزروعة، ولذا فإنه فى حالة نقص الفيضان أو زيادته عن المألوف، أو انتشار الوباء، ووفاة أعداد كبيرة من الفلاحين ،وهجرة البعض لأراضيهم يؤثر فى مقدار الخراج . إذ تزداد نسبة الخراب التى تلحق بالبلاد وتعجز السلطة الحاكمة عن جباية الخراج وتقل موارد البلاد بدرجة كبيرة حيث أن هذا الخراج كان يعد المصدر الأساسى لدخل الدولة .

ومن خلال الإحصاءات التى استخرجها الباحث من كتاب " التحفة السنية" لابن الجيعان يتضح ما يلى(٤).

أولاً : ارتفعت قيمة العبرة المقررة على ١٤ قرية فقط من قرى مصر(٥) بينما

---

(١) محمد أمين : الأوقاف، ص ٩٢- ٩٣، محمد عفيفى : الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، ع٤٤، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١، ص ٢٠

(٢) انظر جدول ٥.

(٣) Johansen : The Islamic law , p.87 .

(٤) انظر جدول ٨، ٩.

(٥) أوضح بعض الباحثين أن عدد القرى التى ارتفعت عبرتها ١٢ قرية فقط
Dols :The Black death , P.16

انخفضت قيمة العبرة على ٥٣٧ قرية أى ما يزيد على ٢٣% من القرى المصرية، مما يعنى تدهور وانخفاض قيمة الخراج كمورد من موارد خزينة الدولة .

ثانياً : ازدياد نسبة عدد القرى التى انخفضت عبرتها فى الوجه القبلى ٢٦,٨% من قرى الوجه القبلى، بينما تنخفض هذه النسبة قليلاً فى الوجه البحرى إلى ٢٢,٠٨% من قرى الوجه البحرى، مما يعنى أن نسبة الخراب التى لحقت بالوجه القبلى كانت أكبر قليلا من الوجه البحرى، من بين ذلك عدد من القرى استقر بلا عبرة لعدم صلاحيته للزراعة .

ثالثاً : يقدر الانخفاض الكلى فى العبرة بحوالى ١٤,٥٨% من نسبة العبرة، ويكاد يتساوى الوجه البحرى مع الوجه القبلى فى النسبة، إذ وصلت نسبة الفرق فى العبرة فى الوجه البحرى ١٤,٤%، وفى الوجه القبلى ١٤,٩% .

رابعاً : كان أكبر الأقاليم انخفاضاً فى عبرته إقليم الفيومية بنسبة ٣٣,٨٢% حيث غرق عدد كبير من قراه[1]، نتيجة لانخفاض هذا الإقليم عن مستوى سطح البحر، ثم إقليم الأطفيحية حيث انخفضت عبرته بنسبة ٢٧,٩٨% وذلك لخراب معظم قرى هذا الإقليم[2]، واندثار بعضها الآخر الذى أصبح غير موجود[3]. ثم إقليم البحيرة الذى انخفضت عبرته بنسبة ٢٣,١١% ثم يتلوه إقليم المنوفية بنسبة ١٩,٩٣% .

---

(١) ابن الجيعان : التحفة، ص ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٣) نفس المصدر، ص ١٤٩.

(جدول ٨)

تغير العبرة فى الأقاليم مصر

المكان	عدد القرى الأصلية	عدد القرى التى تغيرت عبرتها	العبرة فى شوال٧٧٧ هـ	العبرة الجديدة وقت ابن الجيعان	الفرق فى العبرة	نسبة الفرق فى العبرة
أولا : الوجه البحرى						
الضواحى	٢٠	٢	١٥٣٠٧٥	١٤٩٢٧٥	٣٨٠٠	%٢,٤٨
القليوبيـــة	٥٩	١٣	٤١٩٨٥٠	٣٨٢٧٥٠	٣٧١٠٠	%٨,٨٤
الشرقيـــة	٣٨٠	٦١	١٤١١٨٧٥	١٢٨٢٥١٥	١٢٩٣٦٠	%٩,١٦
الدقهليـــة	٢١٧	٥٤	٥٩٦٠٧١	٥١٥١٢٣,٥	٨٠٩٤٧,٥	%١٣,٥٨
ضواحى ثغر دمياط	١٢	–	١١١٠٠	١١١٠٠	–	
الغربيـــة	٤٧١	١١٧	١٨٤٤٠٨٠	١٥٤٣٧٧٦	٣٠٠٣٠٤	%١٦,٢٨
المنوفية	٢٣٢	٣٨	٥٧٤٦٢٩,٣	٤٦٠٠٧٩,٣	١١٤٥٥٠	%١٩,٩٣
ابيار وجزيرة بنـــى نصر	٤٦	١٢	١٠٠٢٣٢	٨٥٨٩٩	١٤٣٣٣	%١٤,٣٠
البحـــيرة	٢٢٢	٨٠	٧٤١٢٩٤,٧	٥٦٩٩١٣	١٧١٣٨١,٦	%٢٣,١١
فوه والمزاحمتين	١٦	١	٥٦٨٤٦,٥	٥٤٨٤٦	٢٠٠٠	%٣,٥٢
نســتراوه	٦	١	٤٣٥٠٠	٣٩٥٠٠	٤٠٠٠	%٩,٢٠
ضواحـــى ثغـــر الإسكندرية	٨	٢	١١٠٠٠	٩٨٣٠	١١٧٠	%١٠,٦٤
	١٦٨٩	٣٨١	٥٩٦٣٥٥٣,٥	٥١٠٤٦٠٧	٨٥٨٩٤٦	%١٤,٤٠
ثانيا : الوجه القبلى						
الأطفيحية	٥٠	٢٦	١٤٣٩٩٧,٥	١٠٣٧٠٧	٤٠٢٩٠,٥	%٢٧,٩٨
الفيوميـــة	٩٧	٢٤	١٦٤٠٥٠	١٠٨٥٧٢	٥٥٤٧٨	%٣٣.٨٢
البهنساوية	٢٥٦	٦٣	١٣٠٢٦٤٢,٥	١٠٧٨٢٧١	٢٢٤٣٧١,٥	%١٧,٢٢
الأشمونين	١٠٣	٤٢	٧٦٢٠٤٠	٦٤٩١١٣	١١٢٩٢٧	%١٤,٨٢
الأسيوطية	٣٢	٦	٣٢٣٩٢٠	٢٩٢٥٢٠	٣١٤٠٠	%٩,٦٩
الأخميمية	٢٦	٥	٢٤٣٩٢٥,٣	٢٣٥٤٤٤	٨٤٨١,٣	%٣,٤٨
القوصيـــة	٤٣	٣	٤١٤٦٦٣,٥	٣٨٧٤٦٣	٢٧٢٠٠,٥	%٦,٥٦
المنفلوطية	٥	١	—	—	—	—
	٦١٢	١٧٠	٣٣٥٥٢٣٩	٢٨٥٥٠٩٠	٥٠٠١٤٩	%١٤,٩
الجيزية	١٥٩	٦	٦٢٠٠٠	٤٦٩٠٨	١٥٠٩٢	%٢٤,٣٤

(جدول ٩)

مقارنة بين الوجهين القبلى والبحرى

فى تغيير العبرة

وجــــه المقارنــــــة	الوجه البحرى	الوجــــه القبلى	الوجهين البحرى والقبلى ما عدا الجيزية	النسبة المئوية
عدد القرى الأصلية	١٦٨٩	٦١٢	٢٣٠١	
عدد القرى التى تغيرت عبرتها	٣٨١	١٧٠	٥٥١	%٢٣,٩٥
العبرة فى شوال ٧٧٧هـ	٥٩٦٣٥٥٣	٣٣٥٥٢٣٩	٩٣١٨٧٩٢	
العبرة الجديدة وقت ابن الجيعان	٥١٠٤٦٠٧	٢٨٥٥٠٩٠	٧٩٥٩٦٩٧	
الفرق فى العبرة	٨٥٨٩٤٦	٥٠٠١٤٩	١٣٥٩٠٩٥	%١٤,٥٨
عدد القرى التى زادت عبرتها	٨	٦	١٤	%٠,٦١
عدد القــرى التــى انخفضـت عبرتها	٣٧٣	١٦٤	٥٣٧	%٢٣,٣٤
النسبة المئوية لعدد القرى التـــى انخفضت عبرتها	%٢٢,٠٨	%٢٦,٨		

وقد حاولت السلطة الحاكمة أن تعوض هذا النقص فى الخراج من خــلال عدة إجراءات ترتبط بقيمة الخراج نفسها، أو بموعد جبايته، أو بمكــوس إضافيــة على الأراضى الزراعية، من هذه الإجراءات .

١ - زيادة قيمة الخراج على الأراضى الزراعية بما يتناسب مع ارتفــاع القيمــة السعرية للمنتجات الزراعية، وقد وصلت هذه الزيادة فى بعض الأحيان إلــى خمسة أضعاف قيمتها الأصلية، فالمقريزى يقرر أن الأرض الزراعية التــى كان مبلغ خراجها من قبل أزمة ووباء ٨٠٦هــ/١٤٠٣م عشـرين ألــف درهم صار بعد الأزمة مائة ألف درهم(١) .

٢ - إن السلطة الحاكمة وإن كانت تعجز عن جباية الخراج وقــت الجفــاف، فإنــها لا تتغاضى نهائيا عن استيفاء حقها من الخراج فى هذا الوقت، بل كانت تنتظـر حتى تعود الأمور إلى طبيعتها فيفرض مال الخراج مضاعفا، فقد رسم الظــاهر

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٧٣.

جقمق فى سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م للمقطعين بأن الأراضى التى لم تزرع بسبب شراقى عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، ثم رويت بماء النيل عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م يؤخذ عليها الخراج من الفلاحين مرتين ففعلوا ذلك[١] . وكان ذلك لحاجة السلطان إلى المال ووقوع الغلاء فى بعض المناطق[٢].

٣ - وعندما تشتد الأزمة الاقتصادية وتحتاج السلطة الحاكمة إلى المال، لا يلتزم بالموعد المحدد لجباية خراج الأرض الزراعية، بل يطالب به قبل استحقاقه، فعندما زادت الأزمة الاقتصادية فى عصر الغورى، لجأ السلطان فى ربيع الأول ٩١٨هـ / مايو ١٥١٢م إلى جمع خراج الأرض من المزارعين قبل استحقاقه، وقبل جمع المحصول الجديد، فحصل للمقطعين غاية الضرر وخرب غالب البلاد، ورحل عنها الفلاحون، بعد أن استخرجت منهم الأموال بالضرب وقبض على نسائهم وأولادهم[٣].

٤ - وفى وقت الأزمات أيضا يلجأ السلاطين إلى فرض مبالغ مالية إضافية على كل فدان من الأرض الزراعية، فعندما كان يستعد السلطان فرج لقتال تيمورلنك ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، أذن ليلبغا السالمى[٤] أن يتحدث فى كل ما يتعلق بالمملكة، ففرض على سائر أراضى مصر عن عبرة كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس[٥]، وعلى حد قول الصيرفى " كل ذلك من مال الفلاحين خارجا عن الأموال الديوانية "[٦]، وفى إطار استعداد السلطان شيخ لحرب التركمان فرض الاستادار غرائم على القرى تدفع ذهبا فجبيت مضاعفة[٧].

---

(١) محمد أمين : التنظيمات الحكومية، ص ٢١٦ .

(٢) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية، ص ٢٤٨

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٢٦٢.

(٤) هو أبو المعالى عبد الله الأمير سيف الدين الحنفى الصوفى الظاهرى، كان اسمه يوسف، وهو حر الأصل، وآباؤه مسلمين، فلما جلب من بلاد المشرق سمي يلبغا، وقيل له السالمي نسبة إلى سالم تاجره الذى جلبه.النبراوى : السكة، ص ٢٦٨ حاشية ٧٥. وكان استادارا للسلطان فرج ،أى يتولى شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان. سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص٤١١.

(٥) المقريزى : الخطط، ج٢، ص٢٩٢. المقريزى : السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٥٢. ابن حجر : إنباء الغمر، ج٤، ص٢١٠.

(٦) نزهة، جـ٢، ص٩٨.

(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٩٢.

وعندما حدث عجز في ديوان المفرد قدر بمبلغ ٦٠ ألف دينار في عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م[(١)] سافر استادار السلطان إلى بعض النواحي، وفرض على كل بلد نزل به مالاً سماه "الضيافة" ليستعين بذلك على عجز ديوان المفرد لنفقة المماليك السلطانية، فجبى مالا كثيرا فاختل حال الفلاحين[(٢)] وأصبحت الضيافة من الضرائب الثابتة على الفلاحين[(٣)]. كما رسم بأخذ الشعير من النواحي لعجز الديوان عن عليق خيول المماليك السلطانية " فأخذ من شعير الناس ما قدر عليه"[(٤)].

وقام قايتباى لسد العجز في ميزانية بيت المال بأخذ الخمس من خراج المقطعين من بلاد الشرقية، وذلك لتجهيز خيالة من فرسان عربان الشرقية يتوجهون لمساعدة الجيش المملوكي ضد العثمانيين وذلك في عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ - ١٤٨٨م[(٥)]، وتكرر الموقف في عام ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩- ١٤٩٠م فلحق بالمقطعين والفلاحين ضرر كبير[(٦)].

العشــــور:

هي الأموال التي تجبى من تجار الفرنج الذين يفدون ببضائعهم إلى دار الإسلام فكانوا يدفعون عشر قيمتها مثل الضريبة الجمركية على المستوردات في الوقت الحاضر، وقد أباح الشافعي للحاكم أن يزيد في هذه النسبة إلى الخمس أو ينقصها إلى نصف العشر أو يزيلها نهائياً[(٧)].

وفي ضوء النقص المالي المستمر الذي نتج من إفلاس النظام الإقطاعي وعانت منه خزينة بيت المال - نالت التجارة الخارجية أيضا نصيبها من التوسع في فرض الضرائب خاصة أن هذه التجارة الخارجية لم تكن ناتجة من زيادة فائض الإنتاج الزراعي أو الصناعي المصري، وإنما كانت قائمة في الأساس على

---

(١) نفس المصدر، جـ٤،ق٢،ص٧٩٦، الصيرفي : نزهة، جـ٣،ص ١٥٠

(٢) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٩٨.

(٣) الصيرفي : نزهة، جـ٣، ص ١٥٢
Bernard Michel : L'organisation financiere . P. 240

(٤) المقريزي : السلوك، جـ٤،ق٢،ص ٧٩٩.

(٥) ابن اياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٥٣.

(٦) نفس المصدر، ص ٢٦٥.

(٧) أحمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية " الصناعة والأصناف، عالم الفكر، مج ١١، ع٤، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٢٩
انظر أيضا محمد الحبيب الهيلة : النظم الإدارية، ص ١٠٨٥.

تجارة الطور، فالسلع الشرقية كانت تجبى عليها العشر[١]، ولم يقنع برسباى بهذا القدر ففرض رسوماً إضافية أخرى على التجارة التى تصل ميناء جدة، فتحولت المتاجر عنها إلى عدن، فاضطر إلى الاكتفاء بالعشر[٢]، ولكن كانت تتضاعف رسوم الجمارك إذا ثبت أن السفن مرت قبل دخولها جده بعدن[٣] .

وإذا أضفنا إلى هذه النسبة الإتاوات التى كان يفرضها الموظفون فإن هذه النسبة ترتفع إلى ١٥% من قيمة التجارة، ومثل هذه النسبة تفرض عند وصول التجارة إلى الطور ثم تمر التجارة بجمرك القاهرة، وهناك على حد قول(هايد) يجب أن يفرض عليها ١٥%، ثم عند وصولها إلى الإسكندرية تخضع لضريبة أخرى قدرها ١٠%[٤] .

وعلى الرغم من أن شاه رخ أنكر على السلطان الأشرف برسباى تحصيله ضريبة العشور من التجار الواردين إلى جدة من الهند، إلا أنه فى ظل حاجته المالية لم يقم بإلغائها كما أن جقمق حاول إعطائها صبغة شرعية من خلال تساؤل بعض الفقهاء بأن التجار يظلمون فى ميناء عدن، ولذلك يعرضون على السلطان القدوم إلى جدة لينعموا بحمايته لهم فى مقابل دفع عشر أموالهم، فهل يحق للسلطان أخذ هذه العشور منهم علما بأن السلطان فى حاجة إلى المال ليصرفه على العسكر الذى سيرسله إلى جدة لتوفير هذه الحماية[٥].

وفى ظل الأزمة المالية فى عصر الغورى زيدت نسبة الضرائب تدريجيا حتى جبى الأمير حسين الكردى نائب السلطان الغورى فى جدة مثل قيمة البضائع تماما أى بنسبة ١٠٠% من قيمتها، وربما كان ذلك رغبة فى تعويض النقص الناتج عن التدهور التدريجى الذى أصاب تجارة مصر الخارجية بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فأتى بنتائج عكسية أدت إلى امتناع التجار الشرقيين عن إنزال بضائعهم فى جدة أو فى الموانئ المصرية[٦] .

---

(١) القلقشندى : صبح، جـ٣، ص ٤٦٣.
(٢) إبراهيم طرخان : مصر فى عصر الجراكسة، ص ٢٨٨.
Nelly Hanna : An urban History , P.15 .
(٣) نعيم زكى : طرق التجارة، ص ٣١١.
(٤) هايد : تاريخ التجارة، جـ٣، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤،ق٣،ص١١٨٧- ١١٨٨.
(٦) إبراهيم طرخان : مصر فى عصر الجراكسة، ص ٢٩٠.

أدت كل هذه الضرائب إلى ارتفاع أسعار السلع الشرقية بدرجة كبيرة قد تصل إلى ثلاثة أو أربعة أمثال ثمنها الأصلي(١)، فأصبح ذلك من بين الدوافع التى دفعت الأوربيين للبحث عن سبيل آخر لتجارتهم بعيدا عن هذه الضرائب والمكوس، فكان لذلك أسوأ الأثر فى اقتصاديات البلاد ونقص دخلها وتتابع أزماتها المالية . فبعدما كانت معظم إيرادات الحكومة من جمرك الإسكندرية التى كانت تتراوح يوميا أثناء الرواج التجارى ما بين ألف وألفى دينار عدا رسوم السفن والسياح والحجاج(٢)، أمست الإسكندرية خراباً ولم تدخل إليها البضائع عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م(٣).

إذن محاولات بعض السلاطين جمع المزيد من الرسوم الجمركية لسد العجز فى ميزانية الدولة كانت نظرة قصيرة الأجل، لأن هذه السياسة أتت على المدى البعيد بنتائج عكسية، ومما يذكر أن أحد مؤرخي العصر قد حذر من الزيادات المستمرة فى الضرائب إذ اعتبر أن من الأسباب التى تؤدى إلى ضعف موارد بيت المال على المدى البعيد " وقع الإهمال فى العوائد المتعلقة بالتجار والمسافرين والمترددين من سائر الأطراف والممالك وما تجدد عليهم من العوائد التى لم تكن كذلك "(٤).

ولقد اختلفت الآثار التى تركتها الأزمات الاقتصادية عن الآثار التى تركتها الأوبئة على الضرائب والمكوس التى قامت السلطة الحاكمة بفرضها على أرباب الحرف والصناعات لتقليل الفجوة بين موارد الدولة ومصروفاتها وتخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التى تعانى منها الدولة.

فالنشاط التجارى والصناعى كان من أكثر الأنشطة التى فرضت السلطة الحاكمة عليه كثيرا من الضرائب، وبصفة خاصة وقت الأزمات .

ففي إطار استعدادات فرج بين برقوق لمواجهة تيمورلنك ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م " وبيت المال مشحوت من المال " استدعى الأمير يلبغا السالمى أمناء

---

(١) صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية، مج٤، ع٢، ١٩٥٢، ص ٣٥.

(٢) فاروق عثمان : أثر تحول التجارة، ص١٣، نعيم زكى : طرق التجارة، ص ١٣٠.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٤٢٤.

(٤) الأسدى : التيسير والاعتبار، ص ٨٣.

الحكم والتجار وطلب منهم المال على سبيل القرض[1] إلا أنه لم ينتظر إحضارهم المال، فأقدم على نهب متاجرهم وفنادقهم ضاربا بمعارضة الفقهاء لذلك عرض الحائط، فصار يكبس الفنادق وحواصل الأموال فى الليل، هذا بالإضافة إلى إلزام الشخص المكبوس بدفع ٣% على المال المجبى للصيرفي، ومن ستة إلى عشرة دراهم للرسول الذى يحضر المطلوب[2] ثم فرض على تجار الغلال درهما على كل أردب يصدرونه[3] كما فرض على أصحاب المراكب التى تقوم بنقل الغلال فى نهر النيل على كل مركب تحمل مائة أردب عشرة دراهم[4] . وعلى كل مركب من المراكب التى تتنزه فيها الناس مائة درهم[5].

وهذه الأمور كلها سببت أضرارا بالغة لجميع الناس، فكما أنها كانت نتيجة لأزمة اقتصادية زادت الأزمة حدة، إذ أن هذه الإجراءات أدت إلى ارتفاع الأسعار وانخفاض القوة الشرائية، وتأكدت هذه التأثيرات الضارة بصورة أكبر خلال مجاعة ٨٠٦ هـ /١٤٠٣م[6] .

وبعدما أبطل الناصر محمد بن قلاوون " مكس الغلة" حين راك البلاد ٧١٥هـ ١٣١٥م[7]، أعاده قايتباى فى عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٥م وجعل على كل أردب نصف فضة[8]، ثم أبطله الأشرف طومان باى، إلا أن الغورى زاده حتى صار ثلاثة أنصاف عن كل أردب وعرف باسم "الموجب"[9] .

وعندما لم يستطع قايتباى إعداد حملة حربية ضد العثمانيين من خزينة بيت المال، أمر المحتسب "كسباى" فى عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م بأن يجمع له أعيان

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٢٠.

(٢) نفس المصدر والصفحه. ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٤،ص٢١٠، المقريزى : الخطط، جـ٢،ص٢٩٢.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣،ق٣،ص١٠٥٤.

(٤) الصيرفي : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٩٨-٩٩.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٥٤

(٦) The Cambridge : History of Islam , vol . IA, p.221

(٧) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية، ص٧٨.

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣١٥.

(٩) إبراهيم طرخان : النظم الاقطاعية، ص ٧٩، محمود رزق سليم : قانصوه الغورى، ص ٧٦.

التجار وطالبهم المساعدة بالمال ليتمكن من إعداد الحملة ولم ينتظر الرد بل قـــرر عليهم أربعين ألف دينار إلا أنهم ضجوا وأظهروا عجزهم لفداحة المفروض عليهم، ومازلوا به حتى وافق أخيراً على أن يدفعوا ١٢ ألف دينار[١] .

كما فرض عدة ضرائب من بينها الضريبة على المراكب حين احتاج إلــى المال سنة ٨٩٦ هـ/ ١٤٩٠م لتمويل إحدى حملاته العسكرية[٢] .

وعندما اشتدت الأزمة المالية في عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م لعــدم قـدرة خزينة بيت المال الوفاء بالالتزامات الواقعة على عاتقها وارتفاع أسعار الذهــب بشكل كبير لندرته[٣] لجأ السلطان الناصر محمد أبو السعادات بن قايتباى لفـرض المزيد من الضرائب على جميع قطاعات الناس ومن بينــهم التجـار، وأحضـر المعاصر والكسارات وأحمى خوذ الحديد على النار، وجمع الأموال بكثـير مـن وسائل التعذيب والإهانة[٤]

ولم تقف طريقة جمع الضرائب عند حد اســتخدام الوسـائل المختلفـة لجمعها من أرباب الحرف أو المتكسبين، وإنما تخطت ذلك إلى ضرب كل مــن يعارضها حتى ولو كان من الفقهاء ففى شــوال ٧٨٨ هـــ / أكتوبـر ١٣٨٦م ضرب الضامن فى دمنهور أحد القضاة لأنه أنكر عليه أخذ المكس وقال له " هـذا لا يحل ولا يجوز "[٥] .

وفى كثير من الأحيان لجأ السلاطين إلى طرح البضـائع علـى التجـار، أو يفرضون أموالاً على التجار فى مقابل غلال ينتظرون حصادها. فعندما خـوت خزينة الدولة ٨٠٦ هـ /١٤٠٣م ولم تستطع السلطة الحاكمة توزيع نفقات الجنـد، أمر السلطان بإحضار التجار " وألزموا بمال فى نظير غلال بيعت عليهم "[٦].

---

(١) أحمد عبد الحميد : طبقة التجار فى مصر المملوكية وأثرها فى المجتمع المصـرى، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا ،ع١، ١٩٨٢م، ص٦٧.

(٢) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص١٣٣.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٩٥.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٩٤.

(٥) نفس المصدر، جـ١، ق٢، ٣٧٦ – ٣٧٧.

(٦) نفس المصدر، ص ٦٨٠.

وتكرر الموقف عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م عندما قُبض على كثير من التجار وألزموا بمال على قمح وفول بناحية منفلوط من صعيد مصر[١] . واضطر السلطان إلى تعويض العجز فى جمع النفقة العسكرية للحملة العسكرية فى ذى القعدة ٨٦٥هـ / أغسطس ١٤٦٠م من خلال طرح البهار السلطانى على التجار[٢].

وعندما كانت الخزائن السلطانية " مشحته من المال" عام ٩١٧ هـ/ ١٥١١م وعجز السلطان الغورى عن توزيع النفقة على مماليكه الذين هددوه – اضطر إلى رمى بضائع وأقمشة على التجار وزيتا وعسلا على السوقة، خسر فيها التجار الثلث[٣] .، وأمام مطالبة المماليك بالنفقة أيضا فى عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م فرض الغورى على التجار أمتعة بمبلغ خمسين ألف دينار وطالبهم بسرعة السداد، وكانت هذه البضاعة مصابة بالعِته وخسر فيها التجار النصف[٤]

ويبدو أثر الأوبئة على الموارد المالية عكسيا، إذ يحرم بيت المال من بعض المكوس غير الشرعية وقت الأوبئة بعد أن يقوم بإلغائها السلاطين تقربا إلى الله .

ففى ربيع الآخر ٨٢٣هـ/ إبريل ١٤٢٠م بعد أن تفشى الوباء بالاسكندرية والبحيرة، أمر السلطان فى نفس الشهر بإبطال مكس القاهرة ونقش فى الرخام على الجامع المؤيدى[٥] .

كما قام السلطان قايتباى بإبطال بعض المكوس – التى كانت تؤخذ على وجه القهر والظلم – بعد أن اشتد وباء ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨م مثل المكس الذى كان مفروضا بقطيا[٦]، والمكس المفروض على الخشابين وأصحاب المراكب[٧]، وكذلك

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤،ق١، ص ١٨.
(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٠٨-٤٠٩.
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤،ص ٢٤٢.
(٤) البيومى إسماعيل الشربينى : المصادرات فى عصر سلاطين المماليك، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٩٥، ص ٤٢٥.
(٥) الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص٤٧٤.
(٦) كانت قطيا أحد المراكز التجارية على الطريق التجارى بين مصر وبلاد الشام.
(٧) مجهول : تاريخ قايتباى، ورقة ١٠.

مكس الغزل الذى كانت النساء تقوم ببيعه[1]، إلا أنه بعد انتهاء الطاعون، وفى بداية العام التالى ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ضرب جماعة من تجار العنب ضربا مبرحا، وأشهروا بالقاهرة لكونهم لم يقوموا بمكس العنب[2] .

وضريبة المشاهرة والمجامعة[3] التى فرضت على التجار والباعة وعلى أصحاب الطواحين بعد أن بلغت ألف دينار فى الشهر زمن السلطان قايتباى، ولما تظلم منها التجار ألغاها[4]، أعادها الغورى وزادت حصيلتها حتى بلغت ما يزيد عن ألفى دينار شهريا[5]، ويضطر المفروض عليهم هذه الضريبة الاجتهاد فى تعويض ما دفعوه مع تحقيق هامش من الأرباح يكفيهم، فترتفع الأسعار بحجة أن عليهم مالا يوردونه كل شهر للسلطان . وهذه الضريبة قد تَرَجّحَ أمرها بين الإلغاء والإبقاء أكثر من مرة، فالغورى كان يقرر إلغاءها تقربا إلى الله وزلفى حينما ينزل بالبلاد طاعون جارف، أملا أن يكشف الله هذا البلاء، فترتفع له الأصوات بالدعاء مثلما حدث فى طاعون عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م، وليس غريبا عندما ينتهى الطاعون أن تعاد هذه الضريبة مرة أخرى وزيادة[6] .

وفى أواخر صفر عام ٩١٩ هـ / إبريل ١٥١٣م وأثناء انتشار الطاعون فى مصر، رسم الغورى مرة أخرى بإبطال المشاهرة والمجامعة على الرغم من أنها كانت تدر على بيت المال ثلاثين ألف دينار فى السنة[7] كما أمر بإلغاء كل المكوس المقررة على السوقة والباعة، وعلى طواحين القاهرة، وضريبة بيع الغلال " مكس الغلة"[8] وما أن انتهى الطاعون استغل الغورى شكوى العوام إليه من فساد العملة فحنق عليهم وغضب وأمر بإعادة هذه الضرائب كما كانت فى رجب / سبتمبر من نفس العام[9] .

---

(١) حسين مصطفى : طوائف الحرفيين، ص ١٧٤.
(٢) نفس المرجع، ص ١٧٤.
(٣) المشاهرة التى كانت تدفع شهريا، والمجامعة التى كانت تدفع أسبوعيا أى كل جمعه.
قاسم عبده قاسم : دراسات، ص٥٤.
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٣،ص ٧-٨.
(٥) نفس المصدر، جـ٤، ص٢٥.
(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص٧٧.
(٧) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٣١٢.
(٨) نفس المصدر، ص ٣٠٤.
(٩) محمود رزق : عصر سلاطين المماليك، ق٢، جـ١، ص ٢٩٠.

كما تأثر ضمان المغانى[١] بالأوبئة، ففى أثناء الأوبئة تقل بل تبطل الأفراح والأعراس ولذا فى مثل هذه الأحوال يتم تخفيض المبلغ المقرر على كل ضامنة[٢]، بل إن بعض السلاطين تقربا إلى الله كانوا يأخذون على أيدى القائمين بمثل هذه القبائح وقت الأوبئة وبالتالى يقل دخل الدولة من هذا الجانب، وإن كان ذلك بشكل مؤقت، إذ سرعان ما يعود الحال إلى ما كان عليه سابقا بعد انتهاء الوباء[٣]، وفى وقت الأوبئة يحرم بعض السلاطين صناعة الخمر، وبالتالى يفقد بيت المال المكس المفروض عليها[٤].

المواريث الحشرية :

هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له .[٥] ولا يقتصر هذا الأمر على المسلمين فقط بل على اليهود والنصارى أيضا .[٦]

وكان للمواريث الحشرية ديوان[٧] يختص بمصر والقاهرة، إذ يقوم كاتبه فى كل يوم بتسجيل من يموت بالمدينتين مفصلا إذا كان المتوفى حشريا أى له إرث يئول إلى بيت المال، أو أهليا يئول إرثه إلى أهله رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، ويقف التسجيل من وقت العصر، فمن توفى بعد العصر أضيف إلى اليوم التالى، أما من يموت خارجا عن هاتين المدينتين فمواريثهم يحصلها مباشرون وتئول إلى الديوان السلطانى[٨] .

---

(١) ضمان المغانى هو ما كان يقرر على حفلات الأعراس وما كانت تفرضه السلطة على البغايا اللاتى يعرضن أنفسهن بالأجر.
على السيد : الجوارى، ص٩٤.

(٢) نفس المرجع، ص ١٠٥.

(٣) انظر " تتبع أماكن الفساد " مظاهر الحياة الاجتماعية.

(٤) حلمى سالم، حرف وصناعات، ص ١٥٨.

(٥) القلقشندى : صبح، جـ٣، ص ٤٦٤، ابن يحيى (عبد الصمد الصالح) :هدية العبد القاصر إلى الملك الناصر (أبى السعادات محمد بن قايتباى)دار الكتب، ٢٦٠٢ تاريخ، ميكروفيلم ٣٥٩٩٤، ورقة ٥٥.

(٦) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٧، ١٢٥.

(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٨١، القلقشندى : صبح، جـ٣، ص ٤٦٤.

(٨) القلقشندى : صبح، جـ٣، ص٤٦٤.

وكان ديوان المواريث الحشرية يمتلك التوابيت المخصصة لحمل الموتى حتى يتمكن من ضبط من توفى حفاظا على هذه المواريث كمورد من الموارد المالية للبلاد، لأنه فى ظل الأوبئة المتكررة فى عصر الجراكسة وكثرة عدد الموتى كان يمكن لهذه المواريث أن تصبح موردا رئيسيا لبيت المال والديوان السلطانى، إلا أنه حال دون ذلك أن توابيت المواريث الحشرية لم تعد تكفى الطلب المتزايد عليها من قبل أهالى الموتى ــ أثناء الأوبئة الشديدة ــ فقام بعض الأفراد بصناعة توابيت أوقفوها لله(١)، وصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولا يوردون الديوان أسماءهم، بالإضافة إلى من كانوا يحملون موتاهم على الألواح والأبواب والأيدى وغير ذلك ــ لذلك لم يستطع ديوان المواريث الحشرية ضبط أعداد المتوفين، إذ جاءت الأعداد التى كانت تسجل فى هذا الديوان أقل من الواقع بكثير، ولنضرب مثالا واحدا على ذلك، إنه فى وباء ٨٣٣هـ/١٤٣٠م تزايدت أعداد الوفيات بدرجة كبيرة وعلى الرغم من ذلك فإن أعداد الوفيات المسجلة فى ربيع الآخر ٨٣٣هـ/ ديسمبر ١٤٢٩م فى ديوان المواريث بالقاهرة ٤٧٧ فرداً فقط، وكانت الأعداد المسجلة بديوان المواريث بمدينة مصر أقل من ذلك(٢)، وهى أعداد لا تتناسب مع كثرة الوفيات، حيث خلت غالب الدور من جميع من كان فيها حتى إن الأموال المخلّفة عن عدد من الأموات أخذها من لا يستحقها(٣)

وإذا كانت السلطة الحاكمة عجزت عن ضبط المواريث الحشرية وبصفة خاصة أثناء انتشار الوباء إلا أنها لم تعدم الوسائل للاستفادة من هذه المواريث لأقصى حد ممكن، ففى وقت الأزمات والعجز المالى لم تلتزم السلطة الحاكمة بالأحكام الشرعية الخاصة بهذه المواريث ؛ فكانت تتبع سبلاً تضطر الوارث للتنازل عن حقوقه كأن تطلب منه إثبات نسبه للمتوفى واستحقاقه من التركة وبعد أن يثبت ذلك يحوّل إلى ديوان المواريث الحشرية الذى يماطل فى إعطائه الحق فيصيبه الملل فيضطر إلى ترك المطالبة بإرثه .(٤)

---

(١) الصيرفى : نزهة، ج٣، ص١٨٨. ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٤، ص٣٤٠.
(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٢.
(٣) نفس المصدر، ص ٨٢٩ – ٨٣٠، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٩٢.
(٤) حمود بن محمد بن على النجيدى : الموارد المالية لمصر فى عهد الدولة المملوكية الأولى، ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٤، ص ١٠٤.

وفى بعض الأحيان كانت السلطة الحاكمة تصدر مرسوماً بإبطال المواريث الأهلية لتئول كل المواريث إلى ديوان المواريث الحشرية لحاجتها إلى المال، ففى ٧ ذى القعدة ٨١٣هـ/٣مارس ١٤١١م وبعد انتهاء الطاعون ولحاجة السلطان المالية لتمويل حملة عسكرية وصل إلى القاهرة من دمشق الأمير تاج الدين عبدالرزاق بن الهيصم الاستادار والوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى لتحصيل الأموال . وطلب ابن الهيصم جماعه قد ورثوا من مات لهم فى مدة غيبة السلطان [فى بلاد الشام] وألزمهم برد ما أخذوا من الإرث الشرعى، فردّ البعض ما ورثه، وصالحه البعض الآخر بعد أن دفع له شيئا من إرثه . ولذا ترددت الأقوال بأنهم قد أبطلوا أحكام الله سبحانه فى المواريث .(١) وفى عام ٨٧٣هـ/١٤٥٨م كان الوزير محمد البباوى اللحام يطلب من الناس أيام وزارته ما ورثوه بالوجه الشرعى من عشرين سنة فأكثر، ويقول لهم " من قال إن فلانا كان أخاك أو عمك، أو فلانة كانت أمك أو أختك "(٢) .

وعندما انتشر الطاعون فى أوائل عام ٩١٩هـ، وكثر أعداد الموتى رسم السلطان فى صفر من نفس العام بأن يؤخذ من تركة من يموت من المماليك السلطانية ممن له جامكية سيفاً مسقطاً بفضة وزردية وخوذة وتركاش . [كلها أسلحة]، ويُحجز وصى المتوفى حتى يفى بما قُرر عليه . فكان الأمير مغلباى الزردكاش المكلف بتنفيذ ذلك يحجز زوجات المتوفين حتى يؤدين كل ما عليهن، كما رسم السلطان بأن من يُتوفى من المماليك ممن له جامكية وعليق يؤخذ من وصيّه فرسان أو ثمنهما . وعن الخاصكى ثلاثة رءوس خيل وبغلة وعن كل من أصحاب الوظائف خمسة رؤوس خيل وبغلة، وعن كل من المماليك الأجلاب خمسون ديناراً، وعن كل جمدار عشرون ديناراً(٣) . وعندما خشى السلطان الغورى من وقوع فتنة بين المماليك حطّ بعض أعباء هذه الضرائب .(٤)

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٦٠، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٨٠٩.

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص٦٩٢.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص٣٠١

(٤) نفس المصدر، ص، ٣٠١،٣٠٢.

ولم تكن السيطرة على هذه المواريث أو التركات مقصورة على المسلمين فقط بل شملت النصارى[١] واليهود[٢]، وكانت العادة أن بطرك النصارى ورئيس اليهود يتولى كل منهما أمر مواريث طائفته[٣]، إلى أن حدث في طاعون ٨٤١ هـ / ١٤٣٨م، أن نصح أحد الأفراد السلطان بالسيطرة على مواريث الأقباط واليهود الذين ماتوا ليتمكن من تحصيل أموال كثيرة، ووافقه السلطان على ذلك شرهاً في جمع المال، وولاه بعد أن خلع عليه.[٤]

هذه الوسائل المختلفة التي استخدمتها السلطة الحاكمة للسيطرة على المواريث سواء بشكل شرعي أو غير شرعي دفع بعض الناس إلى وقف أملاكهم على أنفسهم مدى حياتهم ومن بعدهم على أبنائهم وذرياتهم، وإن لم يكن لهم ورثة يستحقون كل التركة أوقفوها على بعض وجوه البر حتى لا تذهب أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية .[٥]

الجوالي [الجزية] :

هي ما يؤخذ من أهل الذمة على رقابهم في كل سنة، وكان ما يتحصل منها يحمل منه قدر معين في كل سنة لبيت المال، وباقي ذلك عليه مرتبون من القضاة وأهل العلم يوزع عليهم على قدر المتحصل[٦] .

وقد بلغ مقدار هذه الجوالي في عام ٥٨٧هـ / ١١٩١ م حوالي ١٣٠ ألف دينار[٧]وهو مبلغ بدأ يتناقص بدرجة كبيرة حتى وصل إلى أقل مستوى له في عام ٨١٤هـ إذ وصل إلى ١٥٠٠ دينار فقط ،[٨] ولا شك أن هذا الانخفاض جاء نتيجة لانخفاض عدد من يوردونها للدولة[٩] من ناحية وانخفاض النسبة المقررة على كل شخص من أهل الذمة فبعدما كانت في العصر الأيوبي تصل إلى أربعة دنانير

---

(١) السخاوي : التبر المسبوك، ص ١٢٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٧.

(٣) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٤.

(٤) نفس المصدر والصفحة Dols : The Black death , P. 180

(٥) محمد أمين : الأوقاف، ص ٩٤.

(٦) القلقشندي : صبح، جـ٣، ص ٤٦٢.

(٧) المقريزي : الخطط، جـ١، ص ١٠٧.

(٨) حسن حبش : الاحتكار المملوكي، ص ١٣٧.

(٩) المقريزي : الخطط، جـ١، ص ١٠٧.

وسدس عن كل رأس في السنة كأعلى قيمة لها، وفي أقل حالاتها دينار واحد وثلث وربع دينار وحبتان من دينار(١)، نقصت حتى صار أعلاها خمسة وعشرين درهماً، وأدناها عشرة دراهم(٢) .

على أنه في عام ٨١٦هـ/١٤١٣م عندما وجد المؤيد شيخ المحمودي خزينة الدولة خاوية من جراء الصراع الداخلي بينه وبين فرج بن برقوق أصدر قراراً بتعداد أهل الذمة والاجتهاد في استخراج الجزية منهم فبلغت في هذا العام ٤٠٠ر١١ دينار وهو مبلغ كبير من وجهة نظر المقريزي مقارنة بما كان عليه الحال في السابق .(٣)

فلما كانت سنة ٨١٧هـ زادت جوالي أهل الذمة كثيراً حتى بلغت ٢٠ ألف دينار بعد أن أوقع السلطان التنكيل باليهود والنصارى . وألزموا بحمل ٢٠ ألف دينار مصالحة عما مضى من الجزية التي اعتقد البعض أنهم لم يدفعوها كاملة عندما كان الصراع على أشده بين فرج بن برقوق وشيخ المحمودي نائب السلطنة بدمشق إذ ذاك(٤)

وفي بعض الأحيان الأخرى كان يُفرض على أهل الذمة – كغيرهم من شرائح المجتمع – بعض المبالغ الإضافية – غير الجزية– فعندما نظّم الأمير منطاش حملة ضد خصومه في ٧٩١ هـ / ١٣٩٠ م طلب من بطرك المسيحيين دفع مبلغ ١٠٠ ألف درهم، كما طلب من رئيس اليهود دفع مبلغ ٥٠ ألف درهم . وهو على أي حال مبلغ ضئيل لا يؤثر في خزينة الدولة سلباً أو إيجاباً مما حدا ببعض الباحثين المحدثين القول بأن ما دفعه المسيحيون واليهود معاً لا يغطي نفقة خمسة أمراء من أمراء الألوف في تلك الحملة .(٥)

وعندما كانت خزينة الدولة خاوية أيضاً في عام ٩٠٧هـ / ١٥٠١م فرض الغوري على اليهود والمسيحيين بعض الأموال كغيرهم من فئات الشعب ليسد العجز في بيت المال .(٦)

---

(١) القلقشندي : صبح، جـ٣، ص ٤٦٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) المقريزي : الخطط، جـ١، ص ١٠٧.

(٤) حسن حبش : الاحتكار المملوكي، ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٥) Ayalon : The system of payment , P.291

(٦) نعيم زكي : طرق التجارة، ص ٣٠.

الزكــاة :

وهي من فرائض الإسلام وكانت تجبى بطريقتين :

١ - زكاة الأموال الباطنة كالذهب والفضة وقيمتها ربع العشر ١/٤٠ عن المال الذى حال عليه الحول .

٢ - زكاة الأموال الظاهرة كالمواشى والمنتجات الزراعية وبضائع تجار الكارم(١) .

وعلى الرغم من أننا لم نعرف مقدار الزكاة سنوياً فى عصر المماليك الجراكسة إلا أنه مما لاشك فيه أن الأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرت على هذا المورد تأثيراً كبيراً ،فضعف المستوى الاقتصادى لكثير من شرائح المجتمع، وتدهور واضمحلال الطبقة الوسطى جعل دائرة القادرين على دفع الزكاة تضيق يوما بعد الآخر، وفى المقابل تزداد أعداد المستحقين لها وبخاصة وقت الأزمات والمجاعات، ففى وقت الأزمات تقل المعادن الثمينة - كالذهب والفضة - التى يمتلكها الناس وبالتالى تقل زكاتها(زكاة الأموال الباطنة) . كما أن الأوبئة التى تصيب المواشى وتقضى على معظمها، ويقل الإنتاج الزراعى وتتوقف حركة التجارة وقتها كل ذلك يؤثر فى مقدار زكاتها (زكاة الأموال الظاهرة) .

ولقد حاول بعض السلاطين السيطرة على زكاة الأموال لتعويض العجز فى خزينة بيت المال . ففى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م جمع السلطان برسباى القضاة ومشايخ العلم لبحث الأزمة المالية وكيفية حلّها واقترح تحصيل وزيادة شريحة الزكاة فاتفق أهل العلم على أنه ليس للسلطان أخذها فى هذا الزمان . لأن الأموال الباطنة زكاتها موكولة إلى أربابها، وأما الإبل والبقر والغنم فلا يجب فيها الزكاة إلا إذا كانت سائمة وأرض مصر لا مرعى فيها فهى تعلف بالمال فلا زكاة فيها .

وأما عروض التجارة فإن المكوس أخذت منهم فى الأصل على أنها زكاة، ثم تضاعفت المكوس، وأما الخضراوات والزروع فإن الفلاحين فى حال من المغارم معروفة، وانفض المجلس دون أن يحصل السلطان على ما أراده .(٢)

---

(١) أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية " الصناعة والأصناف، عالم الفكر، مج ١١، ع٤، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٢٩.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٦٦٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٩٢ - ٩٣.

شملت حركة الأسعار كافة السلع التى تباع وتشترى، وتحركت نحو الارتفاع الشديد وبصفة خاصة تلك التى تشبع الحاجات الضرورية لدى الإنسان، مثل الطعام والشراب وأسعار الملابس والسلع العلاجية .

ويجب أن تقدر وتقيم أسعار السلع على أساس دينار الذهب أو درهم الفضة لأنها " النقود المعتبرة شرعاً وعقلاً، وما عداهما لا يصلح أن يكون نقداً"(١)، ولما كانت الفضة قد قل وجودها وكثر تزييف الموجود منها، فإن الذهب يعد الوحدة المعيارية المثالية لقياس الأسعار، إلا أنه لكى نتعرف على مدى ارتفاع أسعار السلع أو انخفاضها، فإننا لا نستطيع تحديدها إلا مقارنة بأجور الأفراد ودخولهم الشهرية، ولما كانت السلع كلها وأجر الأعمال والتعاملات بين الناس أصبحت تقدر بالفلوس منذ المحرم ٨٠٦ هـ / يوليو ١٤٠٣م(٢)، لذا فإن المعيار الأفضل فى هذه الحالة هو درهم الفلوس لكى يكون معبرا عن الوضع الحقيقى للأسعار. يؤكد ذلك أنه بمقارنة أسعار القمح بالدرهم والدينار من خلال الرسوم البيانية(٣) ــ يتضح أن هناك فروقا كبيرة فى الدلالة بينهما، فمنحنى أسعار القمح بالدينار فى الفترة من ٧٩٥ إلى ٧٩٩ هـ مرتفعا بدرجة كبيرة عن المنحنى فى أزمة ٨٠٦ ــ ٨٠٨هـ، وكذلك عن أزمة ٨١٨ ــ ٨١٩هـ، مما يوحى بشدة الأزمة فى الفترة الأولى عنها فى الفترتين الأخيرتين، وهذا لا يعكس الواقع، بل إنه بالنظر إلى أسعار الحبوب الغذائية فى عصر الجراكسة مقدرة بالدينار نجد أنها لم ترتفع إلا قدراً قليلاً(٤) وذلك لتغير قيمة استبدال العملة طوال عصر الدراسة، لذا سنقيم أسعار السلع على أساس الدرهم الفلوس .

ويمكن التعرف على أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على الأسعار من خلال العناصر التالية :

١ – أثر الأزمات الاقتصادية على أسعار القمح والعلاقة بين الأسعار والأوبئة .
٢ – أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على العلاقة السعرية بين أهم الحبوب .

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص٨٠.

(٢) المقريزى : السلوك،جـ٣، ق٣ ،ص١١١١، ابن إياس : بدائع ،جـ١ ،ق٢، ص ٦٧٧

(٣) انظر الشكلين رقم ١٤، ١٥.

(٤) Lapidus : Muslim cities, P.31.

٣ - أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على العلاقة السعرية بين القمح كحبوب والدقيق والخبز كسلع مصنعة

٤ - أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على أسعار الملابس .

٥ - أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على أسعار السلع العلاجية .

٦ - التسعير .

أولاً : أثر الأزمات الاقتصادية على أسعار القمح والعلاقة بين الأسعار والأوبئة :

على الرغم من وقوع الوباء في عامى ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م و ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م إلا أن أسعار الحبوب كانت رخيصة(١)، حتى بيع أردب القمح بثمانية دراهم فقط فى عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م(٢) ويرجع سبب الرخاء فى هذين العامين رغم وقوع الوباء فيهما إلى :

أولاً : أن مستوى فيضان نهر النيل فى هذين العامين يسمح بزراعة معظم أراضى مصر.

ثانياً : أن وباء ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م بدأ انتشاره فى ربيع الآخر(٣) الذى يوافق فى هذا العام شهر بشنس القبطى، أى بعد الانتهاء من حصاد الشعير ومعظم القمح والحبوب الأخرى مثل الفول والحمص، وبالتالى فإن الحبوب الغذائية تصبح متوفرة .

ثالثاً : إن وباء ٧٩٠هـ/١٣٨٨م بدأ فى ربيع الأول(٤)وارتفع فى جمادى الآخرة من نفس العام(٥) وهو يوافق الفترة بين شهرى برمهات وبؤنة، أى بعد الانتهاء من زراعة معظم المحاصيل .

وفى أواخر عام ٧٩٦ هـ توقف النيل عن الزيادة فارتفعت أسعار القمح إلى ٤٠ درهما للأردب(٦) وكانت هذه بداية أزمة اقتصادية ارتفعت فيها الأسعار فى

---

(١) المقريزى : السلوك،جـ٣، ق٢، ص ٥٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٧٠

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر،جـ٢، ص ٢٩٠.

(٣) الصيرفى : نزهة النفوس ،جـ١،ص ١٣١، ابن إياس : بدائع، جـ١ ،ق٢، ص ٣٧٠.

(٤) الصيرفى : نزهة النفوس ،جـ١،ص ١٦٨، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٧٥.

(٥) الصيرفى : نزهة النفوس ،جـ١،ص ١٧٢، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٨٠.

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢١٦.

صفر ٧٩٧هـ/ نوفمبر ١٣٩٤م إلى الضعف تقريبا[١] واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الوباء ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب[٢] وازداد الأمر سوءا وتزايدت الأسعار، وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية في جمادى الأولى ٧٩٨هـ/ فبراير ١٣٩٦م وازدحم الناس على الأفران، وبلغ سعر القمح ١٧٥ درهما للأردب في غلّتِه[٣]، فإذا غربل أصبح سعره أكثر من ٢٠٠ درهم[٤]، دفعت هذه الأسعار المرتفعة تجار الغلال لاستيراد كميات كبيرة من القمح حتى توفر المعروض منه بالأسواق فانخفض ثمنه إلى ٥٠ درهما[٥]، فأزمعوا على الاتجاه بغلالهم إلى الإسكندرية طلبا لنمو الأسعار[٦]، فتكالب الناس على شراء الغلال وتخزينها، فارتفعت أسعارها مرة أخرى، وتخاطف الناس الخبز من على رءوس الحمالين، واختفى المحتسب في بيته ثلاثة أيام خوفا من العامة أن تبطش به[٧] .

وفي عام ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م انخفضت أسعار القمح، وتبعه انخفاض شديد في أسعار الخبز[٨]، وقد يرجع سبب هذا الانخفاض الشديد في الأسعار إلى أن أكثر البلاد خلت من سكانها بعد أن حصد الوباء أعدادا كبيرة منهم[٩]، فقل الطلب على الحبوب وانخفضت أسعارها.

---

(١) انظر جدول أسعار القمح ٣٢.

(٢) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٨٢٦، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٩٩.

(٣) يبدو أن هذه الكلمة " عامية "، تعني الشوائب الموجودة بالقمح، بدليل أن المقريزي أتبع ذلك بقوله " فإذا غربل تعدى المائتين "، أي أن سعر القمح بشوائبة ١٧٥ درهما، فإذا انتزعت منه الشوائب بعد غربلته ارتفع سعره إلى أكثر من مائتين.

(٤) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٨٥٦.

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٨٢.، المقريزي : السلوك، جـ٣، ق ٢، ص ٨٥٩.

(٦) كان باستطاعة هؤلاء التجار تصدير هذه الحبوب إلى سوريا، إذا سمحت لهم ظروف السوق بتكاليف السفن الإضافية

Lapidus :The Grain economic, P.8 .

(٧) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٨٥٩ – ٨٦٠، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٢٩ – ٤٣٠.

(٨) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٩٠٩.

(٩) الصيرفي : نزهة، جـ١، ص ٤٧٢.

وعندما فشت الأمراض فى الناس من الحمى والبرد فى الفترة من أول ربيع الأول وحتى آخر جمادى الآخرة ٨٠٢ هـ / نوفمبر ١٣٩٩ - يناير ١٤٠٠م لم يكن لها تأثير على الأسعار إذ أن الأسعار قد ارتفعت فى صفر ٨٠٢ هـ / أكتوبر ١٣٩٩ م قبل انتشار الوباء بسبب نقص النيل(١)، ثم ارتفع سعره قليلا حتى وصل إلى ٧٠ درهما(٢) ثم انخفض وواصل انخفاضه فى فترة انتشار الوباء حتى وصل إلى ٣٥ درهما فى جمادى الأولى ٨٠٢ هـ / ديسمبر ١٣٩٩م(٣) .

أما الأزمة الاقتصادية التى ألمت بمصر ابتداء من عام ٨٠٤ هـ / ١٤٠١م وواصلت تأثيراتها حتى عام ٨٠٨ هـ، فقد ارتفعت فيها الأسعار بشكل لم تعهده مصر من قبل، فمساحات كبيرة من أراضى مصر لم ترو، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار العملة فى جمادى الآخرة ٨٠٥ هـ / ديسمبر ١٤٠٢ م نتيجة " لتنقيص الفلوس(٤) " .

وواصلت الأسعار ارتفاعها فى عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م بعد أن انخفض منسوب النيل وشرقت معظم أراضى مصر، وانهار النظام النقدى بعد أن عدمت الفضة وأصبحت الفلوس من المحرم ٨٠٦ هـ / يوليه ١٤٠٣ م، هى النقد الذى يدفع به أثمان السلع كلها وأجر الأعمال وغير ذلك من المعاملات(٥).وبدأت أسعار القمح ترتفع يوما تلو الآخر، ساعد على ذلك أيضا انتشار الوباء وعدم زراعة الأرض(٦)، واحتكار بعض الأمراء للغلال(٧)، حتى تضاعفت أسعاره ٦ مرات فى

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ٩٨٢، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٥٥٤.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ٩٩٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق ٢، ص ٥٦٣.

(٣) الصيرفى : نزهة، النفوس، جـ٢، ص ٤٥.

(٤) كانت القفه من الفلوس وزنها ١١٥ رطلا بخمسمائة درهم، صارت زنتها خمسون رطلا بنفس السعر.

المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٩٨.

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٧٧، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١١.النبراوى : السكة، ص٣٢٠.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٦٨٥، ٦٨٩.

(٧) حامد زيان : الأزمات الاقتصادية، ص ٧٠.

هذا العام فقط(١)، وبلغت نسبة الزيادة في أسعاره أكثر من ٥٢ ضعفا عن أسعار عام ٧٨٥ هـ/١٣٨٣م التي بلغ سعر أردب القمح فيها ١١,٥ درهما، وهو أول سعر يرد ذكره في عصر الجراكسة .

ولم يخفف من حدة أسعار القمح والحبوب سوى دخول المحصول الجديد رغم قلته – فانخفض سعر الأردب إلى ٢٥٠ درهما(٢). واستمر هذا السعر حتى أوائل عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م، ولكن الجدير بالملاحظة أن يباع القمح بالقاهرة بهذا السعر، بينما يباع في مراكز إنتاجه بثلاثمائة درهم(٣). ويرجع ذلك إلى أن المقطعين يحصلون على معظم الإنتاج لأنفسهم تاركين كميات قليلة للفلاحين، بالإضافة إلى أنه في ذلك الوقت تفيد المصادر الفينيسية بقيام السلطة الحاكمة المصرية في هذا العام باستيراد كميات من الحبوب بواسطة التجار الجنويين(٤) وهذه الكميات بطبيعة الحال تتجه إلى أسواق العاصمة وليس الريف .

وانحل سعر الغلال مرة أخرى في صفر ٨٠٧ هـ / أغسطس ١٤٠٤م فبيع أردب القمح بمائتين وعشرين(٥)، ثم ارتفع بعد انحطاطه في الشهر التالي، وبلغ ٤٠٠ درهم سوى كلفته من سمسرة وحمولة وغربلة وطحن(٦)، وقد يرجع ذلك إلى تعطل كثير من الأراضي عن الزراعة، وعجز الفلاحين عن البذر لا سيما أراضي الصعيد التي مات معظم أهلها جوعا وبردا(٧). هذا بالإضافة إلى كثرة الفتن والمؤامرات بين الأمراء في ذلك الوقت(٨).

ويمثل شهر رجب ٨٠٧ هـ/ يناير ١٤٠٥م ذروة الغلاء وارتفاع الأسعار في تلك الأزمة، إذ وصلت أسعار الحبوب إلى أقصى حد لها في عصر الجراكسة،

---

(١) في المحرم بلغ سعر القمح ١٠٠ درهم للأردب. المقريزي : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ١١١١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٧٨، وفي نهاية العام بلغ ٦٠٠ درهما فلوسا. المقريزي : إغاثة الأمة، ص ٧٧.

(٢) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ١١٢٦.

(٣) نفس المصدر، ص ١١٣٠.

(٤) Ashtor : The wheat supply, P. 286

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٦، الصيرفي : نزهة، جـ٢، ص ١٩٥

(٦) ابن إياس : المصدر السابق، ص ٦٩٦.

(٧) نفس المصدر، ص ٦٩٧.

(٨) نفس المصدر، ص ٦٩٧ – ٦٩٨.

إذ بلغ قدح القمح[١] إلى ٤٠ درهما ليصل بذلك سعر الأردب إلى ٣٨٤٠ درهما، حتى خرج كثير من الناس من القاهرة لكثرة الغلاء[٢] وساعد على ذلك انخفاض منسوب نهر النيل حتى صار الناس يخوضون بر مصر إلى بر الجيزة[٣]. ثم قدم القمح الجديد فى شوال ٨٠٧ هـ/ أبريل ١٤٠٥م وانخفض سعر الأردب إلى ١٥٠ درهما . ثم بيع الأردب بمائة درهم[٤] .

ولا تمدنا المصادر التاريخية بسبب لهذا الانخفاض الكبير غير قدوم القمح الجديد، وقد يكون السعر المذكور للقمح فى رجب ٨٠٧ هـ للكيلة[٥] وليس للقدح، فإن صح هذا الاعتقاد يكون الأردب بـ ٤٨٠ درهما، وهو الحد المعقول لارتفاع الأسعار فى رجب ثم انخفاضها فى شوال إلى ١٥٠ درهما بعد دخول المحصول الجديد .

وفى عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م كانت أسعار الحبوب الغذائية ترتفع من شهر لآخر حتى بلغ سعر أردب القمح إلى ٢٦٠ درهما فى ربيع الآخر ٨٠٨ هـ/ سبتمبر ١٤٠٥م[٦]، وعندما انتشر الوباء فى القاهرة وفى مصر فى جمادى الأولى ٨٠٨هـ / أكتوبر ١٤٠٥م نجد أن أسعار الحبوب الغذائية انخفضت[٧]، ثم واصلت انخفاضها حتى بلغ سعر الأردب من القمح فى أواخر هذا العام الى ١٢٠درهما[٨].

وبسبب اختفاء الفضة، وارتفاع أسعارها، وحصول أرباب الجوامك والمرتبات على رواتبهم فلوسا مقدرا عن كل درهم فضة أوقيتين فلوسا (وتسمى درهما) بينما هى لا تساوى خمسة دراهم فقط، أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار جميع المبيعات، ومن بينها الحبوب الغذائية حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتادة فى المحرم وصفر ٨٠٩ هـ/ يونيه ويوليه ١٤٠٦ م[٩].

---

(١) القدح = ٢٣٢ درهما، والأردب = ٩٦ قدحا. القلقشندى : صبح، جـ٣، ص ٤٤٥.
(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ١١٤٥، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق ٢، ص ٧٠٥.
(٣) ابن إياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٣ .
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٧١٥.
(٥) الأردب = ١٢ كيلة. القلقشندى : صبح، جـ ٣، ص ٤٤٥.
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٥، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٣٨.
(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ١١.
(٨) نفس المصدر، ص ٢٢.
(٩) نفس المصدر، ص ٣١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٦٠.

وقبل الوباء الذى بدأ فى المحرم ٨١٣هـ / مايو ١٤١٠م كانت الأسعار مرتفعة إذ بلغ سعر أردب القمح فى أواخر عام ٨١٢ هـ / أبريل ١٤١٠م إلى ٣٠٠ درهماً[١]، وعندما أهلت سنة ٨١٣ هـ ـ وعلى الرغم من انتشار الوباء بين الناس وقلة إنتاج الأرض الزراعية بسبب الرياح الشديدة ـ فإن الأسعار تراوحت ما بين ٢٠٠ درهما[٢] و ٢٥٠ درهما للأردب[٣]. وبعد سفر السلطان الناصر إلى الشام لمحاربة شيخ المحمودى انخفض السعر إلى أقل من النصف[٤] .

أما الوباء الذى انتشر فى أواخر عام ٨١٥ هـ وأوائل عام ٨١٦ هـ / مارس وأبريل ١٤١٣م ارتفعت فيه الأسعار قليلاً فى المحرم ٨١٦ هـ[٥] ثم انخفضت بعد انتهاء الوباء، وكان ذلك بداية لسلسلة من انخفاضات الأسعار فى السلع الغذائية لم تتكرر سوى فى ربيع الآخر ٩٠١ هـ/١٤٩٥م[٦] . وقد يرجع هذا الانخفاض الشديد للأسعار إلى استقرار أسعار الذهب فى هذا العام[٧] وكثرة الدراهم الفضية بأيدى الناس[٨] بعد أن وصل إلى مصر كميات كبيرة من الفضة من سوريا وضربت دراهم مؤيدية[٩] .

لم يهنأ المصريون بهذا الرخاء فى الأسعار، فبقدوم العام الجديد ٨١٨ هـ / مارس ١٤١٥ م تجمعت عدة أسباب لإحداث أزمة اقتصادية وارتفاع فى الأسعار، فقد جاء إنتاج هذا العام منخفضاً لقلة المطر فى الشتاء[١٠]، وكثرة فساد الفئران والعربان فى الأراضى الزراعية وبخاصة فى البحيرة والصعيد[١١]، مع قلة استيراد القمح والذى عبر عنه المؤرخون بقلة الواصل من

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق١، ص ١١٦.

(٢) المقريزى : المصدر السابق، ص ١٣١، الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٢٦٥.

(٣) المقريزى : المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٤) نفس المصدر والصفحة، الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٢٦٥.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٢٥٦.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٣١٨.

(٧) النبراوى : السكة، ص ٢٤٨.

(٨) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٢٨٧.

(٩) النبراوى : السكة، ص ٢٩٠.

(١٠) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٣٣٠.

(١١) نفس المصدر، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، ٣٣٠.

البحر[١]، بل وخروج كميات من القمح المصرى إلى أراضى الحجاز لتخفيف حدة الأزمة هناك، وتخزين الغلال والامتناع عن بيعها من قبل التجار[٢].

لكل هذه الأسباب ارتفعت الأسعار خلال هذا العام، بل واصلت ارتفاعها فى بداية عام ٨١٩ هـ / مارس ١٤١٦ م[٣]، ومن الملاحظ أن هذه الأسعار قد انخفضت أثناء انتشار الوباء وبعده ساعد على ذلك وصول كميات كبيرة من القمح من الصعيد إلى القاهرة[٤].

وبينما انخفضت أسعار الحبوب الغذائية بعد وباء ٨٢٢ هـ / ١٤١٩م ووباء ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠ م، ارتفعت بعد وباء ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م و ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م[٥]، كما ارتفعت أسعار الحبوب الغذائية بعد وباء ٨٣١ هـ/١٤٢٧م على الرغم من كثرة الغلال لرفض تجار الغلال بيع الحبوب أملاً فى ارتفاع الأسعار، ومشاركة الأمراء والأعيان لهم فى ذلك الأمر، وتغاضى ولاة الأمور عن مصالح العباد[٦]. لذلك لعب الاحتكار دوراً بارزاً فى ارتفاع الأسعار فى هذا العام والذى يليه[٧].

وقد انخفضت أسعار الحبوب الغذائية بعد وباء ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ – ١٤٣٠ م، فبينما كان سعر الأردب من القمح فى ربيع الأول / نوفمبر ١٤٢٩م ٣٦٠ درهماً[٨]، انخفض فى الشهر الذى يليه رغم بداية انتشار الوباء[٩] إلى ٢٥٠ درهما[١٠]، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

أولا : أن المحتسب منع تجار الغلال فى ربيع الأول من بيع غلالهم حتى ينتهى من بيع الغلال السلطانية مرتفعة السعر، ثم أذن لهم فى ربيع الآخر بعد ذلك

---

(١) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٣٥٦، المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٣٣٤.
(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٣٣٠.
(٣) نفس المصدر، ص٣٤٢.
(٤) نفس المصدر، ص ٣٤٩.
(٥) انظر جدول ٣٢.
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣.
(٧) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ١٤٨.
(٨) نفس المصدر، ص ١٨١.
(٩) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٨٢١، ٨٢٢.
(١٠) نفس المصدر، ص ٨٢٠.

في بيع غلالهم بعد أن اكتفى الطحانون بغلال السلطان فانحل السعر[١] حتى بلغ في نفس الشهر إلى ١٥٠ درهما[٢].

ثانيا : تزايد أعداد الوفيات بدرجة كبيرة، أدى إلى قلة الطلب على الحبوب الغذائية.

ثالثا : دخول المحصول الجديد فى رجب[٣] .

لهذه الأسباب انخفضت أسعار الحبوب حتى إذا ما أهل شوال من العام نفسه ٨٣٣ هـ/ يونيه ١٤٢٩م كانت عامة المبيعات رخيصة جدا[٤].

وقبل وباء ٨٣٩ هـ / ١٤٣٦م ارتفعت أسعار الحبوب الغذائية، وقل الخبز فى الأسواق، واستغاث الناس بالسلطان دون أن يأبه بهم[٥] وضج من فى الحبوس من الجوع[٦]، ولم تمدنا المصادر بأسعار الحبوب أثناء الوباء أو بعده مباشرة .

أما الأزمة الاقتصادية الكبرى التى ألمت بمصر منذ أواخر ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م وحتى ٨٥٦ هـ/١٤٥٢م فقد سبقها وباء منذ ذى الحجة ٨٥٢ هـ وحتى ربيع الأول ٨٥٣ هـ، كما توقف النيل عن الزيادة فشرقت البلاد وارتفعت الأسعار وبخاصة القمح[٧].

وقد قامت السلطة الحاكمة خلال هذه الأزمة باستيراد القمح من الخارج، ولعل ذلك هو الذى أدى إلى انخفاض الأسعار عما كانت عليه مؤقتا ـ إلى أن حدث الشراقى العظيم بأرض مصر عام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م وساد الغلاء المفرط فى كل الحبوب الغذائية[٨]، فبلغ سعر أردب القمح فى رمضان ٨٥٤ هـ / أكتوبر

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) نفس المصدر، ص ١٨٢.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٨٣٠.

(٤) نفس المصدر، ص ٨٣٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٣٥.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٦٤.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ١٦٦.

(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥٢، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٧١.

(٨) ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٥٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٥، ص ٥٤٧.

١٤٥٠م حوالى ١٢٠٠ درهم[١]، ولم تبدأ سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م إلا وأردب القمح يباع بـ ١٥٠٠ درهم فما دونها[٢] .

وتتضح حدة الأزمة وشدتها من أن السلطان عندما أمر ببيع القمح من شونته كل أردب بألف درهم، سُر الناس ودعوا له[٣] .إلا أن هذا الإجراء سرعان ما تلاشت آثاره وبلغ سعر القمح أقصى سعر له فى رمضان ٨٥٥ هـ/١٤٥١م وهو سبعة دنانير أشرفية[٤] بما يعادل ألفى درهم، أى ما يقرب من أربعة أضعاف ونصف سعره فى أعلى قيمة له فى أزمة ٨٠٦ هـ/١٤٠٣ م[٥].

وفى وباء ٨٦٤هـ/١٤٥٩م انحطت أسعار الغلال "لكثرة من مات من الناس[٦] وبخاصة من المماليك الجلبان الذين خفت وطأتهم وإيذاؤهم لأهالى مصر مما ساعد على هبوط الأسعار وغزارة أصناف المبيعات بعد عدمها، وقد أشار إلى ذلك صراحة ابن تغرى بردى بقوله " وانحط سعر الغلال وظهر الشعير والتبن والدريس لموت هؤلاء الجبابرة الأجلاب "[٧] .

وتذبذبت أسعار القمح، وكذلك الحبوب الغذائية بشكل كبير فى الفترة من ٨٧٠ هـ إلى ٨٧٥ / ١٤٦٥ ـ ١٤٧٩م وكلها تنحو نحو الغلاء، إذ تراوحت ما بين ٣٠٠ درهم وحتى ١٠٠٠ درهم لأردب القمح[٨]، ساعد على ذلك وباء ٨٧٣ هـ/١٤٦٨م[٩] ثم ضعف الإنتاج فى عام ٨٧٤هـ، وحجر كاشف الصعيد على القمح ومنع استيراده[١٠]، حتى بلغ سعر أردب القمح فى المحرم ٨٧٥ هـ أعلى

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣١٢.
(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٠.
(٣) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٤٦.
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٢٩١.
(٥) بلغت أعلى قيمة له فى أزمة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م ٤٥٠ درهما بدون كلفه. إغاثة، ص ٧٧.
(٦) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٦٠.
(٧) حامد زيان : الأزمات الاقتصادية، ص ١١٠.
(٨) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥١٢، ٥١٦ ـ ٥١٨، ٦٢٨، ٦٤٣، ٦٨٥، ٧٠٦، مجهول : كتاب فى التاريخ، ورقة ٥.
(٩) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٣٠.
(١٠) مجهول : كتاب فى التاريخ، ورقة ٥.

Petry : Protectors. P. 104

أسعاره وهو سبعة دنانير أشرفية مساويا لما كان عليه الحال في أزمة عام ٨٥٥هـ، " فتشحط الخبز من الأسواق واستعمل الناس خبز الذرة والدخن ".[١]

هذا الارتفاع الشديد في الأسعار دفع السلطة الحاكمة إلى استيراد كميات من القمح لتخفيف حدة الأزمة[٢]، فانخفضت الأسعار في رجب ٨٧٥ هـ / ديسمبر ١٤٧٠م[٣] وواصلت انخفاضها في عامي ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م و ٨٧٧هـ / ١٤٧٢[٤]. حتى وقع الرخاء في سائر المأكولات في المحرم ٨٧٨ هـ / مايو ١٤٧٣م[٥] .

وفي العالم التالي جمادى الآخر ٧٨٩ هـ / أكتوبر ١٤٧٤ م عز وجود الخبز في الأسواق وتزاحم الناس على شراء القمح، واستمر ذلك حتى دخل المحصول الجديد[٦].

من خلال العرض السابق ومقارنة أهم الأوبئة وزمن حدوثها مع أسعار القمح طوال عصر الجراكسة اتضح ما يلي :

أولاً : إن حوالي٤٣% من الأوبئة التي تمت في هذا العصر لم تؤد إلى ارتفاع الأسعار بل انخفضت الأسعار خلالها أو بعدها مباشرة[٧]. ويلاحظ أن معظم الأوبئة الكبرى التي أثرت في النمو السكاني بشكل كبير، وراح ضحيتها أعداد كبيرة من السكان تدخل في عداد هذه النسبة مثل الأوبئة التي حدثت في الأعوام التالية ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧م، ٨١٩ هـ / ١٤١٦م، ٨٢٢هـ / ١٤١٩م، ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩م، ٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م، ٨٩٧ هـ /١٤٩٢م.

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٤٧. الدخن حب الجاورس. ابن منظور : لسان العرب، مادة دخن.

(٢) Ashtor : the wheat supply, pp. 287 - 288.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٤٧.

(٤) Petry : Protectors, P. 104

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٨٩.

(٦) نفس المصدر، ص ١٠٠.

(٧) عدد هذه الأوبئة ١٨ وباء حدثت في السنوات التالية.
٧٨٨ هـ - ٧٩٠ هـ - ٨٠٠ هـ - ٨٠٢ هـ - ٨٠٨ هـ - ٨١٣ - ٨١٥ / ٨١٦ هـ - ٨١٩ هـ - ٨٢٠ هـ - ٨٢١ هـ - ٨٢٢ هـ - ٨٢٣ هـ - ٨٣٣ هـ - ٨٥١ /٨٥٢ هـ - ٨٥٩ هـ - ٨٦٤ هـ - ٨٩٧ هـ - ٨٩٨ هـ.

مما يوضح أن زيادة عدد الوفيات أدت إلى انخفاض الطلب على السلع الغذائية، مما أدي إلى انخفاض أسعارها .

كما تعنى هذه النسبة ذاتها أن ٤٣% من الأوبئة سبقها ارتفاع فى الأسعار مما يوضح أن ضعف القدرة الشرائية، وسوء التغذية كان من العوامل التى ساعدت على انتشار الوباء .

ثانيا : أن ٢١% من الأوبئة فقط ارتفعت الأسعار خلال انتشارها، وتركت آثارها فى الأسعار بعد انتهائها(١)

ثالثا : أن ٣٦ % من الأوبئة لم يكن لها تأثير كبير على الأسعار، أو لم تذكر المصادر التاريخية أسعار السلع الغذائية فى العام الذى وقعت فيه(٢).

وإذا كانت الأسعار هى المؤشر الحقيقى لمعرفة قوة الأزمة وحدتها فإنه من خلال جدول أسعار القمح يتضح أن أشد الأزمات الاقتصادية التى لحقت بمصر فى عصر الجراكسة كانت منذ أواخر ٨٥٣ هـ / يناير ١٤٥٠ وحتى ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م، حيث بلغ سعر أردب القمح فيها إلى سبعة دنانير أشرفية، وكذلك الأزمة التى نشأت فى أوائل عام ٨٧٥ هـ / يونيه ١٤٧٠م حيث بلغ سعر أردب القمح نفس القيمة

ثم أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م حيث بلغ سعر الأردب من القمح إلى ٦٠٠ درهم فى أواخر هذا العام، كما بلغ سعر أردب القمح فى أزمة المحرم ٨٩٢ هـ / ديسمبر ١٤٨٦م ستة دنانير .

وتتلو هذه الأزمات الاقتصادية، أزمة ربيع الآخر ٨٢٩ هـ / فبراير ١٤٢٥م حيث بلغ سعر أردب القمح إلى ٩٠٠ درهم، ثم تأتى الأزمات المتتابعة فى أعوام ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م و ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م حتى بداية ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م حيث بلغ سعر أردب القمح من ٣ إلى ٣,٣٣ دينار(٣) .

---

(١) عدد هذه الأوبئة ٩ أوبئة حدثت فى السنوات التالية ٧٩١ هـ - ٧٩٧ هـ - ٨٠٧/٨٠٦ هـ- ٨١٨/٨١٧هـ - ٨٢٧ هـ- ٨٢٨ هـ- ٨٣١ هـ- ٨٥٣/٨٥٢ هـ - ٨٧٣ هـ.

(٢) عدد هذه الأوبئة ١٥ وباء حدثت فى السنوات التالية ٧٩٥ هـ - ٨٠٩ هـ - ٨١٠ هـ - ٨٣٩ هـ - ٨٤١ هـ - ٨٤٨/٨٤٧ هـ - ٨٥٨ هـ - ٨٨١ هـ - ٩٠٣ هـ - ٩٠٤ هـ - ٩٠٩ هـ - ٩١٠ هـ - ٩١٢ هـ - ٩١٩/٩١٨ هـ - ٩٢٠ هـ.

(٣) مجهول : كتاب فى التاريخ من ٨٧٣ هـ حتى ٩٠٤ هـ، ورقة ٥.

ثانياً: أثر الأزمات الاقتصادية على العلاقة السعرية بين أهم الحبوب:

كانت القيمة السعرية لكل من الفول والشعير طوال عصر الجراكسة أقل من القيمة السعرية للقمح [(١)]، وتصل قيمتها من ٥٠% إلى ٦٥% تقريباً من أسعار القمح، إلا أنه من الملاحظ في أزمة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م وما بعدها اختلت هذه العلاقة إذ تساوى سعر كل من القمح والشعير عند ٧٠ درهما للأردب، وارتفع سعر الأردب من الفول إلى ٩٠ درهما لنجد منحنى سعر أردب الفول في تلك الفترة يرتفع عن منحنى سعر كل من القمح والشعير، ثم ينخفض سعر الفول والشعير قليلا ليصبح ٩٢% من سعر القمح في ٢٠ ربيع الأول ٨٠٦هـ / ٨ أكتوبر ١٤٠٣ م، ثم تساوت أسعار كل من الفول والقمح في المحرم ٨٠٧هـ / يوليه ١٤٠٤ م فبلغ الأردب من كل منهما ٢٥٠ درهما[(٢)]، ويرجع سبب هذا الخلل في تلك الفترة إلى عاملين أساسيين :

أولا : عند ارتفاع أسعار القمح وندرة الأقوات لجأ الناس إلى أكل الفول أخضرا، فلما جاء وقت الحصاد كان الإنتاج ضعيفا [(٣)].

ثانيا : قلة إنتاج الشعير في تلك الفترة، وتوزيع عليق خيول المماليك السلطانية فولاً بدلاً من الشعير [(٤)].

وقد تكون هذه الأسباب نفسها هي التي أوجدت خللاً في العلاقة السعرية بين كل من الفول والشعير في الأزمة الاقتصادية التي بدأت منذ عام ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م واستمرت حتى ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢م، فأسعار كل من الفول والشعير تكاد تكون متساوية طوال عصر الجراكسة، أو هناك فارق ضئيل يرتفعه سعر أردب الفول عن الأردب من الشعير [(٥)] إلا أنه من الملاحظ أن هذا الفارق ارتفع بدرجة كبيرة في هذه الأزمة الاقتصادية، فأصبح سعر أردب الشعير يمثل حوالي ٦٦%من سعر أردب الفول [(٦)]، أو أقل [(٧)]، ويتضح ذلك من خلال الشكل رقم ٢٤ " العلاقة

---

(١) انظر الشكل رقم ٢٢ .

(٢) انظر الشكل رقم ٢٣ .

(٣) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٣٠ .

(٤) نفس المصدر، ص ١١١٦ .

(٥) انظر الشكل رقم ٢٢ .

(٦) السخاوي : التبر المسبوك، ص ٢٥٩، ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ٤٧، ٧٨ .

(٧) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ١١١ .

بين أسعار الفول والشعير فى أزمة ٨٥٣ ــ ٨٥٦ هــ مما سبق يتضح أن الأزمات والمجاعات الكبرى التى حدثت فى مصر فى عصر الجراكسة أوجدت خللاً فى نسب أسعار الحبوب الرئيسية الثلاث (القمح ــ الفول ــ الشعير) .

(جدول ١٠)

مقارنة أسعار الحبوب (القمح – الشعير – الفول)

التاريخ	سعر أردب القمح	سعر أردب الشعير	سعر أردب الفول	المصدر	ملاحظات
٧٨٧هـ	٤٣,٣٣	٢٠	١٨	نزهة، ج١ ،ص١٢٣	
٧٩٧هـ	١٠٤	٤٠	٤٠	نفس المصدر، ص٣٩٩	
٧٩٨ هـ	٩٨,٣٣	٢٦	٢٦	نفس المصدر ص٤٢٩ ، ٤٣٠	
المحرم ٧٩٩هـ	٥٥	٣٠	٣٥	نفس المصدر، ٤٣٩	
المحرم ٨٠٢هـ	٤٠	٢٥	٢٧	بدائع، ج١، ق٢، ص٥٥١ ، ٥٥٤	
صفر ٨٠٢هـ	٦٠	٣٥	٣٥	نفس المصدر، ص٥٥٤	
المحرم ٨٠٣هـ	٥٠	٣٠	٣٠	نفس المصدر، ص٥٩١	
رجب ٨٠٥هـ	٧٠	٧٠	٩٠	نفس المصدر ،٦٦٧	
ذو الحجة ٨٠٥هـ	٩٥	٦٠	٨٠	نفس المصدر ،٦٧٣ ص، نزهة، ج٢، ص١٦٩	
المحرم ٨٠٦ هـ	١٠٠	٦٥	٧٠	بدائع، ج١، ق٢، ص٦٧٨	
ربيع الأول ٨٠٦	٢٢٠	١١٠	١٠٠	نزهة، ج٢، ص١٨٠	
٢٠ربيع الأول ٨٠٦هـ	٢٥٠	٢٣٠	٢٣٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١١٦	
أوائل رجب ٨٠٦هـ	٣٠٠	٢٠٠	٢٠٠	نفس المصدر، ص ١٨٤، ١٨٥	
شعبان ٨٠٦ هـ	٤٠٠	٢٥٠	٢٥٠	نفس المصدر، ص١٨٦	

التاريخ	سعر أردب القمح	سعر أردب الشعير	سعر أردب الفول	المصدر	ملاحظات
المحرم ٨٠٧هـ	٢٥٠		٢٥٠	نفس المصدر، ص١١٣٠	
ربيع الأول ٨٠٧هـ	٤٠٠	٣٢٠	٣٢٠	بدائع، ج١ ،ق٢، ص٦٩٦	
ربيع الأول ٨٠٨هـ	٢٢٠	١٢٠	١٢٠	نفس المصدر ،ص٧٣٧ ،السلوك ،ج٤، ق١، ص٣	
المحرم ٨١١هـ	١٠٠	٧٠	٦٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٦٧	
المحرم ٨١٤هـ	١٤٠	١٠٠	١٠٠	نفس المصدر ،ص١٧٣	
٧ربيع الأول ٨١٤ـ	١٤٠	٩٠	١٥٠	نزهة، ج٢، ص٢٨٤	
ذو القعدة ٨١٨هـ	٤٠٠	٢٥٠	٣٠٠	نفس المصدر ،ص٣٥٧	
ذو الحجة ٨٢٠هـ	١٠٠	٢٠٠	٢٠٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٤٣١	
٨٢٤ هـ	٢٦٥	١٧٠	١٧٥	نفس المصدر ،ص ٥٢٠، ٥٤٨	
صفر ٨٢٦هـ	٩٠	٦٢,٥	٧٢,٥	نزهة، ج٣، ص٢٣	
ذو القعدة وذو الحجة ٨٢٧هـ	٣٠٠	٢٨٠	٣٠٠	نفس المصدر ،ص٧٠	
المحرم٨٣٠	١٥٠	١٠٠	١٥٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٣٤	
ذو القعدة ٨٣١هـ	٣٠٠	٢٣٠	٢٦٠	نفس المصدر ،ص٧٨٢	
ذو الحجة ٨٣١هـ	٣٧٥	٣٠٠	٣٠٠	نفس المصدر ،ص٧٨٣	
أول ربيع الآخر ٨٣٢	٤٧٥	٣٠٠	٣٠٠	نفس المصدر ،ص٧٩٤، نزهة، ج٣، ص١٤٨	
شعبان ٨٣٣هـ	١٥٠	٩٠	٧٠	نفس المصدر ،ص ١٩٥، السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٣٢	
صفر ٨٣٤هـ	١٣٠	٦٠	٥٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٥١	
المحرم ٨٣٦هـ	١٣٠	٨٠	٨٠	نزهة، ج٣، ص٢٤٧	

التاريخ	سعر أردب القمح	سعر أردب الشعير	سعر أردب الفول	المصـــــدر	ملاحظات
ذو القعدة ٨٣٦هـ	١٣٠	٨٠	٨٥	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٩٣	
ذو الحجة ٨٣٧هـ	٢٠٠	١٧٠	١٧٠	نزهة، ج٣، ص٢٩١	
٢١ربيـع الآخـر ٨٣٩هـ	٣٦٠	٢١٠	٢١٠	نفس المصـدر، ص٣٣٧، السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٦٤	
٨٤٩هـ	١٤٥	١٤٠	١٣٠	التبر المسبوك، ص١٢٦	
جمـادى الأولـى ٨٥٣هـ	٣٠٠	١٦٠	٣٠٠	نفس المصـدر، ص٢٥٩، حوادث الدهور، ص٤٦	
جمـادى الآخـرة ٨٥٣هـ	٢٩٠	١٦٠	٢٤٠	حوادث الدهور، ص٤٧	
رمضان ٨٥٣هـ	٦٠٠	٤٠٠	٥٠٠	نفس المصدر، ص٥٢	
رجب ٨٥٤هـ	٦٠٠	٤٠٠	٤٠٠	نفس المصدر، ص٨٦، التبر المسبوك، ص٣٠١	
المحرم ٨٥٥هـ	١٥٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	حوادث الدهور، ص١٠٠	
ربيـــع الأول ٨٥٥هـ	٨٠٠	٧٠٠	٧٠٠	التبر المسبوك، ص٣٤٦	
ارجب ٨٥٥هـ	٩٠٠	٥٠٠	٩٠٠	حوادث الدهور، ص١١١	
المحرم ٨٥٦هـ	٨٠٠	٤٠٠	٥٠٠	التبر المسبوك، ص٣٨١	
ذو الحجة ٨٥٦هـ	٣٠٠	١٤٠	٣٠٠	نفس المصدر، ص٣٨٢	
رجب ٨٥٧هـ	١٤٠	٩٠	٩٠	حوادث الدهور، ١٨٨	
اربيـــع الأول ٨٦٠هـ	٢٧٠	١٧٠	١٧٠	نفـــس المصـــــدر، ص٢٥١،٢٥٢	
آخر رمضان ٨٦٠هـ	٢٦٠	٢٢٠	٢٢٠	نفس المصدر، ص٢٧٦	
المحرم ٨٦٤هـ	٣٠٠	٢٨٠	٢٥٠	نفس المصدر، ص٣٢٨ ، ٣٢٩	
جمـادى الآخـرة ٨٦٤هـ	٦٠٠	٤٠٠	٤٠٠	النجوم، ج١٦، ص١٤٢	

التاريخ	سعر أردب القمح	سعر أردب الشعير	سعر أردب الفول	المصدر	ملاحظات
اذى القعدة ٨٦٦هـ	٣٠٠	٢٠٠	٢٨٠	حوادث الدهور، ص٤٣٠	
ارجب ٨٦٨هـ	٣٦٠	٣٢٠	٣٠٠	نفس المصدر، ص٤٥٩	
٩جمادى الآخرة٨٧٠ هـ	٤٢٠	٢٤٠	٢٢٨	نفس المصدر، ص٥١٢	
شوال ٨٧٢هـ	٦٠٠	٢٤٠	٢٠٠	نفس المصدر، ص٦٢٨	
اذى الحجة ٨٧٢هـ	٧٠٠	٢٠٠	٢٠٠	نفس المصدر، ص٦٤٣	
٢٣رمضان٨٧٣هـ	٦٠٠	٣٠٠	٣٠٠	نفس المصدر، ص٧٠٦	

ثالثا: أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على العلاقة السعرية بين القمح كحبوب والدقيق والخبز كسلع مصنعة :

من خلال مقارنة أسعار القمح بالدقيق والخبز [١] يتضح ما يلى :

أولا : أنه توجد علاقة طردية بين أسعار السلع الثلاث، بمعنى أنه كلما ارتفع سعر القمح تبعه ارتفاع فى أسعار الدقيق والخبز والعكس صحيح .

ثانيا : أن نسبة أسعار البطة [٢] من الدقيق مقارنة بأسعار أردب القمح غير ثابتة، تراوحت ما بين ٢٥% و٤٠%، وجدير بالذكر أن ثبات النسبة بين أسعارهما يعنى أن نسبة ارتفاع أجور طحن الغلال تتساوى مع نسبة ارتفاع أسعار القمح، وهذا يضمن للعاملين بهذه المهنة دخلا يتلاءم مع زيادة أسعار القمح بصفة خاصة، ومختلف أسعار السلع الأخرى بصفة عامة .

أما عدم ثبات النسبة وارتفاعها عن ٢٥% يعنى أن نسبة ارتفاع أجور طحن الغلال ترتفع بصورة أكبر من نسبة ارتفاع أسعار القمح، وقد يرجع ذلك إلى

---

(١) انظر جدول ١١ .

(٢) البطة من الدقيق : كانت كيسا من الجلد على هيئة بطة عيارها ٥٠ رطلا . انظر ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى)، كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،١٩٧٦، ص١٥٢

انخفاض الأيدى العاملة بعد الأوبئة، ومما يؤكد ذلك ارتفاع هذه النسبة فى سنوات الأوبئة بصورة خاصة .

فنسبة أسعار بطة الدقيق بالنسبة لأسعار أردب القمح فى نهاية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى تراوحت ما بين ٢٥% و ٢٦%، وبداية من أزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م وما تركته من آثار فى الأعوام التالية لها بدأت ترتفع هذه النسبة، فبلغت ٢٧,٥% فى ربيع الأول ٨٠٧ هـ/ سبتمبر ١٤٠٤م، كانت تمثل أجرة الطحن خلالها ثلاثون درهما للأردب [١].

ثم بلغت النسبة أكثر من ٣٣% فى وباء ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، ونفس النسبة خلال الأزمة الاقتصادية التى بدأت عام ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م وحتى عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م، فقد بلغت أجرة طحن الأردب من القمح ١٢٠ درهما، ولذلك اتخذ غالب الناس فى بيوتهم الأرحية اليدوية [٢] .

ونتيجة للأعداد الكبيرة التى ذهبت ضحية للوباء والمجاعة فى تلك الفترة، وهلاك كثير من الحيوانات لم ينته عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م إلا وقد بلغت النسبة بين سعر البطة من الدقيق والأردب من القمح ٤٠% مما يعنى الارتفاع الشديد فى أجور الحيوانات التى تدير الطواحين وأجور عمال هذه المهنة .

كما أدى انتشار الوباء فى القوى المحركة للطواحين ممثلة فى الجاموس والأبقار عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م [٣] إلى أن النسبة بين سعر البطة من الدقيق والأردب من القمح ارتفعت إلى ٤٠%، وذلك لقلة هذه الحيوانات وهزلان الموجود منها لقلة الأعلاف [٤]، وبالتالى ارتفاع أجور طحن الغلال .

وعلى الرغم من انخفاض الأسعار فى صفر ٨٢٦هـ/ يناير ١٤٢٣م، إلا أن النسبة بين سعر البطة من الدقيق والأردب من القمح بلغت ٣٨,٩%، ويرجع

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص٧٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص١٠١ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٠٧، ٧١٠ – ٧١١، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ١٠٣

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٧١٠.

هذا إلى أنه إذا انخفضت الأسعار بشكل كبير فإن انخفاض النسبة إلى ٢٥% أو ٣٠% يؤثر فى أجور العمالة وقد لايفي بالتزاماتهم المعيشية، وبالتالى فإن ارتفاع هذه النسبة ليس دليلا على ارتفاع أجور العمالة مثلما هو الحال فى سنوات الأزمات والأوبئة سابقة الذكر .

ثالثا : بالنسبة لأسعار الخبز مقارنة بأسعار الدقيق، على الرغم من أنه فى كثير من الأحيان يذكر المؤرخون أسعار رغيف الخبز، إلا أن وزن الرغيف يختلف من وقت لآخر [(١)] وبالتالى لا يصلح معيارا لمقارنة الأسعار، بالإضافة إلى أنهم فى بعض الأحيان الأخرى يذكرون سعر الرغيف دون تحديد وزن له، كما أن سعر الرغيف الطازج يختلف عن سعر الرغيف البايت، وبذلك يعد سعر الرطل من الخبز هو المعيار الأفضل لمقارنة الأسعار [(٢)] .

ومن الملاحظ أن نسبة أسعار الرطل من الخبز مقارنة بأسعار البطة من الدقيق تراوحت ما بين ١,٢٥% إلى ٥,٣٣% مما يعنى تأثر هذه الصناعة بارتفاع أجور العمالة، وأسعار الوقود[(٣)]، وهامش الربح الذى يحققه صاحب المخبز، أو تأثر العنصرين الأخيرين إذا كان العاملون فى المخبز هم الذين يمتلكونه وليسوا أجراء فيه .

---

(١) اختلف وزن الرغيف من وقت لآخر، ففى بعض الأحيان يكون وزن الرغيف ٤ أواق فقط . ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٢٨، وأحيانا نصف رطل (٦ أواق) ابن إياس : بدائع، ج١، ق٢، ص ٧٥١، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٩، وفى كثير من الأحوال كان زنة الرغيف ٧ أواق . ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٦، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٦٢، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٣٠، ووصل وزن الرغيف فى بعض الأحيان إلى رطل (١٢ أوقية)، إلا أن هذه الأرغفة لم تكن معدة للبيع، وإنما للتوزيع على الفقراء والمجاورين، حجة ١٨٨ دار الوثائق .
ولم توجد علاقة ذات دلالة بين وزن الرغيف وسنوات الأزمات الاقتصادية .

(٢) تم تحويل أسعار الرغيف فى السنوات التى ذكر فيها سعره مقرونا بوزنه إلى السعر بالرطل على أساس أن الرطل = ١٢ أوقية .

(٣) ارتفعت أسعار الحملة الحطب (١١٠ رطل) إلى عشرة دراهم بعد درهمين فى المحرم ٨٠٤ هـ / أغسطس ١٤٠١ م، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٧٦، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٣٩ . كما حكر بيع الحطب المجلوب من بلاد الصعيد، وجعل من أصناف المتجر السلطانى فى رجب ٨٣٢ هـ / أبريل ١٤٢٩م، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٠١ ولذلك تأثير فى أسعار الخبز .

(جدول ١١)

مقارنة أسعار القمح بالدقيق والخبز

التاريـــــخ	سعر أردب القمح[١]	نسبة الدقيق للقمح	سعر بطة الدقيق	نسبة الخبز للقمح	سعر رطل الخبز	نسبة رطل الخبز للدقيق
١٢صفر ٧٩٧	٧٠	٢٥,٧%	١٨[٢]	,٤٧%	٠,٣٣[٣]	١,٨٣%
٧جمادى الأولى ٧٩٨	١٧٥	٢٥%	٤٤[٤]	٠,٤٦%	٠,٨[٥]	١,٨٢%
صفر ٨٠٢	٦٠			٠,٤٢%	٠,٢٥[٦]	
١٢شعبان ٨٠٢	٧٥			٠,٤٤%	٠,٣٣[٧]	
ربيع الأول ٨٠٧	٤٠٠	٢٧,٥%	١١٠[٨]	٠,٤٣%	١,٧[٩]	١,٥٥%
ذو الحجة ٨٠٨	١٣٠			٠,٥١%	٠,٦٦[١٠]	
المحرم ٨١٦	١٨٠	٣٣,٣%	٦٠[١١]			
ذو القعدة ٨١٨	٤٠٠	٢٥%	١٠٠[١٢]			
المحرم ٨٢٣	٤٠٠	٣٠%	١٢٠[١٣]	٠,٥%	٢,٠٠[١٤]	١,٦٧%

---

(١) هذه الأسعار مستخلصة من جدول ٣٢ " أسعار أردب القمح بالدرهم .

(٢) أوضح المقريزى أن سعر حملة الدقيق (٦ بطط) ١١٠ درهم . السلوك، جـــ٣، ق٢، ص٨٢٦

(٣) ثلاثة أرطال بدرهم . الصيرفى : نزهة النفوس، جــ١، ص٣٩٩ .

(٤) المقريزى : السلوك، جــ٣، ق٢، ص٨٥٦ .

(٥) ١,٢٥ من الرطل بدرهم . نفس المصدر والصفحة .

(٦) أربعة أرطال بدرهم . المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩٨٢، ابـــن إيـــاس : بدائع، جـــ ١، ق٢، ص٥٥٥ .

(٧) ثلاثة أرطال بدرهم . المقريزى : السلوك، جــ٣، ق٣، ص١٠١٣ .

(٨) ابن اياس : بدائع، جــ١، ق٢، ص٦٩٦ .

(٩) رغيف زنة سبع أوقيات بدرهم، نفس المصدر والصفحة . والرطل = ١٢ أوقية .

(١٠) رغيف زنة نصف رطل بثلث درهم . المقريزى : السلوك، جــــ٤، ق١، ص ١٩، ابن إياس : بدائع، جـــ ١، ق٢، ص٧٥١ .

(١١) الصيرفى : نزهة، جــ٢، ص٣٢٦ ..

(١٢) نفس المصدر، ص٣٥٧ .

(١٣) نفس المصدر، ص٤٨٠ .

(١٤) نصف رطل بدرهم . نفس المصدر، ص٤٨١ ..

التاريـــــخ	سعر أردب القمح(١)	نسبة الدقيق للقمح	سعر بطة الدقيق	نسبة الخبز للقمح	سعر رطل الخبز	نسبة رطل الخبز للدقيق
صفر ٨٢٦	٩٠	%٣٨,٩	٣٥(١)	%٠,٨٣	٠,٧٥(٢)	%٢,١٤
ذو القعدة وذو الحجة ٨٢٧	٣٠٠	%٣٠	٩٠(٣)	%٠,٥	١,٥(٤)	%١,٦٧
ربيع الأول ٨٢٩	٣٠٠	%٤٠	١٢٠(٥)			
جمادى الأول ٨٢٩	٢٢٥	%٣٥,٦	٨٠ (٦)			
رمضان ٨٣١	٢٦٠	%٣٠,٨	٨٠ (٧)			
ذو الحجة ٨٣١	٤٠٠	%٣٢.٥	١٣٠(٨)			
ربيع الآخر ٨٣٢	٤٥٠	%٣١	١٤٠ (٩)			
جمادى الأخرة٨٣٢	٢٨٠	%٣٢,١	٩٠ (١٠)			
٢١ ربيع الآخر٨٣٩	٣٦٠	%٣٠,٥	١١٠(١١)	%٠,٥٦	٢,٠٠(١٢)	%١,٨٢
ربيع الثانى٨٥٣	٣٠٠	%٣٣,٣	١٠٠(١٣)			
٤جمادى الأولى ٨٥٣	٣٠٠	%٣٣,٣	١٠٠(١٤)			
٢٥ جمادى الأخرة ٨٥٣	٤٠٠	%٣٣,٨	١٣٥(١٥)			

(١) الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص٢٣ .

(٢) رطل وثلث بدرهم . الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ٢٣ .

(٣) نفس المصدر، ص٧١.

(٤) نفس المصدر، ص ٧٠ .

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧١٢ .

(٦) نفس المصدر، ص ٧١٨ .

(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٨٠ .

(٨) نفس المصدر، ص ٧٨٣ .

(٩) نفس المصدر، ص٧٩٤ .

(١٠) نفس المصدر، ص٧٩٩ .

(١١) نفس المصدر، ص ٩٦٤، الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص٣٣٧ .

(١٢) نصف رطل بدرهم . الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ٣٣٧ .

(١٣) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٥٩ .

(١٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٦ .

(١٥) نفس المصدر، ص ٤٨ .

التاريـــــــخ	سعر أردب القمح[1]	نسبة الدقيق للقمح	سعر بطة الدقيق	نسبة الخبز للقمح	سعر رطل الخبز	نسبة رطل الخبز للدقيق
رمضان ٨٥٣	٦٠٠	%٣٣,٣	٢٠٠[1]			
١٩ ذو الحجة٨٥٣	٨٠٠	%٢٧,٥	٢٢٠ [2]	%٠,٧٥	٦,٠٠[3]	%٢,٧٣
أوائل ٨٥٤	٨٠٠	%٣٦,٣	٢٩٠ [4]	%٠,٧٥	٦,٠٠[5]	%٢,٠٧
جمادى الأولى ٨٥٤	٥٠٠	%٣٤	١٧٠ [6]			
أوائل ٨٥٥	١٥٠٠	%٣٣,٣	٥٠٠ [7]	%٠,٥٣	٨,٠٠[8]	%١,٦
ربيع الأول ٨٥٥	٨٠٠	%٣١,٣	٢٥٠ [9]	%٠.٥	٤,٠٠[10]	%١,٦
أواخر ٨٥٦	٣٠٠	%٤٠	١٢٠[11]	%٠,٥	١,٥[12]	%١,٢٥
أوائل ٨٦٤	٣٠٠			%٠,٦	١,٨[13]	
جمادى الآخرة٨٦٤	٦٠٠	%٢٨,٣	١٧٠[14]	%٠,٦٧	٤,٠٠[15]	%٢,٣٥

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٢ .

(٢) السخاوى التبر المسبوك، ص ٢٦٢ .

(٣) نفس المصدر، ص ٢٧١ ..

(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٠ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) السخاوى التبر المسبوك، ص ٣٠١ .

(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٠ .

(٨) نفس المصدر، ص١٠١ .

(٩) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٥ .

(١٠) نفس المصدر، ص٣٤٦ .

(١١) السخاوى التبر المسبوك، ص ٣٨٢ .

(١٢) نفس المصدر والصفحة، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص١٣٥ .

(١٣) رغيف زنة عشرة أواق بدرهم ونصف . ابن تغرى بردى : حوادث الدهـــور، ص ٣٢٩ .

(١٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٦، ص ١٤٢ .

(١٥) نفس المصدر والصفحة .

التاريـــــخ	سعر أردب القمح[١]	نسبة الدقيق للقمح	سعر بطة الدقيق	نسبة الخبز للقمح	سعر رطل الخبز	نسبة رطل الخبز للدقيق
اذى القعدة٨٦٦	٣٠٠	%٣٠	٩٠ [١]	%٠,٥٧	١,٧[٢]	%١,٨٩
ارجب ٨٦٨	٣٦٠	%٣٣,٣	١٢٠[٣]			
٩جمادى الآخرة ٨٧٠	٤٢٠	%٢٨,٦	١٢٠[٤]	%٠,٦٦	٢,٧٧[٥]	%٢,٣١
ارجب ٨٧٠	٦٠٠	%٣٠	١٨٠[٦]			
شوال ٨٧٢	٦٠٠			%٠,٧٥	٤،٥ [٧]	
المحرم ٨٩٢	١٥٠٠	%٣٠	٤٥٠[٨]	%١,٦		%٥,٣٣

رابعا : أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على أسعار الملابس :

أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى أسعار المواد الخام التى تدخل فى صناعة الملابس بشكل كبير وبخاصة الكتان الذى ارتفع سعر الرطل منه فى المحرم ٨٠٤هـ / أغسطس ١٤٠١م إلى درهمين ونصف بعدما كان درهما واحدا[٩]. وبعد عامين فقط تراوح سعره بين ٣ - ٤ دراهم [١٠] .

وأثناء تناول الصيرفى لأسعار صفر ٨٠٧هـ/ أغسطس ١٤٠٤م أوضح أن " الرطل المصرى من الكتان الذى كان يساوى ثلاثمائة أصبح

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٣٠ .

(٢) سبع أواقى بدرهم .نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٥٩ .

(٤) نفس المصدر، ص ٥١٢ .

(٥) رغيف نصف رطل ونصف أوقية بدرهم ونصف . نفس المصدر والصفحة .

(٦) نفس المصدر، ص ٥١٣.

(٧) رغيف زنته أربع أواقى بدرهم ونصف . نفس المصدر، ص ٦٢٨.

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٢٣٨ .

(٩) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٧٦، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٦٣٩ .

(١٠) المقريزى : السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١١١، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٦٧٨ .

بألفين وخمسمائة"[1] وهو أمر يشك في صحته الباحث لعدة أسباب :-

أولاً : أن ابن إياس أوضح فى الشهر التالى مباشرة "ربيع الأول ٨٠٧ هـ / سبتمبر ١٤٠٤م أن سعر الذراع من الكتان المنسوج بيع بعشرة دراهم بعدما كان يساوى ثلاثة [2] ولما كان ثمن الذراع من الكتان عادة يكون أغلى من ثمن رطل الكتان [3] فإنه من المتوقع أن يكون رطل الكتان فى ربيع الأول ٨٠٧هـ أقل من عشرة دراهم .

ثانياً : إن رطل الكتان فى أسعار المحرم ٨١٦هـ / أبريل ١٤١٣م، وهى ترتفع عن أسعار عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤ م بلغ ثلاثين درهما [4]، مما يؤكد خطأ الرقم الذى أورده الصيرفى .

ثالثاً : إن تناول الصيرفى لهذا السعر جاء في سياق حديثه عن الأثواب الكاملة فيقول " ولكن تحسن سعر القماش جداً، فبيع الرطل المصرى من الكتان الذى كان يساوى ثلاثمائة بألفين وخمسمائة، والثوب البعلبكى الذى كان يساوى مائة بألف وأكثر، والبدن من السنجاب الجديد الذى كان يساوى ثلاثمائة بألفين " [5] . وبالتالى يعتقد الباحث أن المقصود هنا ليس ثمن الرطل المصرى من الكتان، ولكن الثوب المصرى من الكتان .

وكما تؤثر الأزمات والأوبئة فى قلة المواد الخام التى تشكل أساس صناعة الملابس فإنها أيضاً ترفع من أجور العمالة، مما ينتج عنه فى النهاية ارتفاع شديد فى أسعار الملابس، ففى عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م ارتفعت أسعار الثياب بنسب تتراوح بين ٣٣٣% و ٦٦٦% فبيع ثوب القطن البطانة بأكثر من مائة درهم بعد أن كان بأقل من ثلاثين وثوب القطن البعلبكى بيع بأربعمائة درهم بعدما كان بستين درهما فقط [6] .

---

(١) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ١٩٥ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٦٩٧ .

(٣) فى عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م بينما كان الذراع من ثياب الكتان ببضعة عشر درهما، المقريزى : إغاثة ص ٧٨ كان رطل الكتان يتراوح سعره من ٣ - ٤ درهم . المقريزى : السلوك، جـ٣ ق٣، ص ١١١، جـ١، ق٢، ص٦٧٨ .

(٤) نفس المصدر، جـ ٤، ق١، ص ٢٥٦ .

(٥) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ١٩٥ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٦٧، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٦٢، المقريزى : السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١١٠١

وعندما حلت أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م ارتفع سعر الثوب من القطن إلى ١٥٠٠ درهم فلوساً(١)، وبيعت ملوطة(٢) مستخدمة من قبل بـ ١١٢٠ درهماً(٣)، والبدن(٤) الفرو السنجاب الجديد بألف وخمسمائة درهم " وهذا شئ لم يسمعه أحد " على حد قول الصيرفى(٥).

وواصلت أسعار الملابس ارتفاعها فى عام ٨٠٧ هـ حتى إذا ما جاء ربيع الآخر/ أكتوبر ١٤٠٤م ارتفعت أسعار ثوب الصوف والبدن السنجاب إلى عشرة أضعاف فى فترة عامين فقط إذ بلغ سعر كل منها ٣٠٠٠ درهم (٦)، بعد ما كان كل منهما يساوى ٣٠٠ درهم فقط (٧).

وفى أثناء وباء ٨١٦هـ / ١٤١٣م بلغ سعر الرطل من الكتان ثلاثين درهما (٨)، ويرجع ارتفاع أسعار الكتان بصورة خاصة أوقات انتشار الأوبئة لزيادة الطلب عليها، حيث أن الأطباء كانوا ينصحون المرضى، أو من ترتفع درجة حرارتهم بارتداء الملابس الكتانية على اعتبار أنها لا تمتص الحرارة (٩).

ولقد ترك ارتفاع أسعار الكتان أثره فى بقية الأصناف الأخرى من الملابس حتى بيع ثوب القطن بعشرين مثقالا (١٠) تقدر بـ ٥٠٠٠ آلاف درهم فى

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٧٨ .

(٢) الملوطة ــ والجمع ملاليط وملوطات ــ كلمة يونانية الأصل، وهى تعنى الجبة التى تلبس فوق الفرجية، أو قميص واسع الأكمام، وكان من ملابس المماليك بمصر، المقريزى : إغاثة، ص ٧٩ (حاشية ٥).

(٣) المقريزى : إغاثة، ص ٧٩ .

(٤) البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد مع قصر الكمين . الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ١٩٥ (حاشية ٢) .

(٥) الصيرفى . نزهة، جـ٢، ص ١٧٨ .

(٦) نفس المصدر، ص ١٩٦ .

(٧) انظر أسعار رجب ٨٠٥ هـ/ يناير ١٤٠٣م . المقريزى : السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١١٠١، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٦٦٧. وأسعار ربيع الأول ٨٠٧هـ. ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٧

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٦ .

(٩) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠، أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوباء، ورقة ٢٩ .

(١٠) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢١، ص ٢٥٦ .

ذلك الوقت[1] . وثوب الحرير ارتفع سعره إلى ثلاثة آلاف وأربعة آلاف درهم بعدما كان يباع بثلاثمائة درهم وكذلك ارتفعت أسعار السمور [2] واستمرت ثياب القطن والكتان فى غاية من الغلو فى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤م [3] .

وتمثل الفترة من ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢م إلى ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥م فترة نمو فى أسعار القماش والفراء بأنواعها [4] .

ولم ترد بعد ذلك أسعار للملابس فى عصر الجراكسة فيما كتبه المؤرخون، وإنما ورد فى إحدى الوقفيات أن الواقف أضاف فى عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م كسوة ستة أطفال من الأيتام بقيمة ٢٤٠٠ درهم فلوسا أو ما يقوم مقامها[5]، مما يعنى ان كسوة كل يتيم فى هذا العام تقدر بأربعمائة درهم . ولم تحدد الوقفية نوع الكسوة .

مما سبق .... ومن خلال جدول أسعار الملابس يتضح ما يلى :

أولا : ازدياد نسبة ارتفاع الأسعار فى الأثواب القطنية بما يزيد عن ٨٣٣ ضعفا فى الفترة من ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م إلى ٨١٦ هـ/ ١٤١٣م ثم انخفاض هذه النسبة إلى ٣٦٦ ضعفا حتى عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م [6] .

وفى كلتا الحالتين يتضح ارتفاع أسعار المواد الخام من ناحية، وارتفاع أجور العاملين بهذه الصناعة من جهة أخرى، كما يتضح ازدياد الطلب على هذه الملابس باعتبارها أيضا من الملابس التى يوصى الأطباء بارتدائها وقت الأوبئة .

---

(١) كان سعر الدينار الهرجة ٢٥٠ درهما . المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٤٠، ٢٥٦، العينى : السيف المهند، ص ٣١٥ .

(٢) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٣٢٦ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ١، ص ٢٨٠ .

(٤) الصيرفى : نزهة، جـ٣،ص ٥٦ .

(٥) حجة ٢٢٢ دار الوثائق (هذه الحجة مؤرخة عام ٩٠٣هـ، ولكن يوجد فى هامش الحجة أوقاف مضافة عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م

(٦) على أساس ثوب القطن بلغ فى ٨٢٧ هـ حوالى ٢٢٠٠ درهما . الصيرفى نزهة، جـ ٣، ص ٥٦

ثانياً : إن أسعار البدن الفرو السنجاب ارتفعت بما يقرب من ١٦ ضعفا فى الفترة من ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م

وحتى ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٣م (١)، وهذا يوضح أن الطلب عليها لم يكن بقدر الطلب على الأثواب القطنية.

ثالثاً : إن البدن من السمور وهو أغلى أسعار الثياب التى وصلت إلينا ارتفع سعره أكثر من ٢٧ ضعفا فى عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، مما يعنى أنه كانت ما تزال بعض فئات من المجتمع قادرة على شرائه، إما لأنهم من أبناء الطبقة الحاكمة، أو لأنهم أثروا من خلال ما ورثوه من الذين توفوا بالوباء . ثم استقر عند هذا الحد دون تزايد حتى عام ٨١٦هـ/ ١٤١٣م وهو آخر عام وصلتنا فيه أسعاره، مما يوضح أن مثل هذه الملابس مرتفعة الأسعار لم تلق طلبا متزايداً عليها .

ومما لاشك فيه وفى ظل الأعداد الكبيرة من البشر التى تحصدها الأوبئة المتكررة فى عصر الجراكسة، فإن أسعار الثياب التى يكفن بها الأموات ترتفع وقت الوباء لشدة الطلب عليها كما حدث فى وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م (٢) .

والخلاصة : إذا كانت أسعار الكتان والأشياء المماثلة انخفضت إلى خُمْس قيمتها الحقيقية أو أقل فى عصر المماليك البحرية فى أعقاب الموت الأسود(٣)، إلا أن أسعار الملابس ارتفعت بشكل أكبر من أسعار المنتجات الزراعية المصنعة مثل الخبز والسكر فى عصر الجراكسة والتى هى بدورها أرتفعت أكثر من أسعار الحبوب الغذائية، وقد يعود ذلك فى المقام الأول بالإضافة إلى ارتفاع أسعار المواد الخام ــ حاجة صناعة الملابس إلى مهارات معينة لم تكن متوفرة فى كثير من الناس بعد حصاد الأوبئة لأعداد كبيرة من عمال هذه الصناعة .

---

(١) كان سعره قبل جمادى الأولى ٨٠٥ هـ / نوفمبر ١٤٠٢ م ٢٥٠ درهما . ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٦٦٥ ثم بلغ عام ٨٢٧ هـ حوالى ٣٩٧٧ درهما . الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ٥٦ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٨٢٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٤٠، الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ١٨٨.

(٣) Dols : the Black death, P. 263

(جدول ١٢)

أسعار الملابس

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
المحرم ٨٠٤ هـ/ أغسطس ١٤٠١م	رطل كتان	٢,٥	السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٧٦. بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٣٩.	بعد درهم بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٣٩
جمادى الأولى ٨٠٥ هـ/نوفمبر ١٤٠٢	البدن من الفرو والسنجاب	١٠٠٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٦٥	بعد ٢٥٠
جمادى الآخرة ٨٠٥هـ/ديسمبر ١٤ م	البدن من الفرو السنجاب	أكثر من ١٠٠٠	السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٩٨ نزهة، جـ٢، ص١٥٨.	
رجب ٨٠٥ هـ/ يناير ١٤٠٣م	ثوب قطن بعلبكي ثوب قطن بطانة ثوب صوف مربع	٤٠٠ ١٠٠ ١٥٠٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٦٧. نزهة النفوس، جـ٢، ص ١٦٢	بعدما كان ٦٠ بعدما كان ٣٠ درهما فأقل بعدما كان ٣٠٠
المحرم ٨٠٦ هـ/ يوليه ١٤٠٣م	رطل كتان	٣-٤	السلوك، جـ٣، ق٣، ص١١١١، بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٧٨	
صفر ٨٠٦هـ/ أغسطس ١٤٠٣	البدن من الفرو السنجاب	١٥٠٠	نزهة، جـ٢، ص١٧٨	
٨٠٦هـ/ ١٤٠٣	ملوطة مغسولة	١١٢٠	إغاثة، ص ٧٩	
صفر ٨٠٧هـ/ أغسطس ١٤٠٤م	ثوب بعلبكي البدن من الفرو السنجاب رطل كتان	١٠٠٠ ٢٠٠٠ ٢٥٠٠[1]	نزهة، جـ٢،ص ١٩٥	بعدما كان ١٠٠ بعدما كان ٣٠٠

(١) هذا الرقم مبالغ فيه، انظر تحليل ذلك فى أسعار الملابس .

تابع جدول (١٣) أسعار الملابس

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
ربيع الأول ٨٠٧ هـ / سبتمبر ١٤٠٤م	ذراع من الكتان المنسوج	١٠	بدائع،جـ١ ، ق٢ ، ص ٦٩٧ ،نزهة، جـ٢،ص٣٢٦	كان يساوى ٢ دراهم .
	ثوب صوف	٢٥٠٠		كان يساوى ٣٠٠ درهم .
	البدن الفرو المسنجاب	٢٠٠٠ وأكثر		كان يساوى ٣٠٠ درهم
	البدن الفرو السمور	١٥٠٠٠		كان يساوى من ٥٠٠-٦٠٠ درهم
ربيع الأخر ٨٠٧هـ/أكتوبر ١٤٠٤	ثوب صوف	٣٠٠٠	نزهة النفوس، جـ٢، ص١٩٦	
	البدن الفرو السنجاب	٣٠٠٠		
	البدن الفرو السمور	١٥٠٠٠		
رجب ٨٠٧هـ / يناير١٤٠٥ م	ذراع كتان خام	٢٠ وأكثر	بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٧٠٦	بعدما كان ٤ دراهم .
المحرم ٨٠٨هـ / يونيه ١٤٠٥م	ملوطتان قطن لبستا وغسلتا	٢٢٤٠	السلوك،جـ٣، ق٣ص١١٧٠.	
المحرم ٨١٥هـ/ ابريل ١٤١٢ م	رطل كتان	٢٠	نزهة،جـ٢ ، ص ٣٢٠ .	
المحرم ٨١٦هـ / ابريل ١٤١٣م .	ثوب قطن بعلبكى	٢٠ مثقال	السلوك،جـ٤،ق١،ص ٢٥٦	
	رطل كتان	٣٠		
أواخر المحرم ٨١٦ هـ / ابريل ١٤١٣م	ذراع كتان	٢٥	نزهة ، جـ٢ ، ص ٣٢٦	كان يباع بدرهمين .
	ثوب حرير	من ٣ إلى ٤ آلاف		كان يباع بـ ٣٠٠ درهم
	القبع الصوف	٢٠٠		كان يباع بعشرة .
	المشاية	٨٠ – ٩٠		كان يباع بعشرة .
	ثوب صوف من السنجاب	٢٠٠٠ وأكثر		كان يساوى ٢٥٠ درهما
	السمور	١٥ ألف		كان يساوى ٥٠٠ أو ٦٠٠ .
	الثوب البعلبكى	١٠٠٠ وأكثر		كان يساوى ٦٠ و ٧٠
المحرم ٨١٧ هـ/ مارس ١٤١٤م	ثياب القطن والكتان	فى غاية من الغلو	السلوك، جـ٤ ، ق١ ، ص ٢٨٠	
٨٢٧هـ / ١٤٢٣م	ثوب بعلبكى	أكثر من ١٠ أفلورى(١) (٢٢٠٠درهم)	نزهة ، جـ٣ ، ص ٥٦ .	
	البدن من الفرو السنجاب	١٨ مشخصا و١٧ درهما (٣٩٧٧ درهما)		

(١) الأفلورى = ٢٢٠ درهما فى هذا العام . انظر جدول استبدال العملة

خامساً ـ أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على أسعار السلع التى تستخدم فى علاج الأوبئة :

ترتفع أسعار السلع التى تستخدم فى علاج الأوبئة وقت انتشارها بدرجة كبيرة ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

أولا : زيادة أعداد المرضى، وبالتالى زيادة الطلب على هذه السلع، مع قلة المعروض منها فترتفع أسعارها .

ثانيا : تؤثر شدة الوباء وقوته ومدته فى أسعار السلع العلاجية، فإذا كان الوباء شديداً، ويؤدى إلى زيادة وفيات سريعة، أى أن المريض يموت بعد إصابته بالوباء بفترة قصيرة فإن هذه الأسعار لا ترتفع بدرجة كبيرة، لأن القليل من المرضى هم الذين يعالجون أو أن فترة المرض قصيرة، وعندما تطول مدة المرض ويقل " الموت الوحى" السريع على حد قول الصيرفى فإن أسعار الأدوية تتضاعف أثمانها، كما حدث فى وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م (١) .

ثالثا : إن بعض السلع العلاجية لا تنتج محليا بقدر كاف، وإنما يتم استيرادها من خارج مصر، ومن المعروف أن وقت انتشار الأوبئة وبخاصة الشديدة تضطرب الحركة التجارية، فقد ارتفعت أسعار كل من الكمثرى والسفرجل فى وباء ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م " لانقطاع الواصل من البلاد الشامية "(٢) وزيادة الطلب عليها .

رابعا : إن بعض السلع العلاجية سلع موسمية لا تتوافر طوال العام، وفى بعض الأحيان يتزايد الطلب عليها فى موعد غير موعد حصادها، ففى وباء ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م ارتفعت أسعار البطيخ بدرجة كبيرة حتى بلغ سعر البطيخة ٥٠ درهما (٣)، لأن الوباء انتشر فى وقت زراعة البطيخ وليس حصاده (٤) .

---

(١) الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٠٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٧٢ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٢، ص ٢٩١ .

(٤) انتشر هذا الوباء فى أول ربيع الأول ٧٩٠ هـ / ١٤ برمهات، أى وقت زراعة البطيخ حيث يزرع من نصف برمهات ونصف برمودة . محمد الحبيب الهيلة : النظم الإدارية، ص ١٠٧٨ .

خامسا : إن السلطة الحاكمة تتدخل فى أسعار بعض هذه السلع، وبخاصة السكر التى كانت تقوم باحتكاره[1] على الرغم من استخدامه كعلاج .

ويتضح الارتفاع الكبير فى أسعار هذه السلع عند مقارنة أسعارها قبل الوباء وأثناء انتشاره ؛ فقد تضاعفت سعر البطيخ ثلاثين مرة فى أقل من عام، فبينما كان العشرة أرطال من البطيخ فى ذى الحجة ٨٠٥هـ/ يونيه ١٤٠٣م تباع بدرهم واحد [٢]، بيع الرطل من البطيخ أثناء انتشار الوباء فى شوال ٨٠٦هـ/ إبريل ١٤٠٤م بثلاثة دراهم [٣] .

وفى جمادى الأولى ٨٠٨هـ/ أكتوبر ١٤٠٥م ـ أثناء انتشار الوباء ـ بلغ سعر البطيخة الواحدة ٦٨ درهما بعد أن كانت قيمتها درهما واحدا [٤]، ثم ارتفعت إلى ٣٠٠ درهم فى وباء ٨٠٩ هـ /١٤٠٧م [٥]، ثم بلغت أقصى سعر لها - وصل إلينا - فى وباء ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، إذ بلغ سعر البطيخة الواحدة ألف درهم [٦] وهو ما يزيد عن ١٤ ضعفا من سعره ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، وخمسون ضعفا من سعره فى وباء ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م، فما بالنا إذا كان القياس على سعر البطيخ فى وقت لا تنتشر فيه الأوبئة .

وفى وباء ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤ - ١٤٠٤م ارتفعت أسعار الشيرخشك [٧] بما يزيد عن ٢١ ضعفاً كما زاد الترنجبين [٨] أكثر من ٣٧ ضعفاً، وبلغ سعر الزهرة

---

(١) Ashtor : Levantine Sugar Industry, p.236 .

(٢) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ١٦٩ .

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٦

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق١، ص ٦، ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ٧٣٨ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٧٧٠ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٥٨، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٦ .

(٧) الشيرخشك : ذكر دوزى أن الشيرخشك بضم الخاء وسكون ما بعدها نوع من المن وجاء فى القاموس المحيط أن " المن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف الصمغ كالشيرخشت والترنجبين، و المعروف بالمن ما وقع على شجر البلوط معتدل نافع للعسال المرطب والصدر والرئة . المقريزى : السلوك، جـ٣، ص ١١٢٥ حاشية (٢) انظر نهاية الأرب جـ١١، ص٣٢٨ .

(٨) الترنجبين : ويقال الترنجبيل أيضا، لفظ فارس الأصل، وهو طل أكثر ما يسقط بخراسان وما وراء النهر، ويجمع كالمن وأجوده الأبيض، وهو فارسى معناه عسل رطب . المقريزى : إغاثة، ص ٧٩، حاشية (٢) .

الواحدة من النيلوفر [1] درهما، وتكلفت إحدى الوصفات الطبية لمداواة مريض في رمضان ٨٠٧هـ/ مارس ١٤٠٥م مائة وعشرة دراهم تكونت من سنامكي، وشيرخشك، وترنجبين، وماء ورد وسكر نبات[2].

وتضاعفت أسعار العسل في الفترة ما بين ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣- ١٤٠٤م و٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، وبلغت خمسة أضعاف [3].

أما بالنسبة للسكر فمن خلال المعلومات البسيطة التي وردت في المصادر التاريخية عن أسعاره في عصر الجراكسة يتضح الارتفاع الكبير في أسعاره خلال فترة وجيزة إذ بلغت نسبة الارتفاع ١١٦٦% أي ما يزيد عن إحدى عشر ضعفا في الفترة من ٧٩٧هـ/ أكتوبر ١٣٩٤ وحتى ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣-١٤٠٤م [4].

كما ترتفع أسعار السكر النبات عن أسعار السكر المكرر في مثل هذه الأوقات، لكثرة استخدامه كعلاج للأوبئة[5].

ولم تمدنا المصادر – التي بين يدي الباحث – عن تطور لأسعار السكر بعد ذلك سوى الإشارة بارتفاع أسعاره دون تحديد سعر محدد له[6]. ولكن إذا ما وضعنا في الاعتبار النقص المتزايد في مساحات الأرض المزروعة بالقصب وخراب العديد من مصانع السكر وارتفاع أجور العمالة، بالإضافة إلى احتكار

---

(١) النيلوفر أو اللينوفر : اسم فارس معناه النيلي الأجنحة، والنيلي الأرباشي، وهو نبت مائي له أصل كالجزر، وساق لماء تطول بحسب عمق الماء، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهرا أزرق، يعرف هذا النبات في مصر بعرائش النيل المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٢٥ حاشية(٣) .
وهو ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة . المقريزي : إغاثة، ص ٧٩ حاشية (٣)

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق ٢، ص ٧١٣

(٣) انظر جدول ١٣

(٤) كان سعر الرطل من السكر عام ٧٩٧ هـ حوالي ستة دراهم، الصيرفي : نزهة، جـ١، ٣٩٩، وفي نهاية عام ٨٠٦ هـ بلغ ٧٠ درهما . المقريزي : إغاثة، ص ٧٨ .

(٥) الصيرفي : نزهة، جـ ٢، ص ١٨٦، المقريزي : السلوك، جـ ٤، ق١، ص ٣٦٩

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٢٤٦ .

السلطة الحاكمة له، لأصبح واضحا أن هذه العوامل ستقود أسعار السكر إلى الارتفاع المتزايد وبخاصة وقت الأوبئة باعتباره العلاج الشائع لضحاياه وبصفة خاصة بين العامة الذين كانوا يقدمون على المشروبات المحلاه بالسكر مع إضافات مختلفة .

(جدول ١٣)

أسعار السلع العلاجية

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
ربيع الأول ٧٩٠ هـ	البطيخة	٥٠	إنباء الغمر، جـ٢،ص٢٩١	
شعبان ٧٩٦هـ	قنطار بطيخ عبدلي(١)	١	بدائع، جـ١، ق٢،ص٤٧٠،	
ذو الحجة ٨٠٥ هـ	١٠ رطل بطيخ عبدلي	١	نزهة،جـ٢، ص ١٦٩ .	
شوال ٨٠٦ هـ	رطل بطيخ صيفي(٢)	٣	نزهة ،جـ٢، ص ١٨٦ .	
٨٠٦	بطيخة	٢٠	إغاثة، ص ٧٨	في موعد البطيخ
ربيع الأول ٨٠٨هـ	بطيخة	٢٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص٧٣٠	
جمادى الأولى ٨٠٨هـ	بطيخة	٦٨	السلوك، جـ٤، ق١، ص ٦ .	كانت بدرهم

(١) البطيخ العبدلي أو العبدلاوى نسبة إلى عبد الله بن طاهر بن الحسين ــ أمير مصر من قبل المأمون ــ الذى أدخل هذا النوع إلى مصر، ويسمى أيضاً الشمام العبدلاوى أو العجور . ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار، السفر ٢٠، ٢١، ص٢١٤ . النبراوى : أسعار السلع، ص٤٢٥

(٢) البطيخ الصيفى : وهو البطيخ الأخضر الذى يزرع فى فصل الربيع وينضج فى فصل الصيف، ويطلق عليه أيضا المليون ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار، السفر ٢٠، ٢١، ص٢١٥ .

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
شوال ٨٠٩هـ	بطيخة	٣٠٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٧٠	
صفر ٨١٦ هـ	نصف بطيخة	٥٠٠	السلوك،جـ٤، ق١، ص ٢٥٨ .	
	٥ بطيخات	٢٠٠٠	نفس المصدر والصفحة	
المحرم ٨٧٨ هـ	قنطار بطيخ عبدلى		بدائع، جـ ٣، ص ٨٩	٣ أنصاف فضة(١)
رمضان ٨٩٩ هـ	حمل بطيخ قنطار		بدائع، جـ٣، ص ٣٠٢ بدائع، جـ٣، ص ٣٠٢	نصفين فضة نصف فضة
جمادى الآخرة ٨٠٦ هـ	رطل العسل	٦	نزهة، جـ٢، ص ١٨٤	
صفر ٨٠٧ هـ	رطل العسل	١٢	نفس المصدر، ص ١٩٥ .	
ربيع الأول ٨٠٧ هـ	رطل العسل	١٨	بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٦	
ربيع الآخر٨٠٧ هـ	رطل العسل	٧	نزهة،جـ٢، ص ١٩٥ – ١٩٦	
المحرم ٨١٥ هـ	رطل العسل	١٦	نفس المصدر، ص ٣٢٠	
أواخر المحرم ٨١٦هـ	رطل العسل	١٤	نفس المصدر، ص ٣٢٦	
المحرم ٨٢٢ هـ	رطل العسل	١٥	نفس المصدر، ص ٤٥٣	

(١) لم تذكر المصادر قيمة استبدال النصف الفضة فى هذا العام، وما تم ذكره فى رجب ٨٨١هـ أن النصف الفضة يقدر بـ ١٨ درهما، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٢١. و فى عام ٩٠٣ هـ كان يقدر بـ ١٤ درهما، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٨٨ .

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
المحرم ٨٢٣ هـ	رطل العسل	١٥	نفس المصدر، ص ٤٨٠	
عام ٨٢٧ هـ	رطل العسل	٢٠	نزهة، جـ٣، ص ٧٠	لعدم فلاح النحل
المحرم ٨٥٥ هـ	رطل العسل	٣٠	حوادث الدهور، ص ١٠٠	
رجب ٨٦٨ هـ	رطل العسل	٢٤	نفس المصدر، ص ٤٥٩ .	
٧٩٠ هـ	رطل كمثرى	١٠	إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٩١	
٨٠٢ هـ	رطل كمثرى	٧	السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٠٣	
٨٠٦ هـ	رطل كمثرى	أكثر من ٥٠	إغاثة، ص ٧٩	
٨٠٨ هـ	رطل كمثرى ٣ رمانات رطل من لعاب السفرجل	٢٠ ٦٠ ١٣٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص ٦، بدائع، جـ١ – ق٢، ص ٧٣٨ .	
٨٠٦ هـ	قنطار الشيرخُشْك	٣٠ ألف	إغاثة، ص ٧٨	
	قنطار من الترنجبين	١٥ ألف	نفس المصدر والصفحة .	
	الزهرة من النيْلوفر	١	نفس المصدر والصفحة	
	الليمونة	٣	نفس المصدر والصفحة	
رمضان ٨٠٧ هـ	قنطار الشيرخشك	٣٠ ألف	بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧١٢ – ٧١٣	بعد ١٤٠٠
	قنطار الترنجبين	١٥ ألف	نفس المصدر، ص ٧١٣	بعد ٤٠٠

التاريخ	الوحدة	السعر بالدرهم	المصدر	ملاحظات
	قدح بذر الرجلة	٦٠-٨٠	نفس المصدر، ص ٧١٢	
	قدح بذر القرع [(١)]	١٢٠	نفس المصدر، ص ٧١٣	
٨٠٨ هـ	قنطار القرع	٨٠	نفس المصدر، ص ٧٣٠	
المحرم ٨١٦ هـ	درهم زعفران رطل ماء ورد شامي	٥ ٢٥	نزهة، جـ٢، ص ٣٢٦ . نفس المصدر والصفحة .	
ذو القعدة ٨١٩ هـ	باقة البنفسج	١٥٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٧٢	

سادسا ـ التسعير :

على الرغم من أن معظم المذاهب الفقهية رفضت تسعير المشتريات استنادا لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أن يسعر للمسلمين بسبب ارتفاع الأسعار فقال " إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر " وإنى لأرجو أن ألقى الله ولايطالبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولا مال [(٢)] "، على الرغم من ذلك إلا أن المذهب المالكى وعلى رأسه ابن تيمية فى ذلك الوقت

---

(١) لم يحدد ابن إياس وحدة الوزن أو الكيل بالنسبة لبذر القرع واكتفى بذكر السعر ولكن البذور عامة تقدر بالقدح، انظر بذر الرجلة، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧١٢ وكذلك بذر الفجل واللفت، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٧٣٧، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤ .

(٢) ابن تيمية : الحسبة، ص ٢٥ . الشيزرى : نهاية الرتبة، ص ١٢ .
السبكى (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب) : معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق داوود ولهلم موهرمس، ليدن، ١٩٠٨، ص ٦٦ ،
ابن بسام : نهاية الرتبة، ص ١٨ . النبهانى : دليل التجار إلى أخلاق الأخيار، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامى د.ت، ص ٣٧ .
Ashtor Le cout de la vie dans L Egypte Medievale . JESHO . vol 3. Part1. Leiden . 1960 . P. 72

أباح للحاكم ضبط الأسعار فى أوقات الأزمات والمجاعات بما يحقق التوازن بين البائعين والمشترين(١)، لذا كان التسعير من بين الإجراءات التى اتخذها بعض السلاطين فى مواجهة ارتفاع الأسعار وقت الأزمات (٢). وكذلك للتخوف من تمرد المماليك الجلبان (٣) .

وفى بعض الأحيان يكون تسعير السلع الغذائية أو المشتروات متمشيا مع سعر العملة واستبدالها مثلما حدث فى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م، إذ قام المحتسب بتخفيض " سعر البضاعة بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة (٤) " وفى أحيان أخرى يلجأ بعض رجال الدولة إلى التسعير لا رغبة فى تخفيف العبء عن كاهل الناس، وإنما نكاية فى معارض له أو خصم، فيشبك الدوادار سعر القمح بأربعمائة درهم للأردب فى عام ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م نكاية فى ابن عمر الهوارى الذى كان قد استورد كميات كبيرة من القمح على أمل أن يبيعها بثمانمائة درهم للأردب، فأراد الدوادار أن يبيعها بأبخس الأثمان ليدخل الضرر عليه (٥) .

وجدير بالذكر أن الأسعار فى أحيان قليلة كانت تنخفض نتيجة للتسعير(٦)، وفى كثير من الأحيان لا يأتى التسعير بالنتائج المرجوة، بل كان الأمر يزداد شدة(٧)، ويصبح هناك سعران أحدهما الذى فرضته السلطة الحاكمة ولا يعمل به، والآخر الناتج عن سياسة العرض والطلب، وهو السائد فى الأسواق(٨)، ساعد على ذلك أن المحتسبين غالبا ما كانوا يغضون الطرف عما يفعله الباعة ماداموا يحصلون على الرشاوى، فانصرفوا عن تأدية مهامهم الرئيسية إلى مصالحهم الشخصية .

---

(١) ابن تيمية: الحسبة، ص ٢٥. Lapidus: The Grain Economy, p. 11.
(٢) Ashtor : L'evolution des Prix, P. 45 .
(٣) قاسم : دراسات، ص ٥٤ .
(٤) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٤١٠ .
(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٨٥ .
(٦) نفس المصدر، ص ٢٣٠ .
(٧) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٢١٧، ٢٨٢ . ابن إياس : بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٧١٥ .
المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ١، ص ٤٠ .
(٨) الصيرفى : نزهة، جـ ٢، ص ٥٢٠ .

أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على الأجـــور

إن بيان أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على مستوى المعيشة لا يتم مـن خلال معرفة الأسعار فقط دون الرجوع إلى مستوى الأجور فى تلك الفـترة حتـى نتعرف من خلالها على مدى ملاءمة الأجور للأسعار، واضعين فى الاعتبـــار أن أعداداً كبيرة من فئات الشعب المختلفة ليس لها دخل ثابت يمكن قياسه .

ويمكن التعرف على مستوى الأجور من خلال الفئات التالية .

١) أرباب الحرف والصناعات الحرة .

٢) أرباب الجوامك .

أولاً : أجور أربـاب الحـرف والصناعـات الحـرة :

اختلفت أجور أرباب الحرف والصناعات عن أرباب الجوامك من الفقـهاء وأمثالهم الذين رزَقهم على الأوقاف والمرتبات السلطانية، فبينمـا كـانت جوامـك هؤلاء شبه ثابتة، كانت أجور أرباب الحرف والصناعات متغـيرة وفقـا لسياسـة العرض والطلب فيرفعون أجورهم بقدر ما ارتفعت الأسعار(١).

فعندما ارتفعت أسعار المبيعات ـ حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتبرة بالفضـة فى المحرم ٨٠٩ هـ / يونيه ١٤٠٦م ـ تزايدت أجور أرباب الحـرف والصناعـات الهامة " فكل من كانت أجرته درهما لا يأخذ الآن إلا خمسة دراهم فمـا فوقـها "(٢) . وساعد على ذلك التناقص المستمر فى أعدادهم نتيجة للأوبئة المتكررة(٣).

وتعكس أسعار السلع المصنعة مثل الملابس، والسكر، والخـبز، والدقيـق ليس فقط ارتفاع أسعار المواد الخام اللازمة لصناعتها بل أيضـا ارتفـاع أجـور العاملين فيها، ولعل طحن الغلال وصناعة الخبز توضـح بصـورة جلية هـذا الارتفاع، خاصة أن أسعار القمح كانت مثار اهتمام مؤرخى ذلك العصر .

ففى أثناء الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣-١٤٠٤م بلغ سعر القمح ٤٥٠ درهما سوى كلفته، وتتمثل هذه الكلفة فى سمسـرة عشـرة دراهـم، وحمولة سبعة دراهم، وغربلته ثلاثة دراهم، وأجرة طحنه ثلاثون درهما، هذا غـير

---

(١) Ashtor : L' Evolution des prix, P.45 .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٨ Lapidus : Muslim cities , P.31

(٣) Ashtor : The Ascendancy of venice , P.200 .

ما ينقصه الأردب القمح من " غلت " أو شوائب لا تصلح للطحن تصل إلى كيلة في الأردب (١) أو كيلتين (٢) .

وعندما ندر وجود القمح وارتفعت أسعاره وبلغ ٣٠٠ درهم في أول ذى القعدة ٨١٨هـ / ٢ يناير ١٤١٦م، ارتفع أجر الغربلة والطحن بنسبة ٣٠٠% على ما كان عليه الحال فى نهاية ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ -١٤٠٤م . إذ بلغت ١٠٠درهم بعدما كانت ٣٣ درهما .

كما ارتفعت نسبة السمسرة إلى الضعف، فأصبح السمسار يحصل على عشرة دراهم بعدما كانت سمسرته قبل أزمة ٨١٨هـ خمسة دراهم، والتراس - الذى يقوم بنقل الغلال - ارتفع أجره ثلاثة أضعاف فأصبح يحصل على ١٥ درهما بعدما كانت أجرته خمسة دراهم، ونتيجة لارتفاع هذه الأجور، بلغ سعر أردب القمح بعد طحنه ٥٠٠ درهم، بما يعنى أن كلفته بلغت ٢٠٠ درهم (٣) .

وعندما اشتد أمر هذه الأزمة فى أواخر ذى القعدة من نفس العام، قام المحتسب بقصر بيع القمح على الطحانين فقط (٤) فتعطلت بذلك الأرحية اليدوية التى كان يستخدمها البعض فكاكا من ارتفاع أجور الطحن، فازداد الطين بلة، وارتفع أجر الغربلة والطحن والحمولة عما سبق، فسعر الأردب من القمح بلغ ٣٥٠ درهما، فإذا طحن وبيع دقيقا بلغ ٦٠٠ درهم، فإذا عجن وخبز بلغ أكثر من ٨٠٠ درهم (٥) وهذا يعنى أن نسبة السمسرة والحمولة والغربلة والطحن وغيرها قد ارتفعت بمقدار ٢٥% عنها فى أول نفس الشهر .

أما أجور الخبازين فقد ارتفعت هى الأخرى بدرجة كبيرة، إذ بلغت ٢٠٠ درهم لخبز أردب واحد من القمح (٦) وهو ما يعنى أن نسبة أجور الخبازين ودخول أصحاب المخابز والوقود أصبحت تقدر بـ ٥٧% من سعر الأردب الأصلى، و٣٣% من سعره بعد الطحن .

---

(١) يوضح ابن إياس أن الأردب من القمح ينقص نصف سدسه أى كيلة . ابن إياس : بدائع ،جـ١،ق٢، ص٦٩٦ .

(٢) أوضح المقريزى أن الأردب ينقص سدسه غلتا أى كيلتين . المقريزى : إغاثة، ص ٧٧ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٣ .

(٤) نفس المصدر، ص ٣٣٤ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٤ .

وفى أزمة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م بلغت أجرة طحن الأردب من القمح ١٢٠ درهم [(١)]، وهو ما يبلغ نسبة ٤٠٠% على ما كان عليه الحال فى أزمة ٨٠٦هـ، ويبلغ ١٣٣% عما كان عليه الحال فى أول ذى القعدة ٨١٨هـ / يناير ١٤١٦م، ولكن بمقارنة هذا الأجر بنسبة أسعار القمح فى هذا العام نجدها ضئيلة تتراوح بين ٦% إلى ١٥%، وهى نسبة تقل كثيراً عما كان عليه الحال فى أزمة ٨١٨هـ/ ١٤١٥-١٤١٦م ويرجع ذلك الاختلاف إلى أنه فى أزمة ٨١٨هـ، لم يكن يباع القمح إلا للطحانين فقط، فتعطلت الأرحية اليدوية، أما فى هذا العام (٨٥٥هـ) اتخذ غالب الناس فى بيوتهم الأرحية يطحنون بها حبوبهم دون اللجوء للمطاحن، مما خفض من تكلفة الطحن .

(جدول ١٤)

أجور أرباب الحرف التى ترتبط بطحن الغلال وصناعة الخبز

السنة	سعر أردب القمح	لسمسرة	الحمولة	الغربلة	الطحن	الخبز	نسبة الطحن لسعر الأردب
نهاية ٨٠٦هـ / يونيه ١٤٠٣ [(٢)]	٤٥٠	١٠	٧	٣	٣٠	-	٦,٦٦%
أول ذى القعدة ٨١٨ هـ / ٢يناير ١٤١٦م	٣٠٠	١٠	١٥	٩	٩١ [(٣)]	-	٣٠%
آخر ذى القعدة ٨١٨هـ/ ٣١يناير ١٤١٦م	٣٥٠	-	-	١١,٥	١١٣,٥ [(٤)]	٢٠٠	٣٢%
عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١م	من ٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ [(٥)]	-	-	-	١٢٠		من ٦% إلى ١٥%

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠١ .

(٢) المقريزى : إغاثة ،ص ٧٧ .

(٣) أوضح المقريزى أن أجر الغربلة والطحن ١٠٠ درهم المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٣ . وتم تقسيمها بين الغربلة والطحن على أساس نسبة ١: ١٠ وهى النسبة التى ذكرها المقريزى فى نهاية ٨٠٦ هـ . المقريزى : إغاثة، ص ٧٧ .

(٤) أوضح المقريزى أن كلفة الأردب كانت ٢٠٠ درهم فى أول ذى القعدة ٨١٨ هـ . المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٣ ثم أصبحت ٢٥٠ درهما فى آخر ذى القعدة، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٤، ولذا تم حساب هذه الأجور على أساس الارتفاع فى التكلفة بنسبة ٢٥% .

(٥) انظر جدول ٣٢ .

وولدت بعض الأزمات مثل أزمة ٨١٨هـ/ ١٤١٥ – ١٤١٦م نوعاً من العمالة لم يكن موجوداً من قبل، فنتيجة لأن القمح والخبز بل وكل أنواع الطعام أصبحت تتخطف، تكلف بعض الرجال بحماية القمح (أو الخبز المشترى) فى مقابل خمسين درهما للأردب الواحد (١) .

كما ارتفعت أجور أصحاب المراكب الذين يقومون بنقل الغلال، وارتفعت أكثر عندما دارت عملية البيع والشراء فى عرض البحر بعيدا عن الساحل خوفاً من النهب، ولذا كثر الطلب على المراكب من الراغبين فى شراء القمح (٢) .

مما سبق يتضح أن سياسة العرض والطلب لعبت دوراً رئيسياً فى ارتفاع أجور العمالة المرتبطة بطحن القمح وصناعة الخبز . يؤكد ذلك أيضا أنه من خلال المقارنة بين أسعار البطة من الدقيق بأسعار أردب القمح من ناحية، وكذلك مقارنة أسعار الخبز بأسعار الدقيق من ناحية أخرى اتضح أن نسبة ارتفاع كل من أسعار البطة من الدقيق، وأسعار الخبز كانت أكثر من نسبة ارتفاع أسعار القمح، مما يوضح أن الفارق بينهما كان من نصيب العمالة (٣) .

وارتفعت أجور العاملين فى صناعة السكر، وكذلك الملابس التى كانت تحتاج إلى أيدى عاملة ماهرة، وهذا يفسر الارتفاع الشديد فى أسعار الملابس خلال عصر الجراكسة (٤) .

ومن أرباب الحرف الذين ارتفعت أجورهم أيضا خلال الأوبئة بخاصة الأطباء، والفصادون، والحجامون، والعطارون، بل والسحرة والمشعوذون، إذ أدت كثرة المرضى إلى زيادة الطلب على هذه الحرف لطلب الدواء أو العلاج، فحقق أصحاب هذه الحرف أرباحاً طائلة، حيث كانت تبذل لهم الأجور مضاعفة، ولذا فإن معظمهم لم يكن يخشى انتشار الوباء – كسائر الناس – بل كان وقت الوباء يعد فرصة سانحة لهم للتكسب والثراء السريع (٥) .

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٣ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) انظر جدول ١١ .
(٤) انظر جدول ١٢ .
(٥) Dols : The Black death , P. 268 .

كما ارتفعت أجور العاملين بإعداد الموتى للدفن كالنجارين الذين يقومون بصناعة التوابيت، والغسالين الذين يقومون بغسل الموتى، والحمالين، وحفارى القبور[1] فضلاً عن القراء، مما حدا بالبعض أن يبطل حرفته ليعمل فى هذه الحرف[2] لزيادة عائدها المادى عما كان عليه الحال فى الظروف العادية .

ومما يذكر أن بعض هؤلاء استغل حرفته لكى يزيد من دخله، مثل الغسالين الذين كانوا يستولون على الأقمشة الفاخرة التى كان يكفن بها أبناء الأمراء وأفراد الطبقة الحاكمة [3] لكى يقومون ببيعها مرة أخرى، ويبدو أن هذا العمل كان يتكرر من حين لآخر، حتى أننا نجد أحد المعاصرين يطلب من أهل المتوفى أن يشترطوا على الغاسل أن لا يأخذ شيئاً مما يجده على الميت [4] .

وفى بعض الأحيان تكون أجرة الذين يقومون بإعداد المتوفى مثار جدل ونقاش بينهم من ناحية، وبين أهل الميت من ناحية أخرى، بالإضافة إلى أن الغاسل أو الغاسلة كان إذا فرغ من غسل الميت وتكفينه يذهبون إلى الرجال إن كان رجلاً أو إلى النساء إن كانت امرأة حتى يأخذوا شيئا من المال من الحاضرين [5] وفى ظل الأعداد الكبيرة التى يقوم هؤلاء بتجهيزهم للدفن وقت الأوبئة فإنهم يحصلون على دخول مرتفعة فى مثل هذه الظروف .

وتأثرت أجور السقائين بالأزمات الاقتصادية والأوبئة، فبالنظر إلى أسعار المياه نجد أن تكلفة نقلها إلى المنازل قد تزايدت متأثرة بحالة النهر، وارتفاع الأسعار بصفة عامة وبأسعار أعلاف دواب النقل بصفة خاصة، ولذا كان يحصل السقا على سبعة دراهم فى نقل راوية الماء فى رمضان ٨٠٦هـ / مارس ١٤٠٤م[6]، ثم ارتفع أجره إلى ١٢ درهما فى المحرم ٨٠٨هـ/ يونيه

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٩٠، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٩ .

(٢) سامى أحمد عبد الحليم إمام : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة، ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٧٠، حسين مصطفى : طوائف الحرفيين، ص ١٦٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤١ .

(٤) ابن الحاج : المدخل، جـ٣، القاهرة، المطبعة المصرية الأزهرية، ١٩٢٩م، جـ٣، ص ٢٤٥ .

(٥) ابن الحاج : المدخل، جـ٣، ص ٢٤٧ .

(٦) الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ١٨٦ .

١٤٠٥م[١]، وبلغ ١٥ درهما فى صفر ٨١٦هـ / مايو ١٤١٣م [٢]، حتى إذا ما استهل عام ٨٥٥ هـ / فبراير ١٤٥١م بلغ أجر نقل راوية الماء أكثر من عشرين درهما [٣] .

أما التجار فقد ضاعفوا أرباحهم وقت الأزمات [٤] بما يتلاءم مع الأسعار الجديدة، بل إنهم هم الذين يتحكمون بدرجة كبيرة فى الأسعار .

وهناك حرف كثيرة انخفضت أجورها لقلة الإقبال عليها [٥]، وأصبحت الحرف التى تحتاج إلى مهارة عقلية أدنى أجرا من الحرف اليدوية [٦] .

ثانياً : أجور أرباب الوظائف :

تختلف رواتب العاملين بالمنشآت الموقوفة تبعاً لمقدار الأوقاف المرصودة عليها وشروط الواقفين، إلا أنها فى النهاية تمثل دخولاً لفئات مختلفة من المجتمع المصرى، تركت الأزمات الاقتصادية أثرها الواضح فيها . ويتمثل هذا الأثر فى انخفاض القوة الشرائية للرواتب، وتأخر صرفها أو قطعها .

١- انخفاض القوة الشرائية للرواتب :

ولكى نتعرف على مدى انخفاض القوة الشرائية يمكن مقارنة القوة الشرائية لأجور بعض أرباب الوظائف قبل أزمة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م، وفى أثناء الأزمة، ثم نقارن بين القوة الشرائية لبعض أرباب الوظائف الذين حصلوا على رواتبهم فى وقفيات بعد أزمة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م وأثر الأزمات التالية فى هذه الرواتب.

(أ) القوة الشرائية لبعض أرباب الوظائف قبل أزمة ٨٠٦هـ وفى أثناء الأزمة، وذلك من خلال ثلاث وقفيات

١ - وقف الظاهر برقوق على " خانقاه ومدرسة برقوق" ٧٨٨هـ /١٣٨٦م [٧] .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٢٨، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٧٠.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٨ .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٠ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٨ . ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٧٥٨.

(٥) انظر أرباب الحرف والصناعات، ص ٧٣ .

(٦) Dols : The Black death, p. 269 .

(٧) تم الاعتماد فى هذه الوقفية على ما نشر فى .
Fernandes, L.: The evolution of Asufi institution in Mamluk Egypt, The Khanqah, Berlin, 1988, P. 74

٢ - وقف السيفى أبو بكر بن الناصرى محمد بن بيبرس الأحمدى على قبره فى رجب ٧٩٦هـ /مايو ١٣٩٤م[١].

٣ - وقف زين الدين عبد القادر الأنصارى الخزرجى وعلى محمد الشبرابيشى على الخانقاه الصلاحية ٨٠٢ - ٨٠٣ هـ / ١٣٩٩ - ١٤٠٠م[٢].

تراوحت رواتب مشايخ المذاهب الفقهية الأربعة (الشافعى - الحنفى - المالكى - الحنبلى) ومشايخ التفسير والحديث ومشايخ الصوفية - تراوحت رواتبهم فى خانقاه ومدرسة برقوق ما بين ١٥٠ درهما و ٣٠٠ درهم نقرة بقوة شرائية ما بين ٧,٥ إلى ١٥ أردب قمح حيث كان سعر أردب القمح ٢٠ درهما[٣]، هذا بالإضافة إلى حصولهم على جامكيات عينية تتمثل فى رغيفين أو ثلاثة يوميا، بالإضافة إلى مبلغ من الدراهم النقرة ما بين ٨٠ إلى ١٠٠ درهم للملابس .

وهذا الأجر بالنسبة لهذه الفئة فى بداية عصر الجراكسة كبير مقارنة بالأسعار مما يعنى أن هذه الفئة كانت قبل أزمة ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣م تعيش فى بحبوحة من العيش .

أما بعض رجال الدين الذين يحصلون على رواتب أقل من الفئة السابقة، مثل شيخ القراءات السبع، والخطيب، وقارئ صحيح البخارى ومسلم، والإمام فقد تراوحت رواتبهم بين ٧٠ و ١٠٠ درهم فى الشهر، بقوة شرائية قدرها ما بين ٣,٥ و ٥ أرادب من القمح .

أما صغار رجال الدين مثل المؤذن، وقراء القرآن، وكذلك طلبة العلم، والصوفية فقد تراوحت أجورهم فى الوقفيات الثلاث السابقة ما بين ١٠ دراهم و ٢٢,٥ درهما . بقوة شرائية قدرها ٠,٥ إلى ١,١٣ أردبا من القمح بأسعار عام ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م، وما بين ربع ونصف أردب من القمح بأسعار عام ٧٩٦ هـ / ١٣٣٩م[٤] .

---

(١) حجة ٥٣ وقف دار الوثائق .

(٢) حجة ٥٦ وقف، دار الوثائق .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ٢٢٣ .

(٤) نفس المصدر، جـ٣، ص ٢١٦، الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ٣٩١ .

أثر الأزمة الاقتصادية فى ٨٠٦هـ / ١٤٠٣ وما تلاها من ارتفاع فى الأسعار على هذه الأجور

يلاحظ أن هذه الفئة ومن كان على نهجهم من أرباب الجوامك الذين رزقهم على الأوقاف والمرتبات السلطانية قد فسدت أحوالهم بعد أزمة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م وبخاصة فى عام ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م بعد فساد العملة، وارتفاع أسعار جميع المبيعات، وبعد أن أصبحت الفلوس هى التى يتم التعامل بها .

فقد كان هؤلاء من قبل يحصلون على رواتبهم فضة، أصبحوا يحصلون عليها فلوسا وصار من كانت جامكيته مائة درهم فى الشهر، وكان قبل أزمة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م يحصل عليها فضة مقدرة بحوالى خمسة مثاقيل ذهب، فإنه أصبح يحصل على ١٧,٦٧ رطلا من الفلوس يُقال لها مائة درهم، بينما هى فى الحقيقة لا تبلغ ديناراً واحداً، فيشترى بهذه المائة ما كان قبل هذا يشتريه بأقل من عشرين [1]، وبالتالى فإن رواتبهم انخفضت بمقدار ٨٠% من الراتب الأصلى، أو أن القوة الشرائية لرواتبهم فى هذا العام بلغت ٢٠% عما كانت عليه سابقاً، ويزداد الأمر سوءاً كلما ارتفعت الأسعار .

وإذا كانت هذه الأزمة قد تركت أثرها السيئ على كل الفئات السابقة، إلا أنه كان أخف أثراً على كبار رجال الدين، على اعتبار ارتفاع أجورهم من

الوقف	الوظيفة	الراتب فى حجة الوقف	الراتب بالدرهم الفلوس	سعر أردب القمح فى سنة الوقف بالدرهم الفلوس	القوة الشرائية سنة الوقف بالأردب القمح	القوة الشرائية فى أزمة ٨٥٥ هـ بالأردب القمح
وقف السيفى قلمطاوى جماد الثانى ٨١٣هـ	الإمام(١)	١٠٠	١٠٠		٠,٥٦	٠,٠٨
	المؤذن	٦٠	٦٠	١٨٠	٠,٣٣	٠,٠٥
	الطالب(٢)	٣٠	٣٠		٠,١٧	٠,٠٢٥
وقف المؤيد شيخ على الخانقاه والجامع ٨٢٣	شيخ الصوفية	٥٠٠ نصف مؤيدى	٣٥٠٠	٣٨٦	٩,٠٠	٢,٩٦
	شيخ الشافعية(٣)	١٥٠ نصف مؤيدى	١٠٥٠		٢,٧	٠,٨٩
	شيخ المالكية(٤)	١٠٠ نصف مؤيدى	٧٠٠		١,٨	٠,٥٩
	الإمام(٥)	٦٠	٤٢٠		١,١	٠,٣٦
	الطالب(٦)	٤٠	٢٨٠		٠,٧	٠,٢٤
	المؤذن	١٥	١٠٥		٠,٢٧	٠,٠٩
	قارئ الشباك	٥	٣٥		٠,٠٩	٠,٠٣

أما المؤذنون وقراء القرآن، والطلاب والصوفية وغيرهم من صغار الموظفين، فقد تراوحت رواتبهم بين ٣٥ فلساً و٤٢٠ فلساً، بقوة شرائية ما بين ٠,٠٩ إلى ١,٠٨ أردب قمح وهو راتب ضئيل يخفف من ضآلته أن هذه الفئة

---

(١) يحصل كل من شيخ الحنفية ومؤدب الأطفال على نفس الراتب .

(٢) يحصل على نفس الراتب قراء القرآن، والطلبة الأيتام .

(٣) يحصل على نفس الراتب كل من شيوخ التفسير والحديث، والقراءات السبع، وشيخ الطحاوى .

(٤) يحصل على نفس الراتب كل من شيخ الحنبلية، والخطيب، والجابى .

(٥) يحصل على نفس الراتب خادم الشيخ، وكاتب الغيبة للصوفية، وبواب الباب الرئيس، وسواق الساقية وشاهد الوقف .

(٦) يحصل على نفس الراتب الصوفى أيضا . وهناك رواتب أخرى أقل من هذا القدر .

تحصل على أربعة أرطال من الخبز يوميا يبلغ ثمنها ٨ دراهم فلوس يوميا [١] وهو ما يعادل ٢٤٠ درهما شهريا، وبذلك يريد هذا الراتب العينى عن راتب قراء الشباك والمؤذن فى تلك الوقفية .

ولكى نتعرف على أثر الأزمات الاقتصادية على هذه الأجور، فإن الاعتماد على القوة الشرائية لراتب الموظف بالنسبة لسنة الوقف فقط ليس كافيا فى ظل الأسعار المتغيرة، لذا يجب علينا تتبع القوة الشرائية لرواتب هؤلاء الموظفين فى بعض الأزمات الاقتصادية التالية لسنوات الوقف وإذا أخذنا أزمة ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م كمثال فإننا نجد من خلال جدول القوة الشرائية لبعض أرباب الوظائف بعد أزمة ٨٠٦هـ تدنى القوة الشرائية لكل الفئات المذكورة، وإن كانت القوة الشرائية لرواتب صغار رجال الدين وصغار الموظفين تدنت بصورة لا تمكنهم من الحصول على احتياجاتهم الضرورية ؛ فقد تراوحت القوة الشرائية لرواتبهم فى عام ٨٥٥هـ ما بين ٠,٠٣ إلى ٠,٣٦ أردب قمح وهو ما يعادل من ٢٠ إلى ٢١٠ أرطال من الخبز فى الشهر [٢]، وإذا كانت حاجة الأسرة المكونة من أربعة أفراد (فى المتوسط) تحتاج إلى أربعة أرطال من الخبز يوميا تقريبا أى ١٢٠ رطلا من الخبز شهريا، لاتضح لنا أن أعدادا من هؤلاء الموظفين لا تستطيع رواتبهم الوفاء باحتياجات الأسرة من الخبز فقط، فما بالنا ببقية المتطلبات . وهذا يؤكد وجود بون شاسع بين تكاليف المعيشة، ودخول هؤلاء الموظفين

ولعل انخفاض القوة الشرائية لرواتب أرباب الوظائف دفعت بعضهم فى إحدى المؤسسات الوقفية إلى المطالبة بزيادة المعاليم والجوامك، فقد ورد نص دعوى رفعها أرباب الوظائف والصوفية بالخانقاه الأشرفية برسباى برأس الحريريين يطالبون فيها بزيادة جوامكهم بسبب انخفاض قيمة العملة الجديدة التى ضربها السلطان برسباى، وارتفاع الأسعار عامة [٣] .

كما دفعت نفس الأسباب بعض الواقفين إلى تحسين أجور أرباب الوظائف العاملين فى مؤسساتهم الوقفية، إذ قام أحد الواقفين بإضافة أوقاف جديدة عام ٩١٧

---

(١) بلغ سعر الرطل من الخبز درهمان من الفلوس . الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٤٨١

(٢) على اعتبار سعر الرطل من الخبز درهمان

(٣) عبد اللطيف ابراهيم . وثائق عصر الغورى، ص ١٧٠، محمد عبد الستار عثمان . الآثار المعمارية لبرسباى، ص ١١

هـ/ ١٥١١م لرفع أجور أرباب الوظائف فى أحـد المساجد عـام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م،، فارتفعت أجور إمام المسجد وكل يتيم من الأشراف، وكل عتيـق مـن عتقاء الواقف بنسبة ٨٦% من راتبه الأساسى فى عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م، بينما ارتفع راتب ناظر الوقف بنسبة ٦٤% [١] .

وكان وباء ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م دافعا لقيام جوهر اللالا بإضافـة وظيفـة جديدة وهى قارئ المصحف الشريف خصص له مبلغ ١٥٠ درهما ليقـوم بقـراءة القرآن ويهدى ثواب ذلك إلى الواقف وإلى أصدقائه الذين توفوا فى طـاعون عـام ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م [٢].كما قام بتحسين أجور بعـض الموظفيـن العـاملين فـى مدرسته [٣] مما اعتبره بعض الباحثين جانبا إيجابيا للطاعون [٤].

ففى ١٨ جمادى الثانى ٨٣٤هـ / ٣ مارس ١٤٣١م، قام جوهـر اللالا برفع أجور بعض العاملين فى مدرسته بنسب تتراوح بين ١٠% و ٨٣,٣% [٥]، ثم زاد نصيب الأفراد من الخبز فى ٢ رجب ٨٣٦ هـ/ ٢٢ فبراير ١٤٣٣م[٦]، ثـم زادها مرة أخرى فى ٢٢ شعبان ٨٣٨هـ / ٢٣ مارس ١٤٣٥م [٧] .

٢ـ تأخر صرف الرواتب أو قطعها :

إن عدداً كبيراً من الأوقاف فى عصر الجراكسة كـان مصـدر تمويلـها الأساسى من أراضى زراعية[٨] وفى ظل الوضع المتدهور لـلأرض الزراعيـة، وانخفاض إنتاج هذه الأراضى فمن المتوقع أن ينخفض مصدر التمويل مما يعـود بآثار سلبية على أرباب الجوامك المستفيدين من الوقف، وإن لم يكن ناظر الوقـف

---

(١) حجة ٢٢٢ دار الوثائق .

(٢) ليلى كامل محمد على الشافعى : مدرسـة جوهـر اللالا ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م، ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٩٤ .

(٣) Jean claude Garcin : Enquete swe le financement d'un wagh Egyptien , p.272- 275 .

(٤) Ibid , p.272 .

(٥) عن مقدار الإضافة انظر Ibid, P.293

(٦) Ibid, P. 275

(٧) Ibid P. 276 .

(٨) انظر على سبيل المثال حجج ٦٠، ٦٨، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٤٢، دار الوثائق .وحجة ٦٧٧ دفترخانة .

أو القائمون عليه قادرين على تعويض النقص من مصادر أخرى، أو شراء أراضى زراعية جديدة لتعويض النقص فى الجامكيات، أو زيادتها بما يتلاءم مع الأسعار الجديدة .

ولذا فإن كثيراً من الأوقاف لم يف ريعها بالمصروفات فيضطر القائمون عليها تخفيض بعض الجامكيات، كَقَطْع الحلوى أو الصابون فى كل شهر، أو الكسوة التى يحصل عليها الموقوف عليهم (المستفيدون من الوقف) سنويا، وأحيانا يقومون بغلق المطابخ والمخابز الملحقة بالمؤسسات الوقفية [1]، وخاصة عندما تشتد الأزمات وترتفع الأسعار ،ويندر وجود الطعام .

وكانت بعض هذه المؤسسات الوقفية تصرف بدلاً نقديا لأربابها مثلما حدث فى خانقاه ركن الدين بيبرس بعدما قصر مد النيل ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م، ومثلما حدث فى بعض الخانقاوات الأخرى بعد أزمة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م [2] . وبطبيعة الحال هذا البدل النقدى لا يفى بمتطلبات الفرد، أو غالباً ما يكون غير مناسب للأسعار، مما يؤثر سلباً على مستوى معيشة الفرد .

وفى ضوء الموارد المحددة لبعض الأوقاف، فإن بعض الواقفين يشترطون مبلغا معينا لشراء الخبز خوفاً من تقلب الأسعار وما تمثله من عبء على موارد الوقف، فقد جاء فى إحدى الحجج " ويصرف من ذلك ... فى كل يوم من الأيام من الدراهم الفضة المذكورة ... درهم واحد يشترى به خبز من خبز البر السوقى، ويفرق على الأيتام الستة ومؤدبهم والقيم بالمسجد المذكور، فإن غلت الأسعار صُرِف القدر المذكور لهم بالسوية بينهم من غير زيادة ولا تخفيض [3] .

ومن بين آثار الأزمات الاقتصادية والأوبئة أيضاً على أجور أرباب الوظائف تأخر صرفها ببعض أماكن الوقف، فعندما سيطر السلطان فرج بن برقوق على فائض أموال خانقاه شيخو أثناء أزمة٨٠٦هـ / ١٤٠٣م صارت رواتب

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٨٣٤ – ٨٣٥ . المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٥- ٤١٦ .
الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٠٧- ٤٠٨ .

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٧، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥ .

(٣) حجة ٢٢٢ دار الوثائق

العاملين بها تتأخر عدة أشهر واستمر الحال على ذلك [١]، مما يؤثر بصورة سلبية على المستوى المعيشى لهؤلاء الموظفين .

وقد تعرض بعض من أرباب الوظائف أيضا لقطع رواتبهم كاملة أحيانا وبخاصة عندما تقل موارد الدولة، أو لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها [٢]، "حتى يقوّم أمر الدواوين " [٣]. ففى رمضان ٨٣٧هـ إبريل ١٤٣٤م قطعت عدة مرتبات للناس على ديوان المفرد، وعلى الاسطبل السلطانى، وعلى ديوان الوزارة، وذلك ما بين نقد فى كل شهر، ولحم فى كل يوم، وقمح فى كل سنة، فاغتم لذلك كثير من الناس، وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات فى شهر رمضان، فاقتضى الحال قطع الأرزاق " لضيق حال الدولة" [٤] .

وتكرر هذا الوضع فى ربيع الأول ٨٣٨هـ / أكتوبر ١٤٣٤م عندما ضبط الوزير أمور الدولة وقطع عدة مرتبات من لحم ودراهم [٥]، كما تم التوقف عن صرف جوامك أولاد الناس، وبعض الفقهاء والمتعممين [٦]، وقطع مرتبات اللحوم التى كانت للفقهاء والمتعممين قاطبة [٧] وذلك بدعوى " انشحات الديوان وخراب البلاد" فى عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م [٨] .

ما أكثر الفئات من أرباب الوظائف تضرراً من الأزمات ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل لا تتأتى من خلال معرفة رواتب أوجوامك بعض الموظفين فى وقفية واحدة أو اثنتين، وذلك لاختلاف راتب الوظيفة الواحدة من وقفية لأخرى تبعا لمقدار الأوقاف المرصودة عليها وشروط الواقفين، وهذا يستلزم تتبع رواتب الموظفين فى عينة من الوقفيات اطلع الباحث على بعضها

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٤٢١ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٥٦، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩١٤، ٩١٩ .

(٣) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٨٥، ٢٩٠ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩١٤ .

(٥) نفس المصدر، ص ٩٣٤ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٢،٢٠ .

(٧) نفس المصدر، ص٢٢

(٨) نفس المصدر، ص٢٤ .

بنفسه، واستفاد من نشر بعض الباحثين لوقفيات أخرى، وتم اختيار هذه العينة على الأساس التالى :

١ - إن العينة تغطى طوال عصر الدراسة .
٢ - إن العينة لا تمثل أوقاف السلاطين فقط، بل تمثل أوقاف الأمراء أيضا .
٣ - إن العينة تمثل جهات وقف مختلفة، مثل الخانقاوات، المدارس، المساجد، المقابر، الأربطة .
٤ - إن العينة لا تمثل القاهرة فقط وإن كان معظمهما متمركزا فيها، وإنما بعضها خارج القاهرة .

وجدير بالذكر أن بعض هذه الوقفيات كانت تصرف رواتبها بالفلوس، والبعض الآخر يصرف بالدراهم أو نصف الدرهم متأثرة بمدى توافر الفضة، ومحاولات الإصلاح النقدى فى عصر الجراكسة، ولذا قام الباحث بتحويل الرواتب المقدرة بنصف الدرهم أو الدرهم إلى فلوس، على أساس متوسط سعر استبدال العملة فى العام نفسه .

وتم تحويل هذه الرواتب للوقفيات التى حدثت بعد أزمة عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م، بعدما أصبحت الفلوس هى السائدة، وهى أساس المعاملات اليومية بين الناس كما تم حساب المتوسط الحسابى على أساس المبالغ النقدية فقط دون العينية .

ومن خلال المتوسط الحسابى لأجور ٧٨ من أرباب الوظائف والجامكيات فى عصر الجراكسة يمكن ترتيب الفئات الأكثر تأثرا بالأزمات الاقتصادية على هذا النحو طبقا لمتوسط أجورهم .(انظر الجدول رقم٣٤) .

وجدير بالذكر أن العاملين الذين يحصلون على قدر معين من الخبز يوميا أفضل من زملائهم الذين لا يحصلون على خبز حتى ولو كان هؤلاء الزملاء أكثر دخلا، فعلى الرغم من أن خطيب جامع أزبك يحصل على راتب شهرى ٦٠٠ درهما عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥، وخطيب جامع قايتباى يحصل على ٥٠٠ درهما عام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م، إلا أن الأخير أفضل حالا من زميله لحصوله على ثلاثة أرطال من الخبز يوميا تجعله فى مأمن من ارتفاع أسعار الخبز وقت الأزمات، ولذا فإن خطيب جامع أزبك لكى يقوم بشراء ثلاثة أرطال خبز يوميا فى أزمة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م - ١٤٨٧م فإن راتبه كاملا لن يفى بشرائها لارتفاع سعر رطل الخبز إلى نصف فضة[1] .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٣٧ .

لذا فإن أرباب الحرف الذين يحصلون على رواتب عينية وبخاصة الخبز أفضل حالاً أثناء الأزمات إذا ما استقر صرف هذه الرواتب .

وإذا كانت كل الفئات السابقة من أرباب الوظائف تتأثر رواتبهم سلباً بالأزمات الاقتصادية فإنه يوجد القلة التى تكون على العكس من ذلك تماماً، إذ ترتفع أجورهم وقت الأزمات مثل الذين تكون جوامكهم عبارة عن أجرة قطعة من الأرض، فقد جاء فى إحدى الحجج عن جامكية مؤدب الأطفال " ..... ويصرف له فى كل سنة أجرة فدانين " (١)، ولما كانت قيمة إيجار الفدان من الأرض الزراعية ترتفع عندما ترتفع الأسعار، بل قد يكون ارتفاعها سببا فى حدوث الأزمة، فإن مثل هؤلاء الموظفين يكونون فى مأمن من تقلب الأسعار بل يكونون أفضل حالاً من كل زملائهم الذين يحصلون على رواتب نقدية أو عينية ثابته .

---

(١) عبد الغنى محمود : التعليم، ص ١٢٩.

الفصل الثالث

الآثار الاجتماعية

- السكان
- مظاهر الحياة الاجتماعية
- الأوقاف
- التصوف

السكان :

لقد أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة على حركة النمو السكاني والبناء الاجتماعي في مصر، وذلك من خلال زيادة أعداد الوفيات، وكذلك نتيجة للهجرات الجماعية للأفراد سواء كانت داخل مصر أو خارجها، هذا بالإضافة إلى ما تركته الأزمات والأوبئة من تأثير فى التركيب الطبقى للمجتمع.

أولاً – عدد السكان :

شهدت مصر مع بداية عصر سلاطين المماليك نمواً سكانياً كبيرا حيث كانت تمتلك عوامل جذب للسكان من خارج البلاد في وقت تعرض فيه العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه لضربات موجعة من التتار ومسيحيى الغرب الكاثوليكى.(١)

ثم حدث تدهور ملحوظ فى النمو السكانى فى أواخر عصر المماليك البحرية بعد الموت الأسود ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م(٢)، وعندما توالت الأوبئة وازدادت حدتها فى عصر المماليك الجراكسة زاد معدل الوفيات فى أنحاء مصر، وتزايدت عوامل الطرد السكانى مما أثر فى معدلات النمو السكانى فى تلك الفترة .

ولقد اختلف المؤرخون فى تقدير ضحايا الأوبئة من السكان، ولم يكن هذا الاختلاف يتميز به مؤرخو مصر الإسلامية فقط، بل كذلك المؤرخون الأوربيون الذين قدروا ضحايا أوبئتهم(٣).

لقد وصف بعض المؤرخين الوفيات فى بعض الأوبئة وصفاً عاماً لا يعول عليه كقولهم " مات عالم كثير "(٤) أو " توفيت خلائق كثيرة "(٥)، أو " مات فيه (الوباء) عدد كبيرة "(٦)، أو " خلت عدة بلاد من سكانها "(٧).

---

(١) قاسم : دراسات، ص ٢٩، ١١٧، Ashtor : The Economic decline, P. 256.
(٢) Ashtor : The Economic decline, P. 256
(٣) Lars Walloe: Plqgue and populational, P9. Martin: Plague, P.6.
(٤) الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ١٦٨.
(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ٥، ص ٥٠٧.
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٠٣.
(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٩، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٥١.

وفى بعض الأحيان يحددون نسبة عامة تعطى دلالة على شدة الوباء كأن يقولون "توفى نصف السكان "[١] أو" ثلثا الناس "[٢]، وفى أحيان ثالثة يتتبع المؤرخون أعداد الموتى من خلال ما يرد لدواوين المواريث الحشرية بالقاهرة أو الفسطاط[٣]، وعلى الرغم من دقة الأرقام التى ترد من هذا الديوان إلا أنها لا تمثل حقيقة ما فقدته القاهرة أو الفسطاط فى هذه الأوبئة ويرجع ذلك إلى عدة أمور:

أولاً : إن بعض الأفراد صنعوا توابيت وأوقفوها ــ عندما ازدادت الحاجة إليها ــ فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها ولا يوردون للديوان أسماءهم[٤].

ثانياً : استخدم كثير من الناس ممن لا يستطيعون الحصول على توابيت ــ الألواح والأقفاص والأيدى لحمل الموتى، دون تسجيل أسماء الموتى بالديوان.[٥]

ثالثاً : إن عدداً كبيراً من الوفيات فى كثير من الأوبئة كان من الأطفال والإماء والعبيد ممن لا يخلفون تركة أو ميراثاً، فلا يحتاج أهلهم إلى إطلاقهم من الديوان[٦].

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٣.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٣، ص ١٥٢.

(٣) أوضح أحد الباحثين أن تقديرات الوفيات كانت تعتمد فى بعض الأحيان على كشوف ديوان الطرحاء الذى كان يسجل أعداد الموتى فى المدن الكبرى على الأقل يوماً بيوم. عماد أبو غازى : وثائق البيع، ص ٣١٠ .

ويعتقد الباحث أن ديوان المواريث الحشرية هو الذى كان يقوم بهذه المهمة لسببين :

أولاً – أن ديوان المواريث الحشرية هو الذى يختص بمعرفة أعداد الموتى وأسمائهم للوقوف على تركاتهم، وما إذا كان للدولة نصيب منها أم لا ؟ القلقشندى : صبح الأعشى، ج٣، ص٤٦٤. المقريزى : السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٢٢. الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص٤١٨ .

ثانياً – إن ديوان الطرحاء كان يقوم بتجهيز ودفن من يموت فى الطرقات من الفقراء والمعدمين. المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٢٢. والمؤرخون فى حدود علم الباحث ــ لم يتحدثوا عن سجلاته أو الأعداد التى وصلت إليه بينما تحدثوا عن ديوان المواريث الحشرية وسجلاته .

(٤) الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ١٨٨، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٦. السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٥٤، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٤٢.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٩.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٤٧، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٤١٨.

لهذه الأسباب كان يلجأ بعض المؤرخين لتقدير عدد ضحايا الأوبئة من خلال عدد الجثث التى صلّىَ عليها، وهذه الطريقة وإن كانت أعدادها غير مؤكدة إلا أنها أفضل الطرق للوصول إلى معرفة شدة الوباء ومدى تأثيره فى النمو السكانى للقاهرة ــ التى نالت اهتمام المؤرخين والرحالة ــ بصفة خاصة ثم النمو السكانى لمصر بصفة عامة وسوف نوضح أثر أهم الأوبئة على النمو السكانى فى مصر.

ففى وباء ٧٩٠هـ/١٣٨٨م بلغت عدة الأموات الواردة على الديوان فى أول جمادى الأولى ٢٣٥ شخصاً فضلا عن الطرحاء على الطرقات ومن مات بالبيمارستان(١) ثم تزايدت أعداد الموتى فى جمادى الآخرة حتى تجاوزت ٣٠٠ شخص فى كل يوم(٢).

وخلت كثير من بلاد الشرقية والغربية من سكانها بعد أن حصد وباء عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م ــ الذى استمر ثلاثة أشهر ــ أعداداً كبيرة من أهالى تلك البلاد حتى أنهم لم يستطيعوا دفن موتاهم فرادى، فتم دفنهم جماعات فى حفر كبيرة(٣).

ويعد وباء ٨٠٦هـ ــ ٨٠٧هـ/١٤٠٣ــ١٤٠٤م من أكثر الأوبئة التى تركت أثرا واضحاً على النمو السكانى فى مصر لطول مدته وانتشاره فى أنحاء البلاد، وفقدت مصر خلاله من ٥٠% من سكانها(٤) إلى ٦٦%(٥). وهذا التقدير ليس مبالغ فيه، لأن تقديرات بعض المؤرخين الأوربيين لوفياتهم فى الطاعون الأسود ١٣٤٨ــ ١٣٤٩م أوضحت أنها كانت تقدر بأكثر من ٥٠ %(٦).

ثم توالى الانحفاض السكانى مرة أخرى فى وباء ٨٠٩هـ/١٤٠٦م حيث بلغ عدد الوفيات فى القاهرة يومياً ١٥٠٠ فرد سوى مرضى المارستان ومن يطرح

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٧٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٨٠، الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ١٧٢.

(٣) الصيرفى : نزهة، جـ١، ص ٤٧٢.

(٤) المقريزى : إغاثة، ص ٤٣ Levanoni : Aturning point, P. 138.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٣، ص١٥٢.

(٦) Martin : Plague, p.6
أدت الأوبئة فى الفترة من أواسط القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى إلى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م فى إنجلترا إلى انخفاض عدد السكان بنسبة تتراوح مابين ٥٥% إلى ٦٦% Bendictow : Plague, p.117.

على الطرقات وزاد من خطورة هذا الوباء أنه انتشر بين الشباب والنساء[١]، وهذا سوف ينعكس أثره على نسبة المواليد في الأعوام التالية.

وفي وباء ٨١٩هـ/١٤١٦م أحصى من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة في مدة شهر في الفترة من ١٠ المحرم حتى ١٠ صفر فكان ثلاثة آلاف إنسان[٢] بمتوسط ١٠٠ فرد يوميا، ثم بدأت أعداد الوفيات تتزايد حتى بلغ من ورد اسمه الديوان من الموتى ٣٠٠ فرد يوميا في أول ربيع الأول ٨١٩هـ/ ١٤١٦م.[٣]، ثم بلغت ما يقرب من ٣٣٥ نفسا[٤] في ١٣ ربيع الأول ٨١٩هـ/ ١٠مايو١٤١٦م[٥]، ثم بدأت أعداد الموتى في التناقص بعد ذلك حتى بلغت ٢٣

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٧٠.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٤٨.

(٣) نفس المصدر، ص٣٥١.

(٤) أوضح المقريزى أن عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات ما ينيف على خمسمائة بما فيهم موتى المارستان والطرحاء.
المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٥٢. العينى : السيف المهند، ص ٣٤٤ .
ولما كان موتى المارستان والطرحاء في تلك الفترة قد قدرها المقريزى بنصف ما يرد إلى الديوان وثلث المجموع الكلي.
المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٤٨. فإن من ورد اسمه الديوان من الموتى يبلغ ٣٣٥ نفسا.

(٥) ذكر المقريزى أنه " بلغت عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات في ثالث عشرينه (ربيع الأول) ما ينيف على خمسمائة " المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٢.
ويعتقد الباحث أن التاريخ الصحيح هو ثالث عشرة لسببين :
الأول : أن المقريزى ذكر بعد هذا التاريخ أحداث الرابع عشر من ربيع الأول ثم السابع عشر ثم العشرين مما يعني أن الأحداث المذكورة كانت قبل الرابع عشر من ربيع الأول.
الثاني : أن المقريزى أوضح أن عدد الموتى بدأ في التناقص من خامس عشرة، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٢، فلو أن التاريخ الصحيح هو ثالث عشرينه وعدد الوفيات به ٥٠٠ شخص لكان ذلك يعني ارتفاع معدل الوفيات بعد ١٥ ربيع الأول وليس انخفاضه كما ذكر المقريزى.

شخصاً فى ٩ ربيع الآخر ٨١٩هـ/٥ يونيو ١٤١٦م[1]، كما هو موضح فى الجدول التالى.

(جدول ١٦)

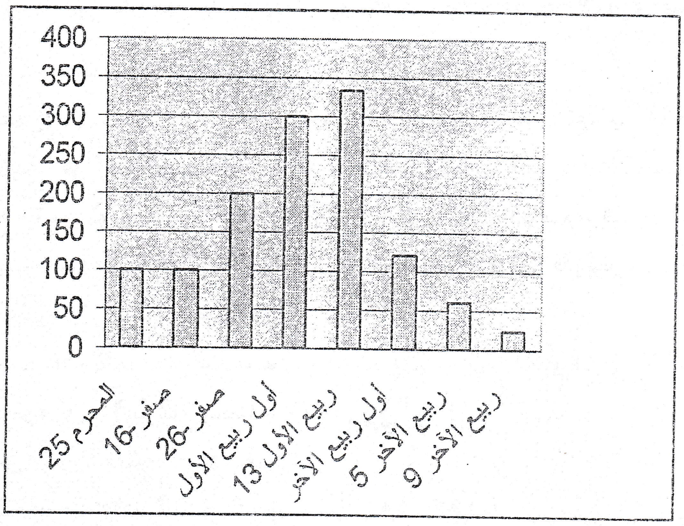
عدد الوفيات التى وردت بديوان القاهرة فى وباء ٨١٩ هـ /١٤١٦م

كما أوردها المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٤٨ – ٣٥٤

التاريخ	عدد الوفيات التى وردت الديوان	ملاحظات
من ١٠ المحرم حتى ١٠صفر	٣٠٠٠	٣٠٠٠ ÷ ٣٠ = ١٠٠يوميا
٢٥ المحرم (منتصف المدة من ١٠ المحرم حتى ١٠ صفر.	١٠٠	
١٦ صفر	أكثر من ١٠٠	
٢٦ صفر	٢٠٠	
أول ربيع الأول	٣٠٠	
١٣ ربيع الأول	٣٣٥	
أول ربيع الآخر.	١٢٠	
٥ ربيع الآخر	٦٠	
٩ ربيع الآخر	٢٣	

(شكل ١)

عدد الوفيات فى وباء ٨١٩ هـ ١٤١٦ م



(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٤.

وخلاصة القول أنه مات فى هذا الوباء بالقاهرة فقط من أول المحرم إلى آخر ربيع الأول على أقل التقديرات عشرون ألفاً والمكثر يبالغ فى العدد (١)، فما بالنا بما فقدته مصر من سكان فى هذا الوباء وبخاصة أنه كان منتشراً فى الوجه البحرى وكذلك فى صعيد مصر حتى أن معظم أهل مدينة " هو " (٢) قد ماتوا بالطاعون (٣)، ولو اعتبرنا أن عدد سكان القاهرة يمثل خُمس سكان مصر كما قدره بعض الباحثين (٤)، فإن مصر فقدت فى هذا الوباء ما يقرب من ١٠٠ ألف شخص.

ولم يكن لوبائى ٨٢٠ و ٨٢١هـ/١٤١٧و١٤١٨م أثر يذكر فى النمو السكانى، حيث اقتصر الأول على بعض المناطق الساحلية مثل دمياط والإسكندرية دون أن ينتشر فى أنحاء البلاد (٥)، والثانى أشار إليه فقط ابن إياس عند حديثه عن وباء ٨٢٢هـ/١٤١٩م بقوله " وقد وقع الطاعون فى السنة التى قبلها سنة إحدى وعشرين، ولكنه كان فى هذه السنة (٨٢٢هـ) أفتك " (٦)، مما يوحى بقلة تأثيره.

ولقد زاد وباء ٨٢٢هـ/١٤١٩م من درجة التدهور السكانى فى مصر، حيث ازدادت الوفيات فى الوجه البحرى بصفة عامة، وفى إقليمى الشرقية والغربية بصفة خاصة حيث خلت عدة قرى من أهلها(٧) بالإضافة إلى القاهرة التى بدأت تتزايد فيها أعداد من يرد الديوان من الأموات يوماً بعد الآخر(٨)، حتى بلغت فى الفترة من ٢٠ صفر إلى نهاية شهر ربيع الآخر سبعة آلاف وستمائة واثنتين وخمسين (٧٦٥٢) شخصاً وذلك سوى المارستان وسوى ديوان مصر، وسوى من لا يرد اسمه إلى الديوانين بما يُتم العشرة آلاف، ومات بالوجه البحرى مثل ذلك (٩)

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٦.
(٢) مدينة " هو " من المدن القديمة بمركز نجع حمادى اسمها القبطى Hou كانت قاعدة لكورة من كور مصر بالصعيد الأعلى وهى من الأعمال القوصية، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٤٩، حاشية رقم (٣)، ابن مماتى : قوانين الدواوين، ص١٩٨.
(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٤٩.
(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ٣٠، أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٢٧ .
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٨٨.
(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٣.
(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨١، ٤٨٧.
(٨) نفس المصدر، ص ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٧.
(٩) نفس المصدر، ص ٤٩٢.

حتى وصلت الوفيات النهائية إلى أكثر من ٢٠ ألف شخص فى مختلف الطبقات والفئات العمرية (١) وتبدو هذه الأرقام مقبولة أكثر من الوصف العام الذى أطلقه ابن إياس على من مات فى هذا الوباء بقوله " ومات من أهل القاهرة والفلاحين نحو النصف" (٢).

(جدول ١٧)

عدد الوفيات التى وردت بديوان القاهرة فى وباء ٨٢٢هـ/١٤١٩م

كما أوردها المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨١ – ٤٩٢

التاريخ	عدد الوفيات التى وردت الديوان
١٥ صفر ٨٢٢هـ	من ٢٠-٣٠
١ ربيع الأول	٥٠
٣ ربيع الآخر	١٩٦
جمادى الأولى	٧٧

ويعد وباء ٨٣٣هـ/١٤٣٠ من الأوبئة الكبرى التى ضربت سكان مصر ضربات قاصمة وزادت من درجة التدهور السكانى(٣)، حتى أطلق عليه " الفصل الكبير "(٤) و"الفناء العظيم "(٥) و" الطاعون العظيم " (٦)، واعتبره ابن تغرى بردى أعظم الطواعين وأفظعها " إذ لم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذى كان سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م نظير هذا الطاعون " (٧) متناسيا بذلك ما خلّفه وباء ٨٠٦هـ / ٨٠٧هـ من تدهور سكانى رهيب بلغ نصف سكان مصر (٨).

وبمقارنة أعداد المتوفين التى وردت أسماؤهم ديوان القاهرة بالأعداد التى صُلى عليها فى المصليات المشهورة وُجد أنها تمثل ما بين ١٩% و ٣٢,٥%

---

(١) نفس المصدروالصفحة.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص٤٣ .

(٣) Shoshan, Boaz: popular culture in medieval Cairo, Cambridge, 1993, P.4.

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٨.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٣٨.

(٦) السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص ٣٠٩.

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص١٥٦.

(٨) Levanoni : Aturning point, P. 138.

بمتوسط ٢٦,٧ % من الأعداد التى صلى عليها فى المصليات المشهورة [١]، وتقل النسبة إذا ماأضيف إلى عدد المتوفين من صلى عليه فى المصليات غير المشهورة، ومن لم يصل عليه .

وعلى الرغم من ذلك فإن الأرقام التى وردت الديوان تعد مؤشرا لمدى فداحة الخسائر البشرية التى خلفها الوباء وراءه والتى كانت تزداد يوما بعد يوم، ففى أول ربيع الآخر ٨٣٣هـ [٢] بلغ عدد الوفيات من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ شخص فىجمادى الأولى [٣] .

(جدول ١٨)

عدد الوفيات التى وردت بديوان القاهرة فى وباء ٨٣٣هـ مقارنا بالعدد الذى صلى عليه كما أوردها المقريزى، السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٢ – ٨٢٧

التاريخ	العدد الذى ورد إلى ديوان القاهرة	العدد الذى صلى عليه فى المصليات المشهورة	النسبة	ملاحظات
أول ربيع الآخر	١٢	٤٥(؟)		
آخر ربيع الآخر	٤٨	١٨٠ (؟)		
جمادى الأولى	٣٠٠	١١٢٤ (؟)		
آخر جمادى الأولى	٤٠٠	٢١٠٠	١٩%	
٤ جمادى الآخرة	٣٩٠	١٢٠٠	٣٢,٥%	متوسط العدد الذى ورد الديوان مقارنا بالعدد الذى صلى عليه = ٢٦,٧%
٧ جمادى الآخرة	٣٥٠	١٢٠٠	٢٩%	
٩ جمادى الآخرة	٤٠٠	١٢٦٣	٣١,٦%	
١١ جمادى الآخرة	٦٠٠(؟)	٢٢٤٦		الأرقام التى يوجد بجوارها علامة استفهام لم يذكرها المصدر وإنما مستخرجة من خلال النسبة ٢٦,٧%

(١) انظر جدول ١٨ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٢٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٨٢٤، ٨٢٥.

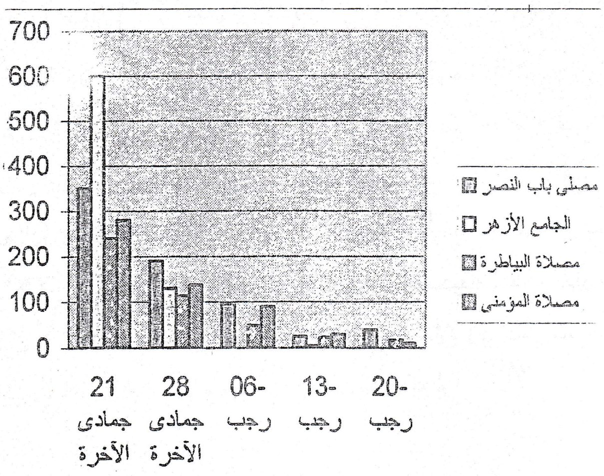
(جدول ٢٠)

عدد الوفيات التى تمت الصلاة عليها فى أربعة مصليات رئيسية فى وباء ٨٦٤هـ/١٤٦٠م، كما أوردها ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٤٥ – ١٤٦، حوادث الدهور، ص ٣٣٨

اسم المصلى	٢١ جمادى الآخرة	٢٨ جمادى الآخرة	٦ رجب	١٣ رجب	٢٠ رجب	المجموع
مصلى باب النصر	٣٥٠	١٩٠	من ٩٠-١٠٠	٢٥	٤٠	٧٠٠
الجامع الأزهر	٦٠٠	١٣٠	-	٥	-	٧٣٥
مصلاة البياطرة	٢٤٠	١١٤	٥٠	٢٣	١٧	٤٤٤
مصلاة المؤمنى	٢٨٠	١٣٧	٩٠	٣٠	١١	٥٤٨

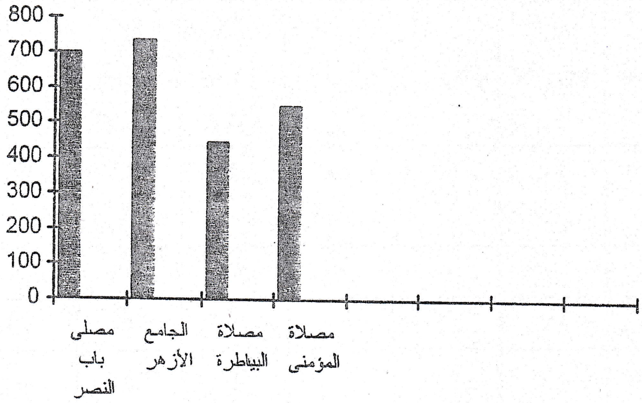
شكل (٤)

عدد الوفيات التى تمت الصلاة عليها فى المصليات الرئيسية بالقاهرة فى وباء ٨٦٤ هـ



(شكل ٥)

نسبة عدد الوفيات فى المصليات الرئيسية بالقاهرة فى وباء ٨٦٤ هـ



وكان هذا الوباء أقوى من الأوبئة التى وقعت فى أيام الظاهر جقمق، حيث أخليت دور كثيرة من سكانها لطول مدته التى بلغت فى القاهرة وحدها نحو ستة أشهر (١) .

وقد تعرضت مصر خلال فترة قايتباى لثلاثة طواعين كان أولها ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م وثانيها ٨٨١هـ / ١٤٧٦م وثالثها عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١م (٢)، التقطت مصر أنفاسها ستة عشر عاماً متتالية دون أن يعكر صفوها طاعون وذلك فى الفترة ما بين ٨٨١هـ/١٤٧٦م إلى ٨٩٧هـ/١٤٩١م مما أعطى فرصة لنمو سكانى محدود فى تلك الفترة من خلال الزيادة الطبيعية وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن هناك مَيْلاً معتاداً لارتفاع معدل المواليد بعد الأوبئة (٣) فإذا ما جاء وباء عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١ م قضى على تلك الزيادة وذهب ضحيته أعداد كبيرة بالغ ابن اياس فيها فقال : " وذهب ضحيته مائتا ألف إنسان وردت أسماؤهم ديوان المواريث خارجاً عن الطرحاء ومن لم يرد اسمه الديوان ". (٤)

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٥٩.

(٢) انظر جدول ٢٣ .

(٣) Bean, J.M.W.: The Black death. The Crisis and its Social and Economic Consequences, (Daniel Williman: The Black death, the impact of the fourteenth century plague), New York, 1982, P. 31.

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٩.

Petry : Twilight of Majesty, P. 112.

وهذا الرقم لا يمكن التسليم بصحته، لأنه قياس على ما سبق فى بعض الأوبئة السابقة فإن ما يسجل فى الدواوين يمثل ٢٦.٧% تقريباً من جملة من تتم الصلاة عليهم، وهذا يعنى ــ طبقاً لما يذكره ابن اياس ــ أن الذين صُلّى عليهم بالقاهرة وحدها يبلغ عددهم ٧٥٠ألف فرد، وهذا بطبيعة الحال أكبر من عدد سكان القاهرة كلها فى ذلك الوقت هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن هذا الوباء لم يعادل فى قوته وباء ٨٣٣هـ/١٤٣٠م الذى اختلف المؤرخون حول تقدير ضحاياه ما بين ١٠٠ ألف و ٢٠٠ ألف فى كل أنحاء البلاد وليس فى القاهرة وحدها [١] .

وبينما تزايدت أعداد الذين حصدهم وباء ٩٠٣هـ/١٤٩٧م [٢] و٩١٠ هـ/١٥٠٤م [٣]، ولم يكن لوبائَيْ ٩١٨هـ ــ ٩١٩هـ/١٥١٣م و٩٢٠ هـ/١٥١٤م تأثير كبير على التدهور السكانى بمصر لاقتصارهما على مناطق محدودة دون انتشارهما فى أنحاء البلاد، فالأول ظهر بالإسكندرية ورشيد وبعض السواحل فقط [٤] والثانى كان ضعيفاً فى الشرقية دون أن يفشى بمصر. [٥]

هذا ما أورده المؤرخون عن الأعداد التى فقدتها مصر بصفة عامة ــ والقاهرة بصفة خاصة خلال أهم الأوبئة فى عصر الجراكسة، إلا أنها تخلو من الإحصاء العام لسكان مصر أو القاهرة قبل عصر الجراكسة أو بعده مما يجعلنا نلجأ إلى تقديرات الباحثين المحدثين.

اختلفت تقديرات الباحثين حول عدد سكان القاهرة قبل عصر الجراكسة، فيرى عالم الجغرافيا مارسيل كليرجيه أن عدد سكان القاهرة فى عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م بلغ ٦٠٠ ألف نسمة على الأقل، فى حين أن عالم الاجتماع جانيت قدره بـ ٥٠٠ ألف نسمة فقط [٦]، ويعتبر أندريه ريمون أن هذه

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٣٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٤٧.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٩١.

(٣) نفس المصدر، جـ٤، ص ٧٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٩٥.

(٥) نفس المصدر، ص ٣٧٥.

(٦) أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٢٧، آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠.

التقديرات مبالغ فيها ولا ترتكز على عنصر ملموس كالمساحة المبنية مثلاً، ولذا بمقارنة عدد سكان القاهرة ــ من وجهة نظره ــ بعدد سكان بعض العواصم الأوروبية مثل باريس ولندن فى تلك الفترة، أوضح أن عدد سكان القاهرة لم يكن يتجاوز ٢٠٠ ألف نسمة. (١)

وهذا التقدير أقل من الواقع لعدة أمور :

أولاً : إن مقارنة عدد سكان مدينة بسكان مدينة أخرى اعتماداً على المساحة المبنية في كلتا المدينتين لا يوصل إلى نتائج صائبة، وذلك لاختلاف الكثافة السكانية (٢) فى المتر المربع من مدينة لأخرى.

ثانياً : إن هذا التقدير لا يتفق مع الأعداد الكبيرة التى فقدتها مصر خلال الأوبئة المتكررة طوال عصر الجراكسة، والتى ذكرها المؤرخون معتمدين فى ذلك على سجلات حكومية مثل سجلات ديوان المواريث الحشرية، أو من خلال جماعات من الناس كانت تقوم بتسجيل وضبط عدد الذين يُصلى عليهم فى المصليات الرئيسية (٣). وهو ما حدا ببعض المؤرخين المحدثين بأن يقدر عدد ضحايا القاهرة فقط بحوالى ٢٠٠ ألف (٤).

ثالثاً : إن هذا التقدير يناقض أولا يتفق مع ما ذكره أندريه ريمون نفسه من أن عدد سكان القاهرة عند الفتح العثمانى لمصر يبلغ من ٢٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف نسمة (٥)، وكأن عدد سكان القاهرة لم يتدهور خلال عصر الجراكسة وإنما ازداد بنسبة تتراوح من ٢٥% إلى ٣٣% وهذا ما لا يتفق مع التدهور السكانى الكبير الذى شهدته البلاد خلال تلك الفترة، وبالتالى فإن تقديرات أحد الباحثين بأن عدد سكان القاهرة فى القرن الرابع عشر بلغ ٦٠ ألفا فقط(٦) جانبها الصواب، والتقدير الذى يقبله الباحث هو أن عدد سكان القاهرة

---

(١) أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٢٧.

(٢) الكثافة السكانية هى عدد السكان / مساحة الأرض التى يسكنون عليها.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٢، جـ١٦، ص ١٤٠.

(٤) Ashtor : The economic decline, P. 256.

(٥) أندريه ريمون : القاهرة، ص ٢١٣.

(٦) Maya Shatzmiller, Maya: Labour in the medieval Islamic World, Koln, 1994., P.60.

قبل عصر الجراكسة تراوح ما بين ٤٥٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف فرد [(١)]، بينما بلغ عدد سكان مصر فى تلك الفترة ما بين ٣ إلى ٤ مليون فرد [(٢)]، على الرغم من أن البعض يقدر عدد سكان مصر بأكثر من ذلك [(٣)].

وجدير بالذكر أنه على الرغم من أنه يوجد تقديرات لعدد سكان بعض مدن بلاد الشام مثل دمشق وحلب فى بداية العصر العثمانى، إلا أن القاهرة لم يُعرف إحصاؤها فى تلك الفترة [(٤)]، مما يجعلنا نقدر مدى التدهور السكانى من خلال مؤشرات أخرى.

يمكن تقدير مدى النقص السكاني داخل القاهرة عن طريق معرفة توقف الحمامات العامة عن العمل لعدم وجود روّاد لها، فمن بين الستة والأربعين حماماً التى ذكرها المقريزى فإن خمسة وعشرين حماماً فقط كانت هى التى تعمل ما بعد وباء عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م [(٥)] بنسبة ٥٤% مما يعنى أن ٤٦% من الحمامات قد أغلقت.

كما أن حركة أسواق القاهرة تعد مؤشراً آخر لمعرفة مدى التدهور السكانى بها [(٦)] فقد اختل أو تلاشى أو تعطل أكثر من ٧٦% من أسواق " القصبة " فى القاهرة و ٤١% من الأسواق والسويقات التى ذكرها المقريزى خارج باب زويلة. [(٧)] مما يعطى انطباعاً عن مدى التدهور السكانى فى القاهرة فى فترة الدراسة بما لا يقل عن ٤٠% من السكان.

---

(١) Ashtor : the economic decline, P.256.
وهذا الرأى يوفق بين ما ذكره Dols انظر ، Maya shatzmiller : Op .Cit. P. 60.
وبين ما ذكره عالم الجغرافيا مارسيل كليرجيه، وعالم الاجتماع جانيت. أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٢٧.

(٢) Ashtor : The economic decline, P.256. Dols : The Black death P. 149.
آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٣٧٩.

(٣) انظر Maya shatzmiller : Op. Cit, P. 60.

(٤) Lapidus : Muslim cities, P.79.

(٥) أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٣٧.

(٦) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ١٦٨.

(٧) انظر جدول ٢٩، ٣٠ .

أما بالنسبة للريف المصرى، فعلى الرغم من صمت معظم المصادر التاريخية عن نسب الضحايا فيه، إلا أنه من المتوقع فى ضوء الظروف الاقتصادية السيئة التى يعيشها أهله، وفى ضوء التفسير الطبى الحديث لانتشار الأوبئة وبخاصة الطاعون – وهو نقل الفئران للجراثيم الحاملة للمرض إلى الإنسان – فإن الريف المصرى فى تلك الفترة يكون من أكثر المناطق تضررا بها، يؤكد ذلك تقلص أعداد القرى، وتخلخل نسبة السكان فيما تبقى منها نتيجة لوفاة أعداد كبيرة من الفلاحين، وهجرة كثيرين منهم إلى المدن بحثا عن الطعام وقت المجاعات، فضلا عن الفرار من الزراعة وظلم الحكام (١)، مما أدى فى النهاية إلى انخفاض عدد السكان فى الريف (٢).

وتوضح الإحصاءات التى أجريت على أعداد القرى فى مصر فى تلك الفترة انخفاض أعدادها، فبينما بلغت أعداد القرى المصرية ١٠ آلاف قرية فى العصر الفاطمى (٣)، انخفضت إلى ٢٤٦٠ قرية سنة ٧٧٧هـ(٤)، ثم انخفض هذا العدد فى شعبان ٨٣٧ هـ / ١٤٣٤م، عندما أحصى كتاب ديوان الجيش قرى مصر كلها ـ قبليها وبحريها ـ فكانت ٢١٧٠ قرية (٥)، ثم اندثرت بعض القرى مرة أخرى حتى بقيت ٢١٢٢ قرية فى نهاية ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م. (٦)

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٤٦ – ٤٧، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٢٤. قاسم: دراسات، ص ١٦٩.

(٢) Ashtor : The economic decline, P. 257.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٧٤.

(٤) أوضح بعض الباحثين أن عدد القرى التى كانت توجد بمصر عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥ م كانت ٢٣٢٢ قرية. Levanoni : Aturning point, P. 138. معتمدا على ما ذكره ابن الجيعان أن عدد القرى المصرية بلغت ٢١٦٣ قرية خارجا عن بلاد الديوان بالجيزية، التحفة السنية، ص ٣، وبإضافة بلاد الجيزية التى تبلغ ١٥٩ قرية للعدد المذكور يصبح عدد القرى ٢٣٢٢.
إلا أن الإحصاء الذى قام به الباحث للقرى التى تغيرت عبرتها من خلال كتاب التحفة السنية أوضح أن التفصيلات التى أوردها ابن الجيعان تختلف عن العدد الإجمالى، وبلغ عدد القرى ٢٣٠١ عدا بلاد الديوان بالجيزية، فإذا ما أضيف إليها بلاد الجيزية وهى ١٥٩ قرية أصبح العدد ٢٤٦٠ قرية.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٩١٢ ـ ٩١٣، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٢٨٣.

(٦) Levanoni: Aturning point, P. 138.

وعلى الرغم من أنه لا توجد إحصاءات أخرى لأعداد القرى في عصر الجراكسة في فترة لاحقة توضح النمو السكاني بها إلا أنه في ظل انتشار الأوبئة بصورة كبيرة في الوجه البحري عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م(١)، وفي عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م (٢)، وانتشارها في صعيد مصر عام ٨٩٧هـ / ١٤٩١م (٣)، فإنه من الطبيعي ازدياد معدل التدهور السكاني في الريف المصري.

وأحد المؤشرات الأخرى لانخفاض السكان في الريف المصري هو انخفاض مساحة الأرض المزروعة على الرغم من وجود الأرض الصالحة للزراعة(٤) وإذا كان انخفاض عبرة الأقاليم يعبّر عن انخفاض مساحة الأرض المزروعة التي هي بدورها تعبّر في قدر كبير منها عن انخفاض السكان في الريف المصري (٥)، فإنه يتضح من خلال جدول تغير العبرة (جدول رقم ٨) أن أكثر الأقاليم التي حدث فيها تدهور سكاني هي البحيرة والمنوفية والغربية والدقهلية والشرقية في الوجه البحري وإقليم الفيومية، والأطفيحية، والبهنساوية في الوجه القبلي.

ولم يكن سكان البدو بمنأى عن تأثيرات الأوبئة (٦)، إلا أن المصادر التاريخية لا تفصح عن مثل هذه التأثيرات.

ماهي أكثر العناصر السكانية وأكثر الفئات العمرية تأثرا بالأوبئة ؟

إن العدوى لا تعتمد على الجنس أو السن أو النوع، ولكن على التعرض للعدوى، إلا أن المتتبع لأثر هذه الأوبئة على السكان يجد أنها تركت أثراً أكبر على بعض العناصر وبعض الفئات العمرية.

فالعنصر المملوكي كان من أشد العناصر تأثراً بهذه الأوبئة، إذ كثيراً ما يقرر المؤرخون تفشي الوباء بينهم وازدياد أعداد وفياتهم وبخاصة المماليك السلطانية ففي ربيع الآخر ٧٩٠هـ / ١٣٨٨ م انتشر الموت بالقلعة لا سيما في

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٦، ص ١٣٨ ــ ١٣٩.

(٢) ابن تغري بردي : حوادث، ص ٦٩٦.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٩.

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٢٢٤.

(٥) Levanoni : Aturning point. P.138.

(٦) Conrad : Die pest, P. 99.

المماليك [1] وفي وباء ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م - ١٤٣٠م عظم الوباء في المماليك السلطانية - سكان الطباق بالقلعة بحيث كان يصبح منهم ٤٥٠ مرضى فيموت في اليوم منهم أكثر من خمسين مملوكاً [2]، ويصف ابن تغرى بردى وفيات منزلهم في هذا الوباء بأنه مات عدد من مماليك والده وعدد من الجدارية ومن مماليك الأمراء، ومات من أخوته وأولادهم سبعة أنفس أما من مات من المماليك والعبيد والجوارى، فلا يدخل تحت حصر [3].

وفي وباء ٨٤١هـ / ١٤٣٧م ــ ١٤٣٨م فشا الموت في الدور السلطانية حتى أصيب السلطان نفسه، وتوفي من أبنائه ذكوراً وإناثاً سبعة عشر ابناً، ومات من الخدام الخصيان ١٦٠، سوى سبع عشرة محظية [4]، كما شنع الموت في المماليك السلطانية حتى مات منهم نحو الألف. [5]

ومات في وباء ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م كثير من الأمراء وأعيان الدولة، وكان من جملة من مات للسلطان فقط أربعة أولاد من صلبه [6]. وازدادت أعداد الوفيات بدرجة كبيرة بين المماليك الأجلاب الإينالية في وباء ٨٦٤هـ / ١٤٥٩ ــ ١٤٦٠م، فبلغ حتى ١٩ جمادى الآخرة حوالى ٦٣٠ مملوكاً [7]، ثم تزايدت حتى وصل في شعبان ما بين ١٤٠٠ إلى ١٥٠٠ مملوك، هذا بخلاف من مات من المماليك السلطانية [8].

ويورد لنا ابن تغرى بردى إحصاء في ١٦ جمادى الآخرة من نفس العام يوضح فيه أعداد المماليك المتوفين من بين ما ورد للديوان، فقد كان التعريف (أسماء الواردين للديوان) ٣٠٠ شخص، من بينهم ٥٢ من مماليك السلطان، و ٣١

---

(١) الصيرفي : نزهة النفوس، جـ١، ص ١٣١.
(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٦، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٨٨.
ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٠.
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٣٩ - ٣٤٠.
(٤) ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٣٥.
(٥) نفس المصدر، ص ٢٣٥، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٣.
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٣٨٩، ٣٩٢.
(٧) نفس المصدر، جـ١٦، ص١٤٥.
(٨) ابن إياس . بد ئع، جـ٢، ص٣٦٠، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٤٧.

من مماليك الأمراء، وأربعة خصيان [1]. وهذه الأعداد توضح ازدياد نسبة المماليك المتوفاة مقارنة ببقية الفئات، إلا أنه يجب أن نضع فى الاعتبار أن معظم من يتوفى من المماليك يسجل فى الديوان، بينما الوضع يكون غير ذلك بالنسبة لبقية العناصر الأخرى. وعلى أية حال فإن هذا الوباء يعد من الأوبئة الجارفة للمماليك على حد تعبير ابن تغرى بردى [2].

أما الأوبئة الثلاثة التى تعرضت لها مصر خلال عصر قايتباى قد وجهت ضربات قاصمة إلى جنس المماليك وأولادهم وعبيدهم وجواريهم. ففى وباء ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ـ ١٤٦٩م يقرر ابن تغرى بردى بعد ١٠ رمضان أن معظم من يموت فيه من المماليك، وأما الأصلاء من المصريين فلم يمت منهم أحد على حد علمه [3]، وعلى الرغم من رائحة المبالغة فى هذا التقدير إلا أنه يوضح كثرة الأعداد التى توفيت من المماليك فى هذا الوباء، حتى انقرضت ذرية الأشرف برسباى بوفاة أحفاده، كما توفى للسلطان قايتباى ابن وابنة، ومات للظاهر خشقدم ولد [4].

وفى وباء ٨٨١هـ / ١٤٧٧م مات من المماليك السلطانية نحو ألفى مملوك، فضلا عن المماليك السيفية [5] والقرانصة[6]، كما توفى من الطواشية [7] نحو خمسة وعشرين طواشيا حتى قيل إن السلطان لم يجد من يخدمه فحمل بطيخة بنفسه، ودخل بها إلى دور الحريم السلطانى، كما مات من الأمراء العشرات والخاصكية [8] ما لا يحصى عددهم [9]. واشتد وباء ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٣٧.

(٢) النجوم، جـ١٦، ص ١٤٢.

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٧٠٥.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) هم الذين انتقلوا إلى السلطان بسبب وفاة أستاذهم أو نفيه أوقتله. إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية، ص ١٥٠.

(٦) هم مماليك السلاطين الذين توفوا. نفس المرجع والصفحة.

(٧) الخصيان الذين استخدموا فى الطباق المملوكية، وفى الحريم السلطانى. سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص٤٥٥ .

(٨) جماعة من حاشية السلطان يأتون فى ترتيب البروتوكول المملوكى بعد الأمراء المقدمين، تمتعوا بمكانة كبيرة ؛ فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه وفى خلواته بغير إذن. سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

(٩) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

بين صفوف المماليك أيضاً فماتت أعداد غفيرة منهم قدرها البعض بثلثهم[١]، وتوفيت في هذا الوباء ابنة للسلطان قايتباي وزوجته في يوم واحد[٢]وحصد وباء ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م نحو ١٢٠٠ فرد من المماليك السلطانية[٣] كما تزايد الفتك بهم في وبائي ٩١٠ هـ / ١٥٠٥م[٤] و ٩١٩هـ / ١٥١٣م[٥]

ويرجع زيادة عدد الوفيات بين عنصر المماليك إلى عدة أسباب أهمها أن هذه الفئة لم يكن قد سبق لها الإصابة بالطاعون، وبالتالي ليس لديها مناعة تحميها[٦]، وزاد من هذا الأمر أن بعضهم وبخاصة المماليك الأجلاب كانوا يأتون إلى مصر وهم كبار السن[٧]، على عكس ما كان عليه الحال في عصر المماليك البحرية عندما كانوا يأتون صغار السن[٨]- ولذا كانوا عرضة للإصابة بدرجة كبيرة، يؤكد ذلك أيضا أن المماليك القادمين حديثا كانوا أكثر إصابة ووفاة من زملائهم القدامى[٩]هذا بالإضافة إلى طريقة سكناهم الجماعية تساعد على انتقال العدوى بينهم .

كما أفنى وباء ٨٣٣هـ / ١٤٢٩-١٤٣٠م أحد عناصر السكان في المجتمع المصري لم يكن منتشراً في طول البلاد وعرضها، وإنما تركز في مناطق بعينها مثل " السودان " الذي تركز نحو ثلاثة آلاف منهم بالقرافة الكبرى والصغرى فأفناهم هذا الوباء حتى لم يبق منهم إلا النزر اليسير ففروا إلى الجبل، فمات منهم في الليلة التالية ثلاثون شخصا، فبينما يقومون بدفنهم مات ثمانية عشر[١٠]، ولم يبق منهم سوى عشرة أفراد[١١] .

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ١٧٠، عبد العزيز عبد الدايم : مصر، ص ١٥٨.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٨. Petry : twilight of Majesty, P. 111.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٩١.

(٤) نفس المصدر، جـ٤، ص ٧٦.

(٥) نفس المصدر، ص ٣٠٦.

(٦) Walloe, Lars: Plague and Population, Narway 1350-1750, University of Oslo, 1995.P. 16.

(٧) المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ٢١٤.

(٨) نفس المصدر، ص ٢١٣.

(٩) Shai Har-El : Struggle for Domination, p.55

(١٠) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٧، ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣.

(١١) الصيرفي : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٨٩.

أما بالنسبة للرقيق فقد أصبح انتشار الوباء بينهم بشكل ظاهرة عامة في معظم الأوبئة التي شهدتها مصر في عصر الجراكسة[1] وفي إحصائية فريدة من نوعها يورد المقريزى أعداد من وردت أسماؤهم من المتوفين إلى الديوان في الفترة من ٢٠ صفر إلى آخر شهر ربيع الآخر ٨٢٢هـ / ١٤١٩م فقد بلغت أعدادهم ٧٧١٧ شخصاً.[2]

(جدول ٢١)

أعداد من وردت أسماؤهم من المتوفين إلى الديوان

في الفترة من صفر إلى آخر ربيع الآخر ٨٢٢هـ[3]

الفئة	العدد	النسبة	ملاحظات
الرجال	١٠٦٥	١٣,٨ %	
النساء	٦٦٩	٨,٧ %	
الأطفال	٣٩٦٩	٥١,٥ %	
العبيد	٥٤٤	٧ %	
الإماء	١٣٦٩	١٧,٧%	
النصارى	٦٩	٠,٩%	
اليهود	٣٢	٠,٤%	
	٧٧١٧	١٠٠ %	

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات، ص ١٧٠، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٦.

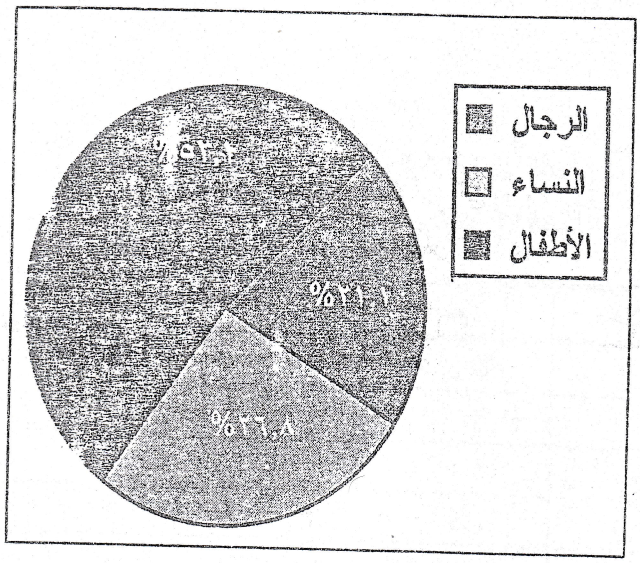
(٢) أوضح المقريزى أن أعدادهم ٧٦٥٢ شخصاً، السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٩٢. بينما مجموع الأعداد التي ذكرها تبلغ ٧٧١٧ شخصاً.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٩٢، الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٤٥٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ٤، ص ٨٠، ٨١.

(شكل ٦)

أعداد الوفيات طبقا للنوع والفئة العمرية

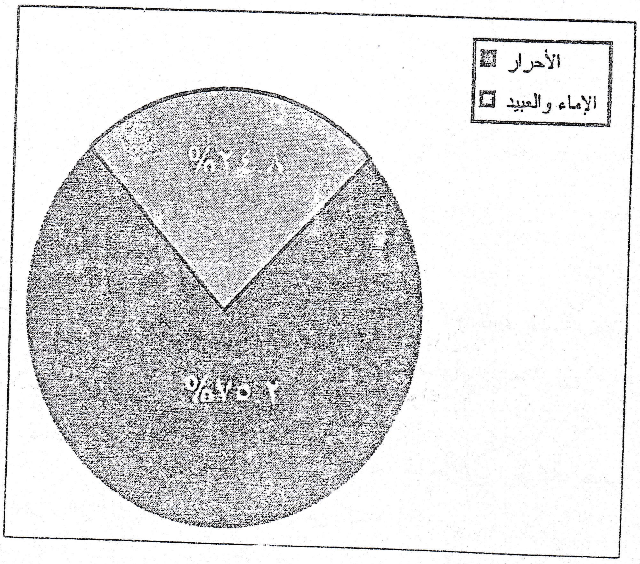
فى الفترة من صفر إلى آخر ربيع الآخر ٨٢٢ هـــ / ١٤١٩ م



(شكل ٧)

أعداد الوفيات طبقا للحرية والعبودي فى الفترة من

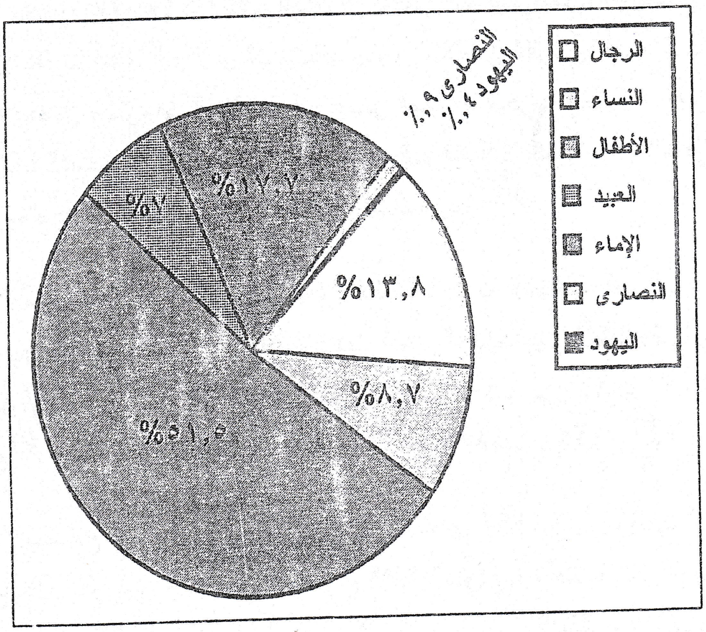
صفر إلى آخر ربيع الآخر ٨٢٢ هـــ / ١٤١٩ م



(شكل ٨)

أعداد من وردت أسماؤهم من المتوفين إلى الديوان

فى الفترة من صفر إلى آخر ربيع الآخر ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م



ويتضح من هذه الإحصائية أنه على الرغم من أن نسبة الوفيات للإماء والعبيد لا تمثل سوى ٢٥% تقريباً من المجموع الكلى للمتوفين، إلا أن نسبة المتوفين بينهم تعد أكبر من أى فئة أخرى وبخاصة إذا نظرنا إلى أعداد وفياتهم مقارنة بنسبتهم الكلية فى المجتمع .

وقد يرجع ذلك إلى أن هذه الفئة هى أكثر الفئات اختلاطاً بالمرضى لطبيعة عملهم وخدمتهم فى المنازل، هذا بالإضافة إلى أن عدداً كبيراً منهم من خارج مصر وبالتالى لم يكتسب مناعة كافية ضد المرض، وأخيراً تدنى مستواهم الاقتصادى وعدم قدرتهم على مواجهة ضرورات الحياة، يضاف إلى ما سبق أن معظم هؤلاء العبيد والإماء يسجلون فى ديوان المواريث الحشرية على عكس بقية الفئات الأخرى

وعندما اشتد وباء ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م ازدادت أعداد الوفيات بين العبيد والإماء[١] ونتيجة لكثرة ما أصاب الوباء من الرقيق فى عام ٨٤١هـ / ١٤٣٨م أغلق

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٤٢.

سوقهم وتعطل بيعهم حتى احتاج رجل لبيع عبد له فصار ينادى عليه فلم يجبه أحد خوفا من سرعة موته بالطاعون[1] وبصورة عامة لقد تركت الأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرها الواضح فى أعداد الرقيق التى كانت توجد فى عصر الجراكسة، فقد انخفضت هذه الأعداد عما كان عليه الحال فى عصر المماليك البحرية، ويتضح ذلك من خلال مقارنة أعداد الجوارى التى تملكها بعض سلاطين الفترتين، فقد كان من الممكن أن تصل مشتروات السلاطين فى عصر المماليك البحرية إلى ٨٠٠ مملوك سنويا، بينما كانت مشتروات السلطان فى عصر الجراكسة لا تتجاوز ٣٠٠ مملوك فى السنة، وبخاصة فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر[2].

أما بالنسبة لمدى تأثير الأوبئة فى الفئات العمرية المختلفة، فقد كان أكثر ضحاياه من الأطفال والشباب[3]، فقد ازدادت أعداد الوفيات بين الأطفال فى وباء ٨١٩هـ / ١٤١٦م[4]، وكثر الموت فى الشباب فى وباء ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م[5]، وانتشر بين الشباب والأطفال فى وباء ٨١٦هـ / ١٤١٣م[6].

ويتضح من جدول الوفيات فى وباء ٨٢٢هـ/١٤١٩م أن وفيات الأطفال وحدها تمثل أكثر من ٥٠% من المجموع الكلى للمتوفين، وعندما اشتد الوباء فى جمادى الأولى ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م كان أكثر ضحاياه من الأطفال والشباب، وأقل الضحايا من النساء والرجال[7] ومن خلال الوفيات التى أوردها السخاوى لعام ٨٥٣هـ / ١٤٥٠ م اتضح أن ٥٣ حالة وفاة حدثت فى القاهرة من بين ٩٧ حالة ذكرها فى أماكن مختلفة مثل مكة والمدينة ودمشق وصيدا ودمياط. بلغ عدد الذين

---

(١) نفس المصدر، ص١٠٤٧.

(٢) آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص٣٧٠، قاسم : دراسات، ص١٨. على السيد : الجوارى، ص١٢، ٢٩

(٣) وقد كان عدد الوفيات الكبير بين الأطفال مميزا لنوبات الطاعون فى كل من الشرق والغرب

Shai Har – El : Struggle for Damination, P. 55. Dols: The black death, P. 178 .

(٤) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ١٣١.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٧٠.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٧.

(٧) نفس المصدر، ق٢، ص ٨٢٤.

توفوا بالطاعون ٣٣ حالة تمثل أكثر من ٦٢% من الوفيات من بينهم ٦ حالات في مرحلة الشباب و ٤ حالات أطفال.[١]

وعلى الرغم من أن المؤرخين لا يذكرون من الأموات سوى المشاهير من الناس أو الأعيان فقط[٢] – وغالباً لا يصل إلى ذلك إلا من تخطى سن الشباب – فإن ذِكْر السخاوى لوفاة عشرة أفراد من الشباب والأطفال تمثل أكثر من ٣٠% من عدد الوفيات بالطاعون تعد حالة نادرة مما يؤكد ازدياد الإصابة بين هذه الفئة العمرية.

ويرجع ازدياد الإصابة بين الأطفال لقلة مناعتهم وضعف أجسامهم وقابليتهم السريعة لالتقاط العدوى، هذا بالإضافة إلى أن معظم الشباب لم يكن قد سبق لهم الإصابة بالطاعون، وبالتالى ليس لديهم مناعة كافية لحمايتهم من الوباء مقارنة بالرجال أو كبار السن[٣].

ويبدو أن نسبة الوفيات بين الإناث كانت أكثر منها بين الذكور، ففى وباء ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م كان غالب من يموت من النساء[٤]، وارتفعت أعداد الوفيات بين النساء فى وباء ٨٢٢هـ / ١٤١٩م إذ بلغت ٢٦,٤% من أعداد الذين وردت أسماؤهم من المتوفين إلى الديوان فى الفترة من صفر إلى آخر ربيع الآخر، بينما بلغت نسبة الرجال ٢٠,٨ %[٥].

وفى وباء ٨٤١ هـ / ١٤٣٨م، فقدت مصر ما يزيد على ١٠٠ ألف إنسان كان معظمهم من الأطفال، وأكثر الأطفال من البنات، ويلى الأطفال فى الكثرة من مات من الرقيق وبخاصة الإماء.[٦] ويبدو أن أعداد البنات المتوفيات فى

---

(١) انظر جدول ٣٧ .

(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٢٧٤.

(٣) Lars Walloe : Plague and population, P. 16.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٧٠.

(٥) تم الحصول على هذه النسب من خلال حصر أعداد النساء والإماء معاً، وأعداد الرجال مع العبيد معاً. انظر جدول ١٧.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٤٨، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٤١٩.

ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٩٢.

وباء ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م قد ازدادت بصورة كبيرة حتى قدرها ابن إياس باثنتى عشرة ألف بنت بكر، وعلى الرغم من المبالغة الرقمية التى يتصف بها ابن إياس عند وصف الأوبئة، إلا أن كونه اختص البنات بالذكر يدل على ازدياد الوباء بينهن، حتى قال القائل :

زالت محاسن مصر فى	عيناى من همّ ودهش
وكادوا بنونعش بها	أن يلحقوا ببنات نعش[١]

وقد يرجع كثرة الوفيات بين الإناث عنها بين الذكور إلى تواجدهن بصورة أكبر فى المنزل مما يجعلهن قريبات من الحيوانات المحملة بالبراغيث وبضحايا الطاعون [٢].

وجدير بالذكر أن الصحوة السكانية التى حدثت فى أوروبا بعد الموت الأسود ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م لم نجد لها مثيلاً فى مصر فى عصر الجراكسة [٣]، إذ أن كثرة الأوبئة وتكرارها على فترات زمنية متقاربة من ناحية، وشدة هذه الأوبئة وقوتها التدميرية للسكان من ناحية أخرى منع إمكانية حدوث نمو سكانى طوال عصر الجراكسة، ساعد على ذلك أن معدل المواليد فى تلك الظروف لا يتمكن من تعويض النقص الناتج عن الأوبئة، كما أن انتشار الوباء بين السيدات يقلل من معدل المواليد، فغالباً ما تموت الأجنة فى بطون الأمهات المصابات بالمرض، أو يموت الأطفال الرضّع لانتقال المرض إليهم من خلال الأم المصابة، كما أن سوء التغذية بصفة عامة يؤدى إلى انخفاض معدل الخصوبة لدى السيدات [٤]

يضاف إلى كل ما سبق أن انتشار الوباء بين الأطفال وأحياناً بين الشباب يأتى بنتائج عكسية فى النمو السكانى على المدى البعيد، إذ تقل نسب المتزوجين وبالتالى تقل فرص الإنجاب، والخلاصة أنه قد تكاتفت كل هذه العوامل لتنحو بالنمو السكانى فى مصر فى اتجاه التدهور والانحدار فى عهد المماليك الجراكسة .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٩.

(٢) Dols : The Black death, P. 186.

(٣) Levanoni: Aturning point, P. 137.

(٤) Bendictow : Plague, p.116

الهجـــرة :

أدت الأزمات الاقتصادية والأوبئة إلى حدوث هجرة داخلية فى اتجاهين مختلفين من الريف إلى المدن، ومن المدن إلى خارجها، بل وفى بعض الأحيان هجرة خارجية بعيدا عن مصر.

وجدير بالذكر أن الهجرة الداخلية لا تؤثر فى حركة النمو السكانى بقدر ما تؤثر فى توزيع الكثافة السكانية – مما يجعلها تزداد فى المدن وبخاصة القاهرة التى وجدت إمدادات سكانية شبه مستمرة من الريف المصرى وبصورة خاصة عندما ترتفع الأسعار وتحدث المجاعات ولا يجد أهالى القرى ما يقتاتون به. فعلى الرغم من أن الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٠٦هـ – ٨٠٧هـ/١٤٠٣–١٤٠٤م كان يصاحبها وباء إلا أن قلة الأقوات وارتفاع الأسعار هى التى فرضت عليهم الهجرة من قراهم بعد أن تزايد الموتان فيهم بالجوع [١]، فولوا وجوههم شطر المدن الكبرى القريبة منهم، فلم يجدوا الحال مختلفا عما كانوا عليه، وبخاصة بعد أن شكلوا عبئا على سكان المدن وإمكاناتها [٢]، كما ترتب على سوء أوضاع الريف المصرى وكثرة المظالم التى حلت بأهله أن اتجهت أعداد كبيرة من أهله إلى القاهرة حتى نودى فى ذى القعدة ٨٢٧هـ بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم [٣]، ولكن أمام عذاب العودة وشدة البؤس الذى ينتظرهم لم ينفذ هذا الأمر [٤].

وفى الأزمة الاقتصادية الطاحنة عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١م التى أشرفت الديار المصرية خلالها على الخراب من عظم ما وقع فيها من الجفاف والغلاء[٥]، هاجر كثير من أهل القرى إلى المدن الكبرى " لوجدان الشئ فيها بالجملة بالنسبة إلى أماكنهم "[٦]، فى الوقت الذى اتخذ فيه البعض اتجاها مغايرا

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٤٥، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٠٥.

(٢) Levanoni: Aturning point, P. 139

(٣) لم ينتشر الوباء فى مصر فى هذا العام وإنما اقتصر على دمياط فقط، المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٦٦٧.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٧٢، سعيد عاشور : أضواء جديدة على المقريزى، ص ١٩٩.

(٥) لم يوجد وباء فى مصر فى هذا العام.

(٦) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٤٦.

نحو بلاد الشام مما أدى إلى ارتفاع الأسعار بها، وفي كلتا الحالتين مات كثير منهم من عظم القحط(١).

ويبدو أن حركة الهجرة كانت متكررة حتى أننا نجد السلطان في شوال ٩١٢ هـ / ١٥٠٧م يأمر برد الفلاحين الهاربين إلى قراهم (٢)، ومما يذكر أنه لم يظهر الوباء في هذا العام إلا في ذي الحجة (٣)، مما يدل على عدم وجود علاقة بين الوباء وهجرة الفلاحين إلى المدن. كما أن الهجرة الداخلية لم تكن مقصورة على الفلاحين فقط، بل إن بعض القبائل العربية قامت بها، فقد تسببت الضائقة الاقتصادية ٨٠٦هـ / ٨٠٧هـ - ١٤٠٣م - ١٤٠٤م في زيادة الاضطرابات في البلاد وارتفاع يد السلطة الحاكمة عن جنوب البلاد، مما دفع أعداداً هائلة من قبائل هوارة وفزارة وجهينة الموجودة بشمال البلاد إلى الهجرة جنوباً وإلى بلاد النوبة (٤).

مما سبق يتضح أنه لم تكن هناك ثمة علاقة بين الخوف من انتشار الوباء وهجرة الفلاحين إلى المدن، وإنما كان الدافع الأساسي هو حدوث المجاعات، وكثرة المظالم الواقعة على كواهلهم. أما في وقت انتشار الأوبئة تحدث حركة هجرة مؤقتة في اتجاه معاكس، إذ تصبح القاهرة طاردة لسكانها مما يؤثر في خلخلة مؤقتة للسكان بها، ولكن يظل هذا رهن قوة الوباء ومدته، ثم يعود المهاجرون أو الفارون إلى ديارهم بعد انقضاء الوباء، ففي عام ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م بعدما قضى الوباء على معظم عنصر " السودان " فرّوا بعيداً عن القاهرة، إلا أن هذا لم يغيّر من قدرهم المحتوم، فقد توفي من تبقى منهم (٥).

كما فرّ عدد كبير من وباء ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م خوفاً من العدوى وتوجهوا إلى أماكن متفرقة، فلما ارتفع الوباء عادوا إلى مصر دون أن يُفقد منهم أحد(٦)،

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٤٦، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٦.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٠٤.

(٣) نفس المصدر، ص ١٠٩.

(٤) عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز، ص ١٠٥.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٧.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٧.

وعندما عاد الوباء فى المحرم من العام التالى ٨٩٨هـ / أكتوبر ١٤٩٢م مات به جماعة من الأطفال وغيرهم ممن كان قد فر من قبل (١) .

وقام بعض رجال الدين والأمراء بإرسال أولادهم إلى أماكن غير موبوءة خوفا من انتشار العدوى بينهم، إلا أن ما ذكر عن هجرات بعض أبناء أمراء المماليك أو مماليكهم بعيدا عن القاهرة، لا يتلاءم مع أعداد الأوبئة التى حدثت فى عصر الجراكسة، مما يجعلنا نتساءل. لماذا بقى المماليك داخل مدينة القاهرة ولم يفروا منها وقت الأوبئة على الرغم من الأخطار التى كانت تهددهم عند كل وباء، بل كانت الأوبئة تحصد أعدادا كبيرة منهم ؟ !!

يمكن تفسير ذلك فى ضوء الصراع المستمر بين جماعات المماليك المختلفة، وتخوفهم من زوال ممتلكاتهم أو إعطاء الفرصة لغيرهم للسيطرة عليها، فكل جماعة منهم كانت تتوجس خيفة من غيرها، هذا بالإضافة إلى انعقاد آمال بعضهم على السيطرة على إقطاعات من يتوفى من زملائهم، وفى كلتا الحالتين كان يجب عليهم البقاء بالقاهرة كمركز للقوة السياسية (٢) .

البناء الطبقى :

تخلخل البناء الطبقى بشكل كبير نتيجة لهبوط المستوى الاقتصادى لكثير من الشرائح الاجتماعية، إذ يضطر كثير من الناس إلى بيع ما يملكون لشراء ما يقتاتون به، ومن ثم يدخلون فى عداد المعدمين الذين كانوا يزدادون يوما تلو الآخر مع توالى الأزمات والأوبئة، بينما تضيق دائرة الأثرياء الذين تقل درجة ثرائهم أيضا(٣).

فقد قللت الأزمات الاقتصادية والأوبئة بصورة كبيرة دخل عدد كبير من الإقطاعيين المصرين (٤)، على الرغم من أن ظواهر الأمور تشير إلى ازدياد دخولهم نتيجة لارتفاع أجور الأراضى الزراعية، وقد أشار المقريزى إلى ذلك بعد أزمة ٨٠٦هـ ـ ٨٠٧هـ بأن أرباب الدولة يبدو لهم ولمن لا تأمل عنده ولا معرفة بأحوال الوجود له أن أموال أهل الدولة قد ازدادت بالنسبة إلى ما كانت

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٩٤.

(٢) Ayalon: The Muslim city, P. 319 – 320.

(٣) قاسم : دراسات، ص ١٧١ – ١٧٢، Wolfgang : Ägypten, P. 88.

(٤) Levanoni: Aturning point, P. 135, Lapidus: Muslim cities, P. 36. Shochan : from silver, P. 106. .

قبل هذه المحن، وهذا الظن ليس بصحيح " بل قلّت أموالهم بالنسبة إلى ما كانت عليه أموال أمثالهم من قبل " (١) .

ويتضح صدق ما قرره المقريزى من خلال النظر إلى حجم الهدايا المتبادلة بين أبناء السلطة الحاكمة، ومستوى نفقاتهم وكنوز السلاطين والأمراء، كل ذلك يشير إلى الانخفاض الشديد في دخول المماليك (٢). وبمقارنة المصادرات المفروضة على كبار رجال الدولة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بتلك المفروضة فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر، يقدم لنا دليلاً واضحاً على انخفاض دخولهم (٣)، هذا الانخفاض الكبير في الدخل جعل كثيراً من الأمراء يقدمون على بيع ضياعهم أو التنازل عنها في مقابل الجوامك، وحل محلهم بعض أرباب الحرف (٤).

وتَدَنّى المستوى الاقتصادى لكثير من الأمراء حتى أن بعضهم أصبح شاغله الأول الحصول على الطعام عند الأزمات، ففى عام ٨١٩هـ / ١٤١٦م عندما خلع السلطان " المؤيد" على الأمير قطلوبغا (٥) باستقراره في نيابة الإسكندرية أجابه الأمير " يا مولانا السلطان أنا لا أصلح لذلك وإنما أريد شبع بطنى وبطن عيالى (٦). ولعل ازدياد عدد حالات البيع أكثر من عدد حالات الشراء لدى السلاطين وأسرهم، وكذلك أمراء المماليك دليلا على مدى التدهور الاقتصادى الذى أصاب هذه الفئة، فقد سجلت عدد حالات البيع كما أوردها أحد الباحثين ٣١٤ حالة فى مقابل ٢٤١حالة شراء، أى أنهم يبيعون أكثر مما يشترون (٧) .

كما تردّت أحوال أولاد الناس بدرجة كبيرة، فقد كانت الثروات التى يرثونها عن آبائهم أو الإقطاعات التى كان السلاطين يمنحونها لهم تمكنهم من الحياة المرفهة

---

(١) المقريزى : اغاثة، ص ٧٣

(٢) Lapidus : Muslim cities, P. 36.

(٣) أشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٦.

(٤) محمود إسماعيل : سوسيولوجيا، جـ٣، ص ٤١، ضومط : الدولة المملوكية، ص ١٤٠.

أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٥٩.

(٥) كان قطلوبغا أمير مائة ومقدم ألف، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص٤١.

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٤٢.

(٧) عماد أبوغازى : وثائق البيع، ص٣٤٠.

بحيث يمكن أن نلحقهم بالطبقة الحاكمة [١]، ولكن في ظل الشكوى المتكررة من " انشحات الديوان وخراب البلاد " تعرضوا لقطع جوامكهم وأصبحوا معرضين بين حين وآخر لاختبارات عسكرية " جذب القوس " حتى يحتفظوا بجوامكهم[٢]، أو مطالبتهم ببدل نقدى مما جعلهم يتمنون قطع جوامكهم لأن غالبهم ما يملك عشاءه ولا فرساً يركبه.[٣] وقد اضطر بعض أبناء هذه الطبقة إلى بيع عبيدهم استفادة من سعره، وخوفا من وفاته خاصة إذا كان الوباء منتشرا بينهم كما حدث في عام ٨٤١هـ[٤].

كما تأثر مستوى المعيشة لدى المماليك السلطانية، وانقطعت رواتبهم من اللحوم في بعض الأحيان واستعاضوا عنها بمبالغ مالية هزيلة لا تمكنهم من شرائها، لذا صار غذاؤهم من الفول المسلوق في كثير من الأحيان، [٥] وبصفة عامة فإن أبناء الأسر الحاكمة كانوا أيسر حالاً من بقية الفئات الاجتماعية الأخرى بما يملكون من ثروات [٦] وبما حققه بعضهم من مكاسب وأرباح من خلال كنزهم للحبوب وقت الرخاء وبيعها بأسعار مرتفعة عندما تشتد الأزمات ولكن قل عدد الأغنياء منهم وانخفضت ثرواتهم.

كما أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة أيضا في الطبقة الوسطى، بل أدت إلى ضياعها بعد أن كان يرتجى منها أن تتطور إلى قوة فعالة إيجابية تقود اقتصاد البلاد إلى النمو والازدهار، إذ أن دخل عدد كبير منها أصبح لا يفي بمتطلبات الحياة بعد أن ارتفع التضخم إلى أكثر من تسعة أضعاف بعد أزمة ٨٠٦هـ ـ

---

(١) قاسم : دراسات، ص ٢٣.

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٧٨، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٤.

(٣) قاسم : دراسات، ص ٢٣.

(٤) المقريزى : السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٤٧. الصيرفى : نزهة النفوس، ج٣، ص٤١٨ ..

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢١٤.

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٨٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ٥، ص ٥٧٩ – ٥٨٠، ٦٣٧.

ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥٦٣ – ٥٦٤، الصيرفى : نزهة لنفوس، جـ١، ص ٤٢٧ – ٤٢٨، ٤٧٥ – ٤٧٦ سامى عبدالحليم : الأمير يشبك، ص ٣٨ – ٣٩.
وبالنظر إلى حجج الوقف نجد امتلاك هذه الطبقة لكثير من العقارات والأطيان، انظر على سبيل المثال، حجة ١٠٧، ١٠٩، ١١٠ دار الوثائق .

٨٠٧هـ / ١٤٠٣م ـ ١٤٠٤م ويعرض المقريزى لذلك بقوله : " إنك تجد مثـــلاً الواحد من أهل الطبقة الوسطى معلومه فى الشهر ثلاثمائة درهم حساباً عن كل يوم عشرة دراهم فإنه كان قبل هذه المحن يقضى غذاء ولده وأهله بأربعة دراهـــم ... واليوم لا يتأتى له ذلك إلا بسبعة وثلاثين درهماً " [(١)]، كما تضررت هذه الطبقة من ارتفاع أسعار الملابس وغيرها من السلع [(٢)].

وفى ظل الأزمات الاقتصادية أيضاً كان يقع علـــى كـــاهل هـــذه الطبقـــة وبخاصة التجار العبء الأكبر من الضرائب لكى توازن الدولة بين ضعف إنتاجـــها الزراعى وقلة مواردها من ناحية وبين زيادة الأعباء عليها من ناحية أخرى. كمـــا ابتكر المماليك طرقاً أخرى لابتزاز الأموال من هذه الطبقة عن طريـــق سياســـة " طرح البضائع " التى تمتلكها السلطة الحاكمـــة، أو تصنعـــها، ومصادراتـــهم [(٣)]، والتدخل المباشر فى تحديد قيم استبدال العملة، والتحديد العشوائى لأســـعار الســـلع دون التقيد بسياسة العرض والطلب [(٤)]، ثم كانت الضربة القاضية التـــى عرقلـــت حرية التجارة بصورة عامة وهى احتكار السلطة الحاكمة للتجارة، مما أسفر عـــن تدهور العمود الفقرى للطبقة الوسطى وهم تجار الكارميه الذيـــن كـــانوا يتمتعـــون بوضع اجتماعي مميز [(٥)]، نتيجة لثرائهم الواسع، فقد كان السلاطين يستدينون منـــهم وقت الأزمات [(٦)]، وكان كل تاجر منهم " كالملك فيما بين جند، وأعوان، ومـــماليك، وخدام [(٧)]، كما عبّر هؤلاء عن كيانهم الاجتماعي بتكويـــن طائفـــة خاصـــة بـــهم يختارون لها رئيساً من بينهم يخضع له سائر التجار [(٨)].

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٨٥.

(٢) Lapidus: Muslim cities, P. 31.

(٣) أشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٢، سعيد عاشـــور : أضـــواء جديـــدة علـــى المقريزى، ص ٢٠١.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٣٧، عبد الرحمـــن فـــهمى : المســـكوكات (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا)، ص ٥٤٩.

(٥) Martina Muller – wiener : Eine stadtgeschichte Alexandrias, P. 253 – 254.
Nelly Hanna : An Urban History, p.10-11.

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ١، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦، المقريزى : درر العقود : مـــج ١، ص ٢٠٢ ٢٠٣.
سعيد عاشور : المجتمع المصرى، ص ٣٦، أحمد عبد الحميد : طبقة التجار، ص ٦٦.

(٧) الأسدى : التيسير والاعتبار، ص ٨٤.

(٨) محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية، ص ٩٩.

تبدلت هذه الأحوال، وزالت هذه الفئة الاجتماعية البارزة بعد إصابة نشاطها بالشلل حتى لم يعد لها ذكر عند المؤرخين (١)، ولم تجد السلطة الحاكمة وقت أزماتها من يقرضها، فاستعاضت عن ذلك بسلبهم ونهبهم، ويكفى دليلا على تدهور مستوى فئة التجار أنه عندما اضطر قايتباى لإعداد تجريدة ضد السلطان العثمانى ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م طلب من أعيان التجار مساعدته بأربعين ألف دينار ضجوا من ذلك لعدم قدرتهم على دفع هذا المبلغ كله، وما زال السلطان يخفض عنهم من ذلك القدر إلى أن استقر الحال على دفعهم مبلغ اثنى عشر ألف دينار إذا خرجت التجريدة (٢)، وكان هذا المبلغ يستطيع دفعه واحد فقط من تجار الكارمية الذى أعلن يوما أن مصروفه فى العام بلغ خمسمائة ألف درهم، تقدر بخمسة وعشرين ألف دينار مصرية (٣)

ولما كان المجتمع المصرى مجتمعا زراعيا تتمحور أنشطة سكانه حول الزراعة، فإن التغييرات التى طرأت على نمط الملكية الزراعية أثرت على التركيب الطبقى فى هذا المجتمع، فالأزمات الاقتصادية التى تعرضت لها الدولة، فرضت عليها بيع مساحات كبيرة من أراضى بيت المال، وأصبحت الأرض الزراعية سلعة يمتلكها من يقدر على دفع ثمنها بغض النظر عن انتمائه الطبقى.

ومن خلال وثائق البيع فى العصر المملوكى، أوضح أحد الباحثين أن حالات البيع لأشخاص من أصول غير مملوكية شكلت ما يزيد عن ٢٥% من حالات البيع (٤)، مما يعنى أنه بدأت تظهر على السطح بوادر فئة جديدة من ملاك الأراضى الزراعية لا تنتمى إلى الطبقة الحاكمة التى كانت تستحوذ من قبل على جل الأراضى الزراعية كإقطاعات وماعداها لا يمتلك شيئا (٥)، وكان من الممكن أن تمثل هذه الفئة الجديدة بديلا لتجار الكارمية كقوة اقتصادية نامية لولا ما كانت تقوم به السلطة الحاكمة نتيجة للأزمات وأسباب أخرى من مصادرات لهذه الأملاك، فاتجه معظم هؤلاء الملاك إلى وقف أملاكهم مؤثرين فقدان حرية

---

(١) آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٢.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ٢٤٢.

(٣) المقريزى : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، المجلد الأول، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٢ .، مج١، ص ٢٠٣.

(٤) عماد أبو غازى : وثائق البيع، ص ٣٤١.

(٥) القلقشندى : صبح، جـ٣، ص ٤٥٥. Lapidus : The Grain Economy, P5

التصرف فيها مع العيش من ريعها على حريـــة التصـرف فيـها مـع احتمـال مصادراتها، على أية حال أصبحت الطبقة الوسطى أيضاً أقل غنى مما كانت عليـه فى عهد المماليك البحرية [1] وأصبح الشغل الشاغل لبعضهم أن يكفيه دخلـــه دون الاستدانة [2] .

وكانت طبقة العامة فى مقدمة الطبقات التى عانت من الأزمات الاقتصادية والأوبئة فقد فنى عدد كبير منها جوعاً وبرداً فى وبـــاء ٨٠٦هـــ / ٨٠٧هـــ - ١٤٠٣م / ١٤٠٤م [3]، وطعناً فى كثير من الأوبئة التالية، ومن بقى منهم كان فـى عداد المعدمين الذين لا يكادون يحصلون على قوت يومهم أو يجـدون مـا يسـتر أجسادهم [4]. وازدادت فئة الزعر والحرافيش عدداً بعد أن انضم إليها بعض أرباب الحرف الكاسدة، وكذلك الأعداد المتزايدة من أبناء الريف المصرى، والتى هـاجرت إلى المدن الكبرى المجاورة وبخاصة القاهرة. وتركز الجميع فى الميادين العامــة، وقرب المساجد والأماكن الخيرية بحثاً عن رغيف العيش [5]، وبخاصــة أن عـدداً كبيراً من الأماكن الموقوفة جعلت للفقراء والمساكين نصيباً من ريع الوقف [6]، لـذا ازدادت أعداد الذين كانوا يحصلون على غذائهم من هذه الطبقة من خلال جـهات الوقف المختلفة دون اللجوء إلى مبيعات السوق [7].

وقد قدّر بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا القاهرة فى تلك الفـترة الفئـة المعدمة ما بين ٥٠ ألف ومائة ألف [8] ترى بعضهم ينخل الرمال فى بعض الميـادين

---

(١) Wolfgang: Ä gypten, P. 91.

(٢) المقريزى : إغاثة، ص ٧٤.

(٣) نفس المصدر، ص ٧٥.

(٤) قاسم : دراسات، ص ١٥١.

(٥) أشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١١، قاسم : دراسات، ص ١٧٢.
ضومط : الدولة المملوكية، ص ١٧٨. Poliak : Les Revoltes Populaires, p.268 .

(٦) خصصت بعض جهات الوقت مبالغ محددة لتوزيع الخبز على الفقراء والمســاكين انظر على سبيل المثال حجة ١٨٣، دار الوثائق، حجة ١٨٧ دار الوثـــائق، حجـة ١٨٨ دار الوثائق.

(٧) Lapidus: The Grain Economy, P. 9 .

(٨) سعيد عاشور : - المجتمع المصرى فى عصـــر ســلاطين الممـــاليك، القـــاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص ٣٨ .

العامة يلتمس بعض الفتات المتساقط على الأرض من غيرهم[1]، وآخرين يهيمون في الطرقات ما بين متسول يلاحق المارة ويلحّ في الطلب[2]، وسارق ينهب ما تقع عليه يديه [3]، أو مشارك في كل فتنة لنهب بيت أمير مهزوم[4].

ولقد اضطر بعض المعدمين من أبناء المجتمع المصرى إلى بيع أبنائهم أثناء هذه الأزمات بأبخس الأثمان لعدم القدرة على إعالتهم، وسداً لجوعهم، وتأميناً لرزق الأطفال المباعين [5]، وبذلك تتحول أعداد كبيرة من حياة الحرية إلى حياة الرق والذل " فاسترق منهم بالقاهرة خلائق، ونقل الناس منهم إلى البلاد مالاً يُعد فبيعوا في أقطار الأرض، كما يباع السبى، ووطئ الجوارى بملك اليمين " [6].

وفى اتجاه معاكس، ولكن بدرجة اقل يقوم البعض ــ وبخاصة وقت الأوبئة ــ بتحرير عبيده تقرباً إلى الله حتى اعتبر ابن حجر ذلك من فوائد الطاعون[7].

أما أرباب الجوامك من الفقهاء وطلاب العلم الذين رزقهم على الأوقاف والمرتبات السلطانية فقد تدهورت أحوالهم بصورة ملحوظة لخراب الموقوف عليهم وبيعه، واستيلاء أهل الدولة على الأراضى عند الأزمات[8]، وتعرضهم لقطع رواتبهم عندما تقل موارد الدولة أو لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها [9]. فهم

---

(١) رحلة طافور، ص ٦٩.

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠١.

(٣) طرخان : النظم الإقطاعية، ص ٤٩٥.

(٤) ضومط : الدولة المملوكية، ص ٩٣.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٤١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٢٤.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢٣، ص ٦٩٧.

Poliak : Les Revoltes Populaires, p272.

(٧) بذل الماعون، ورقة ١٢٧. ومن أمثلة ذلك أن الزينى سرور بن عبد الله جرباش الأتابكى أثناء انتشار وباء ٨٧٣هـ، قام بعتق كل الأرقاء الذين عنده في رمضان من نفس العام. عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية، وثائق من عصر الغورى، ص٣٨. محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة، ص٤٠، رقم الوثيقة ٢٥/١٦٣ .

(٨) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٩٦.

(٩) الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٢٨٥، ٢٩٠، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص١٥٦، جـ٣، ص ٢٠، ٢٢.

على حد قول المقريزى ما بين ميت أو مشتهى الموت لسوء ما حل بهم [١]، فكانت هذه الفئة من أسوأ الناس حالاً، وأكثر معاناة من بقية الفئات الأخرى [٢] وبالتالى فإن هذه الفئة هبطت إلى مستوى أدنى اقتصادياً واجتماعياً عما كانت عليه فى عصر المماليك البحرية، وفاقها بعض أرباب الحرف والصناعات ممن أثْرُوا فى ظل الأزمات وأصبحوا فى مأمن من تقلّب الأسعار وتغيّر الأحوال.

مما سبق يتضح تخلخل البناء الطبقى وتأثره بالأزمات والأوبئة التى خلقت حراكاً اجتماعياً معظمه هابط وبعضه صاعد، فكثير من عبارات المؤرخين تؤكد افتقار أعداد كبيرة من الأغنياء بسبب الأزمات على طول العصر، فالمقريزى بعد أزمة ٨٠٦هـ / ٨٠٧هـ - ١٤٠٣م / ١٤٠٤م يؤكد ظهور الحاجة والمسكنة على الجمهور [٣] وفى عصر برسباى شمل الخراب بلاد مصر"وقلت الأموال بها وافتقر الناس [٤] ويصف السخاوى مدى ازدياد الحراك الاجتماعى الهابط فى المجتمع المصرى فى أزمة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م بقوله " تضعضع حال كثير من الأغنياء، وانكشف حال أكثر المستورين حتى زاد السؤال فى الطرقات " [٥] أو أدت هذه الأزمة إلى " كثرة الفقراء والمساكين ممن افتقر فى هذه السنين، بل تمفقر خلائق كثيرة ممن ليس له مروءة " [٦] للحصول على الصدقات، ولقد عبر الشاعر شمس الدين النواجى فى هذا العام ٨٥٤هـ عن هذا الحراك الاجتماعى الواسع فى المجتمع الذى تحول فيه الأغنياء إلى فقراء، والفقراء إلى معدمين فيقول به

الأغنياء يشكون فقرا وفاقة ... فكيف بمن أمسى معيلا ومعولا[٧]

وفى أزمة ٨٧٣هـ ولعظم الغلاء " افتقر خلائق من الأعيان وغيرهم لطول مكث هذا الغلاء بالديار المصرية. [٨] وعندما بلغت الأزمة قمتها وبلغت

---

(١) المقريزى : إغاثة، ص ٥٧.

(٢) Ayalon : The Muslim city, P. 328 Lapidus : Muslim cities, P.31

(٣) المقريزى : إغاثة، ص ٨٥.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣، ص ٩.

(٥) السخاوى : التبر المسبوك، ص٣١٣.

(٦) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٠٥ : ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٣٦.

(٧) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج ٨، ص٣٦٢.

(٨) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٧١٢.

أسعار أردب القمح سبعة دنانير شرفية فى عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م [١] يجسد ابن الصيرفى هذا الحراك الهابط بقوله :

" أما الناس فصاروا ثلاثة أثلاث : الغنى افتقر، والمتكسب ما يفى بنفقته، والفقير فبعد أن كان يسأل فى الرغيف، صار يطلب لقمة أو لبابة"[٢]، ويبدو أن أحوال مصر أصبحت تسير من سيئ إلى أسوأ حتى عبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله :

ما إن وصلت إلى زمان آخر   إلا بكيت على الزمان الأول[٣]

وكما حدث حراك اجتماعى هابط، ظهر فى اتجاه معاكس ـ ولكن بصورة أقل ـ حراك اجتماعى صاعد لبعض الشرائح البسيطة بعضه فى داخل الطبقة الواحدة، أى أن بعض الأفراد انتقلوا من قاع الطبقة إلى قمتها، وهؤلاء الذين خدمتهم حرفتهم، أو الظروف الطبيعية.

فعلى الرغم من هلاك معظم الفلاحين فى أزمة ٨٠٦هـ / ٨٠٧هـ - ١٤٠٣م / ١٤٠٤م إلا أن بعضهم وبخاصة من أهل الشرقية والغربية كثرت أموالهم بعدما ارتوت أراضيهم فى سنى المحن فنالوا من زراعتها أموالا جزيلة ومنهم " من عظمت ثروته، وفخمت نعمته، ونال أكثر مما كان يأمله " [٤].

أما أرباب المهن والأجراء والحاكة والبناة، وكذلك العاملون فى مجال الطب والعطارة والسحر، وإعداد الموتى، فكل هؤلاء استفادوا من وظائفهم حيث تضاعفت أجورهم وتمتعوا برخاء نسبى وقت الأزمات [٥]. ولم يقتصر الأمر على الحراك الاجتماعى الصاعد داخل نفس الطبقة، وإنما تخطاه إلى انتقال بعض الأفراد اقتصاديا واجتماعيا إلى طبقة أعلى، ففى أثناء بعض الأزمات الاقتصادية اضطر بعض الأجناد إلى بيع إقطاعاتهم للقادرين على الشراء من أرباب الحرف المختلفة كالصناع الذين ركبوا الخيول، ولبسوا الكلفتات وتشبهوا بالأمراء.

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٤٧.

(٢) قاسم : دراسات، ص ١٧٣ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٥، ص١١٠ .

(٤) المقريزى : إغاثة، ص ٧٤- ٧٥، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٢٦. ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٠

(٥) Dols: The black death, P. 270.

أهم مظاهر الحياة الاجتماعية :

أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة على كثير من الاحتفالات التي كان يقيمها المصريون في مناسبات مختلفة، فقد ألغيت بعض الاحتفالات، واختفى كثير من مظاهر البهجة والسرور التي كانت تصاحب الاحتفالات الأخرى، وحلّ محلها الكآبة والحزن، ولعل أكثر الاحتفالات تأثراً بالأزمات والأوبئة تلك الاحتفالات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنهر النيل لتوقف حياة المصريين على هذا النهر [1] الذي يعد أحد العوامل الرئيسية في حدوث الأزمات أو عدم حدوثها.

ومن هذه الاحتفالات : **الاحتفال بوفاء النيل.**

على الرغم من أن حد الوفاء في عصر الجراكسة ارتفع إلى ما يقرب من ثمانية عشر ذراعاً إلا أن الاحتفال بوفاء النيل أصبح مسألة تراثية لا علاقة لها بالواقع، إذ ظل المصريون في عصر الجراكسة يقيمون هذا الاحتفال عندما يبلغ نهر النيل ستة عشر ذراعاً، وهو الحد الذي كان كافياً لري الأراضي المصرية في الماضي [2]، ولذا فإن السنوات التي لم يصل فيها النهر إلى هذا الحد لم يتم الاحتفال فيها بوفاء النيل.

ففي عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م، لم يصل النيل إلى حد الوفاء، وتم فتح الخليج – بدون احتفالات – وقد بقي من الوفاء أربعة أصابع[3] وعاني الناس من جراء ذلك الكثير، لذا عندما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً في عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م خلّق[4] السلطان بنفسه المقياس، وفتح الخليج[5]، دون أن يَسْمح الحاجب للمتنزهين من دخول بركة الرطلي[6]، فقطع لذة الناس من الفرجة في تلك السنة[7] بعد

---

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصري، ص ١٩٧– ١٩٨.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى، جـ٨، ص ٣٢٩، المقريزي : الخطط، جـ١، ص ٦١، ٤٧٦.

(٣) المقريزي : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١٥، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٨١.

(٤) تخليق المقياس أي طِلاؤه بالخلوق وهو نوع من العطور، محمود رزق : عصر سلاطين المماليك، مج ٧، ص ١٤٩.

(٥) المقريزي : السلوك، ج٣، ق٣، ص ١١٣٠.

(٦) هذه البركة من جملة أرض الطبالة، وكان في شرق هذه البركة زاوية بها نخل كثير، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التي تزن بها الباعة فسماها الناس نسبة لصانع الأرطال، المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ١٦٢.

(٧) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٩٤.

أن كان فى هذا الاحتفال يركب السلطان فى الحرّاقة الذهبية، وبقية الحراريق تسير معه وكلها مزدانة، كما كانت العادة فى تلك الأيام عند وفاء النيل (١).

وجاء احتفال عام ٨٣٠هـ / ١٤٢٦ م باهتاً لتوقف النيل عن الزيادة ؛ فأصدر السلطان أوامره بعدم تزيين الحرراريق فى هذه السنة، وعدم اجتماع الناس بشاطئ النيل لانتظار الوفاء، فانكف الناس عن منكرات قبيحة كانت تحدث فى مثل هذه الاحتفالات (٢) .

وفى بعض الأحيان يأتى الاحتفال بوفاء النيل زائداً عن الحد وبخاصة عندما يعقب سنوات الشراقى ؛ فعندما وفىّ النيل فى ذى القعدة ٨٣٣هـ / ١٤٢٨ م بعدما كثر الشراقى فىغالب البلاد لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه فى السنوات من ٨٣١هـ إلى ٨٣٣هـ / ١٤٢٧ ــ ١٤٢٨م (٣)، نجد أن السلطان برسباى ركب بنفسه ــ ولأول مرة منذ أن تسلطن ــ وخلّق المقياس، وفتح الخليج (٤).

وكانت صورة الاحتفال بوفاء النيل أشد قتامة وظلاماً فى سنة " الشراقى العظيم " ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م من أى سنة مضت، فعندما لم يصل النهر حد الوفاء، اتفق السلطان وأرباب الدولة على فتح خليج السد من غير تخليق المقياس، فنزل الوالى ومعه جماعة من الناس إلى سد الخليج وفتحه فمشى الماء مشياً هيناً وسط بكاء الناس وعويلهم (٥) لسوء ما سيحل بهم من غلاء، وتبدلت الصورة عندما بلغ النيل حدّ الوفاء فى العام التالى إذ تزايدت الأفراح والابتهاجات بالوفاء، وكان يوماً مشهوداً (٦).

وفى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م توقف النيل فى أوائل الزيادة، فاضطربت أحوال الناس ثم زاد واستمر فى زيادته حتى بلغ حد الوفاء (٧)، وهنا خرج آلاف

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٨٦.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٤٨-٧٤٩.

(٣) المقريزى : المصدر السابق، ص ٧٦٤، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٢، ١٢٥ – ١٢٦.

ابن اياس : نشق الأزهار، ورقة ١٨٥.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٣٤.

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩٢ – ٩٣، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٢٥.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٩١.

(٧) نفس المصدر، ص ٢٩٥.

الناس مع أهل الدولة المعنيين بفتح السد، ومن شدة الفرح وازدحام الناس على السد انهار بمن كان واقفاً عليه ومات منهم أكثر من عشرين فرداً [١].

ولقد أثرت الأوبئة أيضاً فى الاحتفال بوفاء النيل، وبخاصة إذا ما تزامن وقت الاحتفال بوقت انتشار الوباء، فكان لانتشار الوباء فى عام ٨٤٨هـ - ١٤٤٤م أثره فى عدم إضفاء البهجة والفرحة كما هى العادة فى الاحتفال بوفاء النيل، إذ جاءت هذه الاحتفالات عقيب انتهاء الطاعون [٢]، وما خلّفه من حزن على معظم بيوتات القاهرة، لما فقدته من أبنائها أو أهلها.

وجدير بالذكر أن تأثر الناس بمنسوب النيل ارتفاعاً وانخفاضاً - فرض على السلطة الحاكمة اتخاذ سياسة محددة، بحيث لا يُعلن عن انخفاض المنسوب وإنما يُعلن عند الزيادة فقط لمنع البلبلة والذعر بين الناس [٣]، ولكن يبدو أن بعض قرّاء المقياس - تخفيفاً من حدة التوتر بين الناس - بالغ فى قراءة المقياس فاستراب بعض الناس الأمر وتوجهوا نحوه فشاهدوه أقل مما ذُكر، فأمر السلطان جقمق ٨٤٢هـ ـ ٨٥٧هـ/١٤٣٩م- ١٤٥٣م بعدم المبالغة فى قراءة المقياس حتى لا تضطرب العامة[٤]

ويبدو أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة واضحاً أيضاً على **الاحتفال بعيد النيروز**[٥] ؛ فعلى الرغم من أن السلطان فرج بن برقوق قد أعاد هذا الاحتفال بعد أن أبطله والده إلا أن مظاهره تواضعت إلى حد كبير" إذ لم يبق للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك، ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله" [٦]

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٨٧.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص٢٤٢.

(٣) محمد عبدالستار : - المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، ع ١٢٨، الكويت، ١٩٨٨ .، ص ٢١٧.

(٤) جرجس فام : السلطان جقمق، ص ٤١.

(٥) النوروز من أشهر الأعياد الفارسية، وهو يعد بمثابة الاحتفال برأس السنة، فكان القبط يحتفلون به فى أول شهر توت، ويحتفل به المصريون إكراما لنهر النيل ابن مماتى : قوانين الدواوين، ص٢٣٥، قاسم عبده قاسم : دراسات، ص١١٠.

(٦) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٢٦٨، قاسم :دراسات، ص ١١١.

ولم يكن تأثير الأزمات الاقتصادية والأوبئة جد كبير في إقامة بعض الاحتفالات الدينية ذات الصبغة الشعبية وبخاصة **الاحتفال بالمولد النبوى**، إذ لم يثبت إلغاء هذا الاحتفال وقت انتشار الأوبئة، وذلك لأنهم يعتبرون إقامته تقرباً إلى الله ورسوله، حيث يُقرأ فيه القرآن، وتمد فيه الأسمطة، وينال الفقراء نصيبهم من الطعام والأموال (١).

فعلى الرغم من انتشار الأوبئة فى الأعوام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م، ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م، ٨٥٦هـ / ١٤٥٢، ٨٧٣هـ /١٤٦٨ م، ٩١٩هـ / ١٥١٣ م فى نفس الوقت الذى كان يُقام فيه الاحتفال بالمولد النبوى (٢)، إلا أن هذه الاحتفالات أقيمت على العادة (٣)، بل جاء الاحتفال بالمولد النبوى عام ٨٥٥هـ حافلاً جداً على حد قول ابن إياس (٤)، وبينما استطاع السلطان الأشرف قانصوه الغورى إبطال مولد أحمد البدوى فى أواخر ربيع الأول ٩١٩هـ / يونيه ١٥١٣م بسبب ثورات العربان وانتشار الطاعون فى القاهرة، (٥) إلا أنه أقام المولد النبوى على العادة، ويبدو أنه كان أقل بهجة وسروراً لكثرة ما تُوفى من الناس (٦).

ويمكن القول أن تأثير الفتن والنزاعات الداخلية على إقامة المولد النبوى كانت أكثر من تأثير الأزمات والأوبئة، إذ أن عبث المماليك فى ربيع الأول ٨٤٧ هـ / يوليه ١٤٤٣م جعل الاحتفال بالمولد النبوى مختصراً، فانحط عدد القراء والوعاظ إلى الثلث، وانفضّ الاحتفال مبكراً خوفاً من عبثهم (٧)، وجاء الاحتفال فى ربيع الأول ٨٧٢هـ / أكتوبر ١٤٦٧م غير حافل على غير العادة نتيجة لكثرة الاضطرابات الداخلية (٨) .

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ١٣، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٥، ص ٥٧٤ - ٥٧٦.

(٢) انظر جدول ٢٣.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٤٩٤، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٨٥، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٨٠.

(٤) بدائع، جـ٢، ص ٢٩٠.

(٥) نفس المصدر، جـ٤، ص ٣٠٩.

(٦) نفس المصدر، ص ٣٠٦.

(٧) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٦٥.

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

كما انعكست آثار الأزمات الاقتصادية والأوبئة على الاحتفالات التي ترتبط بموسم الحج مثل " **دوران المحمل** " و " **مسايرة أمير حاج المحمل** "، ففي الاحتفال بدوران المحمل كانت كسوة الكعبة الشريفة توضع على جمل فوق هيكل هرمي، وذلك بقصد عرضها على أنظار الناس لحثهم على الحج (١)، وفي هذه المناسبة كانت تتم زينة الأسواق بالقماش من الحرير، وكان يتم استخدام البشخانات والمساند الحرير أيضاً (٢)، وكان يتم ذلك عادة في ١٥ رجب من كل عام (٣). إلا أن موت المماليك الرمّاحة – الذين يلعبون بالرمح من على ظهور الخيل أمام المحمل – في وباء ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م أجّل الاحتفال بدوران المحمل من ١٥ رجب إلى ٨ شعبان ٨٣٣هـ، حتى يتمكن معلمو الرمح من تعليم من بقي من المماليك اللعب بالرمح، كما قلّ إقبال المتفرجين لكثرة وَجْد الناس على موتاهم. (٤) وعندما ازدادت الوفيات بين المماليك في وباء ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م، أبطل السلطان الرمّاحة (٥)، وسار دوران المحمل بدونهم.

ويبدو في مثل هذه الظروف الاقتصادية السيئة، وكثرة حزن الناس على موتاهم أن تقل البهجة، ويقل مستوى الاحتفال، فبعد أن كان يُستخدم الحرير في الزينة أو المساند، أصبح يستبدل في بعض الأحيان بالكتان الرفيع أو القطن (٦).

ولم يعد هذا الاحتفال بصورته المعهودة إلا في رجب ٩٠٩هـ / يناير ١٥٠٤م، عندما أمر السلطان بتزيين القاهرة لدوران المَحمل، ولبس الرماحة الأحمر، وخرجت أعداد غفيرة لمشاهدته بعد أن كان نُسِيَ أمره، وصنّف العوام رقصة وهم يقولون :

بيع اللحاف والطرّاحة	حتى أرى ذي الرماحة
بيع لي لحافي ذي المخمل	حتى أرى شكل المحمل (٧)

---

(١) عبد المنعم ماجد : طومان باى، ص ٥١.
(٢) ابن الحاج : المدخل، جـ١، ص ٢٧٣.
(٣) الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ١٩٤.
(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٣١، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ١٩٤، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٥ .
(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٤٢.
(٦) ابن الحاج : المدخل، جـ١، ص ٢٧٣.
(٧) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٦١.

وعندما ساءت الظروف الاقتصادية والسياسية فى عهد طومان باى تم إلغاء الاحتفال التقليدى بدوران المحمل، واكتفى بإرسال كسوة الكعبة فى البحر، ومعها صرر المال لأهل مكة، على الرغم من عدم وفرة الأموال بسبب الحرب مع العثمانيين وقلة الحجاج (١)، مما يعنى عدم تأثر " كسوة الكعبة " و " صرة الحرمين " بهذه الأزمات.

وتأثرت " مسايرة أمير حاج المحمل " بالأزمات الاقتصادية، ومدى قدرة الأفراد على أداء فريضة الحج، ففى أزمة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، عندما حل الغلاء، وارتفعت الأسعار أثر ذلك فى أعداد القادرين على أداء فريضة الحج، ولذا أبطل أمير الحاج المسايرة التى جرت العوائد السالفة بها " لما ألمّ بالناس من الغلاء المفرط والأنكاد المترادفة " (٢) وألغيت الاحتفالات التى كانت تتم بهذه المناسبة حيث كان يخرج الناس لرؤية الحجاج وتوديعهم حتى " بركة الحجاج " (٣).

وتلاشت مظاهر **الاحتفال بشهر رمضان** وقت الأزمات، فبعد أن كانت الشوارع تزدان بالأنوار والمشاعل والفوانيس المختلفة الأشكال والألوان، وتشترى الشموع الضخمة برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح تلاشى ذلك وقت الأزمات " لفقر الناس وعجزهم " (٤).

وأفقدت الأوبئة بعض الأعياد بهجتها لكثرة ما خلّفته من ضحايا حتى قرر بعض المؤرخين فى عيد الفطر ٨٤١هـ/١٤٣٨م أنه لم يدرك طوال عمره عيداً كان أنكد على الناس من هذا العيد (٥)، وفقد موكب الوزير فى يوم عيد الفطر أهميته، فبعد أن كان ينزل من القلعة وأمامه الأوجاقية(٦) بالملابس الملونة، وكذلك

---

(١) عبدالمنعم ماجد : طومان باى، ص ٢٥١ – ٥٢.

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩٥، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٢٤، ٣٥٣.
ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٣٠.

(٣) بركة الحجاج : فى الجهة البحرية من القاهرة، عرفت بهذا الاسم من أجل نزول حجاج البرّ بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم، المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٦٣.

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٩٦.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٥، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٤٠٧.
ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٨٣.

(٦) الأوجاقية، مفردها أوجاقى، وهى فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للرياضة. سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٤١٦.

أمامه مبخرة السلطان بالبخور، ويستمر فى هذا الموكب الحافل حتى يصل إلى داره. صار إذا نزل الوزير من القلعة فى يوم العيد لم يشعر به أحد من الناس (١).

وكان لتدهور صناعة السكر والحلوى أثرهما الكبير فى أن بعض الأعياد جاءت خالية من الحلوى التى كان يتبارى صنّاعها فى تعدد أنواعها وعرضها من نصف شهر رمضان، كما حدث فى موسم سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م (٢).

كما تتأثر الاحتفالات **بعيد الأضحى** عندما ترتفع الأسعار بصفة عامة، واللحوم بصفة خاصة، إذ لم يستطع كثير من الأمراء شراء الأضاحى وتوزيعها على الناس فى أزمة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، وعندما تعاور على الناس الغلاء والوباء فى عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م قطع السلطان أضحية الناس، ولم يوزّع أحد من الأمراء شيئاً اقتداء بالسلطان فكان هذا العيد أشبه بالمآتم لما ألمّ بالناس من الحزن والكآبة وقبض الخاطر (٣)، وكثيراً ما كان يعجز الأثرياء عن شراء الأضحية لارتفاع أسعارها (٤)، فتقل بهجة العيد لقلة المستفيدين من ذلك.

ولم يكن تواضع مظاهر الاحتفال بالأعياد الدينية مقصوراً على المسلمين فقط، بل تواضعت أيضاً مظاهر الاحتفال بأعياد المسيحيين بسبب عدم إقبال الناس على شراء الشموع بعد تدهور الأحوال الاقتصادية فى منتصف القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى (٥).

كما أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى **احتفالات الزواج**، إذ فى مثل هذه الظروف تقل هذه الحفلات إن لم تنعدم وبخاصة بين أبناء طبقة العامة لضعف قدراتهم الاقتصادية من ناحية، وتوالى أحزانهم على وفياتهم – أثناء الأوبئة من ناحية أخرى، ويبدو أثر الأزمات الاقتصادية واضحاً فى انخفاض قيمة المهور فى عصر الجراكسة سواء فى الطبقة الحاكمة أو غير الحاكمة (٦).

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٠٤.
(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٠.
(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٨٥، ٦٨٧، ٧٠٦.
(٤) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٧، جـ٤، ص ٢٩٥، ٣٥٥.
(٥) قاسم : دراسات، ص ١١٤.
(٦) فايزة محمود : جهاز العروس فى مصر فى عصر السلاطين المماليك، دكتوراه، ١٩٨٨، ص ٣٩٤ .

ففى ذى الحجة ٧٩١هـ / نوفمبر ١٣٨٩ م لم يبلغ صداق منطاش عندما عقد قرانه على بنت الأمير أحمد ابن السلطان حسن أكثر من ألف دينار وعشرين ألف درهم، ولعل الأزمة المالية التى كان يعانيها نتيجة استعداده لقتال برقوق واقتراضه الأموال من أمناء الحكم بالقاهرة ومصر والحسينية كان سببا فى انخفاض هذا الصداق (١).

وكان جملة الصداق الذى دفعه السلطان الظاهر برقوق فى ربيع الآخر ٧٩٦هـ / فبراير ١٣٩٤ م عندما عقد على الخاتون تندى بنت حسين بن أويس كانت ثلاثة آلاف دينار فقط وذلك لاقتراضه الأموال من تجار الكارمية فى هذا الشهر حلا لأزمته المالية (٢)، وتراوحت مهور بعض أبناء رجال الدين والتجار ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ دينار (٣).

ولقد أفاض المؤرخون فى وصف جهاز بعض العرائس من أبناء الطبقة الحاكمة فى عصر الجراكسة، وكثرة ما به من الأثاث والجواهر والقماش وما أقيم من الولائم والأفراح بهذه المناسبات (٤)، إلا أن ذلك لا يقارن بما كان عليه الحال فى عصر المماليك البحرية (٥).

وعلى الرغم من ذلك فهناك بعض المظاهر الاحتفالية التى تمت وقت الأزمات والأوبئة مما يعد تحديا لمشاعر المصريين فى مثل هذه الأوقات، وعلى حد قول أحد المعاصرين (أن أهل الرفاهية والترف فى توسعهم وما عندهم باعث من حال الفقراء) (٦) فعلى الرغم من انتشار الوباء والغلاء فى عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م زينت القاهرة سبعة أيام لمولد ابن للسلطان، وصرف فى ذلك أموال طائلة(٧).

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٦٧٩- ٦٨٠.
(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٣٨٣.
(٣) فايزة محمود : جهاز العروس، ص ٣٩٥.
(٤) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٣٥٠، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥١٤، جـ٤، ق١، ص ٤٣٤.
الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٩٤، ٢٥٥، جـ٢، ص ٢٦٣.
ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٣٩، جـ٣، ص ٢٤٢.
(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٥.
(٦) مجهول : كتاب فى التاريخ من ٨٧٣ـ٩٠٤هـ، ورقة ٧١.
(٧) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ١٨٦.

ولم يؤثر ارتفاع الأسعار الشديد فى عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م فـــى تجـهيز السلطان لا بنته، فجاء بجهازها من الأقمشة والبشاخين المزركشة والشــراريب [١] المكللة باللؤلؤ وأنواع الفراء وأوانى البللور والتحف وغير ذلك ما يفوق الوصـــف، وقد يبدو أثر الأزمة الوحيد فى هذا الجهاز أنه لم يُحْمل على رؤوس الحمّالين علـى العادة بل أخرج من الحواصل [٢]، وقد يكون ذلك خوفاً من أن تتخطفه الناس أكـثر من مراعاة شعورهم .

والسلطان قايتباى الذى أعلن سنة ٨٩٤هـــ / ١٤٨٨م نفاد ما فى الخزائــن من أموال يقيم حفلاً بمناسبة ختان ابنـــه فى رجب ٨٩٥هـ / مايو ١٤٩٠م استمر سبعة أيام متوالية، اجتمع فيه سائر المغانى، ورسم السلطان بتزيين القاهرة، ونــثر على رأسه خفائف الذهب والفضة، وقد جمع المزيّن نحو خمسة آلاف دينار، أنعـم عليه السلطان منها بألف دينار [٣].

دفـــن الموتـــى

صحبت عمليات دفن الموتى بعض المظاهر الاجتماعية التى اعتاد النـاس عليها دون سند شرعي – بحيث لوتركها أحد من الناس لكثر فيه القيل والقـــال [٤]، وكانت هذه المظاهر تستمر منذ وفاة الإنسان وحتى بعد وفاته ببضع ليال .

فأهل الميت كانوا يأتون بجماعة من الناس يسمونهم الدكارين[٥] والمكبرين ويقصد بالدكارين الفقراء الذاكرين الذين يذكرون أمام الجنازة جماعة على صــوت واحد وبطرق مختلفة، وكل طائفة لها طريقة فى الذكر وعادة تختص بها، فيقولـون هذه طريقة المسلمية مثلا، وهذه طريقة كذا، كما جرت عادتهم فى اختلافـــهم فــى

---

(١) الشراريب هى ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بـــالطربوش وغـيره ويتدلـى الآخر. فايزة محمود : جهاز العروس، ص ٤٢١.

(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٠٢.

(٣) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

(٤) ابن الحاج : المدخل، جـ٣، ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٥) الدكارين : الدّكر بتشديد الدال، جمع ذِكْرة، أدغمت اللام فـــى الـذال فجعلتـا دالاً مشددة، فإذا قلت دكرٌ بغير ألف ولام التعريف قلت ذكر بالذال وقوله تعالى : فـهل من مدكر فإن القراء قال : قلت لعبد الله فهل من مذكر ومدكر فقال : أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر بالدال ابن منظور : لسان العرب، مادة "دكر"

الأحزاب التى يقرؤونها فيقولون هذه أحزاب الزاوية الفلانية، وهذا حزب الرباط الفلانى، كل واحد لا يشبه الآخر غالباً (١).

كما كان يحدث عند الموت أيضا تكبير المؤذنين مع الجنازة فيجتمع بسببهم مع القراء والفقراء الذاكرين والمريدين المتصوفة ومن يتابعهم فى فعلهم جمع كبير (٢)، وخلف كل ذلك تخرج النائحات والندابات يضربن بالطارات والدفوف، وما يصاحب ذلك من لطم الخد وشق الجيب، والنواح بأقوال مختلفة (٣) .

هذه المظاهر تغير بعضها وبخاصة فى أوقات الأوبئة، فالسلطة الحاكمة تحاول من جانبهاعند انتشار الأوبئة الالتزام ببعض تعاليم الدين تنفيذا لمشورة أهل الدين من العلماء والمشايخ ولذا فقد كانت تصدر المراسيم السلطانية بمنع بعض المظاهر اللادينية التى كانت تصاحب عمليات الدفن كمنع النساء من النياحة على الأموات (٤)ومنع الدكارين والمكبرين على الجنائز (٥).

وفى أثناء انتشار الوباء فى رمضان ٩١٠هـ/ فبراير ١٥٠٥م أصدر السلطان أوامره بأن لا يعمل عزاء بطارات، ولا نائحة تنوح على ميت، وتم تجريس إحداهن على حمار والطارات معلقة فى عنقها ووجهها ملطخ بالسواد، فلما حدث ذلك توقفت النساء عن فعل ذلك، كما منعت النساء من العزاء ليلاً (٦)، بل وفى بعض الأحيان منعت النساء من الخروج إلى المقابر، بعد أن تزايدت أعداد اللاتى يذهبن إلى المقابر فى أيام الجمع، ويقمن بها المآتم والعزاء (٧) بل ازداد التضييق عليهن عندما منعت إحدى الأمهات من الخروج خلف جنازة ولدها مما دفعها إلى الانتحار بإلقاء نفسها من أعلى منزلها (٨) .

---

(١) ابن الحاج : المدخل، جـ٣، ص ٢٥٠ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) سعيد عاشور : المجتمع، ص ١٠٨ .
(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ٤٨٦ .
(٥) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٢٥ .
(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٧٦ .
(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٥٩٤ .
(٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٩٨، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٨ .

وفي ظل الأزمات الاقتصادية وتدهور المستوى الاقتصادى لمعظم فئات المجتمع المصرى، وكثرة أعداد الوفيات أثناء الأوبئة، فإنه من المتوقع أن يقل عدد القادرين على حمل كفارة أو عشاء القبر (١) أمام جنازة المتوفى، بالإضافة إلى نهبها - إذا حدثت - من قبل الفقراء والمساكين الذين يبحثون عن سد رمقهم

وفى أثناء الأوبئة يتوقع كل فرد أن الموت يلاحقه، ولذا خشى البعض أثناء وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م من الوفاة فى الطريق أو بعيدا عن محل إقامته، فبدأ الناس يكتبون على رؤوسهم أوراقا بأسمائهم وشهرتهم واسم حاراتهم وسكنهم حتى إذا ماتوا فى الطرقات يعرف أمرهم (٢) .

والبعض الآخر تخوف من انتشار العدوى، فتجنبوا حضور الجنائز (٣)، وكان ذلك مثار انتقاد من ابن حجر لأمثال هؤلاء على اعتبار أن الجنائز ترقق القلب، وتستجلب الدمع، وتؤثر الخشية، وتورث الخشوع، بالإضافة إلى رفضه فكرة العدوى(٤).

ونتيجة لكثرة أعداد الوفيات كانت تصف النعوش فى المصلات على بعضها وقت الصلاة، كما كانت تحدث أخطاء فى جثث الموتى، فقد يحمل بعض الناس متوفى غير متوفاهم، ويحدث هرج ومرج فى مثل هذه الحالات (٥). وصارت الجنائز تمر فى الشوارع والطرقات كالقطارات متواصلة بعضها فى إثر بعض(٦)، ولم يستطع الحفارون حفر المزيد من المقابر، لذا فإنه لم يكن لكل ميت حفرة مستقلة أو قبر مستقل، بل أصبحت تعمل حفائر كبيرة يدفن بها الأموات بشكل جماعى (٧)، وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الموتى (٨) .

---

(١) الكفارة أو عشاء القبر عبارة عن أقفاص بها لحوم، وخبز وفواكه تفرق كصدقة عند المقابر بعد دفن المتوفى
ابن الحاج : المدخل، جـ٣،، ص ٢٦٦- ٢٦٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٣٦.

(٣) الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٣٧٤ .

(٤) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٦٠.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٤١ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٨، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٥٩، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٣ .

(٧) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٣، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ١٢٨ .

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٨، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٩ .

وعلى العكس من هذا المظهر فإنه فى بعض الأحيان كانت توابيت بعض المتوفين تزين بالورد مثلما حدث فى وباء ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩- ١٤٦٠م إذ كان الورد كثيراً فى تلك الأيام وصار الناس يعملون فوق النعوش قواصر من جريد ويضعون فيها الورد (١) .

وأحيانا أخرى تزين نعوش الفتيات اللاتى كن مقبلن على الزواج بشربوش الحلى مع الطرحات، ويضعون عصافير الحلى فى أرجل النعوش فعد ذلك من النوادر (٢) .

ولم تكن رسوم بلاط المماليك بمعزل عن التأثر بالأزمات الاقتصادية والأوبئة فثراء مصر فى عهد المماليك البحرية كان سببا فى ظهور رسوم بلاط المماليك وطبعها بطابع خاص من الأناقة والبذخ (٣)، إلا أن الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى عصر الجراكسة أثرت فى بعض هذه الرسوم.

فقد كان السلطان المملوكى يخرج فى كل سنة من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصرى ومعه أهل الدولة من الأمراء والكتاب ويسير إلى السرحة بناحية سرياقوس، وإذا كان السلطان برقوق انقطع عن الركوب لهذا الميدان عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧ م لتحرك المماليك عليه، فإن الناصر فرج لم يفعل ذلك " لتواتر الغلوات والمحن " فخرب الميدان (٤)، وعندما توقف نهر النيل عن الزيادة ٨٥٥هـ /١٤٥١م أبطل السلطان نوبة خاتون التى كانت تدور بعد العشاء بالقلعة (٥) .

وأصبح " موكب الإيوان " بعد أن كان يقام الاثنين والخميس من كل أسبوع أصبح لا يقام " إلا عند حضور القصاد من الملوك الضخام " (٦)، وخرج السلطان قايتباى عن المألوف فحمل بطيخة بنفسه ودخل بها إلى دور الحريم

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٥٩ .
(٢) نفس المصدر، جـ٤، ص ٣٠٣ .
(٣) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، جـ٢ ط ٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨، ص ٦١.
(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠.
(٥) ابن اياس : بدائع، ج٢، ص٢٩٢.
(٦) ابن شاهين : زبدة، ص ٨٦.

السلطاني نتيجة لوفاة معظم الطواشية في وباء ٨٨١هـ / ١٤٧٦م (١)، واضطر السلطان قانصوه الغوري أن يبطل الكرة لأن غالب الأمراء كانوا في حداد بسبب فقد أولادهم في وباء ٩١٩هـ / ١٥١٣م (٢).

ومن المظاهر الاجتماعية والدينية التي كانت تتكرر في أوقات الأزمات والأوبئة هي محاولات التقرب إلى الله سواء بدافع شخصي خوفاً من الموت، أو من خلال أوامر سلطانية، وذلك عن طريق بعض الأفعال والأقوال بهدف رفع الوباء أو جريان الماء أو إنهاء الغلاء. ومن هذه المظاهر

١- قراءة القرآن الكريم وصحيح البخاري

كان الناس يتبركون بقراءة القرآن الكريم وصحيح البخاري عندما يشتد الوباء أو يتوقف النيل عن الزيادة (٣) ولم يتم ذلك في مكان محدد بل يختلف باختلاف المناسبة، كما يختلف أيضا في المناسبة الواحدة .فعند الوباء يجتمع قراء القرآن والمحدثين في بعض الجوامع الشهيرة بالقاهرة مثل الجامع الأزهر والجامع الحاكمي وجامع ابن طولون (٤)

ولكن عندما يختص الأمر بتوقف زيادة النيل، فغالباً ما يتجه القراء لقراءة القرآن الكريم عند المقياس أملاً في زيادة منسوب المياه (٥)، وفي بعض الأحيان كانوا يقيمون عند المقياس عدة أيام متوالية كما حدث في عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م(٦)، وعام ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م (٧) .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) نفس المصدر، جـ٤، ص ٣١٠

(٣) استخدمت قراءة القرآن وصحيح البخاري أيضا لحل بعض المشكلات السياسية فعندما ازدادت مشكلة الناصري خطورة، وكثر الاضطراب والأمن بسببها في عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م توجه القضاه والأعيان إلى الآثار الشريفة، وقاموا بقراءة القرآن وصحيح البخاري، وابتهلوا إلى الله بالدعاء لنصرة السلطان وإخماد هذه الفتنة. الصيرفي : نزهةالنفوس، جـ١، ص ١٩٩

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٩١، الصيرفي : نزهة النفوس، جـ١، ص ١٧٠، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٩

(٥) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٧

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢ ص ٣٩٤

(٧) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ص ٤٢٥

وأحيانا أخرى يجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده ويقرءون القرآن، فعندما توقف النيل عن الزيادة فى ذى القعدة ٨٣٠هـ/ أغسطس ١٤٢٦م قرأ القضاة والمشايخ فى القصر السلطانى سورة الأنعام أربعين مرة فى ليلة واحدة، ودعوا الله أن يجرى النيل [١].

٢. صلاة الاستسقاء :

وهى ركعتان بلا أذان ولا إقامة مثل صلاة العيد ثم يتلوها خطبة ودعاء[٢] وقد تمت صلاة الاستسقاء فى السنوات التى حدث فيها قحط شديد، وانخفض فيها منسوب النيل بدرجة كبيرة. وقد اختلفت أماكن صلاة الاستسقاء، فأحيانا فى المساجد عقيب صلاة الجمعة [٣]، أو عند الآثار النبوية [٤]، أو فى الصحراء بين تربة الملك الظاهر برقوق وبين قبة النصر [٥].

فعندما توقف النيل عن الزيادة فى المحرم ٨٠٦هـ/ يوليه ١٤٠٣م أمر الناس بالاستسقاء عقيب صلاة الجمعه [٦]، ثم اشتد جزع الناس عندما توقف مرة أخرى وبقى من الوفاء إصبعان، فسار شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى ماشياً إلى الجامع الأزهر فى جمع موفور، ولم يزل يدعو ويتضرع، ثم خرج القضاة، وشيوخ الخوانك إلى الجامع [٧] ثم توجه الجميع للاستسقاء أيضا عند رباط الآثار النبوية[٨].

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٤٩.

(٢) سنن ابن ماجة، مج١، ص ٣٨٣- ٣٨٤، ٤٠٤ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٤ .

(٤) المقصود بالآثار النبوية قطعة خشب وقطعة حديد وأشياء أخرى قيل إنها من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج ابن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بمبلغ ستين ألف درهم من بنى إبراهيم من أهل ينبع، فبنى الصاحب تاج الدين رباطا، ووضع فيه هذه الآثار، وصار الناس يتبركون بها، ابن تغرى بردى : النجوم جـ١٥، ص ٤٢٥- ٤٢٦ (حاشية ٥).

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩٠ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١١٤ .

(٧) المقريزى : السلوك، ص١١١٥، ابن إياس : بدائع جـ١، ق٢، ص ٦٨١ .

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص١١١٥، ابن إياس : بدائع جـ١، ق٢، ص ٦٨٢

كما تمت صلاة الاستسقاء أيضا عندما اشتد الغلاء وعز القمح في ذي القعدة ٨١٨هـ/ يناير ١٤١٦ [١] وفي بعض الأحيان يخرج السلطان بنفسه متخشعا باكيا متضرعا إلى الله مثلما فعل السلطان المؤيد شيخ في عام ٨٢٣ هـ [٢].

وتجمع صلاة الاستسقاء بين أبناء الديانات المختلفة في مصر، إذ أن الضرر لا يقع على فئة دون أخرى كل يدعو بكتابه، ويتوسل بنبيه، ففي سنة الشراقي العظيم ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠ التي هبط منسوب النيل فيها إلى أقل حد له في عصر الجراكسة خرج المسنون وأطفال الكتاتيب وعلى رؤوسهم المصاحف، وخرجت طائفة اليهود يعلو رؤوسها التوراة، وخرجت طائفة النصارى بالإنجيل، والجميع يستغيث ويتضرع كل بطريقته - لهدف واحد أن يرفع الله عنهم الضر، ويجرى الماء في نهر النيل [٣].

وفي هذه السنة تمت صلاة الاستسقاء ثلاث مرات وفي كل مرة يبتهل الناس بالدعاء وسط البكاء والنحيب [٤]، كما حدثت صلوات استسقاء عندما ينخفض النيل، كانت تحدث أيضا صلاة استهباط عندما يزداد منسوبه بما يضر الناس، ففي عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م عندما زاد النيل في غير موعده وتضرر الناس، رسم السلطان للقضاة الأربعة بأن يتوجهوا إلى المقياس ويدعوا الله في هبوطه، فتوجهوا وقضوا ليلتهم بالمقياس ومد أسمطة حافلة [٥].

٢ـ الصوم :

كان الناس يتقربون إلى الله بالصيام لرفع الوباء، وقد يكون دافعهم إلى ذلك توقع الوفاة في أي وقت، ويفضل الكثير منهم أن يلقى ربه وهو صائم، هذا بالإضافة إلى أن دعاء الصائم مستجاب .

وعلى الرغم من كثرة الأوبئة التي تعرضت لها مصر في عصر الجراكسة، إلا أن عددا قليلا منها هو الذي نودي في الناس بالصوم فيها .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٤، المقريزي : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٤ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق، ص ٥٣- ٥٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩٠، أحمد عبد الحميد خفاجي : السلطان جقمق، ص ٧٦ .

(٤) السخاوى التبر المسبوك، ص ٣١١، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٢٤ - ٤٢٥. ابن إياس بدائع، جـ٢، ص ٣٩٥ .

(٥) محمود رزق سليم : قنصوه الغورى، ص ١٨٦ .

فعندما اشتد الوباء فى ربيع الآخر ٨٢٢هـ/ إبريل ١٤١٩م نودى فى الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام [١]، فاستجاب الناس لذلك، بل توقف كثير من الباعة عن بيع الأقوات فى النهار كما هى العادة فى شهر رمضان [٢]، وتكرر الطلب من الناس بالصوم ثلاثة أيام أيضا فى عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م [٣] وفى وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م [٤].

وفى جمادى الأولى ٨٩٧هـ/ فبراير ١٣٩٦م زعم البعض أن إنسانا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له إن الطاعون كان واقعا عليكم فشفعت فيكم عند ربى، وطلب منهم الرسول – على حد زعمهم – أن يصوم الناس سبعة أيام متوالية وليس ثلاثة أيام كما هو المتبع، فصام الكثير من الناس سبعة أيام متوالية، ولم يفد من ذلك شيء إذ وقع الوباء بمصر [٥].

وفى أحيان قليلة كان يطلب من الناس الخروج صياما لصلاة الاستسقاء، وبخاصة إذا كانت درجة انخفاض النيل كبيرة جدا كما حدث فى عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م [٦].

٤. التبرك بالأشراف :

كان التبرك بالأشراف وبدعواتهم يتم سواء فى وقت انتشار الوباء أو أوقات القحط والمجاعات عندما يتوقف النيل عن الزيادة .

فعندما اشتد وباء ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م أشار بعض العجم بجمع عدد من الأشراف لتلاوة القرآن الكريم اعتقادا منهم أن ذلك يرفع الوباء، فجمع "كاتب السر" الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان بأمر من السلطان أربعين شريفا يدعى كل منهم "محمدا " تبركا باسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وجلسوا بالجامع الأزهر

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٧٨، الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٤٥٥.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٧ .

(٣) Fernandes : The Evolution of A sufi, P. 108.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٢، . الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ١٨٤، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٨. Fernandes : Op.Cit, P. 42 .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٦.

(٦) السخاوى : التبر المسبوك. ص ٣١١ .

وقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة، ثم قاموا ودعـوا الله برفـع الوباء والناس يؤمّنون حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعـون شـريفا أعلـى الجامع وأذنوا جميعا، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر وانفضوا (١) .

ومما يذكر أن الشريف كاتب السر الذى جمع الأشراف بالجامع الأزهـر مات بعد ذلك باثنى عشر يوما وولى أخوه كتابة السر عِوَضَـه، وقبـل أن يلبـس الخلعة مات أيضا (٢).

ولم يكن اعتقاد الناس فى قبول دعاء الأشراف فقط، بل اعتقدوا أيضا أنـهم لو وضعوا فى أفواههم شيئا من الماء، ثم يمجونه فى إناء، ويصبونه فـى فسـقية المقياس سوف يزداد النيل، وقد أشار بذلك الشيخ أمين الدين الآقصرائـى عندمـا بعث إليه السلطان يستفتيه فى أمر النيل عندما توقف عن الزيادة فى عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م (٣) .

٥ـ تتبع أماكن الفسـاد ومنـع خـروج النسـاء :

من خلال الرؤية الدينية لأسباب الأوبئة، وتوقف النيل عن الزيادة، قـامت السلطة الحاكمة طوال هذا العصر، بتتبع أماكن الفسـاد ومنـع خـروج النسـاء، وبخاصة أن فتاوى أهل الدين المتكررة كانت تحض على ذلك، ففى عام ٨٠٢ هـ /١٣٩٩م عندما توقفت زيادة ماء النيل، ركب عدد من الأمـراء وكبسـوا أمـاكن الفساد ونهوا عن عمل الفواحش. (٤)

وتكرر الموقف فى عام ٨١٩هـ/١٤١٦م عندما توقف النيل عن الزيـادة، اتجه حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس، ومنعهم من الاجتماع، لأنهم كـانوا يشـربون الخمـر، وتختلـط النسـاء بالرجال(٥)، وفى كثير من الأحوال تتبع السلطة الحاكمة أماكن الفساد، فتمنع البغايـا

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٨، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٣، القرمانى : أخبار الدول، ص ٢١٢ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤٤ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٩٥ .

(٤) المقريزى :السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٢١، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٨٩.

(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ١، ص ٣٥٨.

عن الوقوف لطلب الفاحشة فى الأسواق ومواضع الشبهات، وتقوم بإراقة جرارا الخمر وكسرها [١] وقد يشهر ببعض الأفراد تخويفاً للآخرين. [٢]

وأصبحت ظاهرة التزام النساء بيوتهن ومنعهن من الخروج إلى الشوارع تتكرر عندما يشتد وباء أو يقل الماء وذلك منذ عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م عندما استفتى السلطان بعض القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون ؟ فجاءت الإجابة بأن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلاً ونهاراً فى الأسواق، فأشار البعض بمنع النساء قاطبة من المشى فى الأسواق، وأشار البعض الآخر بمنع المتبرجات فقط. وأخذ السلطان بالرأى الأول ونودى بمنع جميع النساء من الخروج [٣] حتى منعت الأم من الخروج خلف جنازة ولدها [٤]، وذلك لتشدد المحتسب فى عدم إخراج النسوة إلى الطرقات، وعندما تضررن الأرامل والفقراء من النساء لأنهن منعن من التسول ومن التردد إلى من يحسن إليهن [٥] نودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن من الأسواق، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن وأن تخرج النساء إلى الحمامات ولا تقمن بها إلى الليل. [٦]

وعندما توقف ماء النيل عن الزيادة عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م منعت النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق باستثناء العجائز والجوارى، وتم تنفيذ ذلك ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة [٧]، كما أمر السلطان فى صفر ٨٢٩هـ/١٤٢٥م ــ عندما اشتد الغلاء ــ بإلزام العامة والسوقة بالصلاة فى أوقاتها، وعدم تكاسلهم عن ذلك [٨] هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من

---

(١) المقريزى :السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٦، الصيرفى :نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٤٤، ابن إياس :بدائع، جـ٢، ص١٦٣.

(٢) ابن إياس :بدائع، جـ٢، ص ٣٩٤ – ٣٩٥.

(٣) المقريزى. السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٢، الصيرفى :نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤٠٤.

(٤) ابن تغرى بردى :النجوم، جـ١٥، ص ٩٨.

(٥) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤٠٥.

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٩٤ – ٩٥.

(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٣، ص ١٢٠٩.

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ[illegible]، ص ١٠٤.

الناس (خلال وباء ٨٣٣هـ أصبحوا حريصين على الصلوات الخمس والصلاة على الأموات، مع التوجه إلى الله والخشوع. (١) واستعد البعض للقاء ربه عندما أشيع أن يوم القيامة سيحدث قريبا فتقاطروا على الحمامات يتطهرون حتى يلقون ربهم على طهارة كاملة. (٢)

الطعام :

لقد أثرت الأزمات الاقتصادية فى معدل الاستهلاك اليومى للمواد الغذائية الذى تناقص كما وكيفا عما كان عليه الحال فى بداية عصر سلاطين المماليك، حينما كان البعض يفاخرسائر البلاد بمصر من كثرة ما يلقى من مخلفات بائعى الطعام (٣)، وهذا التناقص لم يكن مقصورا فقط على استهلاك طبقة العامة، وإنما تخطاه إلى استهلاك الطبقة الحاكمة، فقد كان يعمل فى سماط الملك الظاهر برقوق فى كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم ثم انخفض هذا المعدل فى عصر المؤيد شيخ إلى ٨٠٠ رطل من اللحم، ثم هبط إلى ٥٠٦ رطل من اللحم فقط فى عهد الملك الأشرف برسباى (٤).

وتأثرت المماليك السلطانية تأثرا كبيرا عندما اضطر فرج بن برقوق أثناء الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٠٦هـ -٨٠٧هـ / ١٤٠٣م -١٤٠٤م وما تلاها إلى قطع رواتبهم من اللحوم وغيرها، مكتفيا ببدل نقدى يقدر بعشرة دراهم من الفلوس، لذا صار غذاؤهم فى الغالب الفول المسلوق لعجزهم عن شراء اللحم (٥)، وعندما تعاظمت شوكة المماليك السلطانية أصبح إجمالى ما يحصل عليه الواحد منهم ما بين ثلاثة إلى خمس عشرة زبدية (٦) فاضطر السلطان قايتباى إلى تخفيض مرتبات اللحم للمماليك السلطانية فى عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م إلى زبدية لحم واحدة فى اليوم(٧).

وإذا كان هذا حال الطبقة الحاكمة، فإن كثيرا من الناس لم ينالوا نصيبهم من الطعام بل اضطروا وقت المجاعات إلى أكل الفئران الصحراوية والثعابين، بل

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٤١ – ٣٤٢.
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٩٨.
(٣) قاسم : دراسات، ص ١٢٠.
(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢١٠ – ٢١١.
(٥) نفس المصدر، ص ٣١٤.
(٦) زبدية اللحم تقدر بثلاثة أرطال. ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٩٠.
(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٩٠.

وأكل الميتة من الدواب [١]، وقد ساعد على ذلك أن المصريين لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم، وعامة مآكلهم من الأسواق [٢]، ولذا يتأثرون يوميا بتطورات السوق ومدى توافر الطعام به.

وأدت الأزمات الاقتصادية إلى أن أصبح الحصول على رغيف الخبز هو الشغل الشاغل لغالبية الأفراد، وكثيرا ما تحدث الصراعات بينهم للحصول عليه بأية وسيلة غير مبالين بما يصيبهم من إهانات، وقد يصل الأمر إلى أن يفقد الفرد حياته ثمنا لرغيف يود الحصول عليه [٣]، ولذلك كثيرا ما يردد المؤرخون عمليات النهب التى كان يقوم بها العوام للأفران والمخابز لانهب الخبز فقط، بل والعجين أيضا وكل ما تصل إليه أيديهم، مما يدفع السلطة الحاكمة القيام بتعيين جماعة من الأجناد عند كل فرن لمنع العامة من الخطف والنهب [٤]، بل ودفعت بعض الأمراء إلى نقل غلالهم من الشون إلى بيوتهم خوفا من ثورات الجياع [٥].

وأثرت الأزمات الاقتصادية أيضا فى تغيير مكونات رغيف الخبز، فبعد أن كان يصنع من القمح ويعد مغشوشا إذا أضيف إليه الحمص أو الفول[٦]، أدى ارتفاع أسعار القمح إلى خلط القمح بالحمص والشعير، بل وفى بعض الأحيان طحنوا الفول وصنعوا منه خبزا [٧]، وأصبح الخبز المصنوع بأكمله من الذرة هو الغذاء الرئيسى لأهل الصعيد عندما ندر القمح هناك فى عام ٨٢٥هـ / ١٤٢٢ م[٨]، ثم أصبح هذا الخبز شائعا فى أنحاء مصر عندما ارتفعت أسعار سائر المأكولات وتشحط الخبز من الأسواق فى المحرم ٨٧٥هـ / يونيه ١٤٧٠م، فصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن،

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٥٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٠٦، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٣٦.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، القاهرة، دار الشعب، د .ت، ص٨٠ .

(٣) مجهول : كتاب فى التاريخ، ورقة ٧١. قاسم : دراسات، ص ١٧٣،

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٣٤ - ٣٣٥، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٤.

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٨٣.

(٦) ابن الأخوة : معالم القربة، ص ١٥٤.

(٧) الصيرفى : نزهة، جـ٢، ص ٣٥٩.

(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٠٣.

ولم يكونوا قد استخدموه قبل ذلك[١]، وتكرر الموقف في عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٧م، لذا صنف أهل القاهرة رقصة خاصة يقولون فيها :

زويجي ذي المسخرة   يطعمني خبز الدرة[٢]

وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل أن كثيرا من الفقراء مات جوعا على الطرقات دون أن يجد لقمة تسد رمقه [٣]، وأصبح انبعاث رائحة التقالي أو سماع صوت دق الهاون من أحد البيوت دليلا على ترفه أهله[٤]، ويعد أكل الحلوى في مثل هذه الظروف أمرا ترفيهيا هو الآخر إذ لا يقدر عليه إلا كل ثري وبخاصة بعد ارتفاع أسعارها عندما خربت دواليب السكر، وقل عمل الحلوى بعد وفاة أكثر صناعها بسبب الأوبئة [٥]، ولذا جاءت بعض المواسم التي يحتفل فيها بأكل الحلوى خالية من شئ منها [٦]، وعمد الأهالي الذين لم يكن بوسعهم الحصول على السكر إلى إستخراج النيد من القمح [٧].

وجدير بالذكر أن بعض سلاطين المماليك الجراكسة دأبوا وقت الأزمات والأوبئة على مد يد العون إلى الفقراء والمحتاجين في المدن، وتوزيع الأموال والغذاء عليهم، وذلك لمنعهم من التسول والانحراف [٨] وبالتالي فإن عددا كبيرا من أهل المدن وبخاصة القاهرة كانوا يستمدون غذاءهم من التوزيعات المباشرة للحبوب التي يقوم بها السلاطين وأمراؤهم دون اللجوء إلى مبيعات السوق[٩]،

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٤٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٣٨.

(٤) المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ١٦٤.

(٥) نفس المصدر، ص ٩٩.

(٦) نفس المصدر، ص ١٠٠.

(٧) ضومط : الدولة المملوكية، ص ١٦٦ .
ويصف البغدادي طريقة عمل النيدة فيشير إلى أن المصريين كانوا يأخذون القمح بعد نقعه في الماء حتى يخرج منه النشا، ثم يصفى ويطبخ حتى يغلظ، ثم يذر عليه الدقيق بعد ذلك. الإفادة والاعتبار، ص٧٣، ٧٥ .

(٨) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية، ص ٩٥، ٩٦، محمود إسماعيل : سوسيولوجيا، جـ٣، ص ١٦٣ .

(٩) Lapidus : The Grain Economy, p. 9

وذلك لا يختلف كثيراً عما كان يفعله الملوك والحكام فى التاريخ الأوربـــى بـــإزاء الكوارث المماثلة فى نفس الفترة [(١)].

فالسلطان برقوق ــ أثناء ارتفاع الأسعار واشتداد الأزمة فـــى عـــام ٧٩٨ هــ / ١٣٩٥ م أمر بصنع الخبز وتوزيعه على الفقراء والمساكين والحرافيش، كما قام بتوزيع الأموال عليهم، فدفع الفقر والجوع أعدادا غفيرة من التجمهر للحصـــول على الصدقات التى تقيهم شر الموت جوعا، فلاقـــى بعضـــهم حتفـــه مـــن شـدة الازدحام[(٢)]. وظل على هذا المنوال طوال فترة المجاعة " من لم يحصل على خـبز حصل على نقود " وإن كان الأول أفضل حالا وبخاصـــة إذا علمنـــا أن حوانيـت القاهرة ومصر ظلت خالية من الخبز سبعة أيام متوالية [(٣)].

وسار السلطان المؤيد على نفس النهج فى أزمة عام ٨١٨ ــ ٨١٩ هــــ / ١٤١٥ ــ ١٤١٦م إذ قدم يد العون والمساعدة لأرباب الوظـــــائف فـــى الجوامـــع والمدارس والخوانق، بالإضافة إلى المتسولين فوزع عليهم الخبز والأموال [(٤)]، ثـم توقفت هذه المساعدات بذهاب الغلاء [(٥)] .

وفى أزمة ٨٢٩ هــ / ١٤٢٥ شرع السلطان برسـباى بجمـــع الفقـــراء، ووزع عليهم الخبز يوميا طوال فترة " هذه الغلوة " [(٦)]، كما تصدق بمال كثير على الفقراء أثناء انتشار وباء ٨٤١ هــ / ١٤٣٧ م [(٧)]. وفى العاشر من المحـــرم ٩١٢

---

(١) محمد مصطفى زيادة : مقدمة المقريزى : إغاثة الأمة، ص و .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر جـ٣، ص ٢٨١ ــ ٢٨٢، جـــ ٤، ص ٤، المقريـزى : السلوك، جـ٣، ق ٢، ص ٨٥٣ ــ ٨٥٤،
ابن تغرى بردى: النجوم، جـ٥، ص ٥٩٩، ابن إياس : بدائع، جــ ١، ق ٢، ص ٥٣١.
الصيرفى : نزهة، جــ ١، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٦، العينى : السيف المهند، ص ٢٦٧ .

(٣) الصيرفى : نزهة، جــ ١، ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧، ٤٢٨ .

(٤) العينى : السيف المهند، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧، المقريزى : السلوك، جـــ٤، ق١، ص ٣٤٢، ٣٤٧،
ابن تغرى بردى : النجوم، جــ ١٤، ص ٤٠، ابن إياس : بدائع، جــ ٢، ص ٢٤.

(٥) المقريزى : السلوك، جــ ٤، ق١، ص ٣٤٨

(٦) ابن إياس : بدائع، جــ ٢، ص ١٠٤، المقريزى : السلوك، جــ ٤، ق٢، ص ٧١٢.

(٧) ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٣٣.، المقريزى : السلوك، جــ ٤، ق ٢، ص ١٠٣٧
Dols : the Black death, p.239.

هـ / ١٥٠٦ م أمر السلطان قانصوه الغورى بأن يجمع الفقراء والمساكين، ونزل بنفسه ووزع على كل منهم أشرفيا ذهبيا [١] .

ومن الملاحظ أن توزيع الأموال والغذاء من قبل بعض سلاطين المماليك الجراكسة كان بوازع دينى، إذ كان ينظر إلى مثل هذه التصرفات على أنها صدقات وقربى إلى الله [٢] أكثر منها سياسة عامة يلتزمون بها تجاه الشعب لرعايته وتقديم الخدمات العامة له. فقد كان بعض السلاطين وكبار الأمراء يستغلون أوقات الأزمات لتحقيق مكاسب كبيرة من خلال شراء الغلال بأسعار منخفضة، واحتكارها وتخزينها حتى تشتد الأزمة فيبيعونها بأسعار مرتفعة [٣] .

وقام بعض سلاطين الجراكسة ـ فى محاولة لتخفيف العبء عن الناس وقت الأزمات بفتح الشون والأهراء[٤] السلطانية لبيع الغلال بأسعار أقل مما هو معروض فى الأسواق : فعل ذلك برسباى فى أزمة ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥م[٥] والظاهر جقمق فى أزمة ٨٥٠ هـ / ١٤٥١[٦]، وكذلك فى أزمة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م[٧].

وعندما ارتفعت أسعار القمح فى عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م فتح السلطان قايتباى شونه وباع منها بأقل من السعر المعروض فى الأسواق[٨]، وتكرر الموقف عندما ارتفعت الأسعار فى عام ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م " فحصل للناس بذلك بعض رفق "[٩].

---

(١) Petry : Twilight of Majecty, P. 140 – 141.

(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣١١ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٨٧٢، الصيرفى : نزهة، جـ ٣، ص ٢٣٩ المقريزى : إغاثة، ص ٤٢،
ابن شاهين : زبدة، ص ١٢٣. قاسم : دراسات، ص ١٦١ .

(٤) الشون : الشونة هى مخزن الغلال، لسان العرب مادة " شون "، يوضع بها مايستعمل من الغلال والأحطاب والأتبان وما أشبه ذلك .
والأهراء : يوضع بها ما يخزن من الغلال المتنوعة، لاتفتح إلا عند الضرورة ابن شاهين : زبدة، ص ١٢٢ .انظر أيضا
Lapidus : The Grain Economy, P.6

(٥) حسن حبشى : الاحتكار المملوكى، ص ١٤٦ .

(٦) أحمد عبد الحميد خفاجى : السلطان جقمق، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٥١ .

(٨) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ١٧ .

(٩) نفس المصدر، ص ٤٣ .

ونظراً لأهمية الشون والأهراء السلطانية ودورها فى الإسهام فى حل الأزمات الاقتصادية حرص سلاطين المماليك على تفقدها من حين لآخر (١).

أما بالنسبة للشراب

يعد نقل الماء من نهر النيل إلى المنازل من المظاهر المتكررة يومياً وبخاصة فى القاهرة إذ يقوم السقاؤون بنقل المياه إلى المنازل مقابل أجر معين، يزداد وقت الأوبئة، أو وقت انخفاض نهر النيل، إذ لا يستطيع السقاؤون تلبية الطلبات المتزايدة على المياه فيخرج كثير من الناس للقائهم قرب النهر لشراء المياه، أو يخرج العبيد والإماء لنقل الماء على البغال والحمير وفى الجرار على الرءوس (٢).

وفى مثل هذه الظروف يزداد غش السقائين لكمية المياه التى يبيعونها، إذ أن زيادة الطلب عليهم تجعلهم لا يملئون القِرَب، بل يجعلون بها ثلاثة أرباعها أو نحو ذلك، ويوافق المشترى اضطراراً (٣).

الملابس :

لم تؤثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة بدرجة كبيرة فى ملابس السلاطين والأمراء (٤) إذ ظل الرداء الذى يخلعه السلطان لا يرتديه مرة ثانية، وإنما ينعم به على أمرائه وخاصته (٥) وكذلك الحال مع نسائهن اللاتى تغالين فى ملابسهن وبخاصة فى المناسبات الخاصة، فعلى الرغم من خلو الخزانة من المال، ومحاولات السلطان أخذ أموال الناس ليستعد بها لقتال شاه رخ بن تيمور فى ربيع الآخر ٨٣٩هـ/ اكتوبر ١٤٣٥م علق بعض الفقهاء على ذلك بقوله " كيف نفتيه بأخذ أموال المسلمين، وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها – يعنى الملك العزيز يوسف – ما قيمته ثلاثون ألف دينار، وهى بدلة واحدة، وإحدى نسائه " (٦).

---

(١) محمد عبد الستار البنا : الريف المصرى فى العصر المملوكى ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ، ماجستير، آداب طنطا، ١٩٩٥، ص ٢٦٤ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ١٠١٦ – ١٠١٧.

(٣) ابن الحاج : المدخل، جـ٤، ص ١٨١.

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ١٩٧ .

(٥) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية، عالم الفكر، المجلد ١١، ع١، الكويت، ١٩٨٠، ص ٩٣، انظر أيضا سوق الخلعيين جدول ٢٩.

(٦) ابن تغرى بردى :النجوم، جـ١٥، ص ٦٨ .

وفي بعض الأحيان كان يظهر السلطان وقت حدوث الأوبئة بمظهر التخشع والانكسار، فيتخلى عن ملابسه العادية، ويتشبه بالصوفية في ملابسهم مثلما فعل السلطان المؤيد الذي لبس ملوطه [1] صوف أبيض بغير شد في وسطه وعلى كتفيه مئزر صوف مُسْدَل، وعليه عمامة صغيرة جدا لها عذبة مرخاة بين لحيته وكتفه الأيسر، كما كان فرسه مغطى بقماش ساذج ليس فيه ذهب ولا حرير، وذلك عندما خرج إلى الصحراء في ربيع الآخر ٨٢٢هـ/ أبريل ١٤١٩م للدعاء برفع الوباء [2]، وكان على نفس الهيئة عندما خرج لصلاة الاستسقاء عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م [3] .

أما الظاهر جقمق عندما خرج الناس للاستسقاء في سنة الشراقي العظيم ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، رفض أن ينزل بنفس الهيئة التي نزل بها السلطان المؤيد، بل لم ينزل من القلعة مما ترك أثرا سيئا في نفوس الناس [4] .

وتركت الأزمات الاقتصادية وقلة معدن الذهب أثرها في قيمة حوائص الأجناد، وأعداد من يرتديها، إذ أنها لم تعد توزع بشكل دائم، ولم تبلغ قيمتها كما كان عليه الحال في الماضي منذ أيام المؤيد شيخ [5] كما بطلت البدلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل والتي كان يرتديها أعيان الناس [6] .

واضطرت السلطة الحاكمة نتيجة لارتفاع أسعار الذهب وندرته إلى منع الناس من صنع الذهب المطرز في رمضان ٨١١هـ/ يناير ١٤٠٩م [7] .

---

(١) الملوطة : الجمع ملاليط وملوطات، وهي كلمة يونانية الأصل، وقد تسربت إلى العربية عن طريق اللغة القبطية، وهي الجبة تلبس فوق الفرجية، أو قميص واسع الأكمام المقريزي : إغاثة، ص ٧٩ حاشية (٥).

(٢) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٨، ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٤، ص ٧٨، الصيرفي : نزهة، جـ٢، ص ٤٥٥ .

Fernandes : The Evolution of Asufi, P. 107.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٥٣- ٥٤ .

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٢

(٥) المقريزي : الخطط، جـ٢، ص ٩٩

(٦) نفس المصدر، ص ٩٨

(٧) المقريزي : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٨٢

وعلى الرغم من أن لبس السمور والفراء ابتذل فى عصـــر الجراكسـة، وصار يلبسه كثير من شرائح المجتمع المختلفة [1] إلا أنه فى ضوء ارتفاع أسـعاره بدرجة كبيرة، يتوقع اقتصار استخدامه على أبناء الطبقة الحاكمة، بل وبيعه من قبل الذين افتقروا نتيجة للأزمات، يؤكد ذلك أن الخلع السلطانية التى كـــان يوزعـــها السلطان فى يوم عيد الفطر قد انخفضت قيمتها ونوعـــها، فبعـد أن كـانت مـن المنسوجات الحريرية الملونة بفروسنجاب أصبحت من القماش القطنى الملون، تبلغ قيمتها نحو ثلاثة دنانير فقط عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م [2]. ثم أمست هذه الخلـع فـى تدنى مستمر فجاءت فى عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م "فى غاية الوحاشـــة" [3] لوهـن نسيجها وعدم تطريزها، كما أن عدداً كبيراً لم يستطع الحصول عليـها، ثـم ازداد الأمر سوءا فجاءت الخلع بحكم النصف عن كل سنة فى عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م [4]، ويبدو أن الحال قد استمر بعد ذلك [5].

وبعد أن كان لباس الجوخ مستهجنا ومقصورا على عمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها، ويرتديه العوام بصورة دائمة، ولا يلبسه الأعيان إلا فـى وقت المطر؛ تبدلت الأحوال بعد أزمـــة ٨٠٦- ٨٠٧هـــ/ ١٤٠٣ - ١٤٠٤م، إذ ارتفعت الأسعار، ودعت الضرورة أهل مصر إلى ترك لباس الحريـر والملابـس مرتفعة الأسعار، وصار معظم الناس يلبسون الجوخ بما فيهم الأمـراء والـوزراء والقضاة [6]، وذلك لانخفاض أسعاره مقارنة بالمنسوجات المصريـة [7] وبازديـاد الطلب على هذا النوع من القماش الذى كان يتم استيراده من أوربا قلت جودته [8].

كما أن انخفاض قدرة أعداد كبيرة من طبقة العامة على شـراء الملابـس الجديدة جعلتهم يتجهون إلى استخدام الملابس المستعملة، لذا كان " سوق الخلعيين "

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٣ .
(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٠٤ .
(٣) نفس المصدر، ص ٢٤٧ .
(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٦ .
(٥) نفس المصدر، ص ٣٤٠
(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٩٨. Ashtor : Ascendancy of venice, p202.
(٧) أندريه ريمون القاهرة، ص ١٣٥
(٨) Labib : Ein Brief des Mamluken sultan, P 326.
Ashtor : The Economic decline, P 272.

المختص ببيعها من أعمر أسواق القاهرة بعد أزمة ٨٠٦- ٨٠٧هـ/ ١٤٠٣ - ١٤٠٤م [١].

وفى أوقات الأوبئة يفضل للمرضى أن يرتدوا الملابس الخفيفية التى لا تمتص الحرارة كالكتان [٢]، ويقل الإقبال على الملابس الثقيلة، وقد يكون زيادة الإقبال على الملابس الكتانية فى أوقات الأوبئة من بين الأسباب التى أدت إلى ارتفاع أسعاره بدرجة كبيرة، ففى أثناء وباء ٨١٦هـ/ ١٤١٣م بلغ سعر الرطل من الكتان إلى ثلاثين درهما [٣] بعد أن كان سعره قبل عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م درهما واحدا [٤] وغلت لغلائه جميع أصناف الثياب [٥].

كما أثرت الأزمات الاقتصادية فى نوع المنسوجات والملابس التى ترتديها النساء إذ اضطرت كثيرات منهن نتيجة لما حدث بهن من الفقر والفاقة – أن يتخلين عن لبس الملابس الحريرية إلى غيرها من الملابس الأقل قيمة وجودة، بالإضافة إلى ترك لبس الذهب والفضة والجواهر، والاستعاضة عنها بلبس الطواقى المزينة بالذهب والحرير [٦] لذا فقد صناع الحلى والطرائف زبائنهم [٧].

وبعد أن كانت معظم نساء مصر يستخدمن القلادات من العنبر، كما كان يتخذ منه المخاد والكلل والستور قلت رغبة الناس فى استعماله بعد أن قل ترفههم [٨].

وإذا كانت الأزمات قد أثرت فى قيمة ونوع المنسوجات والملابس التى ترتديها النساء فإن الأوبئة قد تركت أثرها على الشكل العام لملابسهن، فالنساء كن يخرجن متبرجات بالحلى، يحملن أكاليل على جباههن. وعقودا فى أعناقهن [٩]

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٤ .
(٢) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠، أبو الخير عصام الدين : الشفاء، ورقة ٢٩.
(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٦
(٤) نفس المصدر، جـ٣، ق٣، ص ١٠٧٦، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٣٩.
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٢٥٦ .
(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٤ .
(٧) آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٣٩٠
(٨) المقريزى . الخطط، جـ٢، ص ١٠٣
(٩) ليون الإفريقى وصف إفريقيا، جـ٢، ص ٢١٦

وغالبهن سافرات الوجوه [١]، واعتبر الفقهاء ذلك من الفواحش والذنوب التي يعاقب عليها الناس بانتشار الطاعون بينهم [٢]. لذا كثيرا ما كانت تصدر الأوامر بمنعهن من التبرج وإبداء زينتهن، بل ومنعهن فى بعض الأحيان من الخروج فى الشوارع كما حدث فى وباء ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م، وعلى العكس من ذلك فُرض على الإماء كشف الوجه عند خروجهن للأسواق حتى لا تتنكر إحدى النساء فى صفة الجوارى وتخرج إلى الأسواق [٣].

وعندما توقف ماء النيل عن الزيادة فى ربيع الآخر ٨٤٤هـ/ أغسطس ١٤٤٠م فرض على النساء عدم الخروج إلى الأسواق متبرجات [٤]، ولكن هذه المظاهر تكون مؤقته إذ سرعان ما تعود الحال إلى ما كانت عليه بعد انتهاء الوباء أو جريان مياه النيل .

وتأثرت أكفان الموتى أثناء انتشار بعض الأوبئة، إذ عز وجود الثوب البعلبكى الذى كان يكفن فيه الموتى، وكفنوا موتاهم فى الخام والملحم [٥] وغير ذلك[٦] بينما كان بعض الناس يكفنون موتاهم فى "خَلَق" [٧]

الأوقاف :

الوقف هو ما حبس بحق على مستحق [٨]، وفى الشريعة عبارة عن حبس المملوك عن التمليك من الغير [٩]، أى أن الأراضى الموقوفة لا تباع ولا تورّث، ولا توهب، وإنما تظل صدقة جارية من أموال الواقف فى حياته وبعد مماته طبقاً

---

(١) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤٠٤ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٢ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٣، ص ١٢٠٩ .

(٥) الملحم : جنس من الثياب : ابن منظور : لسان العرب مادة " لحم "

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص٢٨٧ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٤، ص٣٤١ .ويقصد بالخلق الخرقة من الثوب، أى الثوب الممزق : ابن منظور : لسان العرب مادة " خرق"

(٨) الأسدى : التيسير والاعتبار، ص ٧٩.

(٩) محمد بخيت المطيعى : فى نظام الوقف، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤٦ هـ، ص ٥.

للشروط التى وضعها الواقف [1]. ومن خلال هذه الشروط وجدت ثلاثة أنواع من الأوقاف.

١ - الأحباس : وهى خاصة بالمساجد، وكان لها ديوان فيه عدة كتب لحصر الرزق الإحباسية على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها[2].

٢ - الأوقاف الحكمية : وهى ما حبس على الحرمين وجهات البر الأخرى[3]، وهى الأوقاف التى آل إلى القضاة النظر عليها سواء لعدم وجود واقف أصلى واحد لها، أو أن يشرط الواقف النظر عليها للقاضى، أو انقطاع نسل من شرط لهم الواقف النظر على الوقف[4]، ويطلق عليها البعض الأوقاف الخيرية[5]، إلا أن هذا مصطلح حديث لم يعرفه أهل ذلك العصر وإنما ظهر بظهور الدولة الحديثة[6].

٣ - الأوقاف الأهلية : وهى التى لها ناظر خاص إما من أولاد الواقف أو من ولاة السلطان أو القاضى[7]، وهذا النوع يوقفه صاحبه على نفسه أو على ذريته وأقربائه من بعده لحين انقراضهم[8]

ويبدو أثر الأوبئة واضحا فى قيام بعض الأفراد برصد أوقافهم لتخفيف العبء عن فقراء المسلمين، من أجل تغسيل موتاهم وتكفينهم ودفنهم، فقد كان

---

(١) محمد أمين : الأوقاف، ص١، أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية، ص ١٣١-١٣٢،
محمد عبدالستار : المدينة الإسلامية، ص ٧٩ - ٨٠، سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية، ص ١٠٩.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٥. ابن شاهين : زبدة، ص ١٠٩ .
عبداللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٢٨، Halm : Ägypten, I, p50

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٩٥ Halm : Op. Cit, p51

(٤) محمد عفيفى : الأوقاف والحياة الاقتصادية، ص ١٩.

(٥) حمود النجيدى : الموارد المالية، ص ١١٨، البيومى إسماعيل : المصادرات، ص ٣٥١.

(٦) محمد عفيفى : الأوقاف والحياة الاقتصادية، ص١٩، حاشية١٠
Halm : Op. Cit, p 51-52

(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٦.

(٨) محمد بخيت المطيعى :فى نظام الوقف، ص٦.
Humphreys, R.S.: The expressive intent of the Mamluk architecture of Cairo, a Preliminary essay, Stvdia Islamica, Paris, 1972, P.92 .

ديوان الطرحاء يجهز من يموت على الطرقات من الفقراء[1]، منذ أوقف السلطان " الظاهر بيبرس " وقف الطرحاء برسم تغسيل فقراء موتى المسلمين [2].

ويبدو أن الأوبئة المتكررة في عصر فرج بن برقوق دفعته لأن يخصص جزءا من أوقافه على "تكفين الأموات من الفقراء من المسلمين " في المحرم ٨١٢هـ / ١٤٠٩م [3]، هذا بالإضافة إلى ما قام به بعض الأمراء من مواراة الموتى في وباء ٨٠٦هـ / ١٤٠٣ م، فكان الأمير سودون الماردينى يوارى منهم في كل يوم ما يزيد على مائة، والقاضي الأمير سعد الدين بن غراب الاستادار تجرد لمواراة الموتى[4] ففتح مغسلا عند بيته، وكان الناس يأتون إليه بالأموات ويطرحونهم على بابه فيكفنهم من ماله [5]، فبلغت عدة من جهزه ودفنه على نفقته الخاصة إلى آخر شوال ٨٠٦هـ / ١٤٠٣ م اثنى عشر ألف وسبعمائة شخص حتى صار يضرب به المثل فيقال " فصل ابن غراب " [6]، وأصبح محبوبا لدى العامة لأفعاله الخيرة .[7] وفي أثناء انتشار الوباء بصورة كبيرة في ربيع الأول ٨١٩هـ / ١٤١٦م تصدى الأمير بدر الدين الاستادار لمواراة من يموت من المساكين بعد تغسليهم وتكفينهم فحسن الثناء عليه [8] .

كما قام بعض الأفراد بصنع التوابيت أوقات الأوبئة وأوقفوها على نقل الموتى وبخاصة عندما لا تكفى توابيت ديوان المواريث الحشرية مواجهة الطلب المتزايد عليها الناتج عن تزايد أعداد الموتى [9]، وعندما كثر الموت في المماليك في وباء ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م صنع السلطان الناصر محمد بن قايتباى

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٢.
(٢) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية، ص ١١٢، عبداللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٧٨.
(٣) حجة ٦٦، دار الوثائق.
(٤) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٢٠.
(٥) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق ٢، ص ٦٨٦ .
(٦) نفس المصدر، ص٦٨٥، المقريزى : السلوك، جـ ٣، ق ٣، ص ١١٢٠ .
(٧) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص ٦٧.
(٨) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥١.
(٩) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٥٤، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ١٨٨، ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص٤٢.

٩٠١هـ - ٩٠٤هـ / ١٤٩٦م - ١٤٩٩م ثلاثين نعشاً وأوقفها على من يموت بالقلعة. (١)

كذلك اهتم سلاطين المماليك وبعض الأمراء بإنشاء " مغاسل الموتى " و " مصليات الأموات " وحبسوا الأوقاف عليها لكى تستطيع القيام بمهامها على خير وجه وبخاصة عندما تزداد ضحايا الأوبئة، حيث كان يحمل إليها الموتى ليغسلوا بها حسب الشريعة الإسلامية ويجهزوا بها للدفن على نفقة منشئيها، ثم يُصلى عليهم صلاة الجنازة بالمصليات الملحقة بالمغاسل ثم يوارون التراب (٢) ولذا كانت هذه المغاسل تقوم بتوفير التوابيت، وأقمشة الأكفان، والقطن والخيوط والكافور والسدر، وغير ذلك مما يستخدم فى تجهيز الموتى، هذا بالإضافة إلى أن هذه المغاسل كانت تتكفل بأجور المغسلين، والحمالين، والحفارين (٣).

ومن أشهر المغاسل التى استفاد منها الفقراء فى عصر الجراكسة ذلك المغسل الذى أقامه الأمير يشبك من مهدى قرب مدرسة السلطان حسن فى عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م، عندما انتشر الطاعون بمصر فى ذلك العام، وفرغ من بنائه فى شعبان ٨٧٣هـ، وحملت إليه الأموات، وشرع فى تجهيزهم وتكفينهم (٤) واستمر فى ذلك العمل فى الأوبئة التالية (٥)، فحصل للناس به غاية النفع .. وقد حاز به غاية الأجر والثواب " (٦).

وفى عام ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م أمر السلطان قانصوه الغورى ببناء مغسل للأموات وميضه بجوار سبيل المؤمنى(٧)، وعندما ازدادت ضحايا الوباء فى عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م فُتح المغسل ليستقبل ضحايا الوباء وانتفع به غاية النفع وخاصة عندما بلغت أعداد الوفيات فى اليوم الواحد أربعة آلاف شخص (٨)،

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٨٨.
(٢) سامى أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص ١٧٠.
(٣) المرجع السابق، ص ١٧٢.
(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٧٠٤، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٠.
(٥) سامى أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص ١٧٣، عبدالقادر طليمات : مقدمة كتاب بتاريخ الأمير يشبك، ص ١٨ - ١٩.
(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٢٦.
(٧) نفس المصدر، جـ٤، ص ٥٦.
(٨) نفس المصدر، ص٧٥، ٧٦.

وظل يقوم هذا المغسل بمهامه فى الأوبئة التالية [1] وبخاصة وباء ٩١٩هـ / ١٥١٣ م و ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م، وهى آخر الأوبئة التى حدثت فى مصر فى عصر الجراكسة.

ويبدو أثر الأزمات الاقتصادية واضحا فى نظام الأوقاف عندما تزداد أسعار الخبز أو ينعدم من الأسواق كان القائمون على الأماكن الموقوفة يقومون بتوزيع النقود بدلاً من الخبز، لعدم قدرتهم على الحصول على القمح أو الخبز، ففى عام ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م عندما انخفض منسوب نهر النيل أغلق مخبز خانقاه ركن الدين بيبرس، وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغاً من الفلوس، واستمروا على ذلك [2].

كما أن أماكن الوقف التى أوقفت خبزاً يوزع بمكة على الفقراء، قامت بصرف بدل نقدى لهؤلاء الفقراء عندما ارتفعت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها فى أزمة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣ م [3]، كما بطل الطعام والخبز فى عدد من الخانقاوات بعد أزمة ٨٠٦هـ [4] .

ودفعت الأزمات الاقتصادية أعداداً كبيرة للانضمام إلى الأماكن الموقوف عليها وبخاصة الخانقاوات والمدارس، وكان بعض هؤلاء ممن لا يستحقون الوقف[5]، ونتيجة لذلك ازدادت أعداد الداخلين فى هذه المؤسسات فانخفض نصيب الفرد من هذه الأوقاف، وأصبح هناك بون شاسع بين ما اشترطه الواقف فى وقفيته وبين الواقع الذى فرضته الظروف، مما دفع السلطة الحاكمة فى بعض الأحيان بمحاولة عزل جماعة من أرباب الوظائف [6]، أو إخراج من لا يستحق والعمل بشرط الواقف [7] .

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٧٩.
(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٧.
(٣) نفس المصدر، ص ٩٤.
(٤) نفس المصدر، .ص ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥ .+
(٥) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٤٨.
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٣٩.
(٧) ابن حجر إنباء الغمر، جـ٣، ص ٢٤٨.

متحصل أوقاف البيمارستان فشكره السلطان، وغفل عن كونه لم يعمل فيه بشروط الواقف.[1]

وعلى الرغم من أن هذا البيمارستان كان يقدم خدماته للمرضى في المنازل كما اشترط الواقف[2] إلا أنه في ضوء الأعداد الكبيرة من المرضى أثناء الوباء فإنه من المعتقد أن تكون خدمة المرضى مقصورة على البيمارستان فقط.

كما كانت زيادة الأمراض الحادة والأوبئة سبباً في أن المؤيد شيخ لم يكتف بالبيمارستان المنصوري، بل أنشأ مارستانا جديداً وأطلق عليه " البيمارستان المؤيدى " وبدأ في استقبال المرضى في نصف شعبان ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، إلا أنه لم يرصد لهذا البيمارستان أوقافاً مستقلة، بل جعل مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى، لذا عندما توفي المؤيد شيخ ٨٢٤هـ / ١٤٢١م تعطل البيمارستان، وتحول إلى منزل للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان، ثم عمل فيه منبراً ورتب له خطيبا وإماما ومؤذنين، واستمر جامعاً منذ عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م [3]، مما يعنى أن هذا المارستان لم يقدم خدمات تذكر للمرضى، ولم يستفد منه المصابون بالأوبئة وبخاصة أن الفترة التي عملها لا توجد بها أوبئة [4].

كما أثرت الأزمات الاقتصادية بشكل غير مباشر في الأوقاف، لأن خلو خزانة الدولة من الأموال دفع السلطة الحاكمة إلى فتح الباب على مصراعيه للبيع من أملاك بيت المال فازدادت وثائق البيع، وقتما كانت تعاني الدولة من انشحات في دواوينها مما ترتب عليه بالتالي زيادة الأوقاف لأن عدداً كبيراً من هذه البيوعات تحولت من ملكية حرة إلى أوقاف، يؤكد ذلك وجود علاقة طردية بين عدد حالات وثائق البيع، وعدد حالات الأوقاف [5] خلال عصر الجراكسة ويتضح ذلك من خلال الجدول التالي:

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٦١، جرجس فام : السلطان جقمق، ص ٣٠.

(٢) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص ١٤٦.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠٨، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٥٢.

(٤) انظر جدول ٢٣.

(٥) قام الباحث بحصر عدد حالات الأوقاف التي تمت في عصر الجراكسة طبقاً للترتيب التاريخي، وذلك من خلال فهرست وثائق القاهرة، للمماليك – محمد محمد أمين.

(جدول ٢٢)

العلاقة بين عدد حالات البيع وعدد حالات الأوقاف

الفترة الزمنية	عدد حالات البيع	نسبة عدد حالات البيع في السنة	عدد حالات الأوقاف	نسبة عدد حالات الأوقاف في السنة
من ٧٨٤ حتى ٨٥١هـ	٥٢	٠,٧٨	١٠٠	١,٥
من ٨٥٢ وحتى ٨٥٦هـ	٢٤	٤,٨	١١	٢,٧٥
من ٨٦٣وحتى ٨٦٨هـ	١١٥	١٩,١٧	٣٢	٦,٤
من ٨٨٢ وحتى ٨٩١هـ	٢١	٢,١	٢٥	٢.٧٧
من ٩٠٦ وحتى ٩٢٢هـ	١٨٦	١١,٦	٨٩	٥,٥٦

ففى النصف الأول من عصر الجراكسة حتى عام ٨٥١هـ ١٤٤٧م كان عدد حالات البيع قليلة، وأيضا كانت حالات الأوقاف قليلة. وعندما ارتفعت حالات البيع فى الفترة من ٨٥٢هـ ١٤٤٨م حتى ٨٥٦هـ ١٤٥٢م ارتفع معها عدد حالات الوقف، وعندما ازدادت حالات البيع ارتفاعا فى فترة عجز خزانة الدولة عن دفع نفقات المماليك السلطانية فى الفترة من ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م وحتى ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م تبعها ارتفاع فى زيادة نسبة الأوقاف فى نفس الفترة، وعندما انخفضت حالات البيع فى فترة الاستقرار النسبى التى شهدتها مصر فى عصر الأشرف قايتباى تبعها انخفاض مماثل فى عدد حالات الوقف، وعندما عاودت عدد حالات البيع ارتفاعها فى الفترة من ٩٠٦ وحتى ٩٢٢هـ ارتفعت أيضا حالات الوقف .

مما سبق يتضح وجود علاقة طردية بين حالات البيع، وحالات الوقف، وبما أن العلاقة طردية بين أزمات الدولة وحالات البيع، إذن تكون العلاقة طردية أيضا بين أزمات الدولة وحالات الوقف، بمعنى أنه تزداد حالات الأوقاف عندما تشتد الأزمة وتنخفض عندما تقل الأزمة حدة، وقد ساعد على وجود هذه العلاقة الطردية أن الدولة تتجه إلى المصادرة عندما تشتد حاجتها إلى المال مما دفع أصحاب الثروات والأملاك إلى وقف أملاكهم على وجوه الخير المختلفة [1]، وهم بذلك يضمنون موردا اقتصاديا ثابتا من ريعها لأنفسهم وأولادهم وذريتهم عن طريق التنظر عليها إلى جانب اكتساب الأجر والثواب، وقد أشار إلى ذلك

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٧١،

Fernands : The evolution of A sufi, P. 46

عبدالرحمن بن خلدون " إن أمراء الترك فى دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يخلفونه من ذريتهم .. فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة[1].

ولقد أشار المقريزى إلى كثرة متحصل الأوقاف الأهلية حتى أنه قال " وكان متحصلها قد خرج عن الحد فى الكثرة " [2].

والمُلاحِظ لمعظم وثائق الوقف يجد أنها كانت وقفاً أهلياً ثم تنتهى إلى جهات الخير والبر فكثيراً ما تتكرر عبارة " أنشأ الواقف المذكور أعلاه وقفه هذا على نفسه أيام حياته ينتفع به فى السكن والإسكان وسائر وجوه الانتفاعات الشرعية ... من غير مشارك له فى ذلك ولا فى شئ منه ... " ثم بعد وفاته يوقفه على ذريته، ثم يوجه بعد ذلك إلى أعمال الخير المختلفة [3].

وتتضح هذه الحالة بصورة جلية فى عصر الغورى فلا يكاد الإنسان يشترى أرضاً أو عقاراً حتى يحبسه على نفسه وذريته، فعل ذلك العادل طومان باى فقد اشترى أرضاً فى ١٣ رمضان ٩٠٦هـ / ١ أبريل ١٥٠١ م، ثم وقف ما اشتراه فى ٢٦ رمضان ٩٠٦هـ / ١٤ أبريل ١٥٠١م أى بعد ثلاثة عشر يوماً وقبل عزله من السلطنة بأربعة أيام فقط [4].

كما فعل ذلك السيف قيت الرجبى، فقد اشترى أرضاً بناحية منية شرف بالدقهلية من أعمال المنزلة [5] فى جمادى الأولى ٩١٠هـ / أكتوبر ١٥٠٤ م ثم وقف ما اشتراه فى رجب ٩١٠هـ / ديسمبر ١٥٠٤م [6]، وتدل شروط الواقفين

---

(١) عبداللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٢٥ –١٢٦.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٢٩٦.

(٣) انظر على سبيل المثال حجة ٥٣ "دار الوثائق "، حجة ٦٨ " دار الوثائق "، حجة ١٦٥ "دار الوثائق "، حجة ٢١٦ دار الوثائق، حجة ٢٢٢ دار الوثائق، حجة ٢٢٣ دار الوثائق، حجة ٢٢٤ دار الوثائق، حجة ٢٢٥ دار الوثائق، حجة ٢٤٦ دار الوثائق، حجة ٧٠ دفتر خانة

(٤) عبداللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية " وثائق من عصر الغورى، ص ١٢٣ – ١٢٤، محمد أمين : الأوقاف، ص ٩٨.

(٥) منية شرف : هى إحدى قرى مركز دكرنس محافظة الدقهلية فى الوقت الحالى.

(٦) حجة ٢٤٧، دار الوثائق.

بتعاهد كتب الوقف وتنفيذها بين آن وآخر على السادة القضاة دليل أخر على الرغبة فى الاطمئنان على مصير الأوقاف وضمان بقائها واستمرارها لذريتهم وعدم التلاعب فيها [١]. هذا بالإضافة إلى أن بعض الواقفين لم يكتف بتحديد مرتبات أرباب الوظائف وقيمة الصدقات السنوية، بل حدد مايصرف على العمارة حتى يضمن بذلك عائدا معلوما من المال لايتذبذب حسب حاجة عمارة الوقف. [٢]

والخلاصة أنه على الرغم من أن معظم وثائق الوقف تذكر فى مقدمتها عبارات تدل على الشعور الدينى الدافع إلى إقبال الناس على الوقف باعتباره من القربات الدائمة والصدقات المستمرة وكانت أغلب الأوقاف على العمائر الدينية [٣]، إلا أن ذلك يعد أمراً ظاهرياً تعوّد فيما يبدو كتاب الوقفيات على ذكره، والغاية الحقيقية هى خدمة الواقفين وذراريهم .

وإذا كان البعض يرى أن زيادة أراضي الوقف تعد ميزة كبرى للاقتصاد المملوكى على اعتبار أنها رأس مال احتياطي يستعان به وقت الحاجة [٤]، إلا أنها أثرت أسوأ تأثير فى قوة الإنتاج، لأن الواقع يؤكد أن ريع الأطيان الموقوفة أقل بكثير من ريع الأطيان الحرة، وذلك لأن للملكية أثراً فعالاً فى النشاط والعمل [٥]، لأن عمل الإنسان لنفسه ليس كعمله لغيره، هذا بالإضافة إلى أن نظام الوقف فى العصر المملوكى أبعد مساحات شاسعة من الأراضى عن نطاق الاستخدام الأمثل[٦]، كما منع المال من التداول فى سوق السلع [٧]، وبخاصة بعد أن تنظر على معظم هذه الأوقاف بعض رجال الدين الذين لم يكن اهتمامهم بعمارة الأوقاف ورعايتها بقدر اهتمامهم بما يحصلون عليه من عائد [٨].

بالإضافة إلى أن تعدد الورثة بمرور السنين أدى إلى ضعف الناظر عن القيام بما يجب من مصالح تلك الأماكن والدفع عنها، وعجز عن عمارتها لقصور

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٢٧.
(٢) محمد أمين : الأوقاف، ص٨١ Ayalon : The Muslim city, P. 327
(٣) نفس المرجع، ص ١٢٤.
(٤) البيومى إسماعيل : المصادرات، ص ٣٨٤.
(٥) محمد بخيت المطيعى : فى نظام الوقف، ص ٣٧.
(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٧١.
(٧) أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٦٠.
(٨) محمد أمين : الأوقاف، ص ٢٨٤ .

حاله، وقلة ماله، أو نقص جاهه فاضطر إلى إجارتها لمن له شوكة وجاه، فأجرها بأجرة بخسة ... إلى أن خرب الوقف أو الموقوف عليه. (١) ولذلك يمكن القول أنه بعد أن كانت الأوقاف إحدى وسائل تحقيق التضامن الاجتماعى بين أفراد المجتمع الإسلامى، أصبحت فى عصر سلاطين الجراكسة عالة على المجتمع تبدد ثرواته (٢)، وأمست من بين أسباب الأزمات الاقتصادية بقدر ما كانت زيادتها نتاجا لها.

كما أدت الأزمات الاقتصادية فى كثير من الأحيان إلى تعدد محاولات حل الأوقاف وفرض الضرائب عليها فكثيرا ماكان يجتمع السلطان بشيخ الإسلام والقضاة، وتدور مناقشات حول إحلال الأوقاف، أو الحصول على جزء كبير من ريعها للاستعانة فى مواجهة النفقات. ففى عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م عندما أراد برقوق أن يعد حملة عسكرية لملاقاة التتار فى بلاد الشام عقد مجلسا من القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث السلطان فى إعادة ما وقف من الأراضى الخراجية (٣) بحجة خلو الخزائن من الأموال، والعدو زاحف، والعسكر لا يسافر بدون نفقة (٤)، فلم يوافق شيخ الإسلام ولا القضاة على ذلك وانفض المجلس بعد أن تم الاتفاق على أن يؤخذ من مال الأوقاف أجرة الأماكن وخراج الأراضى سنة كاملة وتبقى الأوقاف على حالها دون حلها (٥).

وعندما خلت الخزائن من المال أثناء الصراع بين الأمير منطاش والظاهر برقوق ٧٩١هـ / ١٣٨٩م استولى منطاش على أموال الأيتام على الرغم من اعتراض قاضى القضاة.(٦) وفى عام ٨٠١هـ / ١٣٩٩م حاول الأتابكى أيتمش السيطرة على متحصل الأوقاف أجرة سنة كاملة للإعداد لحملة عسكرية لقتال ابن عثمان، ولم يوافق شيخ الإسلام سوى أن يؤخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهر واحد(٧).

---

(١) سليمان عطية : سياسة المماليك، ص ٢١٨ .
(٢) محمد أمين : الأوقاف، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.
(٣) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٥٨.
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٨٦.
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٥٦٣، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم ٥، ص ٤٨٤، ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٣٥٣.
(٧) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٤٧.

وفى إطار الاستعدادات الحربية لقتال تيمورلنك فى بلاد الشام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وبيت المال مشحوت من المال ليس به مايقوم بنفقة العسكر حاول السلطان فرج تنفيذ ما فشل فيه أبوه من قبل من إحلال الأوقاف، وإقطاعها للأجناد البطالين [١]، إلا أن الفقهاء عارضوه كالعادة، وتم التحصيل من أراضى الأوقاف عن عبرة كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس، أما سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرة شهر، هذا بالإضافة إلى أن يلبغا السالمى – الذى كان مكلفاً بجمع الأموال – كبس حواصل الأوقاف واستولى على ما كان بها [٢].

وفى أثناء استعدادات السلطان برسباى لقتال شاه رخ بن تيمور فى ٨٣٩ هـ / ١٤٣٥م سأل قضاة القضاة فى أخذ أموال الأوقاف والناس للنفقة، ولكنه لم يستول على شئ منها [٣].

وسار السلطان قايتباى على نهج من سبقه من السلاطين فى السيطرة على أموال الأوقاف، فعندما أخذ يستعد فى إعداد حملة عسكرية ضد " سوار " عام ٨٧٢هـ – استكثر ريع الأوقاف المرصودة على الجوامع والمساجد، وحاول أن يبقى ما يقوم بالشعائر فقط، ويدخل الفائض إلى الذخيرة وكاد المجتمعون يوافقون السلطان رأيه لولا أن تدخل شيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائى وأغلظ لهم القول وأنكر ذلك [٤] وقد عاود السلطان قايتباى إظهار رغبته فى حل الأوقاف فى عام ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م إلا أن قاضى القضاة الحنفى عارض ذلك [٥]، ثم تزايدت مشكلة قايتباى المالية وبخاصة نتيجة الطلب المتزايد للنفقة من المماليك الجلبان، فلجأ إلى فرض أجرة شهرين على الأملاك والأوقاف بمصر والقاهرة فى عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٩ م مساعدة له فى نفقة الجند، وذلك بعد موافقة القضاة الأربعة [٦].

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق ٣، ص ١٠٢٩، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٥٩٣ – ٥٩٤

Ayalon : The system of payment, P. 292.

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٥٢، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦١٩ – ٦٢٠، إنباء الغمر، جـ٤، ص ٢١٠، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٩٨ .

Darrag : Barsbay, P. 58

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٦٨.

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٣ –١٤.

(٥) نفس المصدر، ص ٨٥– ٨٦.

(٦) نفس المصدر، ص ٢٦٠ – ٢٦١.

وتكرر الموقف فى عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م عندما أراد قايتباى إرسال حملة يبعثها إلى بلاد الشام لرد اعتداء العثمانيين، فلم يقنع بفرض أجرة شهر ين كما سبق، بل رغب فى فرض أجرة سنة كاملة على الأوقاف والأملاك من أجل هذا الغرض، وبعد مساومات القضاة، اتفق على فرض أجرة خمسة أشهر فقط(١).

وعندما تولى قانصوه الغورى السلطنة عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م كانت الخزائن خاوية، وحاجته للمال شديدة وترددت الشائعات بأن السلطان يرغب فى إحلال أوقاف الجوامع والمدارس ويبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط، وأنه سيوزع أراضى الأوقاف إقطاعات على الأمراء والجنود، فاضطربت الأحوال ورفض القضاة ذلك، وأسفرت المناقشات فى المحرم ٩٠٧هـ / ١٥٠١م عن عدم المساس بأعيان الوقف على أن يؤخذ منها ريع سنة كاملة، ومن أجرة أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان ومراكب وغير ذلك يؤخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة، حتى البيمارستان المنصورى لم يستثن من ذلك (٢)، ونتيجة للسخط الشعبى اكتفى السلطان بفرض إيجار سبعة أشهر فقط بدلا من عشرة (٣).

وعلى الرغم من أن طومان باى آخر سلاطين المماليك كان فى أشد الحاجة إلى المال رفض أن يسير على نهج من سبقه من السلاطين من فرض ريع شهر أو أكثر ليستعين به فى نفقة الحرب ضد العثمانيين، وقد يرجع ذلك إلى رغبته فى تخفيف العبء عن الناس فى أحرج الأوقات التى تمر بها الدولة (٤)

إن كثرة الأوقاف فى عصر الجراكسة قد حركت أطماع السلاطين والأمراء فيها، وإذا كانوا قد فشلوا فى إحلالها وإقطاعها للأجناد، فإنهم قد ولجوا إليها من باب الاستبدال. والاستبدال : هو أن تبدل العين الموقوفة بعقار آخر أو بمبلغ من المال، ويضم العقار الجديد أو مبلغ المال إلى جملة الموقوفات مع خروج العين الموقوفة من دائرة الوقف لصالح الطرف الآخر (٥).

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٧٨.
(٢) نفس المصدر، جـ٤، ص ١٤.
(٣) نفس المصدر، ص ١٧.
(٤) عبد اللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٣٤، محمد أمين : الأوقاف، ص ١٢٨ - ١٢٩.
(٥) محمد عفيفى : الأوقاف والحياة الاقتصادية، ص ١٧٤.

فقد لجأ هؤلاء السلاطين والأمراء إلى إجبار المتولى على الأوقاف بالاستبدال حتى يشترى أصحاب هذه الأطماع عين الواقف من المستبدل [١]، وقد عاونهم على ذلك قضاة غير شرفاء ومهندسون غير أمناء، وشهود غير عدول [٢]، ولقد وضحت هذه الظاهرة بجلاء إبان حكم المماليك الجراكسة فى مصر [٣]، وعلى الرغم من أن بعض الباحثين يربطون بين حاجة الدولة إلى المال وازدياد عمليات الاستبدال [٤]، إلا أنه لا توجد علاقة بينهما، إذ أن عمليات الاستبدال لم يكن الهدف منها إيجاد موارد جديدة للدولة عندما تخلو الخزينة من الأموال، وإنما كانت محاولة من السلاطين والأمراء السيطرة على الأوقاف بعد أن فتح بعض القضاة الباب على مصراعيه لكل راغب.

التصوف :

دفعت الكوارث والملمات كالمجاعات والأوبئة إلي أن يفتش العامة من الناس عن حلول لما يكابدون في عالم الغيب والمجهول، فأضفوا صفات خارقة على الموتى من الصالحين، وطافوا حول أضرحتهم يشكون لهم ما نزل بهم ويطلبون منهم ما يؤملون في أنفسهم، فيلتمسون الشفاء وإزالة الكروب بواسطتهم معتقدين أن هؤلاء الأولياء يستطيعون الدفاع عنهم ضد الظلم الواقع عليهم، فراحوا يحتمون بهم وبمخلفاتهم وقبابهم وبأدواتهم الشخصية [٥] .

كما أدت الأزمات الاقتصادية والأوبئة إلي انضمام أعداد كبيرة إلي الطرق الصوفية وبخاصة أن هذه الأزمات يصاحبها تدني في مستوي المعيشة، لذا تنسحب أعداد كبيرة من الناس إلي التصوف إما هروباً من حياة الشظف والضنك والحرمان التي يعانونها، حيث يجدون فيه ملجأ وراحة من المحن الشديدة التي أحاطت بهم [٦]، وتفسيراً يخدعون به أنفسهم عن حقيقة الحرمان

---

(١) السيدة زينب : وثائق البيع، ص ٥.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١١٣، المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٦.
عبداللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٢٩.

(٣) جمال إبراهيم : دراسة مقارنة لوثائق الاستبدال فى مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى فى القرن العاشر الهجرى، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٤ .، ص ١٦، السيدة زينب، وثائق البيع، ص ٥ .

(٤) جمال إبراهيم : وثائق الاستبدال، ص ١٦، ٣١.

(٥) ابن الحاج : المدخل، ج١، ص ٣١١، ٣١٢ .

(٦) أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٩١ .

ويبعدهم عن آلامه[١]. أو تقرباً إلي الله لأن الأفراد عندما يضيقون بالحياة نجدهم يلوذون بالدين ويخضعون له أملاً في نعيم الآخرة [٢]، أو رغبة في الاستفادة من الأوقاف التي ترصد لهم – وهؤلاء هم الغالبية – فاتخذوا التصوف وسيلة للحياة الدنيا، حيث توزع عليهم الجامكيات، ولذا كانوا أرغد عيشاً وأترف حياة ممن هم في معترك الحياة من غير المتصوفة .

ولذا انضم الكثير من أدعياء التصوف في صفوف الصوفية، ودب الفساد في الحياة الصوفية كما دب في جسد الدولة المملوكية في أواخر أيامها .

فالأوقاف والعقارات الموقوفة علي المنشآت الصوفية قادت فئة غير قليلة من المجتمع إلي حياة الكسل وعدم السعي إلي الرزق معتمدين علي ما تدره هذه الأوقاف عليهم[٣] بدعوى التفرغ للذكر والانقطاع للتهجد والتجرد لعبادة الله [٤]. وبالتالي انتشر بينهم التواكل دون التوكل، فأصبحوا لا يجهدون أنفسهم في كسب العيش، بل فضل البعض منهم عدم الزواج إيماناً بأن مشقة العزوبة أسهل من مشقة الكد في مصالح العيال[٥]. وسرت بينهم أمثلة تدعو إلي الاتكالية مثل " دع الخلق للخالق "، و" ولا تعترض علي شئ " وكذلك " الله يرزق الواقف والقاعد " وغيرها من الأمثال التي تهبط الهمم وتقضي علي روح الطموح [٦].

ولذا رأي بعض كتاب العصر أنهم " أكلة رقصة " [٧] ووصفهم البعض الآخر بأنهم " أكلة بطلة سطلة لا شغل ولا مشغلة " [٨] .

---

(١) محمود رزق سليم : عصر السلاطين المماليك، مج ٨، ص ٢٨٣ .

(٢) عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري، ص ٤٧، عبد اللطيف ابراهيم : وثائق عصر الغوري، ص ١٦٠ .

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٧١، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص ٢٤٣

Fernandes, L.: The evolution of Asufi institution in Mamluk Egypt, The Khanqah, Berlin, 1988, P.111 .

(٤) توفيق الطويل : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، تاريخ المصريين، العدد ٢١، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص ١٥٤.

(٥) عبد اللطيف ابراهيم : وثائق عصر الغوري، ص ١٦٥ .

(٦) ليلي عبد اللطيف : المجتمع المصري، ص ١٨٢ .

(٧) الأبشيهى : المستطرف، ح١، ص ١٠٠ .

(٨) السبكي : معيد النعم، ص ١٧٨-١٧٩ .

كما ظهر بين كبار رجال التصوف في تلك الفترة الجهلة الأميون [١]، الذين يلبسون لبس الصوفية وما هم منهم في شئ، ولذا صار مشايخها علي حد قول المقريزي " من سقط المتاع لا ينسبون إلي علم ولا ديانة " [٢] .

وتغير الأساس الذي تقوم عليه الصوفية، فبعد أن كان الأساس هو الخوف من الله أو الحب في الله، أصبح الأساس هو الخوف من الحياة في مجتمع مضطرب ملئ بالأزمات والمجاعات، إذ كانت الزوايا والخوانق تكتظ بالرواد أيام القحط والمجاعات[٣]، وتحول التصوف من العكوف علي العبادة والانقطاع إلي الله تعالي والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها[٤] إلي ترك تعاليم الدين واتباع أوراد وأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان يجتمع لها العامة يرقصون ويطربون ويأكلون ويشربون، ويضيقون في الوقت نفسه بإقامة شعيرة واحدة من شعائر الدين، لذا أصبح التصوف باباً تدخل منه البدع والخرافات[٥]، فانصرفوا عن العبادة إلي البحث عن المال والمتاع في ظل ازدياد الأوقاف، ولذا نجد بعض المشايخ الملتزمين منهم أوائل القرن التاسع الهجري يحذرون من دخول أحد من أبناء الدنيا في الطرق الصوفية ويجعل جميع وظائفه وخبزه وطعامه للفقراء والمساكين [٦] .

وعندما تولي السيوطي مشيخة خانقاه سعيد السعداء في ٨٩١هـ/١٤٨٥م ورأي أهلها ينعمون في أوقافها ولا يهتمون بتكاليفها فوق أنهم غير معوزين لأنهم يقتنون البغال ويجمعون الأموال، هددهم بقطع جامكياتهم علي اعتبار أنهم ليسوا بصوفية وإنما الصوفي من يتخلق بأخلاق الأولياء .. ومن يأكل المعلوم بغير تخلق

---

(١) توفيق الطويل : التصوف في مصر، ص ٤٧، ٤٨ .

(٢) الخطط، ج٢ـ، ص ٤١٤ .

(٣) عبد اللطيف ابراهيم : وثائق عصر الغوري، ص ١٥٩، ١٦١، توفيق الطويل: التصوف، ص ١٢٢، سعيد عاشور : المجتمع، ص ١٦٣ .

(٤) عبد الوهاب حموده : صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥، ص ١٨ .

(٥) عبد اللطيف حمزة : الأدب المصري، ص ٥٣-٥٤، عبد المنعم ماجد – التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨، ص ١٢٧ .

(٦) نادية محمد عبد المنعم : محمد بن أبي السرور البكري وبعض قضايا عصره من خلال مؤلفاته، ماجستير، آداب الاسكندرية، ١٩٩٤، ص ١٨-١٩ .

بأخلاقهم فقد أكل حراماً (١) لذا ثاروا عليه في ٩٠٣هـ وأوسعوه ضرباً وألقوه في الفسقية بثيابه (٢) .

ولعل الغلاء وارتفاع الأسعار وعدم أمان الفرد علي رزق غده، دفعت البعض للالتحاق بأكثر من خانقاه طمعاً في المال (٣). مما جعل بعض الخانقاوات تكتظ بأعداد أكثر مما اشترطه الواقف، فجاء ذلك علي حساب ما يناله الفرد من ريع الوقف، وبخاصة عندما تشرق الأراضي الموقوفة ويقل أو ينعدم إنتاجها، فخانقاه سعيد السعداء كان عدة الصوفية بها أقل من الثلثمائة في بداية عصر الجراكسة فتزايدوا حتى بلغوا خمسمائة إنسان عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م ولم يف ريع الوقف بالمصروفات، فقطع ما كان لهم من الحلوى والصابون في كل شهر، ومن الكسوة في السنة، ولما شرقت الأراضي الموقوفة عليها عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م عزم مباشرو الخانقاه علي غلق مطبخها ومخبزها، فلم تحتمل الصوفية ذلك، وتكررت شكواهم للملك الظاهر برقوق فولي الأمير يلبغا السالمي نظارتها وأمره أن يعمل بشرط الواقف، فقطع يلبغا السالمي نحو الخمسين صوفياً ممن يركبون البغال المشهورين بالغني والسعة في الرزق والمال(٤) .

ولقد أدت الأزمات الاقتصادية والأوبئة في بداية عصر الجراكسة إلي اضمحلال وتلاشي عدد كبير من المؤسسات الصوفية، فبعض الخانقاوات كادت تندثر مثلما حدث في خانقاه طيبرس، فقد نقل صوفيتها عام ٨١٤هـ/١٤١١م إلي المدرسة الطيبرسية بالجامع الأزهر بعد خراب المناطق المجاورة لها(٥)، كما انتقل صوفية خانقاه بكتمر إلي القاهرة، وامتد التخريب إلي حمامها وبستانها بعد أزمة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب، وضاعت آلات النحاس

---

(١) محمد كمال الدين عز الدين:الحركة العلمية، مجـ٣، ص ١١٨٠.

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٨٨ .

(٣) سعيد عاشور : المجتمع، ص ١٧٥، عبد اللطيف ابراهيم : وثائق عصر الغوري، ص ١٦٠ .

Fernandes : The evoluation of Asufi ; p. 45 .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٢، ص ٨٣٤-٨٣٥، المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٥-٤١٦.

الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٤٢٦ .

والقناديل وغير ذلك من الأمتعة[١]، كما أصبحت بعض الخانقاوات غير قادرة علي صرف المعلوم لأرباب الوظائف لعدة أشهر مثل خانقاه شيخو[٢].

وأغلقت بعض المطابخ التي كانت تمد المتصوفين بالطعام، وبطل الخبز، وصار يصرف للصوفية في كل شهر مبلغ من المال [٣] مثلما حدث في خانقاه ركن الدين بيبرس بعدما قصر مد النيل سنة ٧٩٦هـ[٤]، ومثلما حدث في بعض الخانقاوات الأخري بعد أزمة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م مثل خانقاة قوصون[٥] وخانقاة بكتمر[٦] وخانقاة سرياقوس[٧].

وكما تأثرت الخانقاوات بالأزمات الاقتصادية بخاصة أزمة عام ٨٠٦هـ تأثرت أيضاً الزاويا والربط وتلاشي بعضها لخراب المناطق المجاورة لها، ومن أمثلة ذلك زاوية المغربل [٨] وزاوية الظاهري[٩]، وزاوية الطراطرية[١٠]، كما آل إلي الإندثار أيضاً الرباط العلائي لخراب ما حوله. وبعدما كان معموراً بالناس بصورة دائمة، أمسي غير مسكون لكثرة الخوف من السراق، ويحضر بعض المتصوفة إليه يوماً في الأسبوع [١١].

وعلي الرغم من بقاء رباط الأفرم كمبني أو منشأ وكذلك بقاء أوقافه، إلا أنه توقف نشاطه لخراب ما حوله [١٢]. كما تلاشي أمر رباط البغدادية بعد المحن التي حدثت عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م [١٣]. وقل تردد الناس علي رباط الآثار

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٢٣-٤٢٤ .
(٢) نفس المصدر، ص ٤٢١، Fernandes : The evoluation of Asufi ; p44.
(٣) Ibid, p. 39.
(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٧ .
(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٢٥ .
(٦) نفس المصدر، ص ٤٢٤ .
(٧) نفس المصدر، ص ٤٢٣ .
(٨) نفس المصدر، ص ٤٣٤ .
(٩) نفس المصدر، ص ٤٣١ .
(١٠) نفس المصدر، ص ٤٣٢ .
(١١) نفس المصدر، ص ٤٣٠ .
(١٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٣٠ .
(١٣) نفس المصدر، ص ٤٢٨ .

أيضا في تلك الفترة [1]، كما تعرضت الزاويا في بعض الأحيان لقطع الأضحيات التي كان يقوم بها السلطان بتوزيعها عليهم في عيد الأضحى[2] .

مما سبق يتضح تدهور المنشآت الصوفية، يؤكد ذلك أن مصر لم ينشأ فيها بعد عام ٨٠٦هـ من الخوانق والربط والزاويا التي ذكرها المقريزي سوي خانقاه الخروبية التي أنشأها السلطان المؤيد ٨٢٣هـ/١٤٢٠م[3].

ونظرا لارتباط التصوف ـ أحيانا ـ بتدهور الحضارات[4]، فإنه من الطبيعي أن يزداد التصوف بدرجة كبيرة في النصف الثاني من عصر الجراكسة وقد ساعد علي ذلك ازدياد الأوقاف بدرجة كبيرة عما كان عليه الحال في النصف الأول من العصر، بالإضافة إلي أخذ عدد من السلاطين علي عاتقهم إنشاء بعض الخانقاوات، مثل المؤيد شيخ، والأشرف برسباي، وقايتباي، والغوري[5]. كما أضاف بعض الأمراء عددا منها من أمثال جمال الدين الاستادار، وأزبك، وقرقماس[6] .

وقد يرجع ذلك إلي أن السلطة الحاكمة كانت تنظر إلي الصوفية علي أنها تخفف عبء الحياة اليومية[7]، ولذا تزايدت أعداد الداخلين في سلك الصوفية في تلك الفترة، ومن خلال ما أورده بعض الباحثين من أسماء لشيوخ الصوفية في القاهرة المملوكية اتضح أن عددهم في عصر المماليك البحرية ٣٠ شيخا بينما بلغ عددهم في عصر الجراكسة ٦١ شيخا[8]، أي الضعف تقريبا .

---

(١) نفس المصدر، ص ٤٢٩ .

(٢) ابن إياس : بدائع، ج٤، ص ٤٢٩ .

(٣) توفيق الطويل : التصوف في مصر، ص ٤٥ .

(٤) عامر النجار : الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها وروادها، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦، ص ١٣٧ ـ ١٣٨

(٥) Fernandes : The evoluation of Asufi ;pp.79, 82, 83, 85, 86, 90 .

(٦) Ibid, pp.77, 88, 92

(٧) Ibid. P. 40 .

(٨) Boaz Shoshan. Popular culture in medieval Cairo, pp.79-82 .

ويؤكد ازدياد أعدادهم أيضاً أن المؤرخين قد أوضحوا أن عدد الوفيات في خانقاة سرياقوس في جمادى الآخرة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م قد بلغت كل يوم نحو المائتين(١).

وإذا كان الانتساب إلي بعض الطرق الصوفية يستدعي بعض الطقوس المعينة مثل ترديد اسم من أسماء الله الحسني عدة آلاف من المرات لكي يرتقي الشخص من درجة لأخرى في الطريق الصوفي، وذلك فيما يطلق عليه انتساب الإرادة فإن عدداً كبيراً من الداخلين الجدد في سلك الصوفية وبخاصة وقت الأزمات لا يستطيعون إلزام أنفسهم بتلك الطقوس، وبخاصة أن معظمهم دخل لأهداف اقتصادية، ولذا يفضلون نوعاً آخر من الانتساب يطلق عليه انتساب البركة وهو أن يأخذ العهد من الشيخ دون أن يلزم نفسه بهذه الطقوس التي يطلق عليها أهل الصوفية " الرياضات "(٢) .

ولم يقف تأثير الأزمات الاقتصادية علي حد تلاشي كثير من المؤسسات الصوفية بل أدت أيضاً إلي شيوع لقب " شيخ الشيوخ " بين خانقاوات مصر المختلفة بعد أن كان مقصوراً فقط علي شيخ خانقاة سعيد السعداء باعتبارها أول خانقاة أقيمت بمصر(٣). ثم انسحب اللقب إلي شيخ خانقاة سرياقوس بعد إنشائها ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م (٤) واستمر الأمر علي ذلك الحال" إلي أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة واتضعت الأحوال وتلاشت الرتب فلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ "(٥) فأصبح هذا اللقب شائعاً في كل الخوانق المصرية في عصر الجراكسة .

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق ٢، ص ٨٢٥، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٣٩ .
ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٩ .

(٢) عامر النجار : الطرق الصوفية، ص ٩٧-١٠٠ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٥ .

(٤) نفس المصدر، ص ٤٢٢.، القلقشندى : صبح، جـ١١، ص ٣٧٠.، انظر أيضا حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨، ص٣٦٦ .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٤١٥ .

ولقد تركت الأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرا لا ينكر في الأوراد التي كان يرددها المتصوفة، فهذه الأوراد كانت تتضمن طمأنينة النفس عند الهلع والجزع بذكر الله لأن القلوب الواجفة الحائفة تجد في الذكر – وليس الفكر – مخرجا مما يخافون .

ولذا نجد أن اسم الجلالة المفضل في أوراد أصحاب الطرق الصوفية والأكثر استعمالا " يا لطيف ويا رزاق " (١) إذ أصبحت قضية الرزق تشغل الكثير من الناس عندما تضعف مواردهم عن سد حاجاتهم فيتضرعون إلي الله بطلب الرزق الطيب الواسع، والتعجيل به .

ومن خلال أحد أوراد عبد القادر الجيلاني التي يرددها المتصوفة يتضح أن كل الدعاء يركز علي طلب الرزق. فالورد يبدأ ببعض الآيات القرآنية التي تدور حول الرزق كقوله تعالي :

"ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين"(٢). "كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها زرقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يزرق من يشاء بغير حساب"(٣).

ثم يدعو بأسماء الله الحسنى الدالة علي الرزق مثل "الباسط، الرزاق، الغني، المغني، الكريم، المعطي، الواسع"، ويستعجل الرزق إن كان موجودا في السماء أو الأرض، وإن كان معدوما يوجده الله .

ويتضح التكاسل وعدم السعي لطلب الرزق وعدم التعب في الحصول عليه وعدم التفكير فيه فيقول "وانقله (الرزق) إلي حيث كنت ولا تنقلني إليه حيث كان" ... ثم بعد ذلك يقول ... "واعصمني من النصب في طلبه .. ومن التفكر والتذمر في تحصيله".

كما تتجسد قضية الرزق والخوف في أحد الأوراد الأخرى حيث يردد المتصوفة " يا الله يا الله يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوي يا عزيز لك مقاليد

---

(١) عامر النجار : الطرق الصوفية، ص ١٢٩ .
(٢) سورة المائدة، آية ١١٤ .
(٣) سورة آل عمران، آية ٣٧.

السموات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلي رحمتك ... اللهم رضنا بقضائك ... يا رباه يا مولاه يا مغيث من عصاه ... أغثنا أغثنا يا رب يا كريم ... أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من هم الرزق وخوف الخلق " [١] .

وفي ظل التدهور الاقتصادي الكبير الذي عاشته مصر خلال أواخر عصر الجراكسة ذاعت كثير من الكرامات لشيوخ الطرق الصوفية، فها هو أحدهم يعيش في خلوته دون كسب، ثم يخرج يسد نفقات المريدين الذين يقيمون في زاويته علي كثرة عددهم وينفق في تعمير المساجد وبناء المارستانات وغير ذلك من وجوه البر التي توهمها أصحابه ـ وغيرهم ـ ممن تشيع بينهم تلك الكرامات، وممن لا يقدرون علي تحقيق ما يرغبون فراحوا يلتمسون في عالم الخيال تحقيقها [٢]. والتف الكثير من العوام حول هؤلاء الشيوخ، فزادت مكانتهم في المجتمع[٣]، وأصبحوا من الذين يدعون لحضور الصلوات سواء في رفع وباء، أو صلاة استسقاء على اعتقاد أنهم من المقبولين دعواتهم، بل إن السلاطين بدءوا يتقربون منهم في أواخر عصر الجراكسة لما لهم من هيبة شعبية، وطلبوا دعمهم المادي والمعنوي في مواجهة حملات العثمانيين، ومن المتصوفة الذين حازوا كثيراً من القوة والنفوذ في تلك الفترة الشيخ أبو السعود الجارحي، والشيخ الدشطوطي[٤]، والشيخ زكريا الأنصاري الذين كان يتوسل الناس به لدي الأشرف قايتباي[٥] .

---

(١) انظر ورد " الشاذلي " (حزب البر) عامر النجار : الطرق الصوفية، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥ .

(٢) توفيق الطويل : التصوف في مصر، ص ٦٩. أبو زكريا (الأنصارى) : فتاوى شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا بن محمد الأنصارى، جمعها أحمد عبيد، دمشق، المكتبة العربية، د.ت، ص ٤٩٤ .

(٣) Boaz shoshan : Popular culture, p. 11 .

(٤) Fernandes : The evoluation of A Sufi : p.111 .

(٥) فتاوي أبي زكريا الأنصاري، ص ٧.

٤ - هل يشرع الاجتماع لذلك، أو يخرج الناس إلي الصحراء كما في الاستسقاء ؟

٥ - هل يجوز القنوت ؟

٦ - هل يجوز الفرار من الطاعون ؟

أ. ما أسباب حدوث الطاعون ؟

لم يدرك مؤلفو وعلماء العصر العلاقة بين البرغوث وانتشار الوباء، حتى أن السيوطى أكد علي أهمية البرغوث فألف فيه كتاباً أسماه " الطرثوث في فوائد البرغوث "[١] . يصحف فيه اسم البرغوث إلي كلمتين نبيلتين " بر " و " غوث "، ويجعل البراغيث تؤدي مهمتين جليلتين هما مص الدماء الفاسدة، وإيقاظ الملدوغ ليؤدي صلاة الفجر . يقول السيوطي :

لا تكره البرغوث إن اسمه	بر وغوث لك أن تدري
فبره مص دم فاسد	والغوث إيقاظك في الفجر[٢]

وقد جانب السيوطي الصواب في هذا التفسير إذ أن البرغوث لا يمص دماً فاسداً، كما أنه ليس جهاز تنبيه يوقظ بلدغاته النائم لصلاة الفجر، بل اتضح حديثاً أن البرغوث هو الناقل الرئيسى للميكروب .

والمقريزى الذى يقدم تفسيرات منطقية لأسباب الأزمات والأوبئة يقرن أحيانا بين الظواهر الفلكية وهذه الأزمات والأوبئة، إذ يعتقد أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت أحوال مصر وكثر الغلاء والفناء .وعلى الرغم من ذلك فإن هذه التفسيرات الفلكية لم تكن بارزة في المؤلفات التي تناولت هذه الظاهرة في تلك الفترة، وقد تكون هذه التفسيرات الفلكية شائعة بين الطبقات الدنيا من المجتمع من خلال معتقداتهم الخرافية، ولم تكن شائعة بين الأطباء والكتاب[٣] .

كما شاعت بعض التفسيرات الخرافية لحدوث الوباء بين عامة الناس، إذ ربطوا بين مقتل بعض الأفراد الذين يعتقدون فيهم الصلاح وانتشار الطاعون، فعندما قتل السلطان أحد الأفراد لزعمه أنه يعرف صناعة الكيمياء وتضييعه كثيراً

---

(١) العيدروسي : النور السافر، ص ٥٦ .

(٢) قرشى عباس : أدب السيوطي، ص ٨٢ .

(٣) Dols ; The black death, p.91.

من أموال السلطان بلا فائدة في عام ٨٥١هـ/١٤٤٩م، ثم انتشر الوباء في مصر بعد مقتله، زعموا أن قتله كان سبباً في وقوع الوباء والغلاء والشراقى[1] . كما اعتقدوا أنه بعد موت ابن حجر العسقلاني ابتلي الله الناس بالنقص في الأقوات والأنفس، وأن وجوده كان يدفع الضر والبلاء عنها[2] .

ولم تقتصر مثل هذه التفسيرات الخرافية علي عامة الناس بل سادت أوساط السلطة الحاكمة، فكان لدعاء السلاطين علي مماليكهم بالطاعون – من وجهة نظر البعض – سبباً في انتشاره بينهم، فقد دعا السلطان برسباي علي مماليكه بعد أن عاثوا في البلاد الفساد[3]وكذلك السلطان جقمق[4]، حتى تساءل الأشرف إينال في سذاجة عندما انتشر الوباء في ربيع الآخر ٨٦٤هـ/١٤٦٠م ".. وأنا والله ما دعوت عليهم فكيف جاء الطاعون ؟ ! "[5] .

وكما أدت الأوبئة إلي حدوث مناقشات بين رجال الدين من أصحاب المذاهب المختلفة في بعض القضايا الفقهية، فإنها أدت أيضاً إلي حدوث صراع فكري بين أطباء العصر من ناحية، ورجال الدين من ناحية أخري . اعترض فيه الفقهاء علي تفسيرات الأطباء لأسباب حدوث الوباء .

فقد أوضح الأطباء في ذلك الوقت أن سبب الطاعون هو فساد الهواء إما لأسباب سماوية كالشهب والرجوم، وإذا كثرت علامات المطر في الشتاء ولم تمطر[6]، أو لأسباب أرضية كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم إذا لم تدفن القتلى وكثرة الحشرات[7] فيتعفن الهواء مما يؤثر علي كل الكائنات الحية . ولذا سادت نظرية التعفن في ذلك الوقت والتي كانت تدعمها الكتب الطبية القديمة[8] مثل

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٧١، ابن تغرى بردى :حوادث الدهور، ص ٤٠-٤١ .

(٢) السخاوي : التبر المسبوك، ص ٢٧١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٤، ص ٣٥٦، الصيرفى : نزهة، ج٣، ص ٤١٦ .

(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٣٣ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٤، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٣٧، مصطفي الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٢ .

(٧) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٤، الكارروي : المغني، ورقة ٤٦١

(٨) Dols : The black death. p.85. 87

القانون في الطب لابن سينا الذي كان مصدراً رئيسياً لمعظم الذين تناولوا أسباب الوباء[١]، وكذلك " الموجز في الطب " لابن النفيس[٢]، ورسائل ابن رشد الطبية، وقد تأثرت كل هذه الكتابات السابقة بكتابات أبقراط وجالينوس الطبية[٣] حيث كانت آراؤهما في تلك الفترة تشكل مصدراً رئيسياً للتعليلات الطبية للأوبئة .

اعترض الفقهاء علي هذا التفسير الطبي القائم علي نظرية التعفن، واتخذوا تفسيراً دينياً يتلاءم مع ثقافتهم واتجاهاتهم فيما يمكن أن نطلق عليه " نظرية الغضب الإلهي " أو " العقوبة الإلهية "، كسبب لانتشار الأوبئة والمحن بصفة عامة، فتوقف نهر النيل عن الزيادة عقوبة من الله لإظهار الناس للمنكرات وعدم النهى عنها [٤]، وعدم سقوط المطر لكثرة ذنوب البشر ومعاصيهم [٥]، كما اعتبر الأسدى أن ظهور الفاحشة، وعدم الحكم بما أنزل الله سببا فى حدوث الغلاء وانتشار المحن والوباء [٦]، وغالبا ما يلجأ المؤرخون لذلك عندما تفشل جهودهم أو تحليلاتهم للأسباب الحقيقية وراء الأزمة أو الوباء، حتى أن ابن تغرى بردى عبر عن ذلك عندما انتشر مرض لم يعرف الأطباء سببه فى شوال ٨٦١هـ/ أغسطس ١٤٥٧م بأنه ,, أمر وبائى لا يعلمه إلا الله عز وجل ,, [٧]، وترددت بعض الأقوال التى تعبر عن هذه النظرة مثل ,, انتشار الفساد يكون سببا فى انتشار الفناء ,, [٨]، وإذا كثر الطاغون أرسل الله الطاعون ,, [٩]

ونظرية الغضب الإلهى أو العقوبة الإلهية لم ينفرد بها المسلمون فى تفسير الأزمات أو الأوبئة وإنما كانت سائدة أيضا في المجتمع الأوروبي في نفس الفترة[١٠]،

---

(١) مجموعة الشفاء لأدوية الوباء، ورقة ٢٤، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٣٨، أبو الخير عصام الدين : الشفا، ورقة ٢١ .
(٢) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٢١ .
(٣) رسائل ابن رشد، ص ٨٢، ٨٦ .
(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٥ .
(٥) السخاوى : التبر المسبوك، ص٣١٣ .
(٦) الأسدى : التيسير والاعتبار، ص١١، ١١٤ .
(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ٣٠٣ .
(٨) Betry : Twilight of Majesty, p.111
(٩) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة١٩ .
(١٠) Martin : Plague, p. XI .

فالشاعر الإيطالي بوكاشيو الذي كان معاصراً للموت الأسود ٧٤٩هـ/١٣٤٨م اعتبر أن سبب الوباء هو غضب الله لما يرتكبه عباده من الخطايا[١] . وأطلق البعض علي ما يصيب الفرد من أورام تحت الجلد " علامات الرب "[٢] .

علي أى حال اعتبرت الرؤية الدينية أن السبب الرئيسي لانتشار الوباء هو ظهور الفاحشة مثل الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا، وخروج النساء إلي الطرقات والأسواق متزينات متبرجات . وذلك عندما عُرضت هذه القضية للمناقشة أثناء انتشار الوباء في رمضان ٨٤١هـ/ فبراير ١٤٣٨م[٣]، واعتمدت هذه الرؤية علي بعض الأحاديث النبوية التي وردت بهذا الشأن، فقد أخرج ابن ماجة والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله صلي عليه وسلم " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون "[٤] . وأخرج مالك في الموطأ " ما فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت "[٥]، وأخرج الطبراني عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول "ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء"[٦].

ولذا يعد انتشار الطاعون علامة من علامات الغضب الإلهي علي الناس[٧] ووسيلة ينفذ بها حدوده، فحد الزاني البكر الجلد، والزاني المحصن إزهاق النفس لذا فإن الله – طبقاً لهذا التفسير – يسلط مؤمني الجن علي فساق الإنس، فيقيموا الحد علي الزاني بالطاعون، فتزهق روح من أحصن، ويعذب من لم يحصن[٨]،

---

(١) محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية، ص ١٥٣ .

(٢) Benedictow : Plague, p.24 .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٢، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٤٠٣، الأسدي : التيسير والاعتبار، ص ١١١، ١١٤، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص٩٣، ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٧ .

(٤) السيوطي : رسالة في الطعن، ورقة ١٨، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٤٠، ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٥٨ .

(٥) السيوطي : رسالة في الطعن، ورقة ١٨، مجهول : مجموعة الشفا لإدواء الوبا، ورقة ١٩، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٤٠ .

(٦) السيوطي : رسالة في الطعن، ورقة ١٨، مجهول : مجموعة الشفا لإدواء الوبا، ورقة ٢٢، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٤٠ .

(٧) Perty : Twilight of Majesty, p.111.

(٨) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٦٠، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٢ .

وقاعدة العذاب إنه إذا نـزل يعـم المستحق لـه وغـيره، والرحمـة لا تكـون إلا مخصوصة[1] .

وراح بعض فقهاء العصر يؤكدون أن الطاعون من وخز الجن ليس مـن خلال ما ورد من الأحاديث النبوية فقط، بل من خلال بعض الوقائع التـي حدثـت لبعضهم فيذكر ابن حجر أن الشريف شهاب الدين بن عدنان كاتب السر بالقـاهرة . قال " وقع الطاعون مرة فتوجهت لعيادة مريض فسمعت قائلاً يقول لآخر اطعنـه، فقال له دعه لعله ينفع الناس، فقال : لابد، قال : ففي عين فرسه، وعندمـا أنـهي كاتب السر زيارته وعاد إلي منزله وجد أثر ضربة ظاهرة في عين فرسـه قـال "فتحققت صدق المنقول أن الطاعون من وخز الجن "[2] .

ويؤكد جلال الدين السيوطي – في جواب على سؤال رد عليه نظمـاً – إنكاره للتفسيرات الفلكية والطبية، معتبراً أن وخز الجن هو العامل الوحيد لإحـداث الطاعون فيقول :

فما الطـاعون أفــلاك ولا	مزاج ساء أو فسد الهـــوا
رسول الله أخبر أن هـــذا	بوخز الجن يطعننا العـــدا
فسلطهم إله الخلق لما بـــهم	يفشوا المعاصي والزنـــا
يكون شهادة في أهل خـــير	ورجساً للذين بالشر بـــاؤوا
أتانا كـل هـذا في حديـث	صحيح ما به ضعـف وداء
ومن يترك حديثاً عن نبـــي	لما قال الفلاسـفة الجفـــاء
فذلك ماله في العقـل خلـط	ومن دين النبي هو البراء[3]

وقد أرجع بعض الفقهاء الخلأ الذي وقع فيه الأطباء إلي أنهم نظروا إلـي التغييرات الجسمانية التي تحدثها المادة السمية الناتجة من التعفن والتي تؤدي إلـي حدوث أورام في المواضع الرخوة من الجسم مثل تحت الإبـط أو خلـف الأذن[4]،

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٨٧ .

(٢) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٣٩-٤٠، الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقـة ٨، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٣٩ .

(٣) مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٤١ .

(٤) نفس المخطوط، ورقة ٣٨، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٥ .

إلا أنهم – من وجهة نظرهم – أغفلوا التغييرات أو التأثيرات الروحانية التي " لا يدركها إلا من فتحت عين بصيرته وانكشفت عين الغفلة عن سريرته، واطلعت علي أسرار الملك وخفايا الملكوت "(١) .

واعتبر ابن حجر في شرح البخاري أن فشل حذاق الطب في معرفة دواء لهذا الوباء يرجع إلي كونه من وخز الجن، ويدرك ذلك بالتوفيق وليس للعقل فيه مجال ,, ولما لم يكن عندهم (الأطباء) فى ذلك توفيقا رأوا أن أقرب ما يقال فيه أنه من فساد جو الهوا ,,(٢) .

٢- هل من مات بالطاعون يعد شهيدا ؟

اعتبر من مات بالطاعون شهيدا . وقد أورد ابن حجر عددا من الأحاديث النبوية براويات مختلفة تؤكد أن الشهادة لا تختص بالقتل في المعركة فقط وإنما تعدتها إلي حالات أخري من بينها المطعون، كقول رسول الله صلي الله عليه وسلم " الشهداء خمس، المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله "(٣) .

لذلك اشترط الفقهاء أن أجر الشهادة للمطعون يكتب لمن لم يخرج من البلد الذي يقع به الطاعون، وأن يكون في حال إقامته قاصدا بذلك ثواب الله، راجيا صدق موعده، وأن يكون عارفا أنه إن وقع له فهو بتقدير الله، وإن صرف عنه فهو بتقدير الله، وأن يكون غير متضجر به(٤)، ثم راح الفقهاء يوفقون بين كون الطاعون شهادة من ناحية، وكونه عقوبة لمرتكبي المعصية من ناحية أخرى (٥).

---

(١) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٥ .

(٢) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٨ .

(٣) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٤٧، مصطفي الدهنة : رسالة مختصرة في الطاعون، ورقة٢، آبادى : عون المعبود، مجـ٨، ص٣٧٧-٣٧٨، منتخب كنز العمال، مجـ٣، ص٥٠٠-٥٠١ .

(٤) ابن حجر: بذل الماعون، ورقة ٥٣، زكريا الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقة ١٣، ابن نجيم : الرسائل الزينية، ورقة ١٨ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٥٥-٥٩، زكريا الأنصاري، تحفة الراغبين، ورقة ١٤ .

٢- هل يشرع الدعاء برفع الطاعون ؟

اختلف فقهاء عصر الجراكسة حول مشروعية الدعاء برفع الطاعون، وذلك بعد وباء ٨٢٢هـ/١٤١٩م(١)، إذ أفتي بعض الفقهاء بعدم جواز الدعاء برفعه واستندوا في آرائهم إلي خمسة أسباب :

الأول : أن الطاعون رحمة فكيف يطلب رفعه ؟

الثاني: أن الصابر للطاعون له مثل أجر شهيد فطلب رفعه يحرمه هذا الثواب الجزيل (٢) .

الثالث: أن الإيمان بالقدر يقتضي ألا يصيب الطاعون أحدا إلا من كتب له .

الرابع : ثبوت النهي عن الفرار منه، وفي طلب رفعه نوع من الفرار .

الخامس: أن النبي صلي الله عليه وسلم دعا به لأمته ففي طلب رفعه معارضة له(٣).

وقد خالف الشيخ ولي الدين الملوي ٨٢٢هـ هذا الرأي، فكتب جزءا في الدعاء برفع الوباء رد فيه علي هذه التساؤلات، وأجاز الدعاء برفع الوباء علي اعتبار أنه لم ينه عن ذلك، كما ثبت شرعية الدعاء للمريض بالعافية، وكون الطاعون رحمة لا ينافي رفعه، لأن الرحمة شئ وأثرها أو سببها شئ آخر وتتفاوت مراتب الأسباب والآثار، وكونه شهادة فهي حاصلة لمن أقام صابرا محتسبا، والدعاء يرد القضاء(٤) والدعاء ليس فرارا، لأن الفرار أن يغالب الإنسان القدر بالحول والقوة والحيلة، والدعاء بخلاف ذلك لأنه اعتراف من الداعي بالعجز عن الحول والحيلة، بل فيه الخضوع والتذلل(٥) .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٤٦ .

(٢) يعتمد السببين الأول والثاني علي ما رواه البخاري والنسائي عن عائشة رضي الله عنها، سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرني أنه كان عذابا يبعثه الله علي من يشاء وجعله رحمة للمؤمنين : فليس من يقع الطاعون فيمكث في بلاده صابرا محتسبا يعلم أنه ما يصيبه إلا ما كتب الله له كان له مثل أجر الشهيد".
ابن نجيم : الرسائل الزينية، ورقة ١٨ .

(٣) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٤ . انظر أيضا Sublet, La peste, p 147

(٤) من حديث سلمان رضي الله عنه " لا يرد القضاء إلا الدعاء " ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٥ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٤-١٠٥ .

وقد أيد ابن حجر هذه الآراء ورأي مشروعية الدعاء ويستحب لأهل الأرض السالمة الدعاء لأهل الأرض التي يقع بها الوباء، كما يستحب لأهل الأرض الخصبة الدعاء لأهل الأرض الجدبة[١].

ثم جاء جلال الدين السيوطي واعتبر الدعاء بدعة لا أصل له، لأنه ثبت أنه عليه السلام دعا به، وطلبه لأمته، وكذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه [٢]، ولما وقع في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينقل أحد من الصحابة الدعاء برفعه، ولما وقع في زمن معاذ بن جبل قيل له ادع الله يرفع عنا هذا الرجز فقال إنه ليس برجز، ولكن دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من يشاء منكم[٣]، ثم سوّغ شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الدعاء برفع الوباء كغيره من النوازل[٤] .

وكان الدعاء برفع الوباء يتم إما بعد قراءة القرآن أو ختم قراءة البخارى بالمساجد [٥] أو فى الصحراء قريباً من قبة النصر، وقد يكون هذا المكان تم اختياره على أساس أنه يسع أكبر عدد من الناس، وفى هذه الحالة يحدد اليوم الذى يتم فيه الدعاء وغالباً ما يكون بعد صيام الناس، ويقوم بعض الأمراء ومساعديهم فى اليوم السابق للدعاء – تحت إشراف الاستادار – بنصب المطابخ بالمنطقة لتهيئة الطعام للحاضرين وتوزيع الصدقات، ثم ينزل السلطان متخشعاً – بغير أبهة المُلْك – فى اليوم المحدد كما حدث فى وباء ٨٢٢هـ، ثم يأتى شيخ الإسلام وكبار العلماء مع عدد كبير من الناس حاملين الأعلام والمصاحف مهللين مكبرين داعين الله سبحانه وتعالى برفع الوباء وسد بكاء الناس وعويلهم . [٦] وفى بعض الأحيان

---

(١) نفس المخطوط، ورقة ١٠٣.

(٢) أخرج عبد الرزاق فى المصنف بأن أبا بكر عندما بعث جيوشا إلى الشام قال ,,اللهم ارزقنا الشهادة طعنا وطاعونا ,,.

أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوبا، ورقة ٢٦ .

(٣) مجهول : مجموعة الشفاءلأدوية الوباء، ورقة ٣١ .

(٤) مرعي الحنبلي : تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، ورقة ٥٧ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ٢٩١، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ١٧٠.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٨٧ – ٤٨٨، الصيرفى :نزهة، جـ٢، ص ٤٥٥ – ٤٥٦ .

ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٧٨ – ٨٠،

Fernandes : The evolution of A sufi, P.107 .

يتوجه قاضي القضاة مع الناس إلى الصحراء خارج باب النصر ويعظ الناس على العادة (كما حدث في وباء ٨٣٣هـ) وسط صياح الرجال والنساء والتضرع والبكاء [١]، وطالب السلطان القضاة والأمراء أن يأمروا الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصي والإكثار من الطاعات .

٤- هل يصح الاجتماع للدعاء برفع الوباء ؟

إن الفقهاء الذين رأوا أن الدعاء برفع الطاعون بدعة لا أصل له، بطبيعة الحال يرفضون الاجتماع لذلك، أما الذين قالوا بمشروعيته فقد انقسموا في ذلك إلى قسمين بعدما ازدادت أعداد الوفيات في وباء ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، وتم استفتاء الفقهاء في ذلك .

فأفضي بعض الناس بمشروعية ذلك واستندوا إلي العموميات الواردة في الدعاء من ناحية، وإلي أنه حدث اجتماع الناس للدعاء برفع الوباء في زمن الملك المؤيد ٨١٦هـ-٨٢٤هـ/١٤١٤-١٤٢١م . وحضره جمع من العلماء لم ينكره أحد منهم[٢] . ويبدو أن هؤلاء الذين أفتوا بمشروعية الاجتماع للدعاء لم يفكروا في احتمال ازدياد العدوى بين المجتمعين، ومن ثم ازدياد أعداد الوفيات، وقد يكون اجتماعهم في بداية أمر الطاعون سبباً في ازدياد أعداد الوفيات، وحتى الذين أفتوا بترك الاجتماع للدعاء برفع الوباء، لم يكن ذلك بسبب الخوف من انتشار العدوى بينهم وإنما الخوف من سوء الظن بالعلماء والصلحاء - الذين قاموا بالدعاء - إذا لم تستجب دعواهم ولم يتوقف انتشار الطاعون[٣] .

وعلي الرغم من أن ابن حجر أفتي بمشروعية الدعاء لرفع الوباء، إلا أنه اعتبر الاجتماع لذلك كما في الاستسقاء بدعة لم تحدث إلا في عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م ولم يقل بها أحد من السلف، ولم ترد في خبر أو أثر عن المحدثين أو الفقهاء[٤] . وكان ذلك من الأسباب التي جعلت ابن حجر لا يخرج مع

---

(١) الصيرفي : نزهة، جـ٣، ص ١٨٤، المقريزي : السلوك، جـ٤ ق٢، ص ٨٢٢ - ٨٢٣ .
ابن تغري بردي : النجوم، جـ١٤، ص ٣٣٨، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٢٨.

(٢) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٩ .

(٣) نفس المخطوط والورقة .

(٤) نفس المخطوط والورقة، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣١ .

الناس للدعاء برفع الوباء فيما شاهده من أوبئة [١] . أما شيخ الإسلام أبو زكريا الأنصاري فإنه سوغ الدعاء برفعه اجتماعاً وانفراداً فيه علي أنه من جملة النوازل[٢] .

٥ـ هل يجوز القنوت ؟

كانت الإجابة علي هذا التساؤل من بين ما ذكره الفقهاء بعد وباء ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، حيث تشعبت الآراء أيضاً في ذلك .وقال بعض الحنابلة لا يقنت للطاعون لأنه لم يثبت القنوت من السلف في طاعون عمواس[٣]، وأجاب المذهب الحنفي والمالكي بالمنع، بينما أجاب المذهب الشافعي بجواز القنوت في النوازل[٤]. ولذا فابن حجر أوضح أنه يشرع القنوت في سائر النوازل بما في ذلك الطاعون[٥]، إلا أن السيوطي خص هذا الحكم بالأوبئة الأخرى، ما عدا الطاعون[٦] علي اعتبار أنه ليس نازلة وإنما رحمة للمسلمين .

٦ـ هل يجوز الفرار من الطاعون ؟

اختلف العلماء في النهي عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون . فيحرم أكثر العلماء الفرار من الطاعون، فلا يحل أن يفر من أرض نزل فيها إذا كان من ساكنيها، ولا أن يقدم عليه إذا كان خارجاً عن الأرض التي نزل بها[٧] . استناداً علي قول عبد الرحمن بن عوف " سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه " . وفي حديث آخر " الفار من الطاعون كالفار من الزحف "[٨] .

---

(١) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٠ .

(٢) أبو زكريا الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقة ١٩، مرعي بن يوسف الحنبلي : تحقيق الظنون، ورقة ٥٧ .

(٣) أبو الخير عصام الدين الشفا لإدواء الوبا، ورقة ٢٧، مجهول : رسالة في الدعوات، ورقة٧ .

(٤) حسن حبشي : الاحتكار المملوكي، ص ١٥٤ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٢ .

(٦) أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوبا، ورقة ٢٧ .

(٧) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٨٤، انظر أيضاً Sublet : La peste, p. 146 .

(٨) مجهول : مجموعة الشفاءلأدوية الوباء، ورقة ١٥-١٦، مرعي بن يوسف الحنبلي : تحقيق الظنون، ورقة ٤٩

وجاء تفسير الفقهاء المعاصرين لحكمة النهي عن الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون أو الدخول في البلد الذي يقع بها خالياً من التخوف من أن ينشر المريض الطاعون إذا خرج من الأرض المصابة إلي غيرها من الأراضي، أو يصاب به إذا دخل إليها، بل أشار بعضهم صراحة أن ذلك ليس خوفا من العدوى [١] وإنما برروا ذلك بأنه لو خرج الناس، لبقي من أصيب بالطاعون عاجزاً عن الخروج، وفقد من يتعهده، كما أن خروج الأقوياء علي السفر فيه كسر قلوب العاجزين عنه، هذا بالإضافة إلي أن الخارج يعتقد أنه لم يمت لخروجه، ويعتقد المقيم أنه أصيب لعدم قدرته علي الخروج[٢] .

أما بعض العلماء أجاز الفرار من أرض الطاعون، لأن البقاء في أرض الطاعون فيه هلاك للنفس، وفسروا قول رسول الله صلي الله عليه وسلم." الفار من الطاعون كالفار من الزحف " علي أن ذلك كان موجهاً للجنود الذين يقفون في الثغور في مواجهة العدو فأمرهم الرسول صلي الله عليه وسلم أن يثبتوا في موضعهم ولا يتحولوا منه إلي غيره فلما وقع فيهم الموت تحولوا من ذلك المكان إلي غيره، فكان تحولهم عن ذلك المكان إلي غيره كالفرار من الزحف[٣] .

أما الخروج من البلد الذي يقع بها الطاعون للتداوي، فقد حرمه البعض بينما وافق عليه البعض الآخر بشرط اعتقاد الخارج للتداوي بأن الله لو قدره عليه لأصابه، وأن فراره منه لا ينجيه من قدر الله[٤]، وهذا مذهب الجمهور[٥] .

وأدت إصابة خطيب الجامع الأزهر بالوباء فى شوال ٨٤١هـ/ مارس ١٤٣٨م، وعدم قدرته على إلقاء خطبة الجمعة الثانية، ثم صلاته بالناس سرا من غير أن يجهر – أدى ذلك إلى كثرة اللغط حول ما إذا كانت صلاة الجمعة صحيحة أم باطلة، إذ قال جماعة "" الجمعة ما صحت "" وصلوا الظهر أربعا، فلما فرغوا قام جماعة وأمروا المؤذنين فأذنوا، ورقي خطيب آخر المنبر وخطب خطبتين ونزل وتقدم ليصلي فمنعه بعض الناس، وأتوا بالإمام الراتب، فتقدم وصلي

---

(١) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٨٨.

(٢) أبو زكريا الأنصاري : تحفة الراغبين، ورقة ١٨-١٩ .

(٣) نعمة الله الجزائري : مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون، ورقة ٤٧-٤٨ .

(٤) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٨٤ .

(٥) مرعي بن يوسف الحنبلي : تحقيق الظنون، ورقة ٤٦ .

الجمعة، فلما انقضت الصلاة وثب آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح، وأقاموا لصلاة الظهر مرة ثانية .. وانصرف الناس وبعضهم يخطئ من صلي الظهر، وبعضهم يخطئ من صلي الجمعة [١] .

كما تركت الأوبئة وما ترتب عليها من ازدياد أعداد الوفيات بصفة عامة ، والأطفال بصفة خاصة أثرها فى قيام بعض الفقهاء بتصنيف الكتب التي تخفف من أحزان الآباء الذين فقدوا أبناءهم ، بعضها كان من عصر المماليك البحرية مثل كتاب " تبريد حرارة الأكباد في الصبر علي فقد الأولاد " للشيخ كمال أبي حفص عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م[٢].

وقد كتب ابن أبي حجلة التلمساني ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م[٣] كتاب " سلوة الحزين في موت البنين " بعدما خلف طاعون ٧٤٩هـ/١٣٤٨م عددا كبيرا من الوفيات بين الأطفال[٤] ، فذكر سبب تأليفه هذا الكتاب " أنه لما كان موت البنات من المكرمات والصبر علي من لم يبق من البنين من الباقيات الصالحات ، وكان الجناب الشريف الحبر النظامي شيخ مشايخ مصر والشام[٥] بعد موت ولده ممن صبر وغفر وحمد وشكر فنال بالصبر ما أراده ... وكان بموت ولده من الذين لا يفتنون ، ومن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يفيد أنه ربما توجع وراجعه الأسى كلما حمد واسترجع فألفت باسمه هذا الكتاب "[٦] .

وكتب محمد بن محمد المنبجي ت٧٨٥ هـ / ١٣٨٣م كتابا أسماه " تسلية أهل المصائب في موت الأولاد والأقارب "[٧] ويوضح سبب تأليفه هذا الكتاب " أنه

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٨-١٠٣٩، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ٤١٠، ابن عربشاه : التأليف الطاهر، ص ٢٣٣

(٢) ابن ناصر الدين الدمشقى : برد الأكباد عند فقد الأولاد ، قدم له عبد القادر ابن شيبة الحمد ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، د. ت ، ص ٣ .

(٣) لابن أبى حجلة كتاب عن سيرة السلطان حسن .
Guo. L: Mamluk Historiographic studies , the state of the art , Mamluk studies review, 1, chicago , 1997 .p.36 .

(٤) ابن أبي حجلة : سلوة الحزين في موت البنين ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ب رقم٢٣١٨٢ ، ميكروفيلم٣٩٦٢.

(٥) لم يذكر اسمه .

(٦) ابن أبي حجلة : سلوة الحزين ، ورقة ٢،١ .

(٧) مخطوط دار الكتب المصرية ، تصوف ٣٥٥١ ، ميكروفيلم ١٨٤٦١ .

حدث طاعون في سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م .. ومات فيه الألوف من الناس ... ولكن كان أكثرهم من الأطفال حتى كان جماعة من أصحابنا ممن له عدد من الأولاد فلم يبق له ولا ولد ... فأفردت هذا الكتاب تسلية لمن أصيب بمصائب الدنيا "(١) .

أما أشهر الكتب التي كتبت في هذا المجال في عصر المماليك الجراكسة هو كتاب " برد الأكباد عند فقد الأولاد " للشيخ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م(٢) ، كتبه " تذكرة لأولي الألباب وتسلية لكل مؤمن مصاب ، تشرح صدره وتجلب صبره ، وتهون خطبه ، وتخفف أمره .."(٣) . وقد أشار محقق هذا الكتاب علي أنه ثاني كتاب ، في مثل هذا النوع من التأليف بعد كتاب " تبريد حرارة الأكباد " للشيخ الكمال أبي حفص عمر بن العدية(٤) إلا أن ما تم ذكره آنفاً يفنّد هذا القول .

كما ألف الشيخ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م بعضاً من الكتب في هذا المجال مثل كتاب " تفضيل الجلد " وكتاب " ثلج الفؤاد "(٥) كما كتب كتاباً أخر أسماه " برد الأكباد عند فقد الأولاد " بنفس الاسم الذي اختاره ابن ناصر الدين الدمشقي لمؤلفه .

ويعتقد الباحث أن يكون الكتابان نسختين لمؤلف واحد وهو ابن ناصر الدين الدمشقي وبخاصة أن مقدمة الكتابين واحدة ، حتى أن المقدمتين توضحان أن المؤلف كتبهما علي استعجال في أوائل شهر شوال (ولم يذكر السنة) لغرض اقتضاه الحال هذا من ناحية . ومن ناحية أخري أن الشيخ محمد الشامي في مخطوطه الفضل المبين ذكر ما كتبه السيوطي في هذا المجال ، ولم يذكر كتاب برد الأكباد من بين ما ذكر(٦) .

---

(١) المنبجي : تسلية أهل المصائب ، ورقة ٢، ٣ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي : برد الأكباد عند فقد الأولاد ، قدم له عبد القادر ابن شيبة الحمد ، القاهرة، مطبعة المدني ز د.ت .

(٣) ابن ناصر الدين الدمشقي : برد الأكباد ، ص ٩-١٠ .

(٤) عبد القادر بن شيبة الحمد : مقدمة كتاب برد الأكباد ، ص٣ .

(٥) محمد الشامي : الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين ، دار الكتب المصرية ، مجاميع ٦٧ ، ميكروفيلم ٥١٢٢ ، ورقة ٢ .

(٦) نفس المخطوط والورقة .

وكتب السخاوي كتاباً آخر علي نفس المنوال أسماه " ارتياح الأكباد " وهو أجمع الكتب السابقة وأكثرها فائدة إلا أنه قد فاته أشياء أخري علي حد قول الشيخ محمد الشامي ، مما دفع الأخير إلي سد الثغرات من خلال كتاب أسماه " الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين "(١) .

ومعظم هذه الكتابات تشترك في اعتمادها علي الآيات القرآنية التي تبشر الصابرين وكذلك الأحاديث النبوية التي توضح فضل الصبر وثوابه ، ورأي الشارع في تحريم الندب والنياحة وشق الثياب وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها أهل المتوفى ، كما تتناول أيضاً استحباب التعزية لأهل المصيبة ، وكل ذلك مؤيد بالترغيب والترهيب من الكتاب والسنة(٢)

أثر الأزمات الاقتصادية على حركة التأليف :

أدت الأزمات الاقتصادية إلى أن أخذ بعض الكتاب على عاتقهم تنبيه الحكومة إلي واجبها وإلي مسئوليتها تجاه الشعب فقد كانت الأزمة الاقتصادية المتقطعة والتى استمرت من ٧٩٦هـ/١٣٩٣م وحتى ٨٠٨هـ/١٤٠٥م دافعا للمقريزى لتأليف كتابه " إغاثة الأمة بكشف الغمة " ، تعرض فيه بالبحث لتاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م (٣)

وجدير بالذكر أن وفاة ابنة المقريزى الوحيدة لم يكن لها تأثير فى تأليف هذا الكتاب على عكس ما أوضح محققا الكتاب ، وذلك لسبب أساسى أن المقريزى بدأ تأليف هذا الكتاب عام ٨٠٨ هـ ، بينما توفيت ابنته الوحيدة عام ٨٢٦ هـ ، فقد أشار المقريزى إلى ذلك صراحة فى وفيات عام ٨٢٦هـ بقوله " وماتت ابنتى فاطمة يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الأول ، وهى آخر من بقى من أولادى عن سبع وعشرين سنة وستة أشهر "(٤)، بينما لم يرد لذلك ذكر فى وفيات عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م (٥) .

---

(١) محمد الشامي : الفضل المبين ، ورقة ٢ .

(٢) انظر ابن أبى حجلة (التلمسانى) ت ٧٧٦هـ : كتاب سلوة الحزين فى موت البنين، دار الكتب ، ٢٣١٨٢ ب ، ميكروفيلم ٣٩٦٢ ، ورقة ٢،٣ ، محمد المنبجي : تسلية أهل المصائب ، ورقة ٣ ، محمد الشامي : الفضل المبين ، ورقة ٢،٣ .

(٣) سعيد عاشور : أضواء جديدة على المقريزى ، ص٤٧٩ .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص٦٥١

(٥) نفس المصدر ، جـ٣ ، ق٣ ، ص ١١٢٧ - ١١٢٩ .

ومع أن المقريزى يؤمن بأن المحن والكوارث الاقتصادية هى " عادة الله تعالى فى الخلق ، إذا خالفوا أمره وأتوا محارمه " فيعاقبهم بقصور الماء ، أو آفات تصيب الغلال كالجراد أو رياح تهلك الزرع [(١)]، إلا أنه أدرك بحاسته الاقتصادية أن أسباب هذه الأزمة التى دفعته لتأليف كتابه تختلف عما سبقها من أزمات لأنها ناتجة عن " سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر فى مصالح البلاد والعباد " [(٢)] وحدد أسبابها فى ثلاثة أسباب :

١ - تولى المناصب العامة بالرشوة ، الأمر الذى جعل الوظائف تسند إلى غير أهلها، أى أنه لم يتم الاختيار على أساس الكفاءة هذا من جانب ، ومن جانب أخر فإن صاحب الوظيفة يحاول تعويض ما دفعه من دماء رعيته أو المتسلط عليهم [(٣)].

٢ - مضاعفة القيمة الإيجارية للأراضى الزراعية ، وبالتالى تضاعفت تكاليف الإنتاج، فى الوقت الذى أهمل فيه الحكام عمل الجسور ، وسخروا الفلاحين فى الأعمال دون أجر ، فهجروا الأرض ، فقلت الغلال وارتفعت الأسعار [(٤)].

٣ - رواج الفلوس ، إذ أكثر السلطان الظاهر برقوق من ضربها فكثرت بأيدى الناس ، وأصبحت هى النقد الغالب فى البلاد ، فى الوقت الذى قلت فيه الدراهم ،لعدم ضربها ، ولسبك ما بأيدى الناس منها لاتخاذه حليا ، وبذلك يكون المقريزى قد سبق عالم الاقتصاد الانجليزى "جريشام " بنحو قرن من الزمان عندما أعلن قانونه الشهير بأنه إذا وجدت فى السوق عملتان إحداهما رديئة والأخرى جيدة فإن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق [(٥)]

وأدرك المقريزى العلاقة بين ارتفاع سعر الذهب من ناحية وارتفاع أثمان البضائع وأجور العمال وإيجار الأراضى من ناحية أخرى ، كما حرص على الربط بين أسعار النقود فى مصر وأسعار العملات الأجنبية [(٦)].

---

(١) المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٤١ .
(٢) نفس المصدر ، ص٤ ..
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣،٤٤ .
(٤) المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٤٤ ، ٤٥.
(٥) نفس المصدر ، ص ٤٧،٧١ .
(٦) سعيد عاشور : أضواء جديدة ، ص٤٨٧ .

وفى نهاية كتابه إغاثة الأمة لم ينس المقريزى أن يقسم المجتمع المصرى فى عصره إلى سبعة أقسام ، ثم يوضح مدى تأثر أحوال هذه الفئات بالأزمة الاقتصادية التي تعرض لها واضعا فى اعتباره قانونا اقتصاديا هاما هو " قانون العرض والطلب " وأثره فى تحديد الأسعار والأجور [١].

وقد كانت الأزمات الاقتصادية المتتالية من عام ٨٥٣ ــ ٨٥٥ هـ/ ١٤٤٩ ــ ١٤٥١م سببا فى أن قام الأسدى بمحاولات عديدة يدعو فيها أولى الأمر إلى الإصلاح ، فألف مجموعة من الكتب فى هذا المجال منها : كتاب لوامع الأنوار ومطالع الأسرار فى النصيحة التامة لمصالح الخاصة والعامة ، وكتاب النصيحة الكلية فى كل ما يتعلق بمصالح الراعى والرعية ، وكتاب الإشارات العلية فيما يوجب الخلل والفساد والصلاح فى أحوال الرعية ، وكتاب المستدرك اللطيف فى كل ما يبرز به الأمر الشريف[٢] .

وعلى الرغم أن الأسدى يوضح فى مقدمة كتابه " التيسير "ــ الذى انتهى من كتابته عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م[٣] ــ أنه كتب هذه الكتب نتيجة لرؤية منامية رأى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يطالبه بإسداء النصيحة للإسلام والمسلمين[٤] إلا أنه فى مؤخرة الكتاب يوضح أنه قد وافق هذه الرؤية " قصور النيل فى مصر وما أعقبه من وقوع الفناء والطاعون ، ثم هجوم الغلاء ، واشتداد البلاء ، وكثرة المحن. . . . . "[٥]

وفى هذا الكتاب لم يقف الأسدى عند حد عرض أسباب الفساد ونتائجه فقط، بل عالج كل سبب من هذه الأسباب ووضع خطة إصلاحية لتغيير ما فسد فى المجتمع ، ومن هذه الأسباب :

١ ــ العامل الدينى إذ اعتبر الأسدى السبب الأول فى حدوث الأزمات يتمثل فى ظهور الفاحشة ، وتطفيف الكيل ، ومنع الزكاة ، والحكم بغير ما أنزل

---

(١) المقريزى ، إغاثة ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) عبد القادر طليمات : مقدمة التيسير والاعتبار ، ٨ ، ٩ .

(٣) الأسدى : التيسير والاعتبار ، ص١٧٨ .

(٤) الأسدى : التيسير والاعتبار ، ص٣٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص١٧٨.

الله ، إذ أدى ذلك من وجهة نظره إلى وقوع الحوادث والآفات ، ثم أعقبه الغلاء والجوع ، ونقصت الأموال من أصولها [١]

وبالتالى فإن البعد عن هذه المعاصى – من وجهة نظره – تقلل من حدوثها .

٢ – فساد النقود وكثرة ما شابها من غش وتزييف ، فلم تعد مناسبة من حيث الشكل أو الوزن أو العيار[٢]، لذلك يطالب ولى الأمر بحسن إقامتها وتعديلها وتناسبها فى أعدادها وتشكيلها، وتصحيح تدويرها، وتقرير قيم أوزانها، فإن تعامل الناس بها على حساب عددها صح وتطابق على أوزان القيمة لها ، وإن وزنوها طابق ذلك العدد الوزن المفروض لها[٣]. ولاينسى الأسدى فى ذلك أن يطالب بزيادة أجور العاملين فى دور الضرب للقيام بهذه المهمة[٤]. كما طالب بعدم التعامل بالدراهم المقصوصة أو المهروشة ، والضرب على أيدى القائمين بذلك[٥].

٣ – الفساد الإدارى وتولية العمال بالمال ، وقد اعتبره الأسدى الداء الرئيسى فى المجتمع لأنه أدى إلى انخفاض إيرادات بيت المال بدرجة كبيرة، إذ كثرت البيوعات من بيت المال دون حاجة ، ولم تستخدم الاستخدام الأمثل[٦]. وزيادة المكوس التجارية أدت إلى نقص العشور مع نقص الزكاة[٧]. وعدم حفر الخلجان والترع وإهمال إصلاح الجسور والقناطر، وتسلط أصحاب الخراج والكشاف والولاة بالظلم والجور على الفلاحين، واستخدام السخرة مع وسائل الضرب والإهانة، كل ذلك أدى إلى إهمال الزراعة وهجرة الفلاح من الأرض[٨].

---

(١) نفس المصدر ، ص١١١–١١٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص١١٦ – ١١٨ .
(٣) نفس المصدر ، ص١١٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص١٢٩ .
(٥) نفس المصدر ، ص١٢٤ .
(٦) نفس المصدر ، ص٨٠ – ٨٣ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٨٤ .
(٨) الأسدى : التيسير والاعتبار ، ص ٨٥ – ٨٦ ، ٩٢ – ٩٥.

كما تمثل الفساد الإدارى فى الحمايات واحتكار البضائع والحبوب والغلات، وما يعتمده السماسرة والطحانون فى سائر الجهات وبخاصة وقت الأزمات والمجاعات .[1]

ويقترح الأسدى عددا من الحلول لهذا الفساد من بينها :

.. عمل إحصاء بما تحتاجه كل مدينة وقرية فى كل يوم من القوت ، وبالتالى يصبح معلوما مدى حاجة كل مكان فى الشهر وفى السنة ، ثم ينظر فى مقدار إيرادات القوت فى هذا العام فيعزل منه التقاوى والبذور ، ثم يوزع الباقى على الأماكن كل حسب حاجته وذلك دون تسعير [2].

.. استخدام أسلوب الثواب والعقاب فى التعامل مع الموظفين ، أى مكافأة الذين يؤدون واجباتهم ومعاقبة المسيئين وعزلهم [3].

.. الدعوة إلى التكافل الاجتماعى والاهتمام بالرعية والشفقة عليهم وإعانة المظلوم وردع الظالم [4].

.. لايكتفى الأسدى بمطالبة الحاكم بإصلاح ما مضى والاهتمام بالحاضر فقط، بل يطالبه بأن تكون له نظرة مستقبلية لما يمكن أن يحدث من خلل أو فساد[5].

.. التصدى للمشكلات عند بدايتها وعدم تركها حتى لا يستفحل الأمر [6].

مما سبق يتضح أن رؤية كل من المقريزى والأسدى تكاد تتشابه فى تحليل الأسباب التى أدت إلى التدهور الاقتصادى الذى أصاب البلاد ، وبخاصة الفساد الإدارى ، وفساد النقود ، وهى رؤية موضوعية تختلف كثيرا عن رؤى فقهاء العصر التى انحصرت فى مجملها فى ظهور الفواحش والمنكرات .

---

(١) نفس المصدر ، ص١٣٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص١٤١ .
(٣) نفس المصدر ، ص١٥٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص٨٦ .
(٥) نفس المصدر والصفحة .
(٦) نفس المصدر ، ص١٠٤.

كما أن ابن شاهين ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م في كتابه " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك" قام بتوضيح أماكن الخلل وتوجيه السلطة الحاكمة إلى اتخاذ بعض الإجراءات الناجعة في تخطى الأزمات والتدهور الاقتصادي للدولة[١].

وبعض الكتاب اتخذ موقفا مؤيدا لأفكار السلطة الحاكمة ومعارضا لرأي غالبية الناس ، فعندما لجأ قايتباي إلي فرض أجرة شهرين علي الأملاك والأوقاف في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م حلا للأزمة المالية في ذلك الوقت عمل أبو البركات الشيشيني مؤلفا – لم يذكر السخاوي اسمه – أيد فيه وجهة نظر السلطة الحاكمة فقبحه العامة في ذلك وأطلقوا ألسنتهم فيه نظما ونثرا وكادوا يقتلونه ويحرقون بيته[٢].

كما كان للأزمات الاقتصادية وما ترتب عليها من اختلاف التعامل بالنقد من فترة لأخرى فتارة عددا، وتارة أخرى وزنا ، بالإضافة إلي رواج الفلوس أدي ذلك إلي كثرة الاستفتاء والسؤال في البيوع والإجارة والقروض وغيرها . وكانت النقطة الرئيسية للتساؤل والاستفسار هي أن عقد الشراء إذا وقع بفلوس عددية ، ثم قبل قبضها غير السلطان أو نائبه حسابها و أزاد في عدد ما يقابل الدرهم منها حتى رخصت ، أو أنقص من عدد ما يقابل بالدرهم منها حتى غلت فهل يلزم المشتري دفع الثمن علي حساب ما حدث من التغيير ، أم يدفع الثمن كما هو موقع عند العقد؟

وكذلك إذا كان التعامل بالفلوس وزنا ثم أصبحت بالعدد ، أو العكس ، ماذا يكون الحال سواء في البيع أو الشراء أو القرض أو الإجارة وغيرها من المعاملات؟

هذه التساؤلات كانت دافعا لابن الهايم أن يضع كتابا يجيب فيه علي هذه التساؤلات أسماه " نزهة النفوس في بيان حكم التعامل بالفلوس"[٣] . كتبه بعد عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م بعد أن صار الشهود يكتبون في الوثائق من الدراهم بالفلوس الجدد الرائجة .[٤]

---

(١) عبد القادر طليمات ، مقدمة كتاب التيسير والاعتبار ، ص٢ .

(٢) الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٩ ، ١٠ .

(٣) مخطوط ، دار الكتب ، فقه شافعي ١٠٧٣ ، ورقة ٢٢ .

(٤) ابن الهايم (أبو العباس أحمد بن محمد المصرى ثم المقدس الشافعى) عاش فى عام ٧٩١هـ : نزهة النفوس فى بيان حكم التعامل بالفلوس ، ١٠٧٢ فقه شافعى ، ورقة ٢.

وخلاصة ما أورده ابن الهايم أن البائع أو المقرض ليس له أن يلزم المشتري أو المقترض بأن يدفع له الفلوس علي حساب ما صارت إليه بعد العقد بسبب مناداة السلطان عليها وليس للبائع إلا ما اتفق عليه في العقد(١) ، وما ذكر في البيع يجري مثله في جميع المعاملات(٢) .

ونتيجة لكثرة تغيير المعاملة وتدخل السلاطين في تحديد قيمتها ، ظلت هذه التساؤلات تتردد علي ألسنة الناس ، ويحتاجون من وقت لآخر لمن يفتيهم ، مما جعل جلال الدين السيوطي يفرد لهذه التساؤلات مؤلفا خاصا من مؤلفاته المتعددة أسماه " قطع المجادلة عند تغيير المعاملة "(٣) .

ولما كان نهر النيل من العوامل ذات التأثير المباشر في الأزمات الاقتصادية فقد تناول بعض الكتاب أحواله في مؤلفات مستقلة عنه ، فكتب الشهاب الحجازي ٧٩٠-٨٧٥هـ/١٣٨٨-١٤٧٠م كتاب " نيل الرائد في النيل الزائد "(٤) ، وكتب ابن هشام المحلي ٧٩١-٨٦٤هـ/١٣٨٩-١٤٥٩م كتاب " مبدأ النيل علي التحرير "(٥) ، ثم كتب المنوفي ٨٤٧-٩٣١هـ/١٤٤٣-١٥٢٤م كتابا أسماه " الفيض المديد في أخبار النيل السعيد "(٦) .

كما شغل المصريون أنفسهم أيضا بمحاولات التنبؤ بفيضان نهر النيل ، حيث كانوا يستطيعون تقدير أسعار الحبوب من خلال معرفة فيضان النيل(٧) لذا حرصوا بصفة عامة علي التنبؤ بأحوال الفيضان ومدى حدوث الرخاء واعتمدوا في ذلك علي الظواهر الفلكية وغيرها لمعرفة ما سيكون عليه الفيضان ، فشاع بين

---

(١) نفس المخطوط ، ورقة ٢٢-٢٤ ، ٣١ .

(٢) نفس المخطوط ، ورقة ٣٥ .

(٣) محمد كمال الدين عز الدين على : الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة دراسة عن التاريخ والمؤرخين ، دكتوراه ، بنات عين شمس ، مجـ ٣ ، ١٩٨٩، ص ١٢٠٦ .

(٤) مخطوط دار الكتب ، جغرافيا ٣٨٠ ، ميكروفيلم ٤٥٨٤٤ .

(٥) مخطوط دار الكتب ، ميكروفيلم ٤٥٨٤٧ .

(٦) مخطوط دار الكتب ، جغرافيا ٦٦ ، ميكروفيلم ٤٨١٠٨ .

(٧) ليون الإفريقي : وصف إفريقيا ، ج٢ ، ص ١٩٢ .

الناس أنه يوجد جبل بالقرب من منية ابن خصيب[١] تجتمع إليه الطيور في كل عام وفي رأس هذا الجبل ثقب صغير يدخل كل طير منقاره في ذلك الثقب ، ولا يـزال الطير كذلك إلي أن يقبض ذلك الثقب علي طير منها فيبقي معلقا بمنقـاره إلـي أن يموت ، ثم ربطوا بين عدد الطيور المقبوض عليها في الثقب ومدى زيادة النيـل ، فإذا كانت سنة جيدة ، قبض الجبل علي طائرين ، وإذا كانت متوسطة قبض علـي واحد ، وإذا كانت قليلة الخير لا يقبض علي شئ[٢] .

هذا بالإضافة إلي وزن قدر من طين النهر في ليلة محددة يمكنـهم مـن خلالها تحديد مقدار فيضان النهر ، إلا أن هذه المحاولات التنبؤية كانت تخطئ فـي بعض الأحوال كما حدث في عـام ٨٠٦هـ-١٤٠٣م ، ٨١٥هـ/١٤١٢م[٣] ، ٨٢٢هـ/١٤١٩م[٤] ، ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[٥] ، ٩١٦هـ/١٥١٠م[٦] .

وعندما تأثرت بعض أماكن الوقف بالأزمـات الاقتصاديـة . وأصبحت مواردها غير كافية للإنفاق علي ما اشترطه الواقف طفا علي السطح تساؤل عمـا إذا وقف أحد الأفراد علي خانقاه وقفا وجعل للعاملين بها دراهم وزيتـا وصابونـا وخبزا ولحما ، فضاق الوقف ، فهل يقتصر شيخ الصوفيـة علـي صنـف مـن الأصناف التي عينها الواقف ويترك الباقي ؟ أم يوزع عليهم من كـل الأصنـاف ولكن بنسبة أقل ؟ ولذا وضع جلال الدين السيوطي إجابات لهذه التساؤلات وغيرها في مؤلف أسماه " الإنصاف في تمييز الأوقاف "[٧] .

---

(١) يقع هذا الجبل في الجانب الشرقي من منية ابن خصيب ويقصد بها مدينـة المنيـا الحالية .
الهروي (ت٦١١هـ) : رحلة الهروي ، دار الكتب ، ٣م ، ميكروفيلم ٧٤٧٤، ورقة ١٩ .

(٢) الهـروي : رحلة ، ورقة ١٩ ، ابن شاهين : زبـدة ، ص ٣٧ . القلقشـندى : صبح الأعشي ، جـ٣،ص٢٨٨.

(٣) السخـاوى : التبر المسبوك ، ص ١٣ .

(٤) السيـوطي : مخطوط كوكب الروضة ، ورقة ١٥٧ .

(٥) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، ص ٦٧٧ .

(٦) ابن إياس : بدائع ، جـ٤ ، ص ١٩٤ .

(٧) محمد كمال الدين : الحركة العلمية ، مج٣ ، ص ١٢٠٥ .

ونتيجة لكثرة النداء في الناس بالصيام ثلاثة أيام أو أكثر للاستسقاء عندما يتوقف نهر النيل عن الزيادة ، تردد التساؤل عما إذا أمر ولي الأمر الناس بصيام ثلاثة أيام للاستسقاء عند الحاجة أيكون ذلك واجبا عليهم ؟ ولقد أفتي العلماء بوجوب الصيام علي الرعية[١] امتثالا لقول الله تعالي " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "[٢] .

الوقايـــة والعـــلاج :

اتخذت الوقاية من الأوبئة بصفة عامة والطواعين بصفة خاصة أشكالا مختلفة بعضها كانت تقوم به السلطة الحاكمة، والبعض الآخر كان يقوم به الأشخاص أنفسهم، فقد اهتمت السلطة الحاكمة بصورة تقليدية – من خلال وظيفة الحسبة – بنظافة الأسواق بصفة عامة [٣] . وألزمت العاملين فى حرف الطعام والشراب بتنظيف أوانيهم [٤]، وجعلت لبعضهم زيا خاصا تفاديا لسقوط العرق أو الشعر فى الطعام وفرضت عليهم تغطية أوانيهم من الذباب وهوام الأرض [٥]، وطالبت السقائين أن يبتعدوا عن مواطن الوسخ أو القاذورات فى النيل وغير ذلك من الإجراءات [٦] بل ومنعت سقاة الماء بالكيزان أن يسقوا بكيزانهم المجذوم والأبرص وأصحاب العاهات والأمراض الظاهرة الذين يمكن من خلالهم نقل العدوى للغير [٧] .

كما حرص الواقفون على أن يكون القائمون على الطعام والشراب فى أماكن وقفهم سالمين من العاهات والأمراض[٨] بل وفى بعض الأحيان عزل

---

(١) ابن الهايم : نزهة النفوس ، ورقة ٢٤ ، فتاوى شيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري، ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) سورة النساء ، آية ٥٩ .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة، ص ١٣-١٤، المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٧ .

(٤) ابن الحاج : المدخل، جـ٤، ص ١٨٧، ابن بسام : نهاية الرتبة، ص ٣٢، ٣٩، ٤٣، ٥٠ .

(٥) ابن بسام : نهاية الرتبة ص ٢٢، ٢٥، ابن الأخوة : معالم القربة، ص ١٧٣ .

(٦) الشيزرى : نهاية الرتبة، ص ١١٧ .

(٧) ابن بسام : نهاية الرتبة، ص ٢٥ .

(٨) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية، ص ١١٧ .

المرضى من أرباب الوظائف خاصة إذا كان مرضهم من الأمراض المعدية، ورأفة بهم شرطوا لهم أن يتناولوا مرتباتهم حتى شفائهم أو وفاتهم (١) .

وتظل عملية عزل المريض بمرض معد فى ذلك العصر رهينة بأمثلة محدودة فى بعض المنشآت الوقفية، ولم تكن سياسة عامة تتبعها السلطة الحاكمة، لعدم الوعى الصحى من ناحية، ولاختلاف آراء المعاصرين حول قضية العدوى من ناحية أخرى، فبينما كان السبكى يرى منع زيارة المرضى أثناء الوباء(٢)، أنكر ابن حجر ذلك . (٣)

ووافق السبكى فى رأيه عدد آخر، بل تخوف بعضهم على أبنائهم، فقاموا بإرسالهم إلى أماكن غير موبوءة، فعل ذلك قاضى القضاة الحنفى " ابن الشحنة" عندما تزايد أمر الطاعون بمصر فى عام ٩١٩ هـ / ١٥١٣م، وسار على نهجه كثير من الأمراء الذين أرسلوا أبناءهم، بل إن بعض الأمراء أرسل جماعة من مماليكه إلى هناك (٤).

وتقوقع البعض الآخر على نفسه، وانقطع عن الناس حتى لا يصاب بالعدوى مثلما فعل قاضى القضاة " ناصر الدين محمد " (٥) فى وباء ٨١٩هـ/ ١٤١٦م(٦).

---

(١) محمد أمين : الأوقاف، ص ١٧٦ .

(٢) Dols: The Black death, P101

(٣) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٦٠ .

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ . اتخذت وسيلة الهجرة أو الابتعاد عن مكان الوباء كأحد وسائل الوقاية فى المجتمع الأوربى فى نفس الفترة.
Martin : Plague, P. x1 .

(٥) هو ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن قاضى القضاة جمال الدين إبراهيم ابن أبى جرادة العقيلى الحلبى نزيل مصر، ولد ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م بحلب وقدم القاهرة مع أبيه، وقبل وفاة والده أوصاه ألا يترك منصب القضاء ولو أذهب فيه جميع ما يملكه فتولى القضاء بالرشا وتسلط على الأوقاف، الصيرفى: نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٦) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٧٤ .

وابن أبي حجلة الذي رأى الموت الأسود في دمشق رأى ألا يجلس الإنسان بالقرب من المريض لأن تلوث الهواء قد يساعد على العدوى (١)، وطبقا لأفكار ابن خاتمة أن العدوى يمكن أن تنتج من المرضى أو من ملابسهم، أو أدواتهم الشخصية، وبخاصة أن الملابس القديمة المملوءة بالبراغيث كانت تباع(٢)، كما كان الأطباء يؤيدون هذه الأفكار وينصحون بعدم مخالطة المصاب، حتى امتنع كثير من الناس من عيادة المطعون (٣)، بل وتجنبوا حضور الجنائز (٤) .

مثل هذه الاختلافات في "قضية العدوى" وكذلك اختلاف الرؤى للأسباب التي أدت إلى ظهور الوباء وانتشاره انعكست آثارها على وسائل الوقاية والعلاج من الأوبئة، وأصبح " التداوي" من الطاعون يشغل بعض مفكري العصر ورواده ولذا كان السؤال المطروح هل التداوي من الطاعون يفيد كما في غيره من الأمراض ؟!، وقد اختلفوا حول أهمية التداوي من "طاعون، فمنهم من أخذ بالأسباب وأيد التداوي، ومنهم من ترك التداوي على اعتبار أن ذلك أفضل وأوفق بالتوكل (٥)

وكان السيوطي على رأس الرافضين للتداوي بحجة أن حذاق الأطباء اعترفوا بأنه لا دواء للطاعون ولا دافع له إلا الذي خلقه وقدره، لذا لم يستعمل أي شيء أيام الطاعون لأنه من وجهة نظره " لا فائدة فيه" واستشهد على ذلك بقول القائل .

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة والطاعون والهرما(٦).

وانتقد في " مقامته الطاعونية " الذين حاولوا الهرب من الطاعون، أو راحوا يبحثون في كتب الطب عن علاج، أو علقوا فصوصا من الياقوت، أو رتبوا أدعية لم يرد بها حديث ولا أثر (٧).

---

(١) Dols : Op . Cit, P. 101 .

(٢) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٠ Dols : Op . Cit, P. 92

(٣) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٤ .

(٤) نفس المخطوط، ورقة ٦٠ . وجدير بالذكر أن مثل هذه الوسائل قد استخدمت في المجتمع الأوربي في نفس الفترة فقد كان الناس يجتنبون بعضهم بعضا، وقلما يتزاور الأقارب أو لا يتزاورون . محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية، ص ١٥٤ .

(٥) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ١١ .

(٦) مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٥٨ .

(٧) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٦، مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٥٨ .

وسار عامة المتصوفة أيضا على نفس النهج فى ترك التداوى من الطاعون، ويرددون أن كل طبيب يموت بالعلة التى تمهر فى علاجها كقولهم :

إن الطبيب بطبه ودوائه	لا يستطيع دفاع مقدور قد أتى
هلك المُداوِى والمُداوَى والذى	جلب الدواء وباعه ومن اشترى
ما للطبيب يموت بالدواء الذى	قد كان يبرىء عنده فيما مضى
لم يغن عنهم طبهم ودواؤهم	واخل ما يغنى إذا حل القضا[1]

وأخذ فريق آخر بالأسباب ورأى أهمية التداوى من الطاعون، وكان على رأسهم ابن حجر وأيده شيخ الإسلام "زكريا الأنصارى" الذى نقل عن ابن سينا أنه يبدأ فى علاج الطاعون بالشرط ثم الفصد [2] بأسفنجة مغموسة فى خل أو دهن ورد أو دهن تفاح أو دهن آس [3]، وقد انتقد الأنصارى أطباء عصره لعدم إقدامهم على فصد المصاب بالطاعون بإخراج الدم بحيث صار عامة الأطباء يعتقدون تحريم ذلك على عكس ما ذكره ابن سينا [4].

وقد اتخذت الوقاية والعلاج من الأوبئة بصفة عامة والطاعون بصفة خاصة أسلوبين رئيسيين :

الأول: الوقاية والعلاج الجسمانى الذى يقوم به أطباء البدن والحكماء الطبيعيون [5]

والثانى: الوقاية والعلاج الروحانى الذى يقوم به الأطباء الروحانيون [6] على حد تعبيرهم المعاصر .

---

(١) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٢٨ .

(٢) الفصد : شق العرق لاستفراغ الدم منه إما لرداءته، وإما خوفا من حدوث أمراض نتيجة كثرة الدم .
ابن الأخوة : معالم القربة، ص ٢٤٧، حاشية (١) .الشيزرى : نهاية الرتبة، ص ٨٩، حاشية (١).

(٣) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٤، الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٢٠ .

(٤) الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٢٠-٢١ .

(٥) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٢ .

(٦) نفس المخطوط، ورقة ٣٩ .

أولاً : الوقاية والعلاج الجسمانى :

وقد اشتمل هذا الأسلوب على أكثر من طريقة تمثلت فى :

١ـ نظافة المكان وتنقية الهواء :

نتيجة للاعتقاد بأن الطاعون ينشأ من الهواء المتعفن، فقد أشار البعض إلى الخروج إلى أماكن لا يتوقع فيها ذلك المرض (١) فإذا لم يتيسر له ذلك إما لعموم البلية فى كل الأماكن، أو صونا لأمر الاعتقاد، فإن الفرد مطالب بتنقية الهواء الذى يستنشقه وذلك من خلال نظافة المكان ورشّه بالخل والحلتيت، وتبريد المسكن (٢) ولذا كان يفضل سكنى المساكن ذات الفتحات الكثيرة، والتى تتجه نحو الشمال لاستقبال الهواء البارد (٣) .

ويمكن تنقية الهواء من خلال البخور بالعود أو العنبر أو المصتكى أو قشر الرمان، أو وضع قدر من الحبة السوداء فى قطعة من القماش وترمى بالمنزل.(٤) هذا بالإضافة إلى استخدام الروائح الزكية مثل الكافور، والسعد، والصندل، والمسك والأترج (٥) .

٢ـ الطعام والشراب :

وتم تحديد بعض الأنواع من الطعام والشراب السالمة من الرطوبة كالنواشف مثل العناب باللوز، والحوامض كالخل، وماء الليمون، وماء الحصرم، أو الرمان، أو النارنج، أو السماق (٦) .

كما يطبخ العدس المقشور بأحد الحوامض، ويؤكل البصل نيئا (٧)، ويؤكل الثوم بالخل (٨)، وأضاف البعض أكل المخللات النافعة وبخاصة الكَبَر المخلل،

---

(١) أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوباء، ورقة ٢٩، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٣ .

(٢) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٣، البيلونى : خلاصة، ورقة ٩ .

(٣) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢١، مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٤ .

(٤) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥ مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٤.

(٥) الكازروى : كتاب المغنى، ورقة ٤٦٣ .

(٦) نفس المخطوط والورقة، مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٣ .

(٧) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥ .

(٨) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٣ .

والحلتيت لمنعهما للعفونة .[1] ويدق مقدار درهمين من الترمس ويسف منه لمدة ثلاثة أيام [2] . ويؤكل القرع والخس[3]، وكذلك الفواكه المقوية للقلب والدماغ مثل التفاح والسفرجل [4] ولا يستعمل من الفواكه إلا الناضجة المائلة إلى الحموضة، فيمص ماؤها ويرمى تفلها [5]، وإذا تم أكل اللحوم فيفضل الدجاج والحمام، ولتكن مطبوخة بأحد الحوامض، ويعصر عليها خل وليمون.[6] ويفضل أيضا اللبن الرايب المنزوع عنه الزبد [7]، وبصفة عامة لا يؤكل الطعام وهو حار [8] .

أما بالنسبة للشراب فكان ينصح بعدم شرب الماء خالصا وإنما ممزوجا بالسكنجبين السكرى أو ماء الورد أو شراب الحصرم [9]، أو بالخل . [10] ويسقى كل يوم الطين الأرمنى مع الخل [11] .

وسجل المعاصرون بعض التحذيرات الخاصة بالطعام والشراب، إذ كان يحذر من ملء المعدة بالطعام، كما يحذر أيضا من الجوع [12] ومن شراب الأدوية المسهلة، ومن شراب الماء المتغير [13] والاحتراز من السهر المفرط لأنه يفسد الهضم [14] هذا بالإضافة إلى بعض التحذيرات الأخرى مثل التحذير من دخول الحمام وكبس البدن لأن ذلك يفتح المسام فيسرع إليه سريان الفساد من الهواء الوبائى [15] وإن كان ضروريا فبماء عذب فاتر [16] . والاحتراز

---

(1) الكازروى : كتاب المغنى، ورقة ٤٦٣ .

(2) مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٤ .

(3) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥، مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٤، ٥.

(4) مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٤ .

(5) مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥ .

(6) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٢ .

(7) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠ .

(8) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥ .

(9) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٣، مصطفى الدهنة، رسالة مختصرة، ورقة ٤ .

(10) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٥ .

(11) أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوباء، ورقة ٢٩ .

(12) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٤، البدليس : رسالة الإباء، ورقة ٤٠ .

(13) البيلونى : خلاصة ورقة ٧، ٨ .

(14) البيلونى : خلاصة، ورقة ٨ .

(15) نفس المخطوط، خلاصة، ورقة ٧ .

(16) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٦ .

من الغضب وشدة الصياح، والتفكير العميق، والإكثار من الجماع[١] كما ينصح بترك الرياضة، وملازمة السكون[٢].

وينبغى الاهتمام بإدرار البول بشرب بعض المواد التى تساعد على ذلك مثل الكرفس وعود السوس، ويسير من الإفستين بشراب السكنجبين ونحو ذلك[٣].

٣ـ تخفيض درجة حرارة الجسم :

وكان يتم ذلك بعدة طرق :

أ – تفضيل الملابس الخفيفة والتى لا تمتص الحرارة كالكتان[٤] ويفضل أن تطيب هذه الملابس بماء الورد الممزوج بقليل من الخل[٥] ويحترز من اللبان الكثيف القوى كالفرو شديد الحرارة، والثوب الثقيل، ولبس الصوف على الجسم من غير حائل لأن هذه الملابس ترفع من درجة حرارته مما يؤدى إلى فتح مسام الجسم ويتأثر بالهواء المتعفن[٦].

ب – عدم تعرض المريض لأشعة الشمس، والسكن فى أماكن باردة. أو متجددة الهواء[٧].

ج – شرب الماء البارد دفعة واحدة من غير تدريج، اعتقاداً بأن شربه بالتدريج يهيج الحرارة وشربه دفعة واحدة يطفئها[٨].

د – استخدام الثلج لتغطية الأماكن المصابة لتخفيض درجة حرارتها[٩].

٤ـ الفصد والشرط :

اختلفت آراء المعالجين لاستخدام الفصد والشرط كعلاج للطاعون، فبينما كان يرى البعض مايراه ابن سينا من فصد المصاب بالطاعون [١٠]، حتى أن

---

(١) نفس المخطوط، ورقة ٢٥-٢٦، البيلونى : خلاصة، ورقة ٧ .

(٢) الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٢٠، مرعى بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٥٩.

(٣) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٤ .

(٤) البدليسى: رسالة الإباء، ورقة ٤٠، أبو الخير عصام الدين: الشفا لإدواء الوباء، ورقة ٢٩.

(٥) ابن خاتمة: تحصيل، ورقة ٢٦.

(٦) البيلونى: خلاصة، ورقة ٧.

(٧) البدليسى: رسالة الإباء، ورقة ٤٠، البيلونى: خلاصة، ورقة ٩.

(٨) ابن خاتمة: تحصيل، ورقة ٢٢، البيلونى: خلاصة، ورقة ٩.

(٩) البيلونى: خلاصة، ورقة ٩.

(١٠) الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٢٠ -٢١

ابن خاتمة من خلال تجاربه الشخصية أوصى بتخفيف الدم بشق العروق والحجامة، وفصل كيفية فعل ذلك فى مخطوطه (١)، إلا أن وجهة نظر الغالبية العظمى من المعالجين كانت ترى أن فى ذلك خطورة على المريض، وتكمن هذه الخطورة فى انتشار السموم إلى الأعضاء الرئيسية وبخاصة بعد الإصابة بالطاعون، ولذا كانوا يحذرون منها (٢) .واكتفى البعض الآخر بفصد الفرد قبل إصابته بالمرض كنوع من أنواع الوقاية، واشترط أن يكون فوق الاثنى عشر عاما، بالإضافة إلى تحمله الفصد والشرط (٣) .

٥- تناول الأدوية والعقاقير :

غالباً ما كانت هذه الأدوية تتخذ من أكثر من نبات أو أكثر من عنصر، ومن أمثلتها الطين الأرمنى المسحوق يذاب بماء وخل، وبأخذ المصاب منه ملعقة على الريق قبل إفطاره، وكذلك إضافة الصبر مع الزعفران والكافور، والأفيون، والصمغ العربى، ثم يدق الجميع ويعجن بماء ورد ويستخدم ذلك لمدة يومين.(٤) وتستخدم مثل هذه التراكيب أيضا للوقاية من الوباء، ولكن بكميات أقل، وعلى فترات متقطعة(٥) كما كانت نسبة التراكيب تختلف باختلاف قوة الجسم، وحالة الفرد العامة(٦) .

ومعظم الأدوية التى كانت تستخدم كان يشير القائلون بها على أنها منامات حدثت لهم أو لبعض الأتقياء حيث يأتى الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم فى المنام ويملى أو يشير عليهم بالدواء (٧)

ثانياً : الوقاية والعلاج الروحانى :

فى ضوء التفسير بأن الوباء نوع من الغضب الإلهى من وجهة نظر كثير من مفكرى العصر، فلا جرم أنه لا يستدفع غضبه إلا بالتماس رضاه، إذ لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إلى الله، ولذا كانت الوقاية والعلاج الروحانى المتمثلة فى

---

(١) تحصيل، ورقة ٢٤ – ٢٥، ٢٩ .

(٢) البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤١، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٧ . البيلونى: خلاصة، ورقة ٩ .

(٣) البيلونى : خلاصة، ورقة ٧.

(٤) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٣، البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٠ مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٦ .

(٥) البيلونى : خلاصة ورقة ٧ .

(٦) نفس المخطوط والورقة .

(٧) ابن الحاج : المدخل، جـ٤، ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩ .

الأدعية أنجح من التداوى بالعقاقير، من وجهة نظرهم .(١) ولم يكن ذلك مقصوراً على رجال الدين فقط، بل شاع فى معظم فئات المجتمع، فالشاعر ابن مكانس ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م يقرر أنه عندما مرض استدعى أحد الأطباء لعلاجه، ولكنه لم يثق به، فيقول " .... وتطببت بالطب النبوى ... وأمدنى شخص من أولياء الله بدعاء .. فحصل الشفاء، وأماطت العافية العفا، ولله المنة على زوال المحنة " (٢) .

ولذا عمل رجال الدين كأطباء روحانيين - لعلاج المرضى فى ذلك الوقت، فكان يقصدهم كثير ممن لا يقتنعون بالتداوى بالعقاقير لعلاج الطاعون، لأخذ بعض الأدعية المأثورة حتى أن ابن الحاج أوضح أن كبار المشايخ كانوا يكتبون الآيات القرآنية والأدعية فيسقونها لمرضاهم ويجدون العافية فيها، وأوضح أن هناك بعض الأوراق المخصصة لعلاج الحمى معلقة على باب زاوية الشيخ أبو محمد المرجانى، فمن كان به ألم أخذ ورقة منها فاستعملها فيبرأ بإذن الله عز وجل(٣).

وتمثل هذا النوع من الوقاية والعلاج فى بعض الأذكار النبوية التى تتمثل فى آيات الشفاء من القرآن الكريم (٤) وكذلك الآيات القرآنية التى تحفظ قائلها من مس الجن مثل فاتحة الكتاب، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، وآية الكرسى وكذلك

---

(١) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٣ .

(٢) إبراهيم الدسوقى : ابن مكانس، ص ٦٦ .

(٣) المدخل، جـ٤، ص ١٢٢ - ١٢٣، انظر أيضا مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤١ .

(٤) آيات الشفاء هى :

١- " يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور " . سورة يونس، آية ٥٧ .

٢- " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً " . سورة الإسراء، آية ٨٢ .

٣- " الذى يطعمنى ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين " .سورة الشعراء، آية ٧٩ .

٤- " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .سورة النحل، آية ٦٩ .

٥- " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزيهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين "سورة التوبة، آية ١٤ .

٦- " قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء " سورة فصلت، آية ٤٤ .

ابن الحاج : المدخل، جـ٤، ص ١٢١ ـ ١٢٢، البدليسى : رسالة الإباء، ورقة ٤٤ .
أبو الخير عصام الدين : الشفا لإدواء الوبا، ورقة ٣٥

ترديد قول " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير " وكثرة الصلاة على النبى، وكثرة التسبيح لقوله تعالى " فلولا أنه كان من المسبحين "(١) وقبل أن ينزل الفرد من بيته يقول " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "(٢) وينبه الشيخ زكريا الأنصارى وغيره أنه لكى يحصل النفع بهذه الآيات، أن يكون الشخص صافى القلب، خالص التوبة، نادما على ما فرط (٣) .

وكان البعض يداوم فى أيام الوباء على تلاوة سورة الأنعام، أما العوام فيداومون على قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين (٤) وكانت رقية النبى صلى الله عليه وسلم أحد الوسائل الرئيسية للعلاج من الأوبئة كقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافى ولا شافى إلا أنت، شفاءً لا يعاود سقما" (٥).

ولم تقتصر الأدعية على الآيات القرآنية، بل كان جمهور العلماء فى أيام الوباء والطاعون وغير ذلك يتبركون بقراءة كتب الصحاح من الحديث مثل صحيح البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأبى داود (٦) بالإضافة إلى بعض الكتب المذهبية، فالشافعية يقرءون كتاب " التنبيه " للشيرازى، والمالكية يقرءون كتاب " الموطأ " للإمام مالك، والحنابلة يقرءون كتاب الخرقى لأبى القاسم عمر بن الحسين الخرقى ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م . (٧)

---

(١) سورة الصافات، آية ١٤٣ . ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٤٠-٤٢، ٤٤-٤٥، الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ٨
السيوطى : رسالة فى الطعن، ورقة ١٩، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٣٢ .

(٢) الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ١٠ .

(٣) نفس المخطوط والورقة، مصطفى الدهنة : الأزهرى : رسالة ختصرة، ورقة ٢، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٢ .

(٤) مجهول : رسالة فى الدعوات التى تقال فى إزالة الوباء والطاعون، دار الكتب، ٢٥٠٧ تصوف، ميكروفيلم ٣٤٠٦٤، ورقة ٧،
أبو الخير عصام الدين : الشفا، ورقة ٣٦ .
مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٣، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٤٩

(٥) مجهول : رسالة فى الطاعون، ورقة ١٨ .

(٦) مجهول : رسالة فى الدعوات، ورقه ١، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقه ٥٨ .

(٧) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٥٧ .

وأما أهل الصوفية فيتبركون في أيام الوباء بقراءة الفاتحة في كل يوم ٢٨ مرة [١] وكتاب " قوت القلوب " لأبي طالب الملكي ت ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م، وبعض أصحاب الطرق الصوفية المختلفة يقرأ كل منهم حزب شيخه، مثل الشاذلية الذين يقرءون حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي وكذلك أتباع عبد القادر الجيلاني يقرءون أوراده [٢].

وكثيرا ما كانت تتردد بعض أسماء الله الحسنى ثم يدعو الناس بعدها برفع الوباء مثل يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام، اللهم نعوذ بك من الطعن والطاعون والوباء وموت الفجاءة، .. اللهم اصرف عنا القحط والوباء والطعن والطاعون [٣] .

ولعبت المنامات أو الرؤى دوراً في تحديد صيغ بعض الأدعية التي كانت تردد في مثل هذه الظروف - كما لعبت من قبل في تحديد بعض الأدوية وطرق العلاج .

فالشيخ تقي الدين السبكي كتب أن رجلا صالحا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام والناس حوله يسألونه رفع الوباء فقال لهم تقولون يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء، ارفع عنا هذا الوباء[٤]. وطالب بعض الأفراد السلطان الأشرف - مستندا إلى منام رآه - أن يأمر الخطباء والمؤذنين والمدرسين والقصاص أن يختموا أدعيتهم بالدعاء بهذه الآية " ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون " وعندما سئل ابن حجر عن ذلك أجاب أن الأولى أن يكون بدلها " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " لأن آدم قالها فتاب الله عليه ورحمه، أما الأخرى حكاها الله تعالى عن الكفار وعقبها بالرد عليهم [٥].

---

(١) مجهول : رسالة في الدعوات، ورقه ١ .

(٢) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٥٧-٥٩ .

(٣) نعمة الله الجزايري : مسكن الشجون، ورقة ١٥١ .

(٤) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٠، انظر أيضا البدليسي : رسالة الإباء، ورقة ٤٤ أبو الخير عصام الدين : الشفا، ورقة ٣٨ .

(٥) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١١٠.

وانتشرت أعمال السحر والتنجيم والخرافات فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة وأصبح علم السيما من العلوم التى يقبل البعض على دراساتها [1] للوقاية والعلاج من الوباء **وقد اتخذ ذلك عدة أشكال :**

الأول: ترديد أدعية معينة على أنواع من الطعام والشراب ثم يؤكل هذا الطعام أو يوزع على من خاف على نفسه الطاعون، أو من أصيب به، كأن يتخذ البعض جزءاً من " السماق " [2] يقرأ عليه اسمه تعالى نافع مائتى مرة ثم يقول يا شافى يا كافى يا معافى سبعمائة وثلاث مرات.[3] أو يأخذ كوزا جديدا يضع فيه ماء، ويقرأ دعاء ثلاث مرات وهو ناظر إليه وفى كل مرة ينفخ على الماء بالإشارة، وهذا الدعاء هو " الله الأمان، الله يا حى لا يموت، يا صمد لا يطعم، يا غنى لا يفتقر، خلصنا من الطاعون والوبا، يا الله الأمان يا أرحم من كل رحيم، يا أعلم من كل عليم، يا أحكم من كل حكيم، خلصنا من الطاعون والوبا " [4]

وكذلك قراءة دعاء طويل على رأس خروف ثم يوزع منه على الفقراء كفدية للفاعل، وفى مثل هذه الأدعية يستشفعون بالرسول صلى الله عليه وسلم، والإمام على وفاطمة وبعض الأولياء الصالحين [5]

الثانى : كتابة بعض آيات القرآن الكريم فى إناء زجاجى ثم تمحى الكتابة بماء الورد ويشرب منه المريض، أو تدهن منه الأماكن المصابة [6] .

الثالث : عمل أحجبة يشتمل بعضها على آيات من القرآن الكريم من سور متفرقة،

---

(١) إبراهيم الدسوقى جاد الرب : ابن مكانس والشعر فى عصر المماليك، القاهرة، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥٦ .

(٢) السماق : بالتشديد من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صفار يطبخ . وأما الحبة الحامضة التى يقال لها العبرب فهو السماق . ابن منظور : لسان العرب مادة " سمق " .

(٣) مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ٥ .

(٤) نفس المخطوط والورقة .

(٥) نفس المخطوط، ورقة ٦، ٧ .

(٦) مجهول : رسالة فى الدعوات، ورقة ٦ .

تشمل معظم آياتها على اسم الله الأعظم وتسمى " آيات الحرز "[١] بعض هذه الأحجبة يحملها الإنسان إما على صدره، أو تعلق فى غطاء الرأس، أو توضع فى فص خاتم، وبعضها يعلق على الأبواب .

ومن بين ما يكتب ويعلقه الشخص على صدره دعاء يتضمن بعض الكلمات غير المفهومة كالطلاسم " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الجبروت بألطافك الخفية، الواردة النازلة من باب الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، ياذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة، يا ذا الجلال والإكرام " [٢] .

ومما يكتب ويحمل على الرأس بشرط ألا تطمس الحروف، ويذكر الكاتب الاسم عند كتابته هو هذا الشكل [٣]

يا رقيب	يا مقتدر
يا خلاق	ياعليم

وقد اعتقد البعض أن من خواص الياقوت أنه يقى لابسه من الطاعون[٤]، ولذا اتخذه عِلْيَة القوم وسيلة من وسائل الوقاية، فعندما انتشر الوباء فى المحرم ٩١٩هـ / مارس١٥١٣م أشار بعض الحكماء على السلطان بأن يلبس فى أصابعه

---

(١) هذه الآيات هى : الأربع آيات الأول من سورة البقرة، وآية الكرسى وأيتان بعدها (الآيات ٢٥٥ - ٢٥٧ من سورة البقرة) . وثلاث آيات فى سورة الأعراف الآيات من ٥٤ إلى ٥٦، والآيتان ١٢٨و ١٢٩ من سورة التوبة، وعشر آيات من أول سورة الصافات، والآيتان ٣٣ و٣٤ من سورة الرحمن، وأربع آيات من آخر سورة الحشر، والآيتان ٣و٤ من سورة الجن .واعتبروا هذه الآيات شفاء من عدد كبير من الأمراض، من بينها الطاعون مجهول : رسالة فى الدعوات، ورقة ٦، أبو الخير عصام الدين : الشفا، ورقة ٣٦ مصطفى الدهنة : رسالة مختصرة، ورقة ١٠، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٤ .

(٢) مرعى بن يوسف : تحقيق الظنون، ورقة ٦٠ -٦١، مصطفى الدهنة : رسالة، ورقة ٩، ١٠ .

(٣) مصطفى الدهنة : رسالة، ورقة ٨ .

(٤) التيفاشى (أحمد بن يوسف) : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن، ومحمود بسيونى خفاجى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧ .، ص٧٢.

خواتم ياقوت أحمر. فعمل بالنصيحة وصار يلبس تلك الخواتـــم فـــى أصابعـــه [1]، وأضاف بعض الناس إلى لبس الخاتم أن نقشوا بعضا من أسماء الله الحســـنى علـــى فصوصها، واتخذت هذه الكتابات أشكالا مختلفة، منها هذا الشـــكل ال ال رم ق ق ى ت ب د ر[2] " الرقيب – المقتدر"، أو كتابة اسم الجلالة " مقتدر " بهذا الشكل [3].

ر	د	ت	ق	م
ت	ق	م	ر	د
م	ر	د	ت	ق
د	ت	ق	م	ر
ق	م	ر	د	ت

أو كتابة بعض أسماء الله الحسنى مقرونة بياء النداء بهذا الشكل [4].

يا حليم		يا حى	
يا حكيم		يا حنان	
ح	ح	ح	ح
ح	ح	ح	ح

وأوضح الشيخ عبد الرحمن البسطامى أنه إذا نقش وفق اســـم الله "بـــاقى" بهذه الصورة فى داخل بيت أمن أهله من الطاعون [5] بل اعتقد البعض أنه لم يمت

---

(1) ابن إياس : بدائع، ج٤، ص٢٩٧.
(2) أبو الخير عصام الدين : الشفا، ورقة ٣٧، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٤ .
(3) أبو الخير عصام الدين : الشفا ورقة ٣٧، مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٥ .
(4) مصطفى الدهنة، رسالة، ورقة ٩
(5) مجهول : مجموعة الشفاء، ورقة ٤٤ .

فى تلك الدار أحد بالطاعون [(١)] بل اكتفى البعض بكتابة اسم الرسـول صلـى الله عليه وسلم وقرن به بعض الأولياء الذين يعتقدون فى صلاحهم مثل " الشيخ عبـد القادر الجيلانى " والشيخ شهاب الدين أحمد البلقينى " [(٢)] .

ب	ا	ق	ى
ى	ق	ا	ب
ا	ب	ى	ق
ق	ى	ب	ا

وجدير بالذكر أن العلاقة تبدو واضحة بين انتشار السحر والتنجيـم ومـا يتبعها من خرافات، وبين انخفاض المستوى الاقتصادى والاجتماعى، بل والفكـرى أيضا لدى كثير من فئات المجتمع، إذ أنه فى مثل هذه الحالات يعد الاتجــاه إلـى السحر والشعوذة نوعا من الأساليب الهروبية التى تعفى الناس من مشقة التفكير فى واقعهم المرير، مما يعد من أهم نتائج الأزمات الاقتصادية والأوبئة .

الأدب :

إن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة جد قوية . إذ أن ما يقع من أحـداث في المجتمع سواء كانت إيجابية أو سلبية لابد وأن يكون لها انعكــاس فـي الأدب علي اعتبار أن الأدب هو لسان المجتمع . والمعبر عن أحلامه ومستقبل أيامه، مما يعني أن الأزمات الاقتصادية والأوبئة تركـت آثارهـا فـي أدب هـذا العصـر وموضوعاته، فلقد شارك أدباء هذا العصر في وصف السنوات التي عمـت فيـها الأوبئة ووقفوا عند مواسم الجفاف والفيضانات، ومشاهد الجدب والقحط، وارتفـاع الأسعار واشتداد الغلاء ـ مما له رجع بعيد المدي في حياة الناس [(٣)] .

ويعد نهر النيل بفيضه وغيضه أحد العوامل الرئيسية المؤثرة فـي حيـاة المجتمع المصري بصفة عامة، وأحـد الأسـباب الرئيسـية لحـدوث الأزمـات

---

(١) أبو الخير عصام الدين : الشفاء ورقة ٣٧ .

(٢) مصطفى الدخنة : رسالة، روقة ٩

(٣) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج٦، ص٢٦٢، مـج٨، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

الاقتصادية والأوبئة، ولذا عبّر الشعراء عن أحاسيسهم تجاهه في كل حالاته . فإذا لم يبلغ النيل حد الوفاء ضجوا بالشكاية وأعلنوا الخوف، وإذا فاض وخشي الناس الغرق فزعوا وارتاعوا ورجوا الله أن يهدئ من ثورته، وإذا أوفي بما يناسب الزرع ويعم الرخاء كتبوا البشارات .

فعندما هبط نهر النيل إلي أقل منسوب له في عصر المماليك الجراكسة عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م حتى أطلق عليها " سنة الشراقي العظيم "[١] وقع الجدب وانتشر الغلاء وارتفعت أصوات الناس بالبكاء فتضرع شمس الدين النواجي ت ٨٥٩هـ/١٤٥٥م إلي الله يشكو القحط والغلاء الذي أصبح مثل الرحى يدور في كل بلد، وتبدلت فيه أحوال الناس، فالأغنياء أصبحوا فقراء فما بال المحتاج صاحب العيال، ثم يستغيث بربه بعد أن عم البلاء ويئس الخلق ويتوسل بنبيه صلي الله عليه وسلم حتى يقبل الرجاء . فيقول النواجي :

لرب العلا نشكو أذى القحط والغلا	وما مسنا فيه من الضر والبلا
ونسأله في البأس واليأس والرجا	رجا فقد متنا وعاجلنا البلا
فلا بَرٌ يُرْجي منه بُرٌ ببرة	ولا بحر ري طاب عذبا وسلسلا
ومذ غاص مقياس المنى ضاق عيشنا	وانحل ربع الأنس والصبر ما حلا
به الأغنياء يشكون فقراً وفاقة	فكيف بمن أمسي معيلا ومعولا
حناناً حناناً يا مغيث الورى فقد	يئسنا وكل الخلق أصبح مبتلي

ثم يختم قصيدته بالتوسل بالنبى فيقول :

إليك توسلنا بجاه نبينا	فما خاب من أمسي به متوسلاً[٢]

وتبتهج القلوب وتزداد الفرحة عندما يوفي النيل بعد قحط، وتكتب البشارات، ومن أهمها البشارة التى كتبها ابن حجة الحموى عام ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م، وأوضح فيها مدى الخير الذى يعم البلاد بوفائه، وجبر القلوب بكسر خليجه، وغير ذلك من الأوصاف التى فاضت بالأساليب البلاغية المختلفة [٣]

(١) ابن عربشاه: التأليف الطاهر، ص٢٥٨، السيوطي: كوكب الروضة، ورقة١٥٠، ابن إياس:نشق الأزهار، ورقة ١٨٦

(٢) السيوطي : مخطوط كوكب الروضة، ورقة١٥٠-١٥١ .

(٣) أنظر هذه البشارة، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج٥، ص١٤٥، مج٦، ص٢٨٥-٢٨٦ .

وعندما وفي النيل في عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م بعد الشراقى العظيم ٨٥٤هـ/١٤٥٠م نظم الشاعر شمس الدين النواجي قصيدة مليئة بالعاطفة الجياشة بالشكر لله والثناء عليه أطلق عليها بعض الباحثين(١) " تسبيحة النواجي" أو " تغريدة النواجي " فيقول من بين أبياتها :

الحمد لله وافي نيلنا ووفى وبل غلة قلب كان قد نشفا

ثم يوضح أن النيل عندما وفى اتجه إلى آثاره المدمرة التى خلفها فى العام السابق ليصلح ما أتلفه، ثم يجأر إلي الله بالدعاء أن يرفع الغلاء ويرحم الضعفاء فيقول :

ارفع بحقك عن مصر الغلا وقنا صعيد نار بها ربع الرخاء عفا
لبيك لبيك داركنا بمغفرة وجد حنانيك وارحم أمة ضعفا(٢)

ويعكس الشعراء مدى استغلال بعض الفئات أوقات الأزمات للاستفادة منها أقصى استفادة ممكنة مثل خازنو الغلال الذين يحزنون لوفاء النيل ويتمنون أن تكون البلاد في غلاء مستمر لكي يزداد ثراؤهم، فنجد كثيراً من الشعراء يربط بين وفاء النيل وحزن هؤلاء الذين تقلع أعينهم صوابع المقياس تورية، فيقول النصير المناوي عندما وفى النيل في ربيع الآخر ٨٤٧هـ /١٤٤٣م :

النيل قال وقوله إذا قال ملء مسامعي
في غيظ من طلب الغلا عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعي(٣)

ويتكرر نفس المفهوم لدى الشعراء فيعام ٨٥٨هـ/١٤٥٤م(٤)، وكذلك فى عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م(٥).

---

(١) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج٧، ص ٣٨٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٠ – ٣٨٤ .
(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٩ .
(٤) نفس المصدر، ص ٢١١ .
(٥) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص ٣٠٤ .

كما تبارى أدباء مصر في عصر الجراكسة في وصف النيل وبيان آثاره من خلال رسائل وصفية كانت ندا لما كتبوه من البشارات، ففي رسالة بارعة كتبها فخر الدين بن مكانس لصديق له يسجل فيها زيادة النيل المفرطة عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م وما أحدثته من توقف حركة الحياة، وما سببته من أضرار، فبدأ بتشبيه ما حدث بطوفان نوح فقال : " رب اجعلنا في هذا الطوفان من الآمنين، وسلام علي نوح في العالمين " ثم أوضح أضراره من توقف الناس عن العمل، وتعطل الأسواق فقال : " ... أقعد الماشي عن التسبب والحركة حتى شكا إلي الله في الحالين جور الزمن، وسقي الناس من ماء حياته المعهودة كما شربوا من الموت أصعب كأس ... جمع في صعوده إلي الجبال بين الحادي والملاح " ودخل الناس إلي أسواق مصر وخصوصاً سوق الرقيق علي كل جارية ذات ألوح ... وزاد فاستحال نفعه" (١) .

وعكس الأدب معاناة الناس من ارتفاع الأسعار، وانخفاض معدل الاستهلاك اليومى لأغلب الناس، ومحاولات البعض التغلب علي الغلاء بالاستغناء، أي أنهم يتركون الأشياء عندما ترتفع أسعارها، إلا أن هذه القاعدة لا يستطيعون تطبيقها علي الدقيق أو الخبز قوام الحياة . فيقول أحد الشعراء:

وإذا غلا شئ علي تركته	فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
إلا الدقيق فما لنا عنه غنا	فإذا غلا يوماً فقد عم البلا(٢)

لذا يضطر كثير من الناس إلى بيع أثاث منازلهم للحصول علي الطعام الذي يندر وجوده، فيضطرون إلي مزاحمة الحيوانات في طعامهم فيأكلون الشعير وقد عبر الشاعر عن هذه الأحوال بقوله :

سنين القحط دارت علينا	وعمت للكبير مع الصغير
وبعنا الفرش والبسط الغوالي	ونمنا بالثياب علي الحصير
لقينا من أذاها ما لقينا	وزاحمنا الحمير علي الشعير(٣)

---

(١) انظر هذه الرسالة الوصفية: محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج٥، ص ٢١٩-٢٢٤ .

(٢) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص ٢٨٤ .

(٣) محمد رجب النجار : الشعر الشعبي، ص ١٤٣ .

وما تركته الأزمات الاقتصادية و الأوبئة من وهن في دخول أعداد كبيرة من الناس من بينهم أصحاب الكلمة كالشعراء والمعلمين وجد صدي لدي الشعراء الذين ذاقوا الفقر وعرفوه بعد الغني بينما ارتفعت دخول بعض أصحاب الحرف الأخرى مثل المنجمين والمشعوذين (١) .

ثم عبر المفهوم الشعبى عن عموم البلوى بين الناس بقول ابن زريق ت ٨٤٨هـ /١٤٤٤م:

كل من جئت اشتكي	أبتغي عنده دوا
يشتكي شكيتي	كلنا في الهوا سوا(٢)

وكان لغش العملة – كأحد أسباب الأزمات الاقتصادية وأحد نتائجها أيضاً – رجع في الأدب في تلك الفترة، فعندما تدخل السلطان بتسعير الذهب والفضة في ربيع الأول ٨٦٢هـ/يناير ١٤٥٨م بأقل مما كان عليه الحال، وخسر الناس ثلث أموالهم، قال الشهاب المنصوري ت ٨٨٧هـ/١٤٨٢م فيمن أهدي إليه ديناراً عند المناداة علي الذهب :

أمولاي قد آثرتني متفضلاً	وأهديت ديناراً قد استغرق الوصفا
ولكنه قد خاف من سلطانه	ألم تره من خوفه نقص النصفا(٣)

ووصف الشاعر كساد الأحوال بكثرة تغيير العملة ما بين عتق وجدد فقال :

تغيير عتق فلوس قد أضر فكم	حوادث جدد جلت من العدد
فكيف تمشى علاقات الأنام إذا	والحال واقفة بالعتق والجدد(٤)

وأوضح الشعراء العلاقة بين الفساد الإداري وما تحدثه السلطة من ظلم للناس وارتفاع الأسعار وانتشار الغلاء، إلا أنهم لا يمكلون إلا الدعاء عليهم، فعندما

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع، ج٢، ص ٢٨٨ .
(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ١٠٨ .
(٣) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص ٣٤٤-٣٤٥ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ٥، ص ٣٥١ .

راجت في القاهرة شائعة في المحرم ٨٧٤هـ/١٤٦٩م بأن الأمير يشبك حكر علي الغلال بالوجه القبلي ومنع المراكب من حمله إلي القاهرة قال الشهاب المنصوري:

وظـالم منـــه أتـــانا الغـــلا | يا ويلـــه فـــي الحشـر مـن ربـه
فادعوا وقولوا ربنا اطمــس علـي | أموالـه واشـدد علـــي قلبـــه(١)

كما كان لتكرار الأوبئة وشدتها في هذا العصر أثره في زيادة شعر الرثاء، إذ أمسى رثاء الشعراء لأهل مصر عامة عادة متكررة، فالمصيبة لم تعد قـاصرة على فرد بعينه، بل شملت البلاد والعباد فيرثى أحد الشعراء سكان مصـر عندما انتشر الوباء بينهم فى جمادى الآخرة ٨٦٤هـ / مارس ١٤٦٠م فيقول

أسفى على سـكان مصـر إذ غـدا | للطعـن فيـها ذات وخـز سـارى
الموت أرخص ما يكـون بحبـة | لكن هـذا صـار بالقنطــار(٢)

ويقول أحد الشعراء في وباء ٨٧٣هـ/١٤٦٨م :

يـا نعـم عيشـة مصـر | وبئـس مـا قـد دهاهـا
لمـا فشـي الطعـن فيـها | حـاكي السـهام وباهـا(٣)

ويقول الشهاب المنصوري في وباء ٨٨١هـ/١٤٧٦م راثياً أهل مصر :

لـهفي علـي مصـر وولدانـها | أضحـوا إلـي المـوت يسـاقونا
مـا نشـر الفصـل سـهام الـردي | عليـهم إلا طواعينـا(٤)

ولقد ساهم الزجالون فى رثاء أهل مصر عندما وقع بها الطـاعون عـام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، فالشيخ بدر الدين الزيتونى ت ٩٢٤هـ، قال زجلا فى هـذه المناسبة تكررت فيه كلمات الموت، والندب، والبكاء والدموع، ويوضح فيه انتشـار الموت بين الشباب والأطفال، وخلو البيوت من سـكانها، ثـم يسـأل الله بأسـمائه الحسنى أن يرفع هذا الوباء (٥).

---

(١) عبد القادر أحمد طليمات : مقدمة كتاب تاريخ الأمير يشبك، ص ١٧ .
(٢) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص٣٥٩ .
(٣) نفس المصدر، ج٣، ص ٢٨ .
(٤) نفس المصدر، ص ١٢٢ .
(٥) نفس المصدر،، ص ٢٨٩_٢٩١ .

وفي أوقات الغلاء والقحط يعز وجود القمح، ويتزاحم الناس على الأفران طلباً للخبز وفي مثل هذه الحالات لا يقتصر الرثاء على من توفي من الناس، بل انتقل الرثاء إلي الخبز باعتباره مفقود هو الآخر في تلك الظروف . ففي أزمة عام٨٥٤هـ/١٤٥٠م أقسم أحد الشعراء بالخبز، لأنه أصبح شيئا عزيزا غاليا، ووصف جمال ورونق رغيف العيش، وشبهه بالعملة النادرة لأنه يشتهيه ولايستطيع الحصول عليه، ويوضح الشاعر أنه علم قيمته بعد ارتفاع أسعاره، فيقول :

قسما بلوح الخبز عند خروجه ... من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهي في ... سحب الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ ... خدين للشبونير فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن تغتدي ... ذهباً إذا قويت عليه النار
فلقي عليه في الخوان جلالة ... لا تستطيع تجده الأبصار
فكأن باطنه بكفك درهم ... وكأن ظاهر لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه ... لو لم تبينه لنا الأسعار
إن دام هذا السعر فاعلم أنه ... لا حبة تبقي ولا معيار[1]

وإذا كان الرثاء فى هذا العصر قد ازداد، فإن شعر التحامق والمجون كان قليل الظهور فى ذلك العصر الذى خيمت عليه الأوبئة والمجاعات وغيرها من المحن [2].

وعكس الشعراء مفهوم القاعدة العريضة من الناس لأسباب الأوبئة، إذ يرى البعض منهم أن السبب هو تلوث الهواء، فيقول :

تغبر في مصر الهواء بأهلها ... ولقد علاه صفرة ونحول
وصح بها موت النسيم وكيف لا ... وقد جاءه الطاعون وهو عليل[3]

---

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٤ .
(٢) عبد اللطيف حمزة : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجئ الحملة الفرنسية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت .، ص٦٥.
(٣) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص ١٨٤ .

بينما يري البعض الآخر أن كثرة الظلم والبغي كان سبباً في حدوث الوباء فيقول ابن تغرى بردي :

قد جاءنا الفصل علي بغتة   مستجلباً حل مجد الطلب
من كثرة البغي وظلم بدا   يخصه الله بمن كان جلب[1]

وتتردد فكرة الظلم والبغى كسبب للأزمات والأوبئة في المفهوم الشعبي، فيقول أحد الحكماء :

تحكموا واستطالوا في تحكمهم   وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغا   عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم   هذا بذاك ولا عتبا علي الزمن[2]

وعندما يجتمع ظلم السلطة الحاكمة مع انتشار الطاعون، فذاك مما لا يتحمله البشر وعبر عن ذلك ابن إياس عندما كان الوباء منتشراً والمماليك جائرة في حق الناس بالأذى في شعبان ٩٠٣هـ/مارس ١٤٩٧م فقال :

أقول للطعن والمماليك   جاوزتما الحد في النكاية
ترفقا بالوري قليلاً   في واحد منكما كفاية[3]

وإذا كان البعض قد تضرع إلى الله ليرفع الوباء[4]، نجد البعض الآخر يعتبره رحمة للخلق ويطلب من الله الموت راضيا بالقضاء[5]

وعبر **فن المقامة** عما ألم بمصر من أزمات اقتصادية وأوبئة . فكتب ابن عبد السلام في مخطوطه الفيض المديد مقامة عن نهر النيل يوضح فيها الخير الذي يعم البلاد من خلال وفاء النيل، والأفراح التي تقام من أجل ذلك، ثم الأضرار الكبيرة التي يحدثها عندما تتلاطم الأمواج وتتحطم الجسور وتغرق البلاد[6].

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ١٦، ص ١٤٥
(٢) ألف ليلة وليلة، مج١، ص ١٠٥ .
(٣) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص ٢٨٨-٢٨٩ .
(٤) نفس المصدر، ج٤، ص٧٩ .
(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٤١
(٦) ورقة ١٥، ١٦ .

كما كتب السيوطي مقامة أسماها " المقامة البحرية " يصف فيها حالتي الرخاء والشدة التي تتعرض لها مصر وفقاً لحالة نهر النيل فيقول : " لما كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة أوفي النيل .. وسارت به فى البلاد رسائل البشري، إلى أن زاد من الذراع الثامن عشر سبعة عشر إصبعاً .. والناس من شأنه في أمان ومن رخا السعر في اطمئنان .. وصار القمح كل ثلاثة أرادب بدينار، فوقف مد النيل عن الامتداد، وبدا فيه النقص بعد الازدياد، فانتظر الناس أوبتة، وترقبوا منه أن يوفي بالزيادة نوبته، فاستمر علي الوقوف وانكشف لنقصه السواحل والجروف "(١) .

واستمر السيوطي يصف هذا الهول علي لسان عدد كبير من الأشخاص مثل المقرئ والمحدث، والفقيه، والصوفي، والنحوي، والطبيب، والمنطقي، والموسيقي، والميقاتي، والمؤذن .. وكل منهم يستخدم مصطلحات علمه في وصف الحالة(٢) .

كما تأثر السيوطي بأحداث عصره من انتشار الحمي والأوبئة بين الناس، وازدياد أعداد الوفيات وبخاصة بين الأطفال، فكتب ثلاث مقامات تتناول هذه الأحداث .

المقامة الأولي : تسمي " مقامة الحمي " جمع فيها بين الموعظة الدينية، والفوائد الطبية لها، إذ يعتبر الحمي امتحاناً من الله يجب علي المسلم أن يصبر عليها لينال الثواب، ثم يوضح بعض الفوائد الطبية للحمي، فذكر أنها تنقي البدن وتفتح كثيرا من السدد وتنفع من الفالج(٣) .

والمقامة الثانية : تسمي " المقامة الطاعونية " يصف فيها كيف دخل طاعون ٨٩٧هـ/١٤٩٢م مصر، وأثره علي سكانها، وازدياد أعداد الوفيات بينهم " فكم أخلي قصراً، وملأ قبراً فأخذ البنين والبنات، والفتيان والفتيات .." ثم يصف محاولات البعض الفرار منه وإدراك الطاعون لهم، وما استخدمه الناس من أدوية، وتعليق فصوص من الياقوت وترتيب أدعية واذكار لم يرد بها حديث أو أثر،

---

(١) مخطوط كوكب الروضة، ورقة ١٥٣ .

(٢) قرشى عباس دندراوى : أدب السيوطى دراسة نقدية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤ .، ص ٢٣٦ .

(٣) انظر هذه المقامة قرشى عباس : المرجع السابق، ص ٢٣١ .

وعلي نفس النهج في مقامته البحرية راح كل من المقرئ والمحدث والفقيه وغيرهم يصف الطاعون ويتمني رحيله من خلال مصطلحات علمه [١] .

والمقامة الثالثة : كانت نتاجا لما أحدثه الطاعون من فقدان عدد كبير من الأولاد، فأسماها " المقامة الولدية في التعزية عند فقد الأولاد " يهون من خلالها الأمر علي الآباء الذين فقدوا أبناءهم، علي اعتبار فساد الزمان، ونزول الأبناء في جوار الرحمن، فيخاطب من فقد ولده قائلاً : " فيا أيها الوالد الجريح، والواله القريح، لماذا البكى والصريخ بعد هذا الخبر الصحيح .. فطب نفساً بهذا الفضل العظيم، وقر عيناً بنزول ولدك في جوار الرب البر الرحيم "[٢] .

وتأثر فن الخطابة أيضاً بالأزمات الاقتصادية والأوبئة، إذ كان يقوم الخطباء بنهي الناس عن المعاصي، واجتناب الآثام، علي اعتبار أن المفهوم الديني في تلك الفترة يعتبر أن هذه المحن بسبب المعاصي وكثرة الذنوب .ومن بين ما خطب الشيخ زكريا الأنصاري بمناسبة وفاء النيل قوله ".. فاجتنبوا ــ رحمكم الله ــ ركوب النيل مع ارتكاب الكبائر وعظموا حرمته باجتناب المآثم والجرائر، وتجنبوا سبب النقم، فإن المعاصي تزيل النعم، واجتنبوا الغناء والدف والمزمار علي وجه الماء لعلكم ترحمون " [٣] .

ولا تزال المدائح النبوية من لدن الرسول صلي الله عليه وسلم إلي يومنا هذا تحتل مكاناً مرموقاً لما للممدوح عليه الصلاة والسلام من منزلة عظيمة لدي المسلمين[٤] . ولقد ساعدت الأزمات الاقتصادية والأوبئة علي ازدهار هذا اللون من الشعر ففي مثل هذه الظروف يجأر الناس إلي الله بالدعاء، ويتوسلون بالرسول صلي الله عليه وسلم، ويجدون في مدحه راحة تخفف عنهم عناء العيش وآلام الوباء ولذا نجد كثيراً من الخانقاوات والمدارس كان يوجد بها مداح مثل خانقاه ومدرسة برقوق، وخانقاه المؤيد شيخ، ومدرسة جوهر اللالا، وخانقاه ومدرسة جمال الدين الاستادار، وخانقاه الغوري[٥] .

---

(١) مرعي بن يوسف : تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، ورقة ٥٨ .

(٢) قرشى عباس : المرجع السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) عبد الوهاب حمودة : صفحات من تاريخ مصر، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٤) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مجـ ٨، ص ٢٨٢ .

(٥) انظر جدول ٣٤ .

ومن أشهر البديعيات بديعية ابن حجة الحموي ت ٨٣٧هـ /١٤٣٣م، ثم جاء السيوطي ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م وعارض بديعية الحموي بأخرى، وفي أواخر عصر الجراكسة نظمت عائشة الباغونية الصالحية (التى نبغت بمصر نحو ٩٢٢هـ/١٥١٦م) بديعية أخري فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم [١]

كما عكست الأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرها علي **أدب الفكاهة**، فالضحك ضرورة حيوية ذات قيمة كبري في حفظ حياة الفرد وحياة الجماعة، إذ أنه يؤدي إلي إحداث توازن نفسي لدي الفرد من خلال استعلائه علي ما صادف من المحن، وحتى لا ترسب تلك المحن في أعماقه فتجعله شخصية معقدة، فيحاول بالنكتة أو بالفكاهة أن يفرج عن كربه وأن ينفس عن حزنه[٢].

وإذا صدقت مقولة " شر البلية ما يضحك " فإن فترة الأزمات الاقتصادية وما يصحبها من ارتفاع الأسعار وتوتر وقلق نفسي تشكل وسطاً ذهبياً ومناخاً نفسياً مواتياً لشيوع الفكاهة وازدهار روح السخرية، التي تعد ملاذاً للضعفاء يروحون بها عن أنفسهم ويجنحون بها إلي الانتقام من ظالميهم[٣] فهي بذلك تعد نوعاً من أنواع المقاومة الشعبية السلبية ما داموا غير قادرين علي الثورة الفعلية علي من ظلمهم .

فمن أهازيج العامة الرافضة لتغيير العملة وغشها في عصر إينال والذي ترتب عليها أن غلت الأسعار في عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م قولهم " السلطان من عكسه أبطل نصفه "ويدللون علي رفض التجار المعاملة بالنصف الفضة الذي ضربه إينال لكثرة غشه بقولهم" إذا كان نصفك إينالي لا تقف علي دكاني "[٤].

---

(١) محمد كامل الفقى : الأدب فى العصر المملوكى، القاهرة، الهيئة العامة لكتاب، ١٩٧٦، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) فاطمة حسين المصرى : الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصرى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٦٥، فوزى محمد أمين : أدب العصر المملوكى الأول قضايا المجتمع والفن، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص ٢٤٤ .

(٣) محمد رجب لنجار : الشعر الشعبى الساخر فى عصور المماليك، عالم الفكر، مجلد ١٣. العدد ٣، الكويت، ١٩٨٢، ص ٦٩، ١٤١، ١٤٣ .

(٤) ابن تغرى بردى النجوم، جـ١٦، ص ١٠٢-١٠٣ .

وعلى الرغم من أن الأوبئة ترتبط دائماً بالأمراض وكثرة الوفيات، إلا أنــها لم تؤثر كثيرا فى روح الفكاهة والضحك، فيقرر ابــن تغـرى بـردي فـي وبـاء ٨٥٣هـ/١٤٤٩م أن الناس " شوهدوا في شوارع القاهرة وهم يضحكون ويــهزلون علي حين كان الوباء يحصد منهم في اليوم الواحد عشرة آلاف نفس علي الأقل "(١) .

ويمكن تفسير ذلك في ضوء ما يصيب الناس من هيستيريا الضحك عندمـا تشتد عليهم المصائب . أو إلى أنه كان ينصح عند انتشار الطـاعون بـالبعد عـن الغضب والتعرض للمسرات والأفراح، وبسط النفس، وانشراح الصدر، ومجالســة من تبتهج النفس بحديثه وأخبار المفاكهات (٢) . إلا أنه فى بعض الأحيــان يـزداد الأمر عن الحد، وينشغل الناس بهمومهم مثلما حدث فى عام ٨٥٤هـــ/١٤٥٠م ,, فكنت لا ترى من الناس إلاباكيا أو متضرعا إلــى الله أو مــهموما بكـثرة عيالــه ولا ترى جماعة بمكان إلا وكلامهم غالبا فى القمح والدقيق والخبز، فكان هـذا دأب الناس فى هذه الأيام (٣).

وقد تتدخل السلطة الحاكمة فى منع وسائل التسلية، ومن بينها خيال الظـل أحد روافد أدب الفكاهة، فعندما توقف نهر النيل عن الزيادة عام ٨٥٥هـ /١٤٥١م أمر السلطان بتحريق شخوص خيال الظل، وأخذ عليهم المواثيق لعدم فعل ذلك (٤).

ولم تكن **الأمثال الشعبية** بمنأى عن التأثر بالأزمات الاقتصادية والأوبئــة، المثل، هو أسلوب بلاغي قصير يكون حكمة أو قاعدة أخلاقية أو مبدأ سلوكياً يعـبر عن تجارب العامة ويصور مواقفهم من مشكلات الحياة (٥) .

وعلي الرغم من أننا لا نستطيع أن نحكم حكماً قاطعاً علي مثل معين بأنــه من وضع عصر بعينه إذ ليست لدينا نصوص تاريخية كافية تمدنا بالدليل القــاطع

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٨٩، ٩٠ . محمد رجب النجار : الشــعر الشعبي، ص١٤١، سعيد عاشور : المجتمع، ص ١٠١ .

(٢) ابن خاتمة : تحصيل، ورقة ٢٦، البيلونى : خلاصة، ورقة ٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص٨٩، ٩٠ .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك، ص٣٥٣ . ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص٢٩٢.

(٥) رشدي صالح : الفنون الشعبية، المكتبة الثقافيــة، ع٣٤، القــاهرة، وزارة الثقافــة والإرشاد١٩٦١، ص٣٦-٣٧ .

في هذا الموضوع [١] .إلا أن كثرة ترديد هذه الأمثال في عصر معين يدل علي أن الحال في وقت مضربه مشابه لوقت مورده أياً كان هذا الوقت .

ولقد أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة في صياغة بعض هذه الأمثال الشعبية أو علي أقل تقدير ترديدها بين كثير من أبناء الشعب، فالأمثال الشعبية تعبر عن سوء الوضع الاقتصادي لقطاع كبير من الناس، والذي يظهر بوضوح فيما يأكلون " إذا كان النبيذ دردي والعشيق كردي، والبقل فول حار والعشاء بيسار إيش يكون الحال "[٢] وعلي الرغم من كدهم وتعبهم إلا أن الخبيزة تكون طعامهم " القشر والنشر والعشا خبيزة "[٣] .

وفي أوقات الأوبئة يتوقع كل فرد أن الموت آتيه بين فينة وأخري فيقول المثل:

للموت فينا سهام وهي صائبة   من فاته اليوم سهم لم يفته غدا[٤]

ومن كثرة الآلام وضيق العيش أصبح الميت محسودا علي موته لتخلصه من العناء :

هم يحسدوني علي موتي فواحزني   حتى علي الموت لا أخلو من الحسد[٥]

ولم يكن أمام الجميع سوي الصبر علي ما نالهم، عسي أن يفرج الكرب .

بنا فوق ما تشكو فصبرا لعلنا   نري فرجاً يشفي السقام قريباً[٦]

وكذلك

ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت   والسر مفتاح كل ميسور[٧]

---

(١) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج٨، ص ٤٧٠ .
(٢) الأبشيهى : المستطرف، جـ١، ص ٣٣ .
(٣) نفس المصدر، ص ٣٤.
(٤) نفس المصدر، ص ٣٢ .
(٥) نفس المصدر، ص ٣٢ .
(٦) نفس المصدر، ص ٣١ .
(٧) نفس المصدر والصفحة .

وفي مثل هذه الظروف تسود القناعة بالقليل بين الناس "" ثوب عليه وثوب علي الوتد، قال أنا اليوم أحسن من كل البلد "[١] و "كشكار دايم ولا علامة مقطوعة". كما يسود عدم التفكير في المستقبل " تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها "[٢].

وتزداد المحاولات التبريرية التي يقوم بها الناس للوضع السئ القائم حتى يحدث التوازن النفسي لدي الفرد ولا يضجر من حياته وقت الشدة، أو الأزمة فيقولون " كل ما فاتك من الدنيا فهو غنيمة " [٣] و " كل قليلاً تعش كثيراً " [٤]، ويقولون أيضاً :

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا فإن علي الخلاق رزقكم غداً[٥]

كما تعبر الأمثلة الشعبية عن الحراك الاجتماعي بنوعيه . فبعض الأفراد الذين أثروا في ظروف الأزمات وانضموا إلي فئة أو طبقة اجتماعية أعلي عبر المثل الشعبي عنهم بقوله " بعد الجوع والقلة بقى لك حمار وبغلة "[٦] و " بقي لاكلب سرج وغاشية وغلمان وحاشية "[٧] .

أما الحراك الاجتماعي الهابط فعبر عنه المثل الشعبي بقوله " راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس "[٨] .

وأصحاب الموال شاركوا الناس أحوالهم وعبروا عن أناتهم، فعندما فوض السلطان قايتباي أجرة خمسة أشهر علي الأملاك والأوقاف سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م حلا لأزمته المالية قال بعض الموالة (المواليا) في المعني :

غرمت شهرين عن أجرة مكاني أمس وأصبحت مغموس في بحر المغارم غمس
أقسم ورب الخلايق والقمر والشمس ما طقت شهرين فكيف أقدر أطيق الخمس[٩]

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٤ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) نفس المصدر، ص ٣٠ .
(٤) نفس المصدر والصفحة .
(٥) الأبشيهى : المستطرف، جـ١، ص ٣٢ .
(٦) نفس المصدر، ص ٣٤ .
(٧) نفس المصدر والصفحة .
(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٣٨ .
(٩) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص٢٧٩ .

ويشارك ابن إياس العامة في تأليف المواليا، إذ يقول في وصف أحوال الناس أيام دولة الأشرف قانصوه الغوري مواليا يقول فيه :

يا مالك الملك يا من بالعباد ألطف وبر عبيدك وأصلح دولة الأشرف
كم من أقاطيع أخرجها، وما أنصف وأطغي المماليك، ذا يهجم وذا يخطف[1]

وكان نهر النيل أحد العناصر التي دارت حولها **الألغاز** في تلك الفترة، فقد ذكر السيوطي لغزا قاله أحد الأفراد عن نهر النيل، يقول : سألتك أعزك الله عن سايل لاحظ له في الصدقة ... كثير الرجعان من غير أن يخاف، كم رد سايله، تراه وعفر وجه قاصده بالتراب قهرا، مذكر كثير الحيض، لطيف الانبساط سريع الفيض ... يجود بأفخر الحلي ... كم عمر سبيلا وقطع طريقا، وأخاف سبيلا، وطغي واحترق وأظهر الحقايق وهو كثير الملق ... كم أباح محرما للعباد، وأكثر الفساد في البلاد [2].

التعليم :

لم يكن التعليم في مصرفى عصر المماليك الجراكسة قائما على أساس أن السلطة الحاكمة تضع سياسة تعليمية عامة تتكفل بها تجاه أبناء الشعب، بل اعتمد التعليم على الجهود الفردية التي يقوم بها بعض السلاطين أو الأمراء أو أصحاب الثروات، وذلك من خلال الأوقاف التي رصدت على المؤسسات التعليمية المختلفة سواء مدارس أو مساجد أو مكاتب للأيتام من باب البر والإحسان، ولذا فإن أي تأثير للأزمات الاقتصادية والأوبئة سلبا أو إيجابا علي الأوقاف لابد وأن ينعكس علي هذه المؤسسات[3] .

فبعض المدارس التي أنشئت فيما قبل عصر الجراكسة تلاشي أمرها في عصر الجراكسة وأخذت في الزوال وبخاصة بعد الأزمات والأوبئة التي أدت إلي خراب كثير من المناطق، وازدياد أعداد الوفيات بصفة عامة مما قلص أعداد المترددين علي هذه المدارس .

---

(١) محمد رجب النجار : الشعر الشعبى، ص٨٤ .

(٢) السيوطى : كوكب الروضة، ورقة ١٥٧ــ١٥٨ .

(٣) محمد أمين : الأوقاف، ص ٢٤٢، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، ق١، ج٢، ص٦٣ .

ولقد عرض المقريزي في خططه لثلاث وسبعين مدرسة، تدهورت أحوال اثنتا عشرة مدرسة منها، بعضها تلاشي لخراب المناطق المحيطة لها بعد المحن التي ألمت بمصر عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٣م وما بعدها، ومن هذه المدارس : المدرسة الناصرية[١]، والمدرسة القمحية[٢]، والمدرسة الفاضلية[٣]، والمدرسة الصاحبية البهائية التي أقامت عدة أعوام معطلة لا يأويها أحد لخراب ما حولها، ثم هدمت في أواخر ٨١٧ وأوائل ٨١٨هـ/١٤١٥م[٤]، وكذلك المدرسة الكاملية التي تلاشت بعد عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م[٥] .

وبعضها الآخر تلاشي وتدهور بعد أن تأثرت أوقافها بالأزمات، فالقبة المنصورية التي أنشأها الملك المنصور قلاوون، كان من بين أوقافها قرية تعرف بدهمشا الحمام من أعمال الشرقية، وكانت تدر عائداً يقدر بأربعة الآف دينار ذهباً سنوياً، ثم لما كانت الحوادث والمحن عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م خربت الناحية المذكورة فتلاشي أمر القبة المنصورية وصار يلي التدريس بها الصبيان علي حد قول المقريزي بعد أن كان لا يلي التدريس بها إلا قضاة القضاة[٦] .

كما كان لضعف عائدات الأوقاف التي رصدت للمدرسة الناصرية والحجازية أثره في انكماش رواتب وجامكيات العاملين بهما .

فالمدرسة الناصرية كان يوزع بها – علي الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف – السكر في كل شهر ولحوم الأضاحي كل عام، فبطل ذلك[٧] . كما كانت المدرسة الحجازية يفرق بها علي أرباب الوظائف المعاليم والخبز، وكسوة الصيف والشتاء، وكعك العيد والخشكنانك في عيد الفطر والأضاحي في عيد الأضحي، فبطل كل ذلك ولم يبق غير المعلوم في كل شهر، ثم استخدمت كسجن[٨] وكذا تلاشي أمر المدرسة الجمالية لخراب أوقافها [٩] .

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٦٣-٣٦٤، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٤٤.
(٢) المقريزى : المصدر السابق، ص ٣٦٤ .
(٣) نفس المصدر، ص ٣٦٦ .
(٤) نفس المصدر، ص ٣٧١ .
(٥) نفس المصدر، ص ٣٧٥ .
(٦) نفس المصدر، ص ٣٨٠ .
(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٢ .
(٨) نفس المصدر، ص ٣٨٢-٣٨٣ .
(٩) نفس المصدر، ص ٣٩٢ .

وتوجد ثلاث مدارس أخري أوضح المقريزي تلاشي أمرها دون أن يحدد سببا لذلك وهي الظاهرية(١) والمنكوتمرية (٢) والبديرية (٣) .

ونتج عن عدم قدرة السلطة الحاكمة الوفاء بالتزاماتها تجاه جوامك المماليك الجلبان أن قام هؤلاء المماليك في بعض الأحيان بنهب المدارس كما حدث في عام ٨٦٠هـ/١٤٥٥م فقد قاموا بمهاجمة مدرسة الزيني يحيي الاستادار فنهبوها، وامتدت أيديهم أيضا إلي ما يوجد بمدرسة الفخر بن أبي الفرج من متعلقات المدرسة وقماش الصوفية (٤) .

وفي جمادي الأولي ٨٨٨هـ/ يونية ١٤٨٣م قام المماليك الجلبان بنهب بسط المدرسة الأبوبكرية والفخرية حتي أخذوا القناديل التي بهما (٥). وكل ذلك أدي إلي تعطيل العملية التعليمية في تلك المدارس .

كما أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة في تدهور المكتبات التي كانت ملحقة بالمدارس والمساجد نتيجة لقيام الطلبة ببيع الكتب للحصول علي الخبز وقت المجاعات من ناحية (٦) وعدم إمداد المكتبات بما يعوض هذا العجز نتيجة لاندثار سوق الكتبيين من ناحية أخرى (٧)، وارتفاع أسعار الكتب نتيجة لارتفاع أجور النساخين من ناحية ثالثة .(٨)

وأدت الأزمات الاقتصادية إلي تزايد أعداد غير القادرين علي شراء الكتب من المشتغلين بالعلم، فضيق ذات اليد حجبت عن كثير منهم شراء الكتب التي يحتاجون إليها، فاتجه بعضهم أحيانا إلي استئجارها، وفي أكثر الأحيان للاطلاع عليها، بعدما بلغ ثمن بعض الكتب إلي خمسين دينارا(٩) .

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٧٩ .
(٢) نفس المصدر، ص ٣٨٧ .
(٣) المقريزى : الخطط، ج٢، ص ٣٩٢ .
(٤) عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ١٩٤
(٥) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص٢٠٢ .
(٦) عبد الغني محمود : التعليم، ص ٢٥٧ .
(٧) المقريزى : الخطط، ج٢، ص ١٠٢ .
(٨) الصيرفى : نزهة، ج٢، ٤٨١ .
(٩) محمد كمال الدين، الحركة العلمية، جـ١، ص ٩٥، ١١٠-١١١ .

وفي أوقات الأوبئة وانتشار الأمراض بين طلاب المدارس وأطفال الكتاتيب كان يسمح لهم بعدم الحضور، حتى يتمكن آباء الأطفال من علاجهم وفي نفس الوقت حماية لبقية الأطفال من العدوى(١)، وأجازات الأطفال المرضية كانت تعتبر أجازة مفتوحة لحين شفاء المريض وغير محددة بزمن معين(٢)، ولكن هذه الأوبئة غالباً ما تحصد الآلاف من الأطفال، وتقل أعداد المنتظمين في الكتاتيب بعد انتهاء الوباء . بل من المتوقع أثناء انتشار الأوبئة الشديدة كانت تغلق هذه المدارس والكتاتيب وتتعطل العملية التعليمية(٣) .

العمـــارة والفنـــون :

أوجدت الأوبئة وما خلفته من ازدياد أعداد الوفيات – نوعاً من العمائر الدينية شاع استخدامها وكثر تشييدها في عصر المماليك الجراكسة هي " مغاسل الموتى " و " مصليات الأموات " .

ولم تكن " **مغاسل الموتى** "في العصر المملوكي علي نظام واحد، وإنما يمكن تقسيمها إلي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : وهي المغاسل التي يمكن أن نطلق عليها " المغاسل الطارئة " التي تعمل وقت ازدياد أعداد الوفيات أثناء انتشار الأوبئة، وتَمثّل هذا النوع في المغسل الذي افتتحه سعد الدين بن غراب الاستادار عند بيته لتجهيز ضحايا وباء ٨٠٦هـ/١٤٠٣م للدفن .(٤) وقد ظل هذا المغسل يعمل في عامي ٨٠٦-٨٠٧هـ/١٤٠٣-١٤٠٤م (٥) ثم توقف عن العمل بعد ذلك لوفاة صاحبه ٨٠٨هـ/١٤٠٥م .(٦)

النوع الثاني : وهي المغاسل التي ألحقت بعمارة أخري .

ففي بعض الحالات يكون المغسل من بين التكوين المعماري للبيمارستان حيث كان المتوفون في البيمارستان يغسلون ويكفنون فيه (٧)، وفي بعض الحالات

---

(١) عبد الغني محمود : التعليم، ص ١٠٣ .

(٢) نفس المرجع، ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة، ص ٦٦٣ .

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٦٨٦ .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٤٢٠ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات، ص ١٤٦ .

الأخرى يلحق المغسل بأحد المساجد، وفي هذه الحالة تصبح عمارة المغسل جزءا تابعاً للمسجد، ولذا تقتصر عمارة المغسل علي المكان المعد لتغسيل الموتى من الرجال والنساء وحواصل لحفظ الأدوات المستخدمة في تجهيز الموتى.

وفي مثل هذا النوع لا تحتاج عمارة المغسل إلي مصلي علي اعتبار أنها ملحقة بمسجد . ومن أمثله هذا النوع المغسل الذي أنشأه حسام الدين لاجين في الجهة البحرية من الجامع الطولونى لتجهيز من يموت بخط الجامع الطولوني .(١)

النوع الثالث : المغاسل القائمة بذاتها، وهذا النوع يتكون عادة من عدة غرف لتغسيل الموتى تنقسم إلي قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، ومصلي للصلاة علي المتوفى بعد تجهيزه للدفن، وميضأة للوضوء، وسبيلاً لتسبيل المياه، وحوضاً لسقيا الدواب، وحواصل لتخزين وحفظ الأدوات المستخدمة في تجهيز الموتى مثل دكك التغسيل، والأكفان، والأقطان، والكافور، والسدر وغير ذلك من الأدوات .(٢)

ويمثل هذا النوع المغسل الذي أقامه الأمير يشبك من مهدى قرب مدرسة السلطان حسن في عام ٨٧٣هـ/١٤٦٩م عندما انتشر الطاعون في هذا العام (٣)، وكذلك المغسل الذي أمر السلطان قانصوه الغورى ببنائه بجوار سبيل المؤمني علم ٩٠٩هـ/١٥٠٣م .(٤)

أما " **مصليات الأموات** " أو " مصليات الجنائز (٥) " فهي إما أن تكون ملحقة بمغاسل الموتى، أو مقامة علي حدة، وقد خصصت للصلاة علي الأموات قبل دفنهم (٦)، وعلي الرغم من تعدد مساجد القاهرة بصفة عامة، ومساجد القرافة الكبيرة ــ مقر دفن الموتى ــ بصورة خاصة، حيث ذكر المقريزى أربعة وثلاثين مسجدا بها (٧) إلا أنهم حرصوا على إنشاء مصليات خاصة

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : وثائق عصر الغورى، ص ١٧٨ .
(٢) سامى أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص ١٧١- ١٧٢، ١٨٥ .
(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٧٠٤، ابن إياس : بدائع جـ٣، ص ٣٠ .
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٥٦ .
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٢ .
(٦) سامى أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص١٧٠ .
(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٤٤٥ ــ ٤٥٢ .

بالجنائز، وقد يرجع ذلك إلى أن بعض المذاهب الدينية تجد كراهة في الصلاة علي الميت في المساجد (١).

أما عن أعداد هذه المصليات، فقد أوضح المقريزي في عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م أنها تبلغ أربعة عشر مصلي (٢)، وفي عام ٨٦٤هـ/١٤٥٩م بلغ عدد المصليات اثنى عشر مصلي خارجا عن القرافتين، والصحراء، والأوقاف، ومصر القديمة، وبولاق . (٣)

ومن أشهر المصليات في مصر في عصر الجراكسة، مصلي المؤمني الذي أنشأه بكتمر بن عبد الله المؤمنى أمير آخور (٤) ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م بالميدان تحت قلعة الجبل .(٥) وكان يعد المصلي الرسمي للأموات في دولة المماليك لقربه من القرافة، وكان يصلي فيه علي وجوه الناس والأمراء والشهيرات من النساء .(٦)

وكذلك مصلي باب النصر خارج القاهرة من جهة باب النصر (٧)، ومصلي البياطرة خارج باب زويلة بالقرب من الجامع المارداني .(٨) وكذلك المصلي الملحق بمغسل الأمير يشبك، كما كان يصلي في بعض الأحيان في زاوية الخدام بالحسينية (٩)، وكذلك الجامع الأزهر (١٠) .

---

(١) ابن الحاج : المدخل، جـ٣، ص٢٥٢..

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٢٧ .

(٣) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٣٦، ٣٣٧ .

(٤) وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على اسطبل السلطان أو الأمير ورعاية مافيها من خيل وحيوانات .سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص٤١٤ .

(٥) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص٢٢، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٢٦، حاشية (١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١٣، ص ١٢٣، حاشية (٣) .

(٦) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية، ص ٨٧ .

(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٣٨ .

(٨) سامى أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص ١٧١ .

(٩) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٣٦ .

(١٠) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٤٥، ١٤٦ .

ومن الملاحظ علي معظم هذه المصليات أنها كانت تقام في أطراف المدينة، أو خارج أبوابها لتكون علي مقربة من القرافات التي تقوم خارج أسوار المدينة .(١)

وكانت **البيمارستانات** أحد المنشآت العمرانية التي خدمت المرضي بصفة عامة، ومرضي الأوبئة بصفة خاصة .

ومن خلال وصف المقريزي للبيمارستان المنصوري يمكن التعرف علي أقسامه . فمرضي الحميات – نتيجة لكثرة أعدادهم – كان لهم النصيب الأكبر من أقسام البيمارستان فقد خصصت لهم أواوين المارستان الأربعة . وأفردت قاعة للرمدي، وقاعة للجرحي، وقاعة لمن به إسهال، وقاعة للنساء، ومكان للمبرودين أي المتخومين ينقسم إلى قسمين قسم للرجال وقسم للنساء، وخصص مكان لطبخ الطعام والأدوية والأشربة، ومكان لتركيب المعاجين والأكحال، ومواضع يخزن فيها الحواصل . ومكان يفرق فيه الأشربة والأدوية، ومكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب(٢) .

ونتيجة لزيادة الأمراض الحادة والأوبئة قام المؤيد شيخ بإنشاء بيمارستان جديد يسمى " البيمارستان المؤيدي " موضع مدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين تجاه الطبلخاناة من القلعة (٣). إلا أن هذا البيمارستان لم يقدم خدمات تذكر للمرضي، حيث لم يوجد له أوقاف مستقلة(٤) .

وإذا كان من الطبيعي خراب بعض المنشآت العمرانية التي لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالأوبئة، إلا أنه كان من الطبيعي أن تلقي البيمارستانات رعاية وعناية في عصر تزايدت فيه الأمراض والأوبئة، إلا أن هذا النوع من المنشآت العمرانية كان مصيره أيضا كباقي المنشآت العمرانية .

فالبيمارستان المنصوري قلت كفاءته في استقبال المرضي بعد أن تولي نظارته من لم يلتزم بشرط الواقف، ومسح دهاليزه وكنسه، وكان مبلغ اهتمامه توفير أموال الوقف لردها للسلطان(٥) .

---

(١) سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية، ص١١٢ .

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠٦ .

(٣) المقريزى : السلوك، ج٤، ق١، ص٤٥٢ .

(٤) انظر الأوقاف .

(٥) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص-٢٦١ .

والبيمارستان المؤيدي أخرجت المرضى منه وأغلق وصار منزلا للرسل الواردين من ملوك الشرق، ثم تخرب وامتدت إليه الأيدي بالهدم والبناء حتى ضاعت معالمه(١) .

ويبدو أن يد الإهمال قد امتدت أيضا إلي البيمارستان الأسفل (٢) أو بيمارستان كافور الإخشيدى الذي أنشأه ٣٤٦هـ/٩٥٧م(٣) حيث يقرر ابن دقماق ٨٠٩هـ/١٤٠٦م أنه ليس به في عهده شراب ولا دواء يلتمسه فقير(٤) مما يعني أنه لم يعمل في تلك الفترة، كما يوضح القلقشندي ت ٨١٢هـ/١٤٢٨م أن البيمارستان الناصري أو الصلاحي" بيمارستان صلاح الدين"باق علي هيئته في عصره(٥)، إلا أنه لم يقرر إذا كان يعمل أم لا ويبدو من خلال صيغة المفرد التي استخدمها المؤرخون عند ذكر أعداد الوفيات أثناء الأوبئة بقولهم " ... سوي البيمارستان "(٦) بدلا من قولهم " سوي البيمارستانات " دليل علي أن البيمارستان الوحيد الذي ظل يعمل هو البيمارستان المنصوري، بل إنه في بعض الأحيان ينص بعض المؤرخين علي البيمارستان المنصوري وحده دون الإشارة إلي أي من البيمارستانات الأخري(٧).

كما تركت الأزمات الاقتصادية أثرها في خراب بعض العمائر التي أنشئت من فترات سابقة لخراب المناطق المجاورة لها، فقد تعددت المساجد التي خربت بعد أزمة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م مثل مسجد نائب الكرك(٨)، وكذلك جامع

---

(١) أحمد عيسي : تاريخ البيمارستانات، ص ١٧٤ .
(٢) أما المارستان الأعلي هو الذي بناه أحمد بن طولون . أحمد عيسي : تاريخ البيمارستانات، ص ٧٤.
(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠٦ .
(٤) ابن دقماق : الانتصار، ص٩٩ .
(٥) أحمد عيسي : تاريخ البيمارستانات، ص ٧٦-٧٧ .
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٥٢، ٤٨٦، ٣٩٢، العيني : السيف المهند، ص ٣٤٤ .
(٧) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٣٧ .
(٨) المقصود بنائب الكرك هو جمال الدين أقوش الذي كان نائبا للكرك، المقريزى : الخطط : ج٢، ص ٥٣، ٣١٢ .

القرافة[١]، هذا بالإضافة إلي جامع ابن عبد الظاهر[٢] وجامع الفيلة[٣]، ومسجد عبد الله[٤]، ومسجد كراي[٥]، كما هدمت عدة مساجد نتيجة خراب ما حولها، وبيعت أنقاضها و بني بها مساجد أخري في مواقع عامرة [٦] .

وما تعرضت له المساجد تعرضت له الحمامات التي خربت وأغلق منها نحو ٤٦% من أعدادها التي كانت موجودة من قبل عصر الجراكسة [٧]، كما تلاشت أعداد أخري من المدارس [٨] والخانقاوات [٩] إما لخراب ما حولها أو لاستحواذ السلطة الحاكمة علي أوقافها للملائمة بين مواردها ومصروفاتها .

وعلي أي حال أصبح الحديث عن عام ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وما تلاه من أزمات يعطي صورة لأفدح ما أصيبت به الآثار العمرانية من الهدم والخراب والاندثار .

أما بالنسبة لحركة العمارة الحديثة فإن الأزمات والأوبئة لم تؤثر تأثيرا مباشرا عليها، إذ في بعض الأحيان تتوقف حركة الإنشاء عندما يشتد الوباء، أو تنفد الأموال من الخزائن، وفي بعض الأحيان الأخرى يستمر العمل الإنشائي أو العمراني رغم الأزمات والأوبئة .

ففي أثناء أزمة ووباء ٨٠٦-٨٠٧هـ/١٤٠٣-١٤٠٤م، توقفت حركة العمارة في هذين العامين، إذ لم يرد – في حدود علم الباحث – منشآت عمرانية أقيمت في هذين العامين، بينما في عصر المؤيد شيخ الذي لم يكد عام يمر من حكمه دون وباء، استمرت حركة التشييد والبناء، ومما يدل علي ذلك بدء العمل في

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٥ .

(٣) نفس المصدر، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٢ .

(٥) أمل أحمد أمين المصرى :حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى، جـ١. ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٩٩.

(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(٧) أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٣٧ .

(٨) انظر التعليم، ص ٢٦٤ .

(٩) انظر التصوف، ص ٢٢١ .

تشييد جامع المؤيد عام ٨١٨هـ/١٤٥١م[١]، علي الرغم من ارتفاع الأسعار الشديد في ذلك العام[٢] . كما أقام العديد من المنشآت الأخرى في ظل هذه الظروف [٣] .

وعلي الرغم من أن السلطان قايتباي عاني في بعض السنوات من أزمات مالية خانقة تنفد الأموال فيها من الخزائن[٤]، وأصيبت البلاد في عصره بثلاثة طواعين مؤثرة[٥]، إلا أنه كان أكثر سلاطين عصر الجراكسة إنشاء للعمارة [٦] فجاء عصره درة عصر الجراكسة في العمارة، ويكفينا أن نعلم أنه ترك اسمه مسطورا علي ما يزيد علي سبعين أثرا إسلاميا ما بين تجديد وإنشاء[٧] . وقد سجل في مدينة القاهرة وحدها مما تبقى من آثار عصره ٣٨ أثرا، قام قايتباي نفسه بإنشاء ثمانية عشر منها[٨] . ويلاحظ علي هذه الآثار المتبقية التي تركها قايتباي ما يلي :

١ - أنه لم يتم إنشاء أي منها في السنوات التي أعلن فيها عدم وجود مال في الخزائن وهي السنوات ٨٧٢هـ/١٤٦٧م[٩] ٨٩٤ هـ/١٤٨٨م[١٠]، ٨٩٦هـ/١٤٩٠م[١١] مما يعني أثر الأزمات الاقتصادية التي عانت منها الدولة علي حركة العمارة في تلك الفترات .

---

(١) المقريزي : الخطط، ج٢، ص ٣٢٨ .

(٢) انظر جدول ٣٢ .

(٣) فهمي عبد العليم رمضان : العمارة الإسلامية بمصر في عصر السلطان المؤيد شيخ، دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٠، ليلي كامل : مدرسة جوهر اللالا، ص ٦، ٧ .

(٤) ابن إياس : بدائع، ج٣، ص ١٤، ٢٦٠، ٢٧٨ .

(٥) انظر جدول ٢٣ .

(٦) ابن أبي سرور البكري (شمس الدين) الكواكب السائرة، دار الكتب، ٢١١٢ تاريخ تيمور، ميكروفيلم ٣٤١٩٣، ورقة ١٧، البكري : النزهة الزاهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة، دار الكتب، ٢٢٦٦ تاريخ، ميكروفيلم ١٧١٨، ورقة ٣٥ .

(٧) حسني محمد حسن نويصر : منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، ص ٨ .

(٨) فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، القاهرة، مصلحة المساحة، ١٩٥١، ص ٨ - ٩ .

(٩) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٤ .

(١٠) نفس المصدر، ص ٢٦٠ .

(١١) نفس المصدر، ص ٢٧٨ .

٢ - أن السنوات التي انتشرت فيها الأوبئة في عصره جاءت خالية أيضا من النشاط المعماري سوي ما أمر به السلطان من ترميم ما فسد من عمارة الجامع الأزهر وأنفق في ذلك نحوا من عشرة آلاف دينار وذلك أثناء انتشار الوباء في ذى الحجة ٨٨١هـ/ مارس ١٤٧٧م(١) كقربي إلي الله .

٣ - أن معظم الإنشاءات الباقية التي أقامها قايتباي جاءت في فترات الاستقرار الاقتصادي وعدم وجود أوبئة، وتمثل ذلك في عامي ٨٧٩-٨٨٠هـ/١٤٧٤-١٤٧٥م، وكذلك في الفترة الطويلة التي خلت مصر فيها من الأوبئة فيما بين ٨٨١-٨٩٧هـ/١٤٧٦-١٤٩١م .

ولم تتوقف الأعمال الإنشائية والعمرانية في عصر الغوري علي الرغم من الأزمات الاقتصادية التي واجهته، فجاءت إنشاءاته من أروع ما خلفه عصر الجراكسة من عمارة (٢) .

مما سبق يتضح عدم تأثر الحركة العمرانية تماما في عصر الجراكسة بالأزمات الاقتصادية والأوبئة، وقد يرجع ذلك إلي أن جل هذه المنشآت كانت ذات صبغة دينية أقامها منشئوها تقربا إلي الله، هذا من ناحية. ومن ناحية أخري أن غالب ما أنفق عليها لم يكن من موارد الدولة الشرعية بل من وجوه الظلم والمصادرات.

أما بالنسبة **للتصميم المعماري**، فإن صغر حجم المدارس، وصغر حجم الصحن في المساجد الذى تميز به عصر الجراكسة لم يكن له علاقة بالأزمات الاقتصادية أو انخفاض التكلفة، وإنما نتج عن تطور العمارة في تلك الفترة، فتم تصغير حجم الصحن في المساجد حتى يمكن تغطيتها بسهولة(٣)، كما بدأ المعمار يناسب بين أجزاء المدرسة فأصبحت صغيرة وأكثر رشاقة من ذي قبل(٤) .

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٢٤ .

(٢) البكري : الكواكب السائرة، ورقة ١٨، أندريه ريمون : القاهرة، ص ١٦٢ .

(٣) حسني محمد : منشآت قايتباي، ص ٢٥٩، طرخان : مصر في عصر الجراكسة، ص ٣١٤ .

(٤) سامي أحمد عبد الحليم : الأمير يشبك، ص ٩، محمد مصطفي نجيب : العمارة في عصر المماليك (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا وآخرون)، ص ٢٤٦ .

لقد تركت الأزمات الاقتصادية والأوبئة بصماتها واضحة علي كثير من فروع الفن المختلفة، فالازدهار الفني نتيجة حتمية للثراء الاقتصادي، ولذا يمكن القول أنه قد صحب الاضمحلال التجاري والتدهور الاقتصادي اضمحلال آخر في الفن(١) .

فالصناعات المعدنية راجت أسواقها في عصر المماليك البحرية، نتيجة لوفرة موادها الخام ونتيجة لهجرة كثير من صناع العراق إلي مصر ومشاركتهم لصناع القاهرة العمل في ميدان الصناعات المعدنية وغيرها (٢) . لذا كانت صناعة التكفيت ـ أي تطعيم أواني النحاس بالذهب والفضة ـ ذات شهرة رائجة في ذلك الوقت، وكانت قطع النحاس المكفت من الضرورات عند تجهيز العروس(٣) .

ولكن عندما توالت الأزمات و الأوبئة في مصر في عصر الجراكسة، فقدت مصر عوامل الجذب للصناع التي تمتعت بها في الماضي في الوقت الذي نقصت فيه الأيدي العاملة، كما قل معدني الذهب والفضة(٤)، وضعف المستوي الاقتصادي والاجتماعي لكثير من الناس فأصبحوا لا يقبلون علي شراء المنتجات المكفتة علي اعتبار أنها أصبحت من الصناعات الكمالية أو الترفية وهي عوامل ترتبط جميعها بالأزمات والأوبئة، فانعدم هذا الصنف من مصر وعز وجوده، بعد أن كانت منازل القاهرة ومصر ذاخرة بها، ولابد أن يكون في شورة العروس دكة نحاس مكفت، هذا بالإضافة إلى قيام الناس بنزع الكفت ومواده من ذهب أو فضة من مواضعه على الآنية المكفتة لبيعه والانتفاع بثمنه فى وقت الأزمات (٥) .

وفي الوقت الذي ضعفت فيه صناعة الكفت بدأت الأنظار تتجه إلي صناعة أخري قادمة من الصين تقوم علي نوع من الورق المقوي المدهون باللاكيه، وقد أطلق المقريزي عليه اسم " كداهي " وكانت تصنع منه الآنية المختلفة والشماعد والصواني التي كانت تصنع من النحاس المكفت(٦) .

---

(١) ستانلى لينبول : سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣، ص ٢٢٢ .

(٢) حسين عليوه : المعادن (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا)، ص ٣٨٠ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٥ .

(٤) Levanone : Aturning point, p.135, Darrag : Barsbay, p.59 .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ١٠٥ . حسين عليوه : المعادن، ص٣٨٣ .

(٦) حسين عليوه : المعادن، ص ٣٨٣ .

كما أدت ندرة معدن الفضة ومحاولة السلطان برسباي توفيره لضرب الدراهم إلي أن أمر السلطان بمنع الناس من ضرب الأواني الفضية لكي تحمل الفضة إلي دار الضرب (١).وفي مثل هذه الظروف تضعف أيضا صناعة الحلي والطرائف لقلة الطلب عليها (٢).

كما تأثرت صناعة الخزف المصري بالتدهور الاقتصادي العام الذي أصاب دولة المماليك في عصر الجراكسة، إذ انعكس ذلك أيضا علي صناعة الخزف التي ظهر عليها تدهور واضح سواء في أسلوب الصناعة أم في موضوعات الزخرفة وتتجلي هذه الحقيقة إذا ما تم مقارنة إنتاج الخزافين المصريين في أواخر عصر الجراكسة بإنتاجهم في أوائل العصر المملوكي(٣) .

فقد ظهر في العصر المملوكي نوع متميز من الخزف يطلق عليه مؤرخو الفنون الفخار المطلى بالميناء المتعددة الألوان وهو نوع شعبي كان أرخص وأكثر استعمالا من الخزف الرقيق .

وكان الإناء يتكون من طينة فخارية عادية حمراء أو سوداء تغطيها بطانة بيضاء، وتحدد الرسوم بخطوط تحز في بطانة الإناء فتكشف عن العجينة الحمراء أو السوداء لبدن الإناء، وقد تلون هذه الخطوط المحزوزة بلون مغاير لتحديد الزخارف، التي يقوم الخزاف بطلائها بطلاء زجاجي شفاف(٤) .

ثم استبدل الطلاء الزجاجي الشفاف بعد ذلك بنوع من الطينة السائلة علي طبقات حتى تكتسب الزخرفة شيئا من البروز.(٥)

وفي أثناء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي استخدمت الزخارف البارزة عن طريق إضافتها إلى جسم الأواني الفخارية دون

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص١٧٠ .
(٢) أشتور : التاريخ الاقتصادي، ص ٣٩٠.
(٣) ديماند : الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٢٦١ .
أشتور : التاريخ الاقتصادي، ص ٤٠٠-٤٠١ .
(٤) عبد الرؤوف على يوسف : الخزف (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا) ص، ٣٢.
(٥) أحمد عبد الرازق : الفخار، ص ١٧٠ .

أن تكون هناك حدود محزوزة، واعتبر أحد الباحثين أن هذه المرحلة تعد مرحلة تدهور للأسلوب السابق، لما في زخارفها من تدهور وعدم العناية والدقة في التنفيذ[١]

وفي أواخر هذا القرن التاسع اختفت الزخارف البارزة، وظهرت الزخارف المرسومة وغلب علي الفخار خشونة المظهر وعدم الاهتمام بصقله، وبدا فقيرا في مظهره ركيكا في زخارفه، مما يعد مرحلة أخري من مراحل تدهور صناعة الفخار [٢] .

ومن الملاحظ علي هذه الأنواع السابقة أنها تقل في الوقت والتكلفة مما جعلها تنتشر بين الطبقات الشعبية، وبذلك تحول هذا الفن من فن كان يستعمل إنتاجه في بيوت الأمراء[٣] إلي فن شعبي في متناول فئات العامة بعد أن أقبل السلاطين والأمراء علي اقتناء الأواني الصينية التي غمرت الأسواق المصرية[٤].

كما يدل علي تدهور صناعة الخزف المصري في أواخر عصر الجراكسة، أن البلاطات الخزفية التي كانت تزين قبة الغوري ظهر عليها خشونة المظهر ورداءة العجينة المصنعة منها وعدم وضوح ألوانها [٥].

مما سبق يتضح أن التدهور الاقتصادي وما تبعه من تدهور اجتماعي أيضا في أواخر عصر الجراكسة انعكس علي إبداعات الخزاف أو الفخارى المصري وابتكاراته، فجاءت أعماله الفنية في مستوي أدنى مما كان عليه الحال في عصر المماليك البحرية .

---

(١) نفس المرجع، ص ١٧٥ .

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٦-١٧٧ .

(٣) ديماند : الفنون الإسلامية، ص ٢٢١ .

(٤) أحمد عبد الرازق : الفخار، ص ٢١٨-٢١٩، عبد الرؤوف علي يوسف : الخزف، ص ٣٢٢ .، شوقى عبد القوى عثمان : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ٤١ - ٩٠٤ / ٦٦١ - ١٤٩٨م، عالم المعرفة، العدد ١٥١، الكويت، ١٩٩٠، ص ٢٣٤-٢٣٥، محمد كمال الدين : الحركة العلمية، جـ١، ص٩٢ .

(٥) عبد الرؤوف علي يوسف : الخزف، (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا وآخرون) ص، ٣٢٢ .

كما شهدت صناعة الزجاج في عصر الجراكسة أيضا تدهورا ملحوظا سواء في موضوع الزخرفة أم في أسلوب الصناعة، فقد اضمحلت صناعة المشكاوات(١)، ومن خلال مجموعة المشكاوات التي تحمل اسم الظاهر برقوق نجد أنها أقل جودة في مينائها، ونوع زجاجها عنها في العصر المملوكي الأول(٢) .

أما موضوع الزخرفة فنجد أن بعض المشكاوات أصبحت تزين بزخارف تقليدية وأحيانا يسود سطحها أشكال من التعبيرات المزهرة التي لا تترك فراغا دون تغطية بعدما كانت تشتمل علي كتابات عربية وزخارف نباتية وموضوعات آدمية وحيوانية وتعبيرات طبيعية تدل علي حرية الفنان في رسم الموضوعات الزخرفية(٣).

أدي هذا التدهور في صناعة الزجاج إلي أن أمر السلطان قايتباي ٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م باستيراد المصابيح الزجاجية من الخارج(٤) .

أما فن الحفر علي الخشب الذي أخذ في الرقي في العصر الفاطمي، وظل محافظا علي تقدمه إلى نهاية دولة المماليك البحرية(٥)، تدهور في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي علي الرغم من وجود أمثلة طيبة منه في تلك الفترة، إلا أن أحسن ما صنع فيها لا يمكن مقارنته بما صنع في الفترات السابقة(٦).

ويمكن تفسير التدني في مستوي التخليق الفني والابتكار في تلك الفترة في ضوء وفاة أعداد كبيرة من الحرفيين المهرة أثناء الأوبئة المتكررة خلال عصر

---

(١) المشكاة في اللغة هي كل كوة غير نافذة، وقد أطلق علماء الفنون والآثار الإسلامية كلمة المشكاة علي الزجاجة أو القنديل الذي كان يوضع فيه المصباح، وكان من فوائده حفظ نار المصباح من هبات الهواء وتحويلها إلي ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء المكان، حسن الباشا: القاهرة، ص ٥٩١

(٢) عبد الرؤوف علي يوسف : الزجاج، (ضمن كتاب القاهرة لحسن الباشا وآخرون)، ص ٣٤١ .

(٣) ديماند : الفنون الإسلامية، ص ٢٤٢، ٢٤٦ .

(٤) أشتور : التاريخ الاقتصادي، ص ٤٠٠ .

(٥) حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع على آثار مصر الاسلامية، مجلة المجمع العلمى المصرى، مج ٣٦، جـ٢، القاهرة، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى، ١٩٥٥، ص ٥٥١ .

(٦) ديماند : الفنون الإسلامية، ص١٢٣ .

الجراكسة، وأنه لم تكن هناك فرص كافية لتدريب أجيال جديدة بنفس مهارة الحرفيين السابقين هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن تدهور المستوي الاقتصادي لغالبية فئات المجتمع وشرائحه وما تبعه من تدنى في مستوي المعيشة انعكس علي إبداعات هؤلاء الحرفيين الذين قاموا بإنتاج فني أقل تكلفة وأرخص سعرا، فجاءت الأعمال الفنية في مستوي أدني مما كانت عليه الحال في عصر المماليك البحرية .

أما فن النقش والرسم فقد ظهر بوضوح في المنشآت الدينية وبخاصة في قباب الأضرحة والمساجد وفي المدارس[١] . إلا أنه لا يوجد من الرسوم ما يدل علي تأثير الأزمات والأوبئة مثلما كانت عليه الأحوال في المجتمع الأوروبي في تلك الفترة، إذ عبرت بعض الرسوم عن أن الناس قد أصيبوا بالأوبئة من خلال خفافيش تطير في السماء، ثم جاءت الملائكة لتصب الرحمة عليهم[٢] .

---

(١) لينبول : سيرة القاهرة، ص ٢٠٢، ٢٠٥-٢٠٦، ٢٠٨، كلود كاهن : تاريخ العرب، ص ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) Polzer, Joseph : Aspects of the fourteenth century Iconography of death and the Plague, (Daniel Williman : The Black death, the impact of the fourteenth century Plague), New York,, 1982, P.115.

الفصل الرابع

الآثــــار الفكريـــــة

- الحركة العلمية والأدبية
- التعليم
- العمارة والفنون

الحركة العلمية والأدبية :

فرضت الأوبئة التي كانت تنتشر في مصر من حين لآخر علي رجال الفكر وضع بعض المؤلفات أو الرسائل التى تناولت هذا الموضوع بمختلف جوانبه سواء الأسباب التى تؤدى إلى الوباء، وكذلك طرق الوقاية والعلاج، بالإضافة إلى مناقشة بعض القضايا الفقهية التي كانت تطرح في ذلك الوقت وشغلت السلطة الحاكمة(١)، بل وعامة الناس، لما شاع في ذلك العصر من تفسير ديني لأسباب الوباء .

ولم تكن هذه الكتابات وليدة عصر الجراكسة، وإنما سبقتها كتابات أخرى، فابن الجزار القيرواني(٢) كتب عن الطاعون في مصر كتاباً أسماه " في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك، وعلاج ما يتخوف منه "، وهو من الكتب المفقودة (٣) .

وعندما انتشر الموت الأسود أو الوباء العام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م قام ابن الوردي بكتابة رسالة أسماها " النبا عن الوبا "(٤) . وقد وصف ابن الوردي هذا الطاعون الجارف مبيناً أثره وانكباب الناس علي مطالعة كتب الطب للحصول علي وسيلة للعلاج .وأشار كذلك إلي تعدد الوفيات وإشاعة الخوف بين الناس، مما أدي إلي تغير أخلاقهم وإقبال بعضهم علي بعض يتسامحون(٥)، كما كتب ابن خاتمة في نفس العام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م كتاباً بعنوان " تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" (٦) وفي نفس العام أيضاً كتب محمد بن علي السكوري كتاباً بعنوان " تحقيق النبا عن أمر الوبا " (٧).

---

(١) ابن إياس : بدائع : جـ٢، ص ١٣١ .

(٢) ولد حوالي ٢٨٥هـ وتاريخ وفاته غير محدد، والراجح أنه توفي عن عمر يناهز الثمانين سنة قبل عام ٣٧٧هـ. ابن الجزار : سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص٢٨، ٣٤.

(٣) ابن الجزار : سياسة الصبيان، ص ٥٠ .

Ullmann : Die Medizin im Islam, p.245, 246 .

(٤) حامد زيان : الأزمات الإقتصادية، ص ٤٤، حاشية (١).

(٥) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مجـ٥، ص ٢٤٧ .

(٦) Staatsbibliothek zu Berlin preussischer kulturbesitz, Orientabteilung, 6369, We, 1205 .

(٧) Ullmann: Op.Cit., p.247

ثم قام محمد بن محمد المنبجي ت ٧٨٥هـ/١٣٨٣، بكتابة جزء في الطاعون أشار إليه ابن حجر بقوله " وهو صاحب الجزء المشهور في الطاعون، ذكر فيه فوائد كثيرة " . وبينما أوضح ابن حجر أنه كتب هذا الكتاب عام ٧٦٤هـ/١٣٦٢م(١)، إلا أن صاحب الكتاب نفسه أوضح أنه كتبه عام ٧٦٥هـ/١٣٦٣م فيقول في مخطوط آخر له " وكنت قد جمعت كتاباً في الطاعون وأحكامه في سنة خمس وستين وسبعماية، وهو كتاب حسن، ما نظر فيه أحد إلا استحسنه "(٢)، وكتب تاج الدين السبكي ٧٧١هـ/١٣٦٩م "رسالة في الطاعون"، ثم كتب ابن الخطيب ٧٧٦هـ/١٣٧٤م " الكلام علي الطاعون المعاصر "(٣) .

أما في عصر الجراكسة : فقد تعددت الكتب التي تناولت هذا الموضوع، فكتب بدر الدين الزركشي ٧٩٤هـ/١٣٩١م ".رسالة في الطاعون "(٤) .

وعندما انتشر وباء عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م في أنحاء مصر خرج السلطان والقضاة الأربعة وسائر العلماء والمشايخ والصلحاء خلف تربة الظاهر برقوق للصلاة والدعاء برفع الوباء، وحدث خلاف بين كبار العلماء حول جواز الدعاء برفع الوباء، والاجتماع له، فكان ذلك دافعاً للشيخ ولي الدين البكري الملوي لأن يقوم بتأليف كتاب للإجابة عن التساؤلات المطروحة آنذاك، ولقد أشار إلي هذا الكتاب ابن إياس(٥)، كما أشار إليه ابن حجر (٦) .

وفي نفس الفترة قام عبد الرحمن البسطامى الذي عاش حوالي ٨٢٢ هـ/١٤١٩م بوضع مجموعة من الرسائل لأدوية الوباء كتبها علي حد قوله " نفعاً لكافة المسلمين في أمر الاعتقاد وصوناً لعقائد الأمة في هذه البلية " الوباء "(٧) .

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٢، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) المنبجى (محمد بن محمد) : تسلية أهل المصائب فى موت الأولاد والأقارب، دار الكتب، ورقة ٣ .

(٣) Verzeichnis der arabischen Handschriften der koniglichen Bibliothek zu Berlin, Vol.17, p.604.

(٤) Ibid.

(٥) ابن إياس : بدائع، ج٢، ص ٤٦ .

(٦) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ١٠٤ .

(٧) مجهول : مجموعة الشفاء لأدوية الوباء، ورقة ٢ .

وابن حجر بدأ كتابة كتابه " بذل الماعون في فضل الطاعون في عام ٨١٩هـ/١٤١٦م [١] بعد أن طلب منه بعض إخوانه " جمع الأخبار الواردة في الطاعون مع شرح غريبها وتيسير معانيها علي الأفهام وتقريبها وتبيين أحكامها وتحسين أقسامها[٢] . ويبدو أنه عدله بعد ذلك، واكتمل معظم الكتاب في الفترة ما بين طاعون ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ووفاة ابن حجر في ٨٥٢هـ/١٤٤٩م [٣] وكان هذا الكتاب من الكتب التي تدرس ويسمعها طلاب العلم[٤] .

ولما كان كتاب بذل الماعون " في الإسهاب والإطناب ربما عز تناوله علي بعض الناس، وعسر تحصيله علي كثير من الطلاب " اختصره شيخ الإسلام أبو زكريا الأنصاري ٨٧١هـ/١٤٦٦م بقصد التسهيل وأضاف إليه بعض المباحث وأسماه " تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين "[٥] .

وألف السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م كتاباً بعنوان " ما رواه الواعون في أخبار الطاعون "[٦] نقل معظمها ابن نجيم المصري ت ٩٧٠هـ/١٥٦٢م في كتاب الرسائل الزينية في مذهب الحنفية بعنوان " رسالة في الطعن والطاعون للسيوطي "[٧]، وأثناء انتشار الوباء في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م في مصر كتب الشيخ شمس الدين الحجازي الشافعي رسالة بعنوان " جزء في الطاعون "[٨] ثم عمل ابن أبي شرف الكاملي ت ٩٠٦هـ/١٥٠٠م فتوى في الطاعون[٩] .

وفي أواخر عصر الجراكسة كتب إدريس البدليسى "رسالة الإباء عن مواقع الوباء " ٩١٧هـ/١٥١١م عندما توجه من القسطنطينية إلي الإسكندرية في طريقه للحج[١٠].

---

(١) موضح ذلك على غلاف المخطوط، ورقة ١.

(٢) ابن حجر : بذل الماعون، ورقة ٢ .

(٣) Dols : The black death, p.111, 329 .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٨٧، ٢٣٢ .

(٥) أبو زكريا الأنصارى : تحفة الراغبين، ورقة ١، أبو زكريا (الأنصارى) ت ٩٢٦هـ : فتاوى شيخ الاسلام أبى يحيى زكريا بن محمد الأنصارى، جمعها أحمد عبيد، دمشق، المكتبة العربية، د.ت، ص ١٤ .

(٦) Ullmann : Die Medzin im Islam, p.248 .

(٧) مخطوط كتاب الرسائل الزينية Staatsbibliothek zu Berlin, LBG, 598, 18.

(٨) Dols, The black death, p.331.

(٩) Dols, Op. Cit., p.330.

(١٠) Staatsbibliothek zu Berlin, SPR . 727 . Ullmann : Op. Cit. p.248

ثم توالت بعد ذلك مؤلفات أخري وإن لم تكن من نتاج عصر الجراكسة، إلا أنها تأثرت بما كتب في تلك الفترة من كتب ورسائل عن الأوبئة فقد كتب الشيخ مرعي بن يوسف ت ١٠٣٣هـ " كتاب تحقيق الظنون بأخبار الطاعون "(١). وقد أوضح المؤلف أنه فرغ من جمعه في أوائل شهر جمادى الأولي ١٠٢٨هـ، وفرغ من كتابته في المحرم ١٠٢٩هـ(٢) . ثم رسالة فى الطاعون لمجهول كتبت حوالي ١٢٠٠هـ(٣).

وقد كتب نعمة الله الجزائري " مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون"(٤) ولم يعرف تاريخ كتابته لفقدان الجزء الأول منه وبدايته الباب الثالث".

ومن الملاحظ علي جل الكتابات السابقة أن كتابها من رجال الدين، الذين كثرت بينهم المناقشات حول بعض القضايا الفقهية التي تتصل اتصالاً مباشراً بالأوبئة وشغلت بعض السلاطين وتساءلوا عنها، ففي وباء ٨٣٣هـ/١٤٢٩م سأل السلطان العلماء هل يجوز أن يخرج هو والناس إلي الصحراء للدعاء برفع الوباء كما في الاستسقاء(٥) . وفي وباء ٨٤١هـ/١٤٣٧م سأل السلطان من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التي إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون(٦) .

ولذا تمحورت معظم هذه الكتابات حول الإجابة علي عدد من التساؤلات وضعت في النهاية ما يمكن أن نسميه "فقه مرض الطاعون" أو "فقه الطاعون". ومن هذه التساؤلات :

١ - ما أسباب حدوث الطاعون ؟
٢ - هل من مات بالطاعون يعد شهيداً ؟
٣ - هل يشرع الدعاء برفع الطاعون ؟

---

(١) Staatsbibliothek zu Berlin, We 1840 .

(٢) الحنبلى : تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، ورقة ٧٦ .

(٣) Staatsbibliothek zu Berlin, LBG, 671 .

(٤) Staatsbibliothek zu Berlin, P.M. 505 .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٣١ .

Sublet, Jacqueline: La Peste prise aux Rets de la Jurisprudence, Le traite D'Ibn Hagar Al: Asqalani sur la peste, Stvdia Islamica, 33, 1971, p. 144 .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ١٠٣٢، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٤، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص٩٣

الفصل الخامس

الآثار السياسية والعسكرية

- الجيش
- الثورات الشعبية
- السياسة الخارجية

الـ

وهـ
العـ
أو

١

٢

٣

بعـ
الـ
الـ
بـ
حـ

مـ
ا
إ
أ
أ

الجيـــــش :

لقد أثرت الأزمات الاقتصادية والأوبئة على العمود الفقرى للنظام السياسى وهو الجيش، وقد تمثل ذلك فى فرق الجيش، ومقرراته، بل وتجهيزاتـــه وحملاتـــه العسكرية .

أولاً : فـرق الجيـش :

كان الجيش المملوكى يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية :-

١ - **أجناد الحلقة :** وهم الذين يقومون بخدمة السلطان ولكل منهم إقطاع .

٢ - **مماليك السلطان :** وهم الذين يحصلون على جوامك ورواتب مقررة علـــى ديوان السلطان فى كل شهر .

٣ - **مماليك الأمراء :** وهم الذين يخدمون الأمراء [١].

لا توجد إحصاءات دقيقة لكل فرقة من فرق الجيش المملوكى، وبخاصـــة بعد أن تعدد تسجيل المملوك الواحد فى أكثر من فرقة رغبة فى الحصـــول علـــى الجوامك والإقطاعات، إذ صار الأمراء يشترون إقطاعات الحلقة، أو يأخذونها مـــن السلطان باسم مماليكهم، ثم لايكفيهم ذلك حتى يسجلوهم أيضاً فى بيـــت الســـلطان بجامكية، فيصير الواحد من مماليك الأمراء، جندى حلقة، ومملوك سلطان، وفـــى خدمة أميرـــ فضعف عسكر مصر، وقلت أعداده [٢].

ويبدو أثر الأزمات والأوبئة واضحاً فى نقص أعداد الجنود فى هذه الفـرق من خلال ما قامت به السلطة الحاكمة حلاً لأزماتها من بيع مساحات كبـــيرة مـــن الأراضى الإقطاعية، فتحولت إلى ملكية حرة، فلم يعـــد لأمـــراء الجيـــش وفرقـــه إقطاعات تتناسب مع ما كان عليه الحال فى عصر المماليك البحرية، كمـــا يبـــدو أيضاً من خلال عدم قدرة السلاطين فى عصر الجراكسة من تعويض العجز الـــذى أحدثته الأوبئة من خلال الشراء نتيجة لخلو الخزائن فى كثير من الأحيان، وازديـــاد

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص٧٠، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٦٢

Ayalon : The system of payment, P.42.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٧٠ - ٧١ .

Halm : Ägypten, I, P.54.

تكلفة العبيد، ويمكن توضيح أثر الأزمات الاقتصادية والأوبئة على أعـــداد فـرق الجيش المملوكى على االنحو التالى :

١ ـ أجناد الحلقة :

بلغت أعداد هذه الفرقة من الجيش حوالى ٢٤ ألف فارس فى أيام النـاصر محمد بن قلاوون [(١)]، ولكن فى ضوء اشتداد الأزمات الاقتصادية وتكرارهـا فـى عصر الجراكسة وعجز خزانة الدولة عن توفير الجوامك، تعرضت هذه الفرقة إلى قطع جوامكها أكثر من مرة حلاً للأزمة [(٢)]، وأهمل فى تدريبهم علـــى أساسـيات القتال، وظهر عجز كثير منهم واضحا عندما كانت تجرى لهم اختبــارات قتاليـة، فاضمحلت هذه الفرقة كمًا وكيفا، بحيث أصبحت " لا تنفـــع ولا تدفـــع " وأمسـت أعدادها مضافة إليها أعداد المماليك السلطانية لا تبلغ ٥ آلاف فارس يصلح منـــها لمباشرة القتال ما دون الألف [(٣)]. وبعدما كانت هذه الفرقـــة تمثـل قـلب الجيـش المملوكى أو عموده الفقرى فى القتال فى عصــر الممــاليك البحريـة، أصبحـت لا تذهب للقتال خلال الجزء الأكبر من عصر الجراكسة مكتفيــة بدفـع تعويـض أو بدل[(٤)]، ففى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م أمر السلطان أجناد الحلقة ممـــن كـانت إقطاعاتهم قليلة الدخل أن يقوم كل ثلاثة منهم بكلفة واحد للقتال، ويبقى الآخـرون، وتشدد فى طلب المال منهم وضرب بعضهم [(٥)].

وقد أدت الأزمات الاقتصادية وعدم قدرة قطاع كبير من أجناد الحلقة على مواجهة مصاعب الحياة إلى اضطرار بعضهم إلى ترك الجندية والعمل فى المجـال التجارى والحرفى بعد تنازلهم عن إقطاعاتهم لبعض المعممين والتجار والحرفييـن، الذين سمح لهم بشراء الإقطاعات والرتب العسكرية، وانضمت أعداد منـــهم إلـى أجناد الحلقة [(٦)]، وقد أدى تملك هؤلاء للإقطاعـــات وعـدم قيامـــهم بمسـئوليات إقطاعاتهم من حيث ارتباطها بالخدمة الحربية إلى ضعف الجيش المملوكى .

---

(١) ابن شاهين، زبدة، ص ١١٦، المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٩٥ .
(٢) انظر ص ١٥٣.
(٣) المقريزى : الخطط، جـ١، ص ٩٥ .
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص٨.   Aylaon : The system of payment, P. 290
(٥) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٦٤، ٤٧١ .
(٦) القلقشندى : صبح، ج٤، ص١٦ .
Udovitch : England to Egypt, p. 119 . Ayalon : The Muslim city, 326.
Levanoni : Aturning point, p.137.

٢ـ المماليك السلطانية :

وتنقسم هذه الفرقة إلى ثلاثة أقسام :

أ – المماليك المشتريات : الذين يتم شراؤهم من أجل دعم قوات الجيش ويسمون الأجلاب والجلبان .

ب – القرانيص : وهم مماليك السلاطين الذين توفوا .

جـ – السيفية : وهم الذين انتقلوا إلى السلطان بسبب وفاة أستاذهم أو نفيه أو قتله(١) .

لقد أدت الأزمات الاقتصادية إلى ضعف هذه الفرقة "المماليك السلطانية " إذ لم تمكن سلاطين المماليك من تعويض من فقدوهم من مماليك سواء أثناء الفتن والمنازعات الداخلية المتكررة، أو أثناء انتشار الأوبئة التى استشرت فى هذه الفئة بصفة خاصة .

وزاد من صعوبة الأمر ازدياد تكلفة العبيد، إذ بلغ ثمن العبد الجركسى الواحد ما بين ١٠٠ و ١٢٠ دوكة، وكان تعليمهم يستغرق وقتا طويلا، كما أن نفقات معيشتهم كانت تزداد باضطراد (٢)، مما أدى إلى انخفاض أعداد هذه الفرقة من المماليك، فقد بلغت أعداد هذه الفرقة فى عهد الظاهر بيبرس أكثر من ١٦ ألف مملوك (٣) وفى عهد المنصور قلاوون ٦٧٠٠ مملوك، وأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف(٤). بينما بلغ عدد هذه الفرقة فى الفترة الأولى من حكم برقوق نحو الألفى مملوك(٥)، ارتفع هذا العدد فى نهاية حكمه إلى خمسة آلاف(٦).

---

(١) ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية، ص ١٥٠، ضومط : الدولة المملوكية، ص ٣١ – ٣٤ .

(٢) أندريه ريمون، القاهرة، ص ١٥٤ . Dols : The Black death, P.190 .

(٣) ابن شاهين : زبدة، ص ١١٦ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣١٤ . Poliack : feudalism, P. 6 .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ٥، ص ٤٢٠ .

(٦) نفس المصدر، ص ٥٩٧،

قدر البعض عدد المماليك الذين اشتراهم برقوق إلى أكثر من عشرين ألف مملوك، الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ٤٩٩ .

ونتيجة لأزمة ووباء ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م انخفضت هذه الأعداد بدرجة كبيرة فى عهد فرج ابن برقوق، ثم بلغ عدد هذه الفرقة حوالى حمسة آلاف فى عهد خشقدم [١]، وعلى الرغم من كثرة ما اشتراه قايتباى من مماليك، إلا أن الطواعين الثلاثة التى وقعت فى أيامه حالت دون ازدياد أعداد هذه الفرقة [٢] .

٣ـ مماليك الأمراء :

بانتهاء عصر المماليك البحرية بدأ جاه الأمراء وعزهم يزول تدريجيا، فالأمراء الذين كانوا يمتلكون الكثير من المماليك، انخفضت أعداد مماليكهم بدرجة كبيرة، فبينما كان الأمير القوى فى عصر المماليك البحرية يمتلك ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ مملوك وأحيانا ٨٠٠ مملوك، لم يتملك الأمراء فى عصر الجراكسة أكثر من ٢٠٠ – ٣٠٠ مملوك [٣] وذلك بسبب التدهور الاقتصادى العام من ناحية، وازدياد تكلفة المملوك من ناحية أخرى .

وبصفة عامة تأثرت فرق الجيش المملوكى بخراب الإقطاعات وقت الأزمات، وخراب البلاد التابعة للأمراء، ويوضح ابن إياس هذه العلاقة بين خراب الإقطاعات وضعف الجيش عندما أوضح أن الغورى كان يولى الكشاف ومشايخ العربان على البلاد، ويقرر عليهم الأموال الجزيلة، فيفرضونها على بلاد المقطعين مضاعفة، فضعف أمر الجند من يومئذ وتلاشى حال البلاد .

ثانيا : مقررات الجيش :

وتتمثل هذه المقررات فى الجامكية التى يحصل عليها المماليك شهريا، وكذلك النفقة التى تعددت أسماؤها، ومن أهمها نفقة البيعة التى يدفعها السلطان الجديد عندما يتولى شئون الحكم، وكذلك نفقة السفر التى تدفع عند القيام بحملات عسكرية، هذا بالإضافة إلى نفقات أخرى مثل " نفقة ترضية العسكر " و " نفقة نزول ابن السلطان " و " نفقة النصرة " و " نفقة السلامة " [٤]، يضاف إلى ذلك الكسوة التى كانت تصرف سنويا أو نصف سنويا، وكذلك اللحم يوميا، والأضحية التى كانت توزع فى عيد الأضحى، والعليق أو الأعلاف التى كانت توزع مرتين أسبوعيا [٥] .

---

(١) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية، ص ١٥١ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٣٢٥ .

(٣) Ashtor . Asocial and economic history, P.283 .

(٤) Ayalon the system of payment, P. 48-49, 56 .

(٥) Poliak : feudalism, P. 4

ولقد تأثرت كل هذه المقررات بالأزمـــات الاقتصاديـــة والأوبئـــة التـــي تعرضت لها البلاد طوال عصر الجراكسة .

فالجامكية، هى المرتب الشهرى الذى يصرف للمماليك السلطانية، وكان يتـم توزيعها من بداية النصف الثانى من الشهرى العربى خلال أيام محدودة، غالبـــا مـــا تكون من اليوم الخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر من الشهر العربى(١) .

ولكن الأزمات الاقتصادية وخلو الخزائن من المال وعدم قـــدرة الســـلطة الحاكمة توفير هذه الجوامك، أدى إلى تأخر صرفها ـ حتى تتمكن الســـلطة مـــن تدبير الموارد المالية اللازمة لها ـ حتى أوقات متأخرة قد تمتد فى بعض الأحيـــان إلى اليوم العشرين أوالواحد والعشرين بل السابع والعشرين من الشهر العربى (٢) .

ونتيجة لارتفاع الأسعار وانخفاض القيمة الشرائية لجوامك المماليك عمـــا كان عليه الحال من قبل بدأت تتكرر مطالبهم بزيادة جوامكهم، والعليق، والكســـوة، فطالبوا السلطان فى صفر ٨٢٢ هـ بزيادة الجوامك كما كانت فى أيـــام الظـــاهر برقوق(٣) وتكررت هذه المطالب فى أواخر عام ٨٣٢ هـ وفى أوائـــل عـــام ٨٣٣ هـ . إذ امتنعوا عن قبض جوامكهم فى رمضان ٨٣٢ هـ، وطلبوا زيـــادة ٦٠٠ درهم لكل واحد، فتوجس السلطان منهم خيفة، فزاد فى جوامك عدة من شـــرارهم فسكن شرهم قليلا (٤) وتأخر صرف الجوامك إلى يوم ١٨ رمضان (٥).

ولم يكن أمام السلطة الحاكمة إلا أن تلبى طلباتهم فى نفقة ذى الحجة ٨٣٢ هـ إذ زيد كل منهم ٤٠٠ درهم فى كل شهر (٦) ثم عاودوا المطالبة بزيادة فى نفقة المحرم ٨٣٣ هـ ـ بعد أن استطار شرهم ـ فزيد لكل منهم ٣٠٠ درهم فى كـــل شهر، وتحملت خزينة الدولة نحو ٥ آلاف دينار شهريا نتيجة لهذه الزيادات (٧) .

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٠١ .Ayalon : Op . Cit,, P. 51

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٠١، ٢٣٢، ٢٧٠، ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٣٢٠. Aylon : Op . Cit, P.51.

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٤٣ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق٢، ص ٨٠٤

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٢٣٠ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨١٨ .

(٧) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ ٣، ص ١٧٨، ٨١٧ – ٨١٨ .

ونتيجة لارتفاع أسعار الأعلاف وبخاصة الشعير والتبن ثار المماليك في المحرم ٨٤١ هـ وتوجهوا إلى بيوت المباشرين من أعيان الدولة ونهبوها، مطالبين بزيادة جوامكهم (١) .

وفى عام ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م كان لانخفاض قيمة الدرهم أثره فى رفض المماليك تسلم جوامكهم بأسعار الصرف الجديدة، إذ كانوا يتسلمون ٢٠٠٠ درهم كانت تساوى من قبل سبعة دنانير، حيث كان الدينار يعادل ٢٨٥ درهم، فلما انخفضت قيمة الدرهم، وأصبح الدينار يعادل ٣٧٠ درهم، تدنت هذه الجوامك إلى ٥.٥ دينار، فرفضوا تسلم جوامكهم المعتادة ٢٠٠٠ درهم، وطالبوا بسبعة دنانير أشرفية ذهبا أى ما يعادل ٢٥٩٠ درهما (بسعر صرف الدينار ٣٧٠ درهما) . وامتنع السلطان عن تلبية طلباتهم لما سيكلف الخزينة ما لاقبل لها به، واستعان بمن حوله من الأمراء والخاصكية، فأذعن المماليك وقبضوا جوامكهم (٢) .

وفى صفر ٨٦١ هـ ثار المماليك الأجلاب على السلطان، وطالبوه بعدة مطالب تخص جوامكهم أهمها:

١ - قبض جوامكهم لكل واحد سبعة أشرفية ذهبا .
٢ - أن تفرق الجامكية فى ثلاثة أيام دون تأخير (أى فى ١٥، ١٦، ١٧ من الشهر العربى دون تأخير عن ذلك .
٣ - أن يكون العليق مغربلاً (خالى من الشوائب) .
٤ - أن يكون اللحم سميناً .
٥ - زيادة الكسوة السنوية إلى ثلاثة آلاف درهم بعد أن كانت ألفين لكل واحد .
٦ - زيادة نصيب الفرد من الأضحية فأصبحت ثلاثة أغنام بعد أن كانت اثنين (٣)

وما كان من السلطة إلا أن رضخت لطلباتهم لإخماد الفتن

وشهدت السنوات الأولى من حكم قايتباى عجزاً شديداً فى بيت المال، فقد عجز قايتباى عن صرف الجامكيات للمماليك بسبب أن " بيت المال مشحوت من المال وليس فيه شئ " (٤) فى وقت طالب فيه المماليك الأجلاب بزيادة جوامكهم،

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٧٦، ١٧٧ .
(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٢٣ .
Aylaon : The system of payment, P. 54 - 55
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٦، ص ١٠٠، ١٠٢ .
(٤) جمال جرجس : الاحتكار، ص ١٩ .

فكثر الهرج فى القلعة إلى أن وعدهم بعض الأمراء بتنفيذ مطالبهم [١] . وما كان من السلطان إلا أن قطع جوامك غير القادرين على الثورة من أولاد الناس والفقهاء والمتعممين فى صفر ٨٧٣ هـ/١٤٦٨م متعللا بنفاد الأموال من الخزانة الشريفة، وشراقى البلاد، وازدياد الأخطار الخارجية على البلاد [٢]، وازداد الأمر سوءاً عندما طالب يشبك الدوادار المتعممين برد ما أخذوه قديماً، وألزمهم بأموال كثيرة فاضطر بعضهم للهرب [٣] .

وابتكر السلطان اختباراً للحد من جوامك أولاد الناس، فأحضر ثلاثة قسى متدرجة القوة يمتحن بها من له جامكية من أولاد الناس، ويقطع جامكية من لم يستطع شدها منهم، وحدد جامكية كل مملوك بألفى درهم فقط، وثلاثة علائق للخيل، وزبدية لحم ثلاثة أرطال ويقطع مازاد على ذلك [٤] .

وتوقف السلطان الغورى عن دفع الجوامك فى عام ٩١٧ هـ/١٥١١م لأن " ديوان الدولة فى غاية الانشحات " وهو عاجز عن تحصيل الأموال [٥] .

واتهم بعض المماليك السلطان أنه السبب فى تأخير الجوامك، حتى أنهم لم يحصلوا على نصيبهم من اللحوم لمدة خمسة أشهر ــ وذلك بسبب كثرة العسكر، ولاسيما ما جدده السلطان من العسكر فى الطبقة الخامسة . فتضرر المماليك السلطانية من ذلك واشتكوا للسلطان ارتفاع أسعار إيجار المنازل، والطعام، والكسوة، حتى قال بعضهم " نحن جياعة عراية " فى أيامك فأصدر السلطان أوامره بصرف نصيبهم من اللحم المكسور، وصرف العليق مغربلا [٦] .

وجدير بالذكر أن الأمر لم يقتصر على ثورات المماليك السلطانية ضد السلطان للمطالبة بزيادة الجوامك، وإنما تعداه لقيام بعض مماليك الأمراء بهذا

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٥٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٦٧٨ .

(٣) نفس المصدر، ص ٦٨٢ - ٦٨٣ .

(٤) نفس المصدر، ص ٦٩٠ ٦٩١ .

يذكر ابن تغرى بردى فى نفس المصدر أن زبدية اللحم عام ٨٥٨ هـ كانت ٢,٧٥ رطل (رطلين ونصف وربع) حوادث، ص ٢١٢ .

(٥) جمال جرجس : الاحتكار، ص ٢٣ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٣٦٩ .

الأمر، إذ ثار مماليك الأمير أقبردى عليه، وحاصروه فى داره مطـــالبين بزيـادة جوامكهم فى رجب ٨٩٥ هـ /١٤٨٩م (١).

ومن اللافت للنظر فى قيمة الجامكية طوال عصر الجراكسـة نجدهـا فـى ارتفاع مستمر، بينما كانت فى فترة حكم المؤيد شيخ ١١ ألف دينار فى كـل شـهر، أصبحت فى دولة الأشرف برسباى ١٨ ألف دينار فى الشهر، ثـم بلغـت ٢٨ ألـف دينار فى الشهر فى أيام الظاهر جقمق، ثم واصلت ارتفاعها لتصل فى عصر قايتبـاى إلى ٤٦ ألف دينار (٢). أى أن الجامكية ارتفعت من فترة المؤيد شـيخ ٨١٦ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٤ - ١٤٢١ م إلى عصر قايتباى ٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦ م حوالى ٤١٨ % فى أقل من قرن من الزمان. ويرجع سبب هـذه الزيـادات فـى الجوامك لا إلى كثرة أعداد المماليك السلطانية، وإنما إلى زيادة أعداد المستفيدين مـن هذه الجوامك من المتعممين وأولاد الناس والتجار والعامة حتى النصارى.

ويعود أصل هذه المشكلة إلى عصر الظاهر جقمق الذى توسع فى صـرف هذه الجوامك، وعندما أراد الأشرف إينال أن يقصر هذه الجوامك علـى المماليك فقط، خوفه دواداره عاقبة ذلك، ولم يجسر خشقدم من بعده على فعل ما تخوف منـه إينال، فلما عجزت الدواوين عن الوفاء بالجوامك، أطلق السلاطين أيدى الـوزراء والاستادارية فى الظلم، فخربت البلاد من جورهم (٣) وأصبح اقتصاد البلاد يـدور فى دائرة حلزونية، عجز فى الدواوين يؤدى إلى ظلم وخراب للبلاد، فـيرتد ذلـك مرة أخرى إلى ازدياد العجز، وهكذا.

ونتيجة لتكرار مطالبات المماليك الجلبان بزيادة رواتبهم، وما تملكـوه مـن قـوة تمكنهم من معارضة كبار الأمراء، بل السلطان نفسه ـ جعل السلاطين يخشى ثورتـهم ويحاول استمالتهم فى كثير من الأحيان لعدم قدرته على الوفاء بمطالبهم، ممـا أدى إلـى تنامى قوتهم، وضعف أمر الحكام بالديار المصرية ولم يبق لأحد من الحكام معـهم أمـر ولا نهى، وأصبح الناس يلجأون إليهم فى قضاء حوائجـهم (٤) ـ وازداد فسادهم بيـن الناس فلم يردعهم حاكم أو انتشار الوباء فى ربيع الآخر ٨٦٤هـ/١٤٥٩م (٥).

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٢٧٢ .
(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٨٩ .
(٣) نفس المصدر، ص ٦٩١ .
(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣٢٧ .
(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٥٨ .

نفقة البيعـة :

وهى مبلغ من المال ينفقه السلطان الجديد فى فئـات الجيـش المملوكـى مكافأة لهم على مبايعته، وموافقتهم على توليه الأمر، وترضية لهم لتثبيـت قواعـد حكمه، وتختلف هذه النفقة باختلاف مراتب رجاله [(١)]، وإن كانت غالبـاً للممـاليك السلطانية ١٠٠ دينار، وأحياناً أقل من ذلك وقت خلو الخزائن من الأموال [(٢)].

وقد سببت هذه النفقة مشكلات كبيرة لخزينة الدولة وبخاصة فى الفـترات التى كان يعيّن فيها السلاطين أبناءهم، إذ أن الأبناء عادة ما يحكمون فترة قصـيرة ويتولى أمر السلطنة من بعدهم سلطان جديد، والمماليك يطالبون بنفقة البيعـة مـن كل من السلطان الجديد وابن السلطان القديم [(٣)].

وقد أدت الأزمات الاقتصادية إلى أن رفض بعض السلاطين دفـع نفقـة البيعة مثل برسباى [(٤)]. واشترط البعض الآخر على العسكر ــ قبل توليه الحكـم ــ أنه لن ينفق عليهم نفقة البيعة مثل الأشرف قايتباى [(٥)].

كما اتخذ بعض السلاطين ــ تخفيفاً للنفقات ــ سياسة التفرقة بين طوائـف المماليك فى النفقة، فبينما كانت النفقة توزع كاملة لمن يخشون جانبه، كـانت تقـل عن معدلها، أو يحرم منها من يستخفون به أو من استضعفوا جانبه من الجنود [(٦)].

وطبقا للمؤرخ ابن تغرى بردى فإن الأشرف إينال ٨٥٧ - ٨٦٥ هـــ / ١٤٥٣ - ١٤٦٠ م كان أول سلاطين المماليك الذى ميز بين الطبقات المختلفة مـن الجيش فى نظام دفع النفقة، ففى عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م حصل بعـض الجنـود على نفقة البيعة كاملة ١٠٠ دينار، وحصل البعض الآخر على ١٠% مـن هـذه

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ٣٧١ - ٣٧٢، إبراهيم طرخان : دولـة المماليك الجراكسة، ص ١٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٥، ص ٢٢٦، ٢٦١، الصيرفى : نزهة النفـوس، جـ ٣، ص ٤٢٣،
ابن إياس : بدائع، جـ ٢، ص ١٩٢، ٢٠٠، ٣٧٢ .

(٣) Ayalon : The system of payment, P. 56 - 57 .

(٤) Ayalon :Op . Cit, P. 289 .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٥، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٢٤٨.

(٦) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٧٩ .

النفقة، ولم يحصل كثير من أولاد الناس والقرانيص عليها، وعندما تحدث بعض الأمراء مع السلطان فى هذا الشأن اعتذر "بأن الخزائن مشحوته من المال" [١]

ويبدو أن التفرقة بين الجنود فى النفقة أصبحت عادة متبعة بعد ذلك، فخشقدم ٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦١-١٤٦٧م فرق النفقة على أقبح وجه، واضطر لضيق ذات اليد إلى إجراء تخفيض فيها [٢]، وقانصوه الغورى ماطل فى دفع نفقة البيعة أكثر من سنة ونصف لقلة المال، وقطع نفقة البعض، ولم يعط لأحد من المماليك مائة دينار كاملة سوى المماليك القايتبايهية فقط . [٣]

هذا الأسلوب فى التفرقة بين فرق الجيش أثر على معنويات جنوده، ومن ثم على قوته .

نفقة السفر أو القتال :

تدفع هذه النفقة للأمراء والجنود عند الاستعداد للقتال وتختلف باختلاف الرتبة العسكرية، ويبدو أثر الأزمات الاقتصادية فى هذه النفقة واضحا عندما أصبحت مقصورة على المسافرين فقط توفيرا للنفقات، ففى ربيع الآخر ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م قطع الغائب، ومنع أولاد الناس منها، والمسن يعطى نصف نفقة أوربع [٤]، ثم فرض على أولاد الناس بعد ذلك ممن لا يستطيعون السفر أن يدفعوا ١٠٠ دينار، ومن كان له جامكيه فقط وليس له إقطاع يدفع ٢٥ دينار . [٥]

إلا أن الأزمات لم يكن لها تأثير على المبالغ النقدية التى كان يتقاضاها الأمراء والجنود المسافرون، فالنفقة فى معظم أحوالها كانت توزع مقدرة بالدينار (العملة الذهبية)، مما يعنى ثباتها وعدم تأثرها بشكل كبير بالتذبذب فى الأسعار، هذا بالإضافة إلى أنها لم تنخفض قيمتها بل زادت قيمتها، فقد تزايدت نفقة المماليك السلطانية بنسبة ٤٣% إلى ٨١% فى عهد الأشرف إينال ٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦١م إذ كان نصيب المملوك فى التجريدة ٤٠ ألف درهم، بينما كان

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١٧٤ - ١٧٥، ٤٠٨-٤٠٩، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣١٠

Ayalon : The system of payment, P. 57

(٢) جمال جرجس : الاحتكار، ص ١٨ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٩ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٦

أعلى نصيب له فى العهود السابقة ما بين ٢٢ ألف درهم إلى ٢٨ ألف درهم، وهذا شىء لم يحدث من قبل . [١] كما تراوح راتب الأتابك (وهو القائد العام) ما بين ٣ آلاف دينار و٥ آلاف دينار، ولم يكن للأزمات أثر فى ذلك، بل يتوقف هذا الراتب على أهمية التجريدة، والمكان التى تتجه إليه .

فعلى الرغم من أن الأزمة المالية كانت على أشدها فى عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م حتى أن السلطان أعلن أنه ليس لديه ما ينفقه على الجنود، ومطالبة البعض بخروج العسكر – لقتال سوار – بدون نفقه، نجد أن نفقة سفر الأتابكى أزبك بلغت ٥ آلاف دينار فى هذه التجريدة، والأمير قرقماس ٣ آلاف دينار، وكل أمير مقدم ألفى دينار، وكل أمير طبلخانة ٥٠٠ دينار، وكل من أمراء العشرات ٢٠٠ دينار، وكل مملوك ١٠٠ دينار [٢] وهى نفس المبالغ التى كانت تنفق عليهم فى أوقات سابقة، بل عندما تزايد أمر التجاريد وكثرت النفقات بلغت نفقة الأتابكى أزبك من ططح نحوا من ٣٠ ألف دينار فى كل سفرة[٣]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه فى نفس هذا العام صرف لكل مملوك جامكيه أربعة أشهر معجلا[٤] مما يعنى أن إرضاء العسكر كان مقدما على كل شىء .

اللحوم :

نتيجة للأزمة الاقتصادية التى ألمت بالبلاد عام ٨٠٦هـ وتركت آثارها فيما تلاها من أعوام، قام ابن غراب[٥] بتخفيف الأعباء عن كاهل موارد الدولة، وذلك بقطع اللحم المرتب على الدولة للمماليك السلطانية والأمراء وأهل الدولة، وصرف لأربابه بدلاً نقديا يوازى ثُمن سعره الحقيقى [٦] . وهذا الإجراء وإن كان قد خفف من كلفة الدولة إلا أنه أضعف النظام العسكرى بعدما أصبح غذاء الجنود فى الغالب الفول المسلوق بعد عجزهم عن شراء اللحوم . [٧]

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٠٥ .
(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٧ .
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ ٣، ص ٢٥١.
(٤) نفس المصدر، ص ٩.
(٥) هو سعد الدين بن غراب الذى شغل وظيفة الاستادار للسلطان فرج بن برقوق .ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٨٦ .
(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٩، ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٧٦٧.
(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢١٤ .

ونتيجة للأزمات وانشحات الدواوين أصبحت الدولة عاجزة عـــن توفـير حصص اللحوم المقررة لأصحاب الجوامك، فتارة كان الوزير يمنع راتب اللحم من المماليك [1] وتارة أخرى يرسم بقطع من يكون له زيادة على زبدية لحـم[2] (من ٢,٧٥ رطل إلى ٣ أرطال) وتارة ثالثة تظل الدولة مدانة لأصحاب الجوامك لعـدة أشهر متتالية

وبعد ما كان المماليك يثورون فى عام ٨٣٢ هـ/١٤٢٨م لإنقطاع اللحـم المرتب لهم يوما أو يومين [3]، ظهر فى الفترات الأخيرة من عصر الجراكسة مـا يطلق عليه اللحم المنكسر أو المعطل، وصبح التأخير فى دفع رواتب اللحم يتعـدى الثلاثة أشهر، بل تزايد حتى بلغ سبعة أشهر وعشرة أشهر . [4] وفى الأيام الأخـيرة من حكم قانصوه الغورى وصل دين اللحوم فى الوزارة إلى ٤٠ ألف دينار [5]

كما كانت الأضحية سببا فى رجم المماليك للسلطان بالحجارة، إذ أنه فـــى ذى الحجة ٨٢٧هـ لم يفرق الأضاحى فى المماليك وأعطى كل واحد منهم دينـارا، فلم يرضهم ذلك فرجموه . [6]

أما الكسوة : فقد كانت توزع على المماليك السلطانية والأمـراء سـنويا، غير أنه ربما حصلوا عليها مرتين فى العام الأولى فـــى الشـتاء والأخـرى فـى الصيف [7]. وكانت قيمة هذه الكسوة قبل عام ٨٤٢ هـ/١٤٣٨م تقدر بخمســمائة درهم من الفلوس ثم بدأت قيمتها تتزايد نتيجة لارتفاع أسعار الملابـس، إذ طـالب

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٦٥٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢١٢ .

(٣) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٥٧ .

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٣٦٩، ٤٢٧

Ayalon : The system of payment, P. 260

(٥) Ibid.

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٧٢-٦٧٣ .

أوضح ابن إياس أن السلطان أعطى لكل مملوك دينارين فلم يرضهم ذلك . بدائـع، ج، ٢، ص ٩٤.

(٧) إبراهيم حسن سعيد : الجيش فى عصر سلاطين المماليك، ماجستير، آداب القـاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٥ .

Ayalon Op . Cit. P.257

المماليك بزيادة الكسوة فأنفق فيهم السلطان "جقمق" ألف درهم لكل واحد مقابل الكسوة وألف وخمسمائة لكل خاصكى .[1]

وفى عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م عندما ارتفعت الأسعار بدرجة كبيرة نتيجة للأزمة الاقتصادية التى مرت بها البلاد امتنع المماليك من أخذ ألف درهم للكسوة، لأنها لم تعد كافية، وهددوا ناظر الخاص بالضرب، وطالبوا بالحصول على ضعف المبلغ فأنفق فى كل منهم ٢٠٠٠ درهم .[2] ويبدو أن هذه الزيادة كانت مؤقتة نتيجة لارتفاع أسعار الملابس فى تلك الأزمة، يوضح ذلك ابن إياس أنه بعد ثورة المماليك بالقلعة عام ٨٦١ هـ /١٤٥٦م، وتردد الرسل بين السلطان وبينهم آل الأمر إلى أن زاد لهم ألفى درهم فى الكسوة، فصارت من يومئذ ثلاثة آلاف درهم لكل مملوك[3] مما يعنى أن الزيادة التى تمت فى عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م كانت مؤقته إذ عاد نصيب المملوك من الكسوة ١٠٠٠ درهم، ثم زاد ٢٠٠٠ درهم لتصبح ٣٠٠٠ درهم عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م . وفى عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م تسلم المماليك ١٠ دنانير من أجل الكسوة، ويعد هذا المبلغ أكثر من ٣٠٠٠ درهم .[4]

وعلى الرغم من هذه الزيادات إلا أن الظاهر خشقدم قطع كساوى عدد كبير من أولاد الناس والمتعممين فى شعبان ٨٦٨ هـ .[5]

ثالثاً : تجهيزات الجيش أو الحملات العسكرية

كان من المتوقع أن يكون للأزمات الاقتصادية والأوبئة أثرها العسكرى من خلال منع إرسال الحملات الحربية لفض الفتن والمنازعات الداخلية، أو لقتال الدول المجاورة التى تهدد أمن البلاد، وبخاصة وقت انتشار الوباء ، إلا أننا لانجد تأثيرا لذلك فى عصر الجراكسة، إذ أن قوة الأخطار الداخلية والخارجية كانت تفرض على السلطة الحاكمة إرسال قواتها للقتال على الرغم من انتشار الوباء . فالسلطان فرج بن برقوق أعد حملة إلى بلاد الشام فى عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م على

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ١١٣، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٩١، السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٥٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٣٣٧

(٤) Ayalon Op Cit. P 258

(٥) ابن تغرى بردى . حوادث الدهور، ص ٤٦٥ .

الرغم من انتشار الوباء بالبلاد [١] ولم تثنه الأزمة الاقتصادية الطاحنة ووباء ٨٠٦ - ٨٠٧هـ/ ١٤٠٣-١٤٠٤م عن إرسال حملة أخرى إلى بلاد الشام ٨٠٧هـ واقترض من أموال الأيتام واستولى على أموال التركات من أجل هذه الحملة [٢] .

وفى غمار الصراع بين السلطان فرج ونائب حلب الأمير جكم ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م أصر السلطان فرج على تجهيز حملة عسكرية لقتال " جكم " على الرغم من إشارة أمرائه عليه بتأجيل سفر الحملة حتى يخف الطاعون من مصر وشرع فى الاستعداد للسفر [٣]. وتم توزيع النفقة على المماليك، كما شرع الأمراء فى السيطرة على دواب الناس قسرا من أجل الاستعداد للحملة، لا يروعهم انتشار الوباء فى البلاد.[٤]

وعلى الرغم من أن عصر المؤيد شيخ ٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٤-١٤٢١م لم يكد يخلو عام من حكمه إلا وحدث فيه وباء، إلا أنه مَوّل أكثر من أربعة حروب فى سورية [٥] وفى عصر برسباى ٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م أرسل حملتيه الأولى ٨٢٧هـ والثانية ٨٢٨هـ إلى قبرص أثناء انتشار الوباء ببعض أقاليم مصر مثل دمياط وفارسكور . [٦]

وفى عهد الأشرف قايتباى كان الدافع لقتال " شاه سوار" أقوى من التخوف من انتشار الوباء بين الحملة التى أُعِدّت لقتاله، إذ لم يمنع انتشار الوباء فى عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م من خروج حملة عسكرية لقتاله فخرجت الحملة " والعسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم "، كما مات عدد كبير من الجند فى الطريق[٧]، وقد يكون ذلك من بين أسباب هزيمة هذه الحملة .

وعلى العكس مما سبق فإن ما خلفه وباء ٨٣٣ هـ/ ١٤٣٠م من وفاة أعداد كبيرة من المماليك السلطانية جعل السلطان برسباى لا يلتفت إلى كتاب

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٠٠ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ٣، ص ١١٥٦.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٣، ص ٥٩ .

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣ .

(٥) Darrag : Barsbay, P. 58

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٢٦٨، ٢٧٦، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٧٧ .

(٧) عبد القادر طليمات : مقدمة كتاب " تاريخ الأمير يشبك" ص ٣٢، ٣٣ .

اسكندر بن قرا يوسف صاحب تبريز يحثه على محاربة قرايلك لانشغاله بموت مماليكه وغيرهم بالطاعون.[1]

الثورات الشعبية :

المقصود بالشعب فى مجتمع عصر الجراكسة هو جميع عناصر السكان من الرعايا من غير جنس المماليك وطبقتهم فى جميع أنحاء البلاد . [2]

ولقد كان العامل الاقتصادى أكثر العوامل المؤدية إلى ثورات الناس وهباتهم بشقيها الإيجابى والسلبى، فمعظم هذه الثورات جاءت نتيجة لتضور الناس جوعا بعد أن ندرت الحبوب، وانعدم الخبز من الأسواق، أو ارتفعت الأسعار بما لا طاقة لهم به، لذا كانت المطالبة بالطعام، أو تغيير العملة من أكبر العوامل المؤدية إلى هذه الثورات .

وهذه الثورات لم تكن تحمل فى طياتها فكرا سياسيا مناهضا للسلطة الحاكمة، كما أنها لم تكن منظمة بشكل يجعل منها رادعا للسلطة، أو تخشى حدوثها، وإنما كانت غالبا ما تكون تلقائية وليدة الظروف الاقتصادية التى كانت تسير من سئ إلى أسوأ، وحتى مشاركات العامة فى الصراع بين أبناء السلطة الحاكمة – والذى اتخذ طابعا سياسيا – لا يخلو من عامل اقتصادى، فبعد أن أبطل السلطان برقوق سائر المكوس من ديار مصر وأعمالها ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩ عدل عن قراره بسبب حاجته الشديدة للمال، فانقلب الناس على برقوق، وأخذوا فى الهرب من القاهرة والانضمام لجيش يلبغا الناصرى، والعمل على التخلص من حكم برقوق . [3] ثم انضم العامة إلى منطاش بعد أن قربهم إليه بالأموال فتعصبوا له، وحاربوا معه ضد يلبغا الناصرى .[4]

وثار العامة مع شيخ ونوروز ضد السلطان فرج بن برقوق الذى شهد عصره أزمة اقتصادية كبيرة، وبعد أن لعب شيخ على وتر حساس لدى العامة، فأقام واليا من جهته ونادى فى القاهرة بترخيص الأسعار، فضج الناس له بالدعاء.[5]

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٤، ص ٣٣٨، Dals: The Black death, P. 189.

(٢) إبراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٤٩ .

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ ٥، ص ٤٠٤. حكيم أمين: قيام دولة المماليك، ص ٧٣.

(٤) الصيرفي : نزهة، جـ١، ص ٢٣٦ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ١، ق٢، ص ٨٠٨ .

وإيمان الشعب بالقضاء والقدر لم يجعله يعفى السلطة الحاكمة من مسئولية الأزمات الاقتصادية والمحن التى تمر بها البلاد، ففى بعض الأحيان كانوا يثورون، وكان ارتفاع الأسعار، وندرة السلع الغذائية وبخاصة الخبز أحد العوامل الرئيسية للثورة، فالأزمة الاقتصادية التى بدأت منذ عام ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩م واستمرت بضع سنوات بعدها ــ كانت من أشد الأزمات التى شهدتها مصر فى ذلك العصر، ولذلك تعددت فيها الثورات التى شارك فيها العامة والمماليك معا على الرغم من أنهم قل أن يتفقوا على أمر . (١)

ففى رجب ٨٥٣ هـ/١٤٤٩م، وقف العامة بشوارع القاهرة من داخل باب زويلة إلى تحت القلعة وهم يستغيثون ويصرخون، وما كادوا يرون محتسب القاهرة ــ المسئول الأول عن الأسعار ــ حتى رجموه بعد أن أشبعوه سبا وتوبيخا، وانضم إليهم جماعة كثيرة من المماليك السلطانية، وانتظروا أبا الخير النحاس " وكيل بيت المال" الذى كان المحتسب من أعوانه، فضربوه ضربا مبرحا، وأخذوا عمامته، وذكر البعض أنهم أشهروه على حمار، واضطر السلطان أمام هذه الثورة الجامحة أن يعزل المحتسب "على بن اسكندر" عن حسبة القاهرة (٢).

وفى رمضان من العام التالى ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م ثار أهل المحلة ضد الأمير شهاب الدين أحمد أخى الزينى الاستادار، بعد أن تدخل فى أسعار الحبوب فى أيام شديدة القحط، فضربه الأهالى حتى مات، ثم مثلوا بجثته، وعندما حاول أخوه القصاص من الفعلة بعد أن قبض على كثير منهم وأحضرهم إلى القاهرة، هرع الناس لرؤيتهم وسبوا الاستادار حتى تخوف من العامة، وأسرع بالدخول إلى القلعة . (٣)

وكان ارتفاع أسعار القمح والخبز فى صفر ٩١٩هـ/ ١٥١٣م سببا فى اعتراض العامة طريق السلطان واحتجوا على ذلك وأسمعوه الكلام المنكى، وقالوا له جهارا " الله يهلك من يقصد الغلاء إلى المسلمين " وسمع بأذنه ذلك، وكان قد شاع بين الناس أن السلطان يشترى القمح ويرسله إلى بلاد الشام، فسعَّر الغلال وألزم التجار بذلك . (٤)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٤٠٠ .

(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٦٠ــ٢٦١، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٣٩٧- ٤٠١ ، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ٢٧٥

(٣) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٢٢ .

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

وأدى التلاعب فى العملة، وتذبذب قيمتها إلى اتخاذ العامة مواقف متشددة تجاه السلطة الحاكمة، فعندما حاول السلطان إينال إبطال التعامل بالنقود وزنا وضرب دراهم جديدة يعامل بها عددا، قام العامة برجم ناظر الخاص الجمالى فى ربيع الآخر ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، وهموا بقتله، ولم يتوقفوا عن ثورتهم حتى أجاب السلطان بعودة الأمور إلى حالها . (١)

كما كان السلطان قايتباى يتخوف من مواجهة مطالب الناس له بسبب الفلوس الجديدة التى ضربها عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م فكان يغير طريقه، وصار ينزل من القلعة أو يصعد إليها من بين المقابر حتى لا يشكو له الناس من الفلوس الجدد (٢) .

وفى رمضان ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م ثار العامة على ناظر الخاص ورجموه، وكادوا أن يقتلوه، وكان ناظر الخاص ضرب فلوسا جددا عليها اسم السلطان، وقصد أن يخرجها بأغلى من الفلوس العتق، ولم تهدأ ثورتهم إلا بعد أن نودى بأن تكون الفلوس العتق والجدد كلها بالميزان بسعر واحد . (٣)

ووقف العامة فى جمادى الآخرة ٩١٩ هـ/١٥١٣م للسلطان، وشكوا له سوء أحوالهم بسبب الفلوس الجدد حيث صارت البضائع تباع بسعرين - سعر بالفضة، وسعر بالفلوس وتشحط الخبز من الدكاكين، وغلقت الأسواق (٤) وتكرر الموقف فى شعبان من نفس العام . (٥)

وثار العامة أيضا ضد محاولات السلاطين فرض الأموال على الأملاك والأوقاف، من ذلك محاولتهم قتل قاضى الحنابلة الذى أفتى بجواز ذلك فى عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م (٦) وكذلك ثورتهم فى عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م عندما فرض الغورى على الأملاك والأوقاف أجرة عشرة أشهر، واستمرت ثورتهم عدة أيام

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٩٤ - ٢٩٧ .
(٢) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص١٢١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٨٩ .
(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
(٥) نفس المصدر، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .
(٦) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٢، ص ٩-١٠ .

حتى أغلقت بعض الجوامع ومنعت منها الخطبة، وتعرضوا للأمراء بالرجم والضرب، ولكن المماليك أعملوا سيوفهم فى رقاب الثائرين حتى قتلوا بعضهم، ولم تهدأ الثورة إلا عندما انخفضت الضريبة من أجرة عشرة شهور إلى سبعة فقط .(١)

وقد اتخذت الثورات الشعبية عدة أشكال أهمها، قتل بعض الأمراء وتخريب الأماكن (٢) أو عمليات الرجم والضرب التى تعرض لها المتسببين فى ارتفاع الأسعار أو المسئولين عنها .(٣) وكذلك رفض كثير من الناس تنفيذ المراسيم السلطانية التى تصدر بمنع التعامل ببعض العملات لإضرارها بمصالحهم، يؤكد ذلك كثرة النداءات وتكرارها من حين لآخر لالتزامهم بالمراسيم، ثم تهديدهم بالعقاب إذا لم ينفذوها .(٤)

كما اتخذ البعض القضاء وسيلة للحصول على حقوقهم، فقد قام أرباب الوظائف والمستحقين بالخانقاة الأشرفية برسباى برأس الحريريين برفع دعوى قضائية يطالبون فيها بزيادة المعاليم بسبب العملة وارتفاع الأسعار . (٥)

وعندما يعجز الناس عن مقاومة السلطة الحاكمة أو النيل منها عن طريق الثورة ضدهم، كانوا يلجأون إلى أساليب أخرى من المقاومة يغلب عليها الطابع السلبى، وقد تمثلت هذه المقاومة السلبية فى هروب عدد كبير من الفلاحين من الأراضى التى يقومون بزراعتها، فعلى الرغم من أن طبيعة الفلاح المصرى تجعله يرتبط بأرضه وبيته ويرفض مغادرة قريته، إلا أن شدة مالاقاه دفعته دفعا إلى التسحب من الأرض لينأى بنفسه بعيدا عن الأحداث(٦)، وحين تصدع النظام المملوكى وبات سقوطه على يد

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٧ .

(٢) لبيبه إبراهيم : الرقيق، ص ٢٤٩ .

(٣) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٦٠-٢٦١، ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٥، ص ٣٩٧-٤٠١ . ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٩٤-٢٩٧، ابن إياس: بدائع، جـ٤، ص ١٧ . المقريزى : السلوك، جـ٤، ق١، ص ٤٣٩، الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٣٣٨

(٤) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٢٠ .

(٥) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية، ص ٤٢، محمد عبد الستار عثمان : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ماجستير، آثار القاهرة، ١٩٧٧، ص ١١ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٢٦٢

العثمانيين وشيكا، اقتصر نشاط الفلاحين على الامتناع عن دفع الضرائب (١)، خوفا من أن يعودوا لدفعها مرة أخرى للعثمانين إذا استولوا على البلاد.

أما الحرفيون وصغار التجار، فكان إغلاق الحوانيت أحد الطرق التى عبر بها أهل الحرف عن موقفهم من السياسة الاقتصادية التى تتبعها السلطة الحاكمة وتعود عليهم بالأضرار مثل عمليات الطرح، أو تغيير العملة وغير ذلك من الوسائل. (٢)

كما لجأ العامة فى مقاومة السلطة إلى السخرية والتهكم من رموزها، فإذا "حملت الأنفس بما لا تطيق نطقت بما لايليق" (٣) لذا كانوا يطلقون ألسنتهم بالسب والشتم لمن يعتقدون أنه السبب فى سوء أحوالهم حتى ولو كان السلطان نفسه، فاعتبروا تولى برقوق السلطة " كعب شؤم نشفت القلعة من الرزق وخرست الدنيا"، وفى جمادى الأولى ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م على الرغم من أن السلطان رسم بإبطال سائر المكوس، وأشهر النداء بذلك فى مصر والقاهرة، إلا أن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام لم يلتزم بذلك، وألزم الناس بالمكوس فعزموا على الفتك به وبأعيان الدولة، وبدأوا يرددون " السلطان من عكسه عاد فى مكسه " (٤).

وكانت حالة العنف والتهديد التى دأب عليها الناصرى(٥) مع العامة، مع عجزه عن مقاومة أصحابه من التركمان الذين عاثوا فى البلاد الفساد، سببا فى قيام العامة بمقارنة أوضاعهم فى عصر برقوق ووضعهم الحالى، فأطلقوا قولهم " راح الظاهر وغزلانه، وجاء الناصرى وتيرانه " (٦) وأصبحت عواطفهم تميل إلى عودة الظاهر برقوق إلى الحكم، فكانوا يبكون على ما آل إليه أمره بعد القبض عليه ويدعون له. (٧)

---

(١) محمود اسماعيل : سوسيولوجيا، جـ٣، ص ١٦٣ .

(٢) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ٢، ص ٢٨٩ – ٢٩٠، ٢٩٢، ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٢٠، ٢٤
ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٩٤، Lapidus : Muslim cities, P. 144

(٣) محمد رجب النجار : الشعر الشعبى، ص ٩٠ .

(٤) الصيرفى : نزهة النفوس، جـ١، ص ١٩٧-١٩٨ .

(٥) هو يلبغا الناصرى نائب حلب الذى ثار ضد السلطان برقوق، وتمكن من عزله من الحكم . حكيم أمين السيد : قيام دولة المماليك، ص ٦٦ – ٩٨ .

(٦) الصيرفى : نزهة النفوس ، جـ١، ص ٢٢١ .

(٧) نفس المصدر، جـ١، ص ٢٢٣ .

كما سخر العامة من سياسة إينال المالية عندما رفض التعامل بالفضة التى ضربها فى دمشق لكثرة غشها، فقالوا " السلطان من عكسه أبطل نصفـــه "، " وإذا كان نصفك إينالى لا تقف على دكانى " (١) وانطلقت الألسن بالوقيعة فى الســلطان وأرباب الدولة . (٢)

وذم العامة أيضا بعض الأمراء الذين لم يستطيعوا وقــف أعمالــهم، فعندما اشتط يلبغا السالمى فى جمع المكوس والضرائب، لم يســتطع النـاس وقف أعماله أو الثورة ضده، وكل ما فعلوه أن "انطلقت الألســن بذمــه " (٣) وسخروا من بعض الأمراء الذين أثروا ثراء فاحشا على حساب أبناء الشعب، فمن عظم ما ظهر للأمير جمال الدين محمود بن على من المال ومن الذهـب والفضة الذى صادره الملك الظاهر قالت العامــة " ألان الله الحديـد لـداود والذهب لمحمود " . (٤)

وإذا كانت بعض الثورات التى قام بها العامة لقيت استجابة مــن الســلطة الحاكمة، كعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه، أو التسعير، أو عقــاب المحتسـبين بالعزل أو الضرب أو السب لإهمالهم فى أعمالهم (٥) . إلا أنه فى أحوال كثيرة لـم تلق ثورات العامة استجابة من السلطة الحاكمة، بل كانت فى بعض الأحيان تخمـد فى مهدها، وفى بعض الأحيان الأخرى تأتى بنتائج عكسيه .

فعندما ثارت العامة على بدر الدين العينى ورجموه – لكونه كان محتسـبا – بعد أن ارتفعت الأسعار فى ذى القعدة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م، أمر السلطان الوالى بـأن يوسط جماعة من العامة حتى شفع فيهم بعض الأمراء(٦). فاكتفى بضربهم وقطـع أنوفهم وآذانهم وسجنهم ليلة، ثم أفرج عنهم . (٧)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ١٦، ص ١٠٢ -١٠٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور، ص ٢٩٥ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ٥، ص ٦٣٧ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ١٦٥، ٢٦٣

Bacharach : Circassian Monetary policy, copper, P.39.

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٠١ .

(٧) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٩٨ .

وعلى الرغم من انعدام الخبز فى الأسواق، وكثرة الشكوى من الجوع، ووقوف العامة أمام السلطان للاستغاثة به من سوء أحوالهم " لم يعبأ بهم بل ولم يلتفت إليهم " . (١)

وعندما شكا بعض العامة للسلطان فى جمادى الأولى ٨٧٤هـ/ ١٤٦٨م قلة الخبز، رد عليهم بقوله " أنه أرخص من الحشيش وأنتم لا تتركون الحشيش، فصاروا يتناقلون هذا الكلام ويبالغون فى ذمه به . (٢)

وعندما ضيق أصحاب الأملاك على السكان وألزموهم بأجرة الدكاكين، والبيوت عشرة أشهر معجلا تنفيذا للمرسوم السلطانى بذلك فى المحرم ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م . شكى العامة عدم قدرتهم على دفع ذلك للأتابكى قيت الرجبى الذى لم يلتفت إلى كلامهم فاضطروا إلى رجمه حتى سال منه الدم . (٣)

وبصفة عامة فإن هبات المصرين ضد السلطة الحاكمة فى مصر فى عصر الجراكسة كانت أقل خطورة بما فعله سكان بغداد ضد حكامهم، وكانت فى مجملها ثورات متفرقة نادرا ما تكون مصحوبة بالعنف، وكانت تخمد قبلما تبدأ .(٤)
وقد يرجع ذلك إلى عدة أمور :

أولا: احترام المصريين بصفة عامة لحكامهم وإيمانهم بأن طاعتهم فرض عليهم لأنها عصمة من الفتنة، وأن عصيان السلطان – حتى ولو كان ظالما – يهدم أركان الملة(٥). واعتبر بعض الكتاب أن امتثال الرعية لأوامر السلطان بالسمع والطاعة، وعدم المخالفة له من حقوق الملك على رعيته، ولذا شدد على عدم مخالفته، وعدم الخروج عن طاعته (٦). فعلى الرغم من أن الحاكم الجائر لايطاع فى معصية، فإنه لا يجوز الخروج عليه لأن ذلك يعنى إثارة

---

(١) الصيرفى : نزهة، جـ٣، ص ٣٣٨، المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٩٦٤ .
(٢) مجهول : كتاب فى التاريخ من ٨٧٣ حتى ٩٠٤ هـ، ورقة ٧ .
(٣) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٧ .
(٤) Ayalon : The Muslim city, P. 325 .
(٥) الشيزرى : المنهج المسلوك فى سياسة الملوك، تحقيق على عبد الله المرسى، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٧، ص ٢٢٠ .
(٦) عبد الصمد بن يحيى : هدية العبد القاصر، ورقة ٢٩ .

الفتن والعنف وتهديد كيان الأمة ووحدتها ولذا كانت الحكمة السائدة فى ذلك العصر أن تصبر الرعية على جور الحاكم عملا بحكمة وجوب احتمال أخف الضررين .[1]، وقد عبر المثل الشعبى عن هذا الاعتقاد فيقولون "سلطان غشوم ولا فتنة تدوم " .[2]

ثانيا: ضعف دور الطبقة الوسطى فى قيادة مثل هذه الثورات .[3]

ثالثا: إن معظم الشعب المصرى أغلبه زراعى يميل إلى الاستقرار والهدوء ومعايشة الأمر الواقع والصبر عليه، بالإضافة إلى قناعته بما هو فيه، فالناس أبناء العوائد كما يقول المقريزى .[4] ويرسى ابن سودون ت ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م قاعدة اعتقد بها وعمل بها، بل اعتقد وعمل بها المصريون، فيقول على هيئة منام عندما اشتدت الأزمة الاقتصادية فى عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، أنه جاء إليه رجل فقال له " ابن آدم إذ خص أرضك الغلا، وعم أهلها البلا، فبادر بالرحيل إن تيسر السبيل، وإن أقعدك العجز فى بلدك، وعجزت عن قيام أودك .. إقطع نهارك بالصوم، وليلك بالنوم إلى أن يأتيك الرخا بالعون، أو يسديك البلاء فتموت " . وقد لاقى هذا الكلام هوى لدى ابن سودون – كأحد المصريين – فقال " لما سمعت ذلك عزمت على ترك المسير، والقناعة فى بلدى باليسير، مصابرا على الجوع الأليم، عالما أن ذلك بتقدير العزيز العليم "[5] .

رابعا: عدم وجود تنظيم سياسى يجمع بين الفئات المتضررة من السلطة الحاكمة، بل إن مصالح بعض الفئات كانت تتعارض مثلما هو الحال بين العربان والفلاحين .[6]

---

(١) طاهر عبد الحكيم : الشخصية الوطنية المصرية، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٦، ص ٦٨ .

(٢) الأبشيهى : المستطرف، جـ١، ص ٢٩، ٨٨ .

(٣) انظر البناء الطبقى فى المجتمع . Ashtor : Asocial and economic, P. 322

(٤) المقريزى : إغاثة، ص ٧٠ .

(٥) ابن سودون : كتاب نزهة النفوس ومضحك العبوس Staatsbibliothek zu Berlin WE. 168، ورقة ٦٧-٦٨ .

(٦) Ayalon : The Muslim city, P. 326

خامسا: إن إقامة الإقطاعيين المماليك فى المدن - على عكس نظرائهم فى أوربا الذين أقاموا فى الريف، كانت من أسباب عدم وقوع حركات ثورية فلاحية كتلك التى قام بها الأقنان ضد السادة فى أوربا . (١)

أما ثورات العربان، فأصبحت أمرا مزمنا فى عصر الجراكسة، تكررت بصفة خاصة فى أقاليم الشرقية والغربية والبحيرة وصعيد مصر حيث تكثر أعدادهم، وتتركز إقامتهم .

هذه الثورات وإن كانت تتخذ طابعا سياسيا منذ سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية، إلا أن سوء الأحوال الاقتصادية كان من أكبر الدوافع لثوراتهم فى تلك الفترة (٢). ففى كثير من الأحيان لم يجد البدو القوت الضرورى لهم، فيلجأون إلى القرى والمدن المجاورة يستولون على ما بها من غلال . فارتفاع الأسعار والأزمة الاقتصادية التى عانت منها البلاد فى عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م كانت من بين الأسباب التى دفعت عرب البحيرة إلى الثورة ضد السلطة الحاكمة.(٣)

وإذا كان بعض الباحثين يرى أنه من الصعب التمييز بين الهبة الفلاحية الصرفة، وتلك التى تختلط فيها مع حركة العربان أو تكون تحت قيادتها (٤)، إلا أنه من الملاحظ فى عصر الجراكسة أن هذه الثورات التى قام بها العربان لم تتحد مع ما قام به الفلاحون – فى أوقات قليلة – من ثورات ضد السلطة الحاكمة، بل كان الفلاحون والريف المصرى بصفة عامة من أكثر المناطق تضررا من هذه الثورات، حيث كان ينتشر الرعب والفزع بينهم، ويقوم العربان بنهب ما بأيديهم من غلال ودواب، بل كانوا فى بعض الأحيان يفعلون بأهل القرى " مالا تفعله الخوارج ولا الكفرة" على حد قول ابن تغرى بردى (٥)، مما جعلهم فى موقف متناقض مع مصالح الفلاحين، وبالتالى كانت ثوراتهم موضع نقمة من سكان

---

(١) محمود اسماعيل : سوسيولوجيا، جـ٣، ص ١٦٢ .

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجي : السلطان جقمق، ص ٦٥، أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٧٥ .

Ayalon : The Muslim city, P. 326 .

(٣) محمود محمد : تاريخ القبائل العربية، ص ١٣٠ - ١٣٣ .

(٤) أحمد صادق : تاريخ مصر، ص ٤٧٢ .

(٥) حوادث الدهور، ص ٦٩٢ .

الريف. وهذا يوضح أنه لم تكن هناك أهداف مشتركة بينهما، على الرغم من أن بعض الدوافع المؤدية للثورات قد تكون مشتركة .

أما عن موقف العلماء والمشايخ من هذه الأزمات، فقد وقف عدد منهم موقفا جريئا أثناء الأزمات الاقتصادية، وعارضوا محاولات بعض السلاطين السيطرة على أموال الأوقاف حلا للأزمة، وتعد هذه المحاولات نوعا من الثورة السلبية. فشيخ الإسلام والقضاة الأربعة، رفضوا الإفتاء للسلطان فى السيطرة على أوقاف المساجد والمدارس، وذلك فى عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م [1]، ورفض القاضى الحنفى جمال الدين الملطى أن يفتى السلطة الحاكمة بأخذ جزء من أموال التجار للاستعداد للقاء تيمورلنك فى المحرم ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م [2].

وبتكرار محاولات قايتباى السيطرة على أموال الأوقاف فى عصره حلا لأزماته المالية، تكرر أيضا رفض رجال الدين فى عصره إفتاءه بذلك، حتى أن شيخ الإسلام أمين الدين الأقصرائى فى عام ٨٧٢هـ/١٤٦٧م أغلظ له القول وأنذره بسوء عاقبة عمله، ونصحه بالاكتفاء بما فى بيت مال المسلمين أولا، ثم يأخذ من أموال الأمراء والجند، وحلى نسائهم، ثم أخيرا من مال الأوقاف على أن يأخذ ما يحتاج إليه فقط . [3] وفى عصر الغورى لم يكتف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى برفض مطالب السلطان، بل كان يعرض به وبظلمه الفاحش على المنبر أثناء خطبة الجمعه وكان الغورى يسمع بنفسه ذلك . [4]

بينما كان هذا موقف غالبية الفقهاء، حرص البعض الآخر ممن يمكن أن نطلق عليهم " فقهاء السلطة" إرضاء السلاطين بإصدار الفتاوى التى تهيىء لهم تنفيذ ما يرغبون، ومن أمثلة هؤلاء الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشينى الذى عمل مؤلفا أيد فيه السلطان بجباية أجرة شهرين مقدما، فأطلق العامة ألسنتهم فيه نظما ونثرا، وكادوا يقتلونه ويحرقون بيته حتى أنه اختفى . [5]

---

(١) إبراهيم طرخان : دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٥٨ .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر، جـ٤، ص ١٩١-١٩٢ .

(٣) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، مج ٧، ص ٣١٤ .
انظر أيضا معارضة الفقهاء لذلك، عبد الرحمن محمود عبد التواب : قايتباى المحمودى، الأعلام، العدد ٢٠، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ٦٢، ١١٨ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية، ص ٥٢ .

(٥) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٢، ص ٩-١٠ .

١ـ السياسة الخارجية مع المدن التجارية :

أمام الحاجة إلى المال لمواجهة النقص فى موارد الدولة المملوكية، أصبحت السياسة الخارجية المملوكية تجاه المدن التجارية ـ وبخاصة فلورنسا والبندقية ـ أكثر انفتاحا عن ذى قبل، نجد صدى ذلك واضحا فى المعاهدات التجارية التى عقدتها السلطة الحاكمة فى الفترة الأخيرة مع تلك المدن .

فبارسباى الذى حاول إصلاح الخلل الاقتصادى من خلال سياسة قصيرة النظر مستندة إلى الاحتكارات الحكومية، أكره فى نهاية المطاف على التخلى عنها ورضخ لإرادة تجار البندقية [١]، إذ أنه عندما لم يجبهم إلى مطالبهم فى عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م عن طريق ممثليهم فى الإسكندرية قطعوا علاقاتهم بمصر، وأرسلوا أسطولهم إلى الإسكندرية لإعادة التجار البنادقة إلى بلادهم، ولما علم برسباى النتائج السلبية على الاقتصاد المصرى من جراء هذا التصرف، رضخ لمطالبهم وأعطاهم شروطا أفضل [٢] .

وعندما عمدت أرغون وقشتاله إلى رفع أثمان السلع الأوربية التى ترد إلى مصر، ولم تكتفيا بذلك، بل هاجمت سفنهما السفن المصرية على سواحل الشام، وأسرت بعضها، اضطر برسباى ـ فى وقت كانت فيه البلاد تعانى آثار وباء من أخطر الأوبئة فى عصر الجراكسة سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠ م ـ إلى عقد معاهدة صلح مع ممثليهما فى ٧ رمضان سنة ٨٣٣ هـ / ٣٠ مايو ١٤٣٠ م، وبمقتضى هذه المعاهدة، أصبح من حق التجار الأرغونيين التجول داخل البلاد المصرية، وحرية التنقل والاتجار بعد أداء الرسوم المقررة، وحق الأسبقية فى الشحن والتفريغ لبضائعهم، وبعض امتيازات أخرى [٣] .

وقد أعطى السلطان قايتباى امتيازات كبيرة للتجار الفلورنسيين فى أعوام ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م، ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م، ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م، لم يكن قد حصلوا عليها من قبل [٤]، مثل حق وصول الرعايا الفلورنسيين للقاهرة لاستئناف

---

(١) كلود كاهن : تاريخ العرب، ص ٢٦٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية، ص ٥١٨ .

(٣) نفس المرجع، ص ٥١٩ .

(٤) آشتور : التاريخ الاقتصادى، ص ٤١٩ .

القضايا أمام السلطان نفسه، وتسهيل العيش لهم خلال إقامتهم فى مصـــر، وغير ذلك[١]، وعلى الرغم من أن البعض يفسر سبب إعطاء هذه الامتيازات بتخوف قايتبـاى من تقدم العثمانيين، وبالتالى حاول التحالف مع الدول الغربية [٢] . إلا أن حاجته الملحة للمال أيضا كانت من بين العوامل التى دفعته إلى ذلك [٣]، بل إن قايتباى قام بتخفيض ثمن الحمل من التوابل السلطانية إلى ثمانين دوكة، بعد أن بلــغ سـعره فـى عصـر برسباى ما بين ١٢٠ إلى ١٣٠ دينارا، وذلك تشجيعا للحركة التجارية [٤].

ولعل الأزمة الاقتصادية الخانقة فى عصر الغورى، وخاصة بعد اكتشـاف طريق رأس الرجاء الصالح، وتزايد الأخطار على كيان الدولة ــ دفعته لإرسـال بعثة دبلوماسية إلى البندقية[٥] للمفاوضة فى طلب المعونـــة العسكرية، وإعـادة التجارة إلى ما كانت عليه، لا سيما وأن إيراداتـــه التجاريـة انخفضـت بصـورة مزعجة، وذلك فى مقابل الموافقة على شروط جديدة للبندقيـــة، مثـل فـك أسـر المسجونين منهم، وتخفيض الجمارك، بل إن الغورى فك الحصار المحظور علـى دخول التجار الغربيين إلى رشيد، واعتبارها مينـاء تجاريـا يسـتطيع الغربيـون زيارته، بعد أن كان دخول فرع رشيد محظورا تماما على الغربيين حتـى أواخـر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى [٦] .

والموقف المالى السيئ للغورى دفعه أيضا إلى أن يخطب ود حكام البندقية وفلورنسا، ويحمل لهم الهدايا، بل إنه اضطر فى وقت شحت فيه العملـــة الذهبيـة والفضية بصورة واضحة، وبخاصة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء أن يفـــاوض البنادقة لدفع ثمن التوابل نحاسا [٧] .

---

(١) نعيم زكى : طرق التجارة، ص ٦١ .

(٢) هايد : تاريخ التجارة، جـ٣، ص ٣٦٤.

(٣) نعيم زكى : طرق التجارة، ص٦١ .

(٤) نفس المرجع، ص ٣٣٦ .

(٥) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٩١ .

(٦) يرجع سبب الحظر إلى التخوف من إدخال الغربيين أساطيل حربية فى هذا الطريــق، وربما الصعود بها فى فرع النيل حتى القاهرة، هذا من ناحية، ومن ناحيـــة أخـرى كانت رشيد ميناء البحرية المصرية الكبير، وكانت السلطة الحاكمة تتخوف من قيامـهم بعمليات خطرة بحجة الذهاب والإياب هايد : تاريخ التجارة، جـ٣، ص ٣٠١ .

(٧) توفيق اسكندر : نظام المقايضة، ص ٤٥، نعيم زكى : طـرق التجـارة، ص ٨٥، ٨٨، ٣٦٢ .

وبلغ من تسامح حكومة المماليك مع التجار الأجـــانب لتنشـيط الحركـة التجارية إحضارهم الخنازير لذبحها، وأكل لحومها فى فنادقهم [١]، وكذلك إعفـــاء النبيذ الذى يستخدمونه فى الفنادق ــ من الرسوم والضرائب [٢] .

٢ـ السياسة الخارجيـة مـع رودس وقــبرص :

أصبحت السياسة الخارجية تجاه هجمات الفرنجة على موانى وثغور مصر الشمالية فى معظم أحوالها رد فعل لما يقوم به الفرنجة مـــن اعتـداءات، بعضـها لا يتعدى إرسال تجريدة خفيفة، والبعض الآخر إيثار السكوت . ففى عام ٨١٢ هــ / ١٤٠٩ م، قام ملك قبرص بتجديد غاراته على السواحل المملوكية فـــى مصـر والشام، إلا أن الظروف السيئة التى كانت تمر بها الدولة المملوكية، جعلت السلطان فرج بن برقوق يؤثر السكوت [٣] .

وعلى الرغم من تكرار اعتداءات سفن الفرنجة على شواطئ مصـر فـى عهد المؤيد شيخ إلا أن المراجع لا تشير إلى إجراءات اتخذها إزاء هذه الاعتداءات الأخيرة، وكل ما فعله السلطان ططر من بعده فى مدتـــه القصـيرة أنـه أصـدر مرسوما حدد بمقتضاه مدة إقامة جميع طوائف الفرنج فى أراضى الدولة المملوكيـة بأربعة أشهر فقط، وهى المدة التى رآها كافية لإنهاء عملياتهم التجارية [٤] .

وبرسباى الذى فتح قبرص وضمها إلى السلطة المملوكية ــ مما يعد الإضافـة الوحيدة فى رقعة الدولة الملوكية فى عصر الجراكسة – لم يتمكن من القيام بعمل حربـى حاسم ضد رودس، لتوتر العلاقات بين دولة المماليك والدول المجاورة لها مثل العثمـانيين والتيموريين وإمارات التركمان بآسيا الصغرى هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لما حـل بالبلاد المصرية فى السنوات الباقية من عهده من طواعيـن ومجاعـات وقلاقـل، ممـا اضطره إلى إرجاء فتح رودس وعقد صلح مع فرسان الاسبتارية بها [٥] .

---

(١) طرخان : مصر فى عصر الجراكسة، ص ٢٨٣ .
(٢) هايد : تاريخ التجارة، جـ ٣، ص ٣٠٧ .
(٣) حسين السيد متولى أحمد : العلاقات السياسية والاقتصادية بين دولة المماليك الثانيـة ودول البحر المتوسط الأوربية فيما بين سنة (٧٨٤ هــ / ١٣٨٢ م – ٩٢٢ هــ / ١٥١٦م)، ماجستير، آداب الزقازيق، ١٩٨٧، ص ٦٥ .
(٤) محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية، ص ٢٤ .
(٥) جمال الدين الشيال : دراسات فى التاريخ الإسلامى، بيروت، دار الثقافـة، ١٩٨١، ص ١١١، عبد العزيز عبد الدايم، مصر، ص ١٤٣ .

وعلى الرغم من أن " الاسبتارية " هاجموا بعض السفن المصرية علم ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م ونهبوا ما فيها بعد قتل أحد الأمراء المصريين، إلا أن السلطان المملوكى لم يستطع القيام بعمل حاسم ضدهم ــ خوفا من رد الفعل السلبى من التجار الأجانب ــ بعد الاكتشاف الجغرافى الجديد، وآثر استخدام الطرق الدبلوماسية، إذ أرسل إلى رهبان كنيسة القيامة بالقدس وطالبهم بمكاتبة ملوك الفرنج بأن يردوا ما أخذوه من المراكب والسلاح، مهددا إياهم بهدم الكنيسة وشنق الرهبان (١) .

٣ـ السياسة الخارجية مع البرتغاليين :

لم تسعف الموارد الاقتصادية المتقلصة السلطان الغورى للإسراع فى مواجهة الأخطار البرتغالية فى مهدها، مما مكن البرتغاليين من الامتداد على الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية . فالغورى ــ الذى انشغل بتوفير نفقة البيعة للمماليك لمدة سنة ونصف بعد توليه الحكم(٢) ــ لم يكن قادرا على إعداد حملة لمواجهة الأخطار البرتغالية فى تلك الفترة، بل اكتفى بإرسال مبعوث خاص إلى الهند لدعوة حكامها إلى إغلاق موانيهم فى وجه السفن البرتغالية، ولم تكن لهذه الدعوة أية قيمة ما لم تكن هناك قوة عسكرية رادعة تستطيع فعل ذلك، وهو أمر كان يصعب تنفيذه بسبب الظروف المالية السيئة، واضطراب الأمن فى البلاد (٣) .

وعندما أعد السلطان حملة حربية إلى بلاد الهند فى جمادى الآخرة ٩١١ هـ / أكتوبر ١٥٠٥ م لمواجهة الأخطار البرتغالية، عانى مشقة زائدة فى إعدادها، بعد أن شاع بين المماليك العصيان، لذا جاء العسكر الذى خرج فى هذه التجريده " ملفقا ما بين أولاد ناس وبعض مماليك سلطانية، والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك (٤) " .

وفى الوقت الذى كانت فيه البرتغال ترسل كل عام تعزيزات قوية لأساطيلها فى البحار الشرقية، على الرغم من طول المسافة عن طريق رأس

---

(١) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ١٩٥، طرخان : دولة المماليك الجراكسة، ص ١١٢، ١١٣ .

(٢) ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٤١ .

(٣) محمد أمين صالح : التنظيمات الحكومية، ص ٢٦١، ٢٦٢ .

(٤) ابن إياس : بدائع، جـ٤، ص ٨٤ .

الرجاء الصالح، لم نسمع عن أية إمدادات للأسطول المصرى الأول منذ خروجه حتى حدوث كارثة ديو فى ذى القعدة ٩١٤ هـ / فبراير ١٥٠٩ م (١) .

وعندما وصلت الغورى الأخبار بأن الفرنج يحاصرون سواكن وأصبح متخوفا من سيطرتهم على جدة، تحمس لإعداد حملة أخرى ضد البرتغاليين فى ربيع الأول ٩١٩ هـ / مايو ١٥١٣ م (٢). ولم يؤثر انتشار الوباء فى إعداد هذه الحملة، وإنما الذى أثر فى إعدادها قرار السلطان بخروج هذه الحملة من غير نفقة، فتمرد المماليك المعينون للسفر (٣) وتم إلغاء هذه الحملة (٤) .

٤ـ العلاقة مع التركمان :

مع مطلع القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ازدادت خطورة التيموريين على السلطنة المملوكية التى جعلتها الأزمات الاقتصادية فى موقف العاجز عن الدفاع عن حدودها وجعلت بعض سلاطينها يتمنون تحسين العلاقات بينهم، بل فى بعض الأحيان يرضخون لشروطهم . فالسلطان فرج بن برقوق الذى عانى من كيفية توفير المال اللازم لقتال تيمورلنك ، ولاقت فئات الشعب المختلفة الأمرين من جراء ذلك ؛ خسر المعركة مع التيموريين ولم يكن فى مقدوره إعادة الكرة وبخاصة عندما إزدادت قوة تيمورلنك بعد انتصاره على العثمانيين فى أوائل ٨٠٥ هـ/١٤٠٢م (٥)، لذا رضخ للشروط التى أرسل بها تيمورلنك مع الأمير سودون نقيب قلعة دمشق (٦) .

كثر تمرد التركمان بعد زوال خطر تيمورلنك، مما اضطر السلطان المؤيد شيخ، وبرسباى القيام بحملات تأديبية ضدهم، إلا أنها لم تكن حاسمة، مما جعل زعيم الشاه البيضاء " قرايلوك " يسخر من سلاطين المماليك فأرسل لبرسباى عام

---

(١) محمد أمين صالح، التنظيمات الحكومية، ص ٢٦٩ .
(٢) ابن إياس : بدائع، جـ ٤، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .
(٣) نفس المصدر ٣١١ .
(٤) نفس المصدر، ص ٣٣٥ .
(٥) نفس المصدر، جـ١، ق٢، ص ٦٥٩ ـ ٦٦٠ .
(٦) نفس المصدر، جـ١، ق٢، ص ٦٦٥، المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٩٨ ـ ١٠٩٩ ، ،
عبد العزيز عبد الدايم، مصر، ص١٢

٨٣٦ هـ / ١٤٣٣ م هدية مكونة من مرآة مكفتة بالذهب وخروف ذى إليتين، وخلعة من قبله، فخرج برسباى على رأس قوة عسكرية وحاصر قلعة آمد، إلا أن العسكر تمردوا عليه فى آمد لندرة الأقوات وارتفاع الأسعار مما جعله يتلهف لحدوث صلح بين الطرفين [١] .

وطلب شاه رخ بكسوة الكعبة الذى سبق أن رفضه برسباى بعد أن أهان سفيره [٢]، وافق عليه السلطان جقمق بعد أن هادنهم وهاداهم وتودد إليهم [٣] توفيرا للنفقات، فكان يقول فى ذلك " كل ما أفعله معهم لا يفى بنعل الخيل لو احتجت المسير إليهم " [٤] .

٥ـ العلاقة مع العثمانيين :

كان خلو الخزائن، وقلة المال من أكثر العوامل تأثيرا فى توجيه دفة السياسة الخارجية لدولة المماليك الجراكسة، وكانت سببا فى إحجام السلطة الحاكمة على رد اعتداء بعض المناوئين لها، فعلى الرغم من استيلاء السلطان العثمانى على ملطية المملوكية فى مطلع عهد فرج بن برقوق إلا أنه لم ير ضرورة لإرسال حملة لاستردادها [٥] .

والسلطان قايتباى الذى كان من أكثر السلاطين إنفاقا لحملاته الحربية، انصاع لرأى مستشاريه ٨٨٩ هـ/١٤٩٤م فى استخدام الوسائل السلمية مع العثمانيين، فأرسل سفيرا لابن عثمان حاملا هدية تقدر بأكثر من عشرة آلاف دينار، وتقليدا من الخليفة بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما يستجد من فتوحات، وكان فى خطابه "بعض ترفق له" [٦] . وعلى الرغم من استعدادات كل من الطرفين للقتال إلا أن سوء الحالة الاقتصادية وخلو الخزائن المصرية من المال [٧] جعلت

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٩٧، ابن إياس : بدائع، جـ٢، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، جـ ١٤، ص ٣٣٦ .

(٣) المقريزى : السلوك، جـ ٤، ق ٣، ص ١٢١١ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣، ص ٧٣ .

(٥) طرخان : دولة المماليك الجراكسة، ص ٧٨، ١٦٣ .

(٦) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢١٣، ٢١٥ . . Patry : twilight of Majesty, P.93

(٧) ابن إياس : بدائع، جـ٣، ص ٢٦٠ .

قايتباى يمنى النفس بالصلح مع بايزيد الثانى، ولذلك كان وصول رسول عثمانى من قبل داود باشا الوزير العثمانى فى جمادى الآخرة ٨٩٤ هـ / مايو ١٤٨٩ م مدعاة إلى الأمل فى الصلح، إلا أن قايتباى لم يقبل العرض وطالب بإطلاق سراح المماليك الأسرى عند العثمانيين، بالإضافة إلى تسلم مفاتيح القلاع التى استولوا عليها، وأرسل قايتباى حملة كبيرة بقيادة الأمير أزبك على أن يقوم الأمير أولا باستطلاع ما تبقى من أمل فى الصلح (١) .

كما كان خلو الخزانة المصرية فى أواخر أيام دولة المماليك الجراكسة سببا فى إحجام الجنود المماليك على الخروج لمواجهة العثمانيين بعد هزيمة مرج دابق ، إذ أصروا على مطالب مالية باهظة ــ لا قبل للخزينة بها ــ قبل السفر، مما أدى إلى قلة العدد الذى استطاع طومان باى ترضيته بالمال من ناحية، ومن ناحية أخرى أن السلطان نادى فى العوام من " الزعر والصبيان والشطار " بل وأرباب الجرائم للخروج للقتال . ومن ناحية ثالثة تأخر الجميع، ولم تتحرك الحملة إلا بعد وصول العثمانيين قرب غزة (٢) مما كان له أبعد الأثر فى هزيمة المماليك وانتهاء عهدهم .

ولم يمكن سوء الأحوال الاقتصادية، والاضطرابات الأمنية، سلاطين الجراكسة من مد يد العون لمساعدة **إمارة غرناطة** آخر إمارة إسلامية فى أسبانيا فى مواجهة هجمات فرديناند ملك أسبانيا المسيحية، إذ اكتفى قايتباى بإرسال تهديد لملك أسبانيا والبابا بهدم كنيسة القيامة بالقدس، ومنع الحج للأراضى المقدسة بفلسطين ومثل هذه التهديدات لم تؤد إلى نتائج (٣) .

---

(١) محمد مصطفى زيادة، نهاية سلاطين المماليك، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢١ . طرخان : دولة المماليك الجراكسة، ص ١٨٥ ــ ١٨٦ .

(٣) منى إبراهيم عبد الرحمن : السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٣ .

خاتمة

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج نعرض لها بإيجاز فيما يلى :

- أوضحت الدراسة الفرق بين الطاعون والوباء، وأن الوباء ليس مرضاً – كما كان شائعا فى ذلك العصر – وإنما صورة من صور انتشار المرض، فقد يكون المرض متوطنا، أو منتشرا بشكل وبائى فى أنحاء المجتمع، أو فاشيا فى أكثر من مجتمع .
- أثبتت الدراسة إن ٥٥% من حالات انخفاض نهر النيل أدت إلى ارتفاع الأسعار بينما أدت ٤٥% من حالات الاستبحار إلى ارتفاع فى الأسعار، مما يعنى أن تأثير انخفاض النهر فى إحداث الأزمات أكبر من تأثير حالات الاستبحار .
- كما برهنت الدراسة على أنه لا توجد ثمة علاقة ذات دلالة بين ما خلفته حالات الاستبحار من مياه وحدوث الأوبئة . أما حالات انخفاض نهر النيل فإن ما يقرب من ثلثها ساعد على انتشار الأوبئة بما خلفته من تعذر فى الأقوات وارتفاع فى الأسعار وانخفاض فى القدرة الشرائية مما يؤدى إلى سوء التغذية، وعدم القدرة على مقاومة الأمراض .
- وأوضحت الدراسة إن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح لم يكن السبب الرئيسى فى التدهور الاقتصادى المصرى، إذ أن كثيراً من الأزمات الاقتصادية حدثت قبل اكتشافه، مما يعنى أن هذا العامل كان أشبه بالقشة التى قصمت ظهر البعير .
- كما أن الظروف الطبيعية الخارجة عن إرادة البشر لم تكن وحدها هى المسئولة عن الأزمات الاقتصادية، بل لعب الفساد الإدارى كإهمال شئون الرعية، واستغلال الأزمات للكسب غير المشروع من ورائها، والتدخل الدائم فى أسعار استبدال العملة،كل ذلك لعب دوراً كبيراً فى ظهور الأزمات الاقتصادية وازدياد حدتها .
- أوضحت الدراسة تقلص مساحة الأرض الصالحة للزراعة، إذ بلغت نسبة القرى التى انخفضت إيراداتها ٢٤% من عدد قرى مصر، وإن كانت نسبة الخراب فى صعيد مصر أكثر منه فى الوجه البحرى، وأدرك الباحث العلاقة بين القيمة الإيجارية للفدان ومتوسط أسعار أردب القمح، وبلغت قيمة الإيجار ما بين سعر أردب واحد وأردبين لإيجار الفدان الواحد فى نفس العام.

- ورصدت الدراسة أسعار الأرض الزراعية فى بعض سنوات عصر الجراكسة، وخاصة أنها نادرة، لأن معظم وثائق البيع فى تلك الفترة تذكر السعر الذى بيعت به الأرض الزراعية دون أن تحدد المساحة المباعة بالفدان .

- أثبتت الدراسة أن العلاقة بين الأزمات الاقتصادية وبخاصة أزمات الدولة من ناحية وعدد وثائق البيع من بيت المال فى عصر الجراكسة من ناحية أخرى كانت علاقة طردية .

- كما حددت الدراسة أقسام الأراضى الزراعية فى مصر فى أواخر عصر الجراكسة، واتضح من خلالها تزايد نصيب الملكية الحرة والأوقاف فى مقابل بقية الأقسام الأخرى .

- كما حددت الدراسة أهم الحرف والصناعات التى اضمحلت نتيجة للأزمات الاقتصادية والأوبئة، وأهم الحرف التى راجت فى تلك الفترة .

- كما توصلت الدراسة إلى متوسط أسعار استبدال الدينار بالدرهم، وكذلك متوسط أسعار القمح بالدرهم والدينار فى كل سنة على مدار عصر الدراسة، واتضح من خلال الدراسة ازدياد معامل الارتباط بين المتوسطين .

- وأوضحت الدراسة كذلك اختلاف تأثير كل من الأزمات من ناحية والأوبئة من ناحية أخرى على الموارد المالية للبلاد، فبينما انخفض خراج الأرض الزراعية، ارتفعت إيرادات المواريث الحشرية، ورصدت الدراسة التغييرات التى طرأت فى إيرادات الأراضى الزراعية بالأقاليم المصرية، وذلك من خلال ما قام به الباحث من حصر لكل القرى المصرية التى تغيرت إيراداتها من خلال ما أورده ابن الجيعان فى كتابه " التحفة السنية"، واتضح أن أكثر الأقاليم انخفاضا فى الإيراد إقليم الفيومية وإقليم الأطفيحية، وإقليم البحيرة .

- وتوصلت الدراسة إلى متوسط أسعار القمح فى كل عام على مدار عصر الجراكسة مقدرة بالدينار (السعر الثابت) وكذلك بالدرهم (السعر المتغير)، وأمكن للباحث ترتيب أهم الأزمات الاقتصادية العامة طبقا لارتفاع الأسعار، وكذلك تحديد العلاقة بين الأوبئة وارتفاع الأسعار، واتضح أن حوالى ٤٣% من الأوبئة التى حدثت فى هذا العصر لم تؤد إلى ارتفاع الأسعار، بل انخفضت الأسعار خلالها أو بعدها مباشرة، وأن ٢١% من الأوبئة فقط ارتفعت الأسعار خلال انتشارها .

- وأثبتت الدراسة أن الأزمات الاقتصادية أوجدت خللا فى العلاقة السعرية بين الحبوب الثلاث الرئيسية (القمح والفول والشعير)، وأثبتت أيضا ارتفاع أسعار السلع المصنعة مقارنة بأسعار موادها الخام بعد الأوبئة مما يعنى ارتفاع أجور أرباب الحرف فى تلك الفترات .

- وبينت الدراسة اختلاف تأثير الأزمات الاقتصادية والأوبئة على كل من أرباب الحرف والصناعات الحرة من جانب، وأرباب الجوامك من جانب آخر، وبمقارنة الأسعار بالأجور تمكن الباحث من تحديد أكثر الفئات من أرباب الوظائف تضرراً من الأزمات الاقتصادية، وذلك من خلال استخراج متوسط أجور ٧٨ وظيفة فى مصر فى عصر الجراكسة .

- أثبتت الدراسة أن التدهور السكانى فى مصر فى عصر الجراكسة لم يقل عن ٤٠% من عدد السكان، وأن العنصر المملوكى والعبيد بصفة عامة كانوا أكثر العناصر تأثرا بالأوبئة، وأن الأطفال كانوا أكثر الفئات العمرية تأثرا بها .

- وخلصت الدراسة إلى أنه لم تكن هناك ثمة علاقة بين الخوف من انتشار الوباء وهجرة الفلاحين إلى المدن، بينما توجد علاقة بين حدوث الأزمات وهذه الهجرات، والعكس صحيح بالنسبة لهجرة أهل المدن إلى خارجها إذ لم تؤثر فيها الأزمات الاقتصادية، بل أثرت فيها الأوبئة .

- وأوضحت الدراسة تغير الأساس الذى تقوم عليه الصوفية، فبعد أن كان الخوف من الله أو الحب فى الله هو الأساس، أصبح الأساس هو الخوف من الحياة فى مجتمع مضطرب ملئ بالأزمات والمجاعات، كما تأثرت طقوسهم وأورادهم بالأزمات والأوبئة، كما أوضحت الدراسة أنه على الرغم من تدهور المنشآت الصوفية إلا أن أعداد الداخلين فى التصوف كانت تزداد أيام القحط والمجاعات .

- وأوضحت الدراسة أن فكرة العدوى وانتشار المرض لم يؤمن بها فقهاء ذلك العصر، بينما تحدث فيها واعتنقها أطباء العصر،

- كشفت الدراسة عن ظهور بعض المؤلفات التى نتجت عن الأزمات الاقتصادية والأوبئة وهى فى معظمها لا تزال مخطوطة، وقد حصل الباحث على بعضها من مكتبة برلين، ولم يشر إليها الباحثون العرب الذين تناولوا الحركة العلمية أو الفكرية فى مصر فى عصر المماليك من قبل .

- كما أوضحت الدراسة أيضا أن وفاة ابنة المقريزى فى الوباء لم تكن دافعا له لتأليف كتابه " إغاثة الأمة " كما أوضح محققا الكتاب من قبل .

- أوضحت الدراسة أن الأزمات الاقتصادية والأوبئة لم تؤثر بدرجة كبيرة علىالحركة العمرانية، بينما تركت آثارها على الفنون، وتبين من الدراسة ظهور نوع من العمائر لم يكن شائعاً بصورة كبيرة من قبل، وهو مغاسل ومصليات الأموات التى تعددت أشكالها .

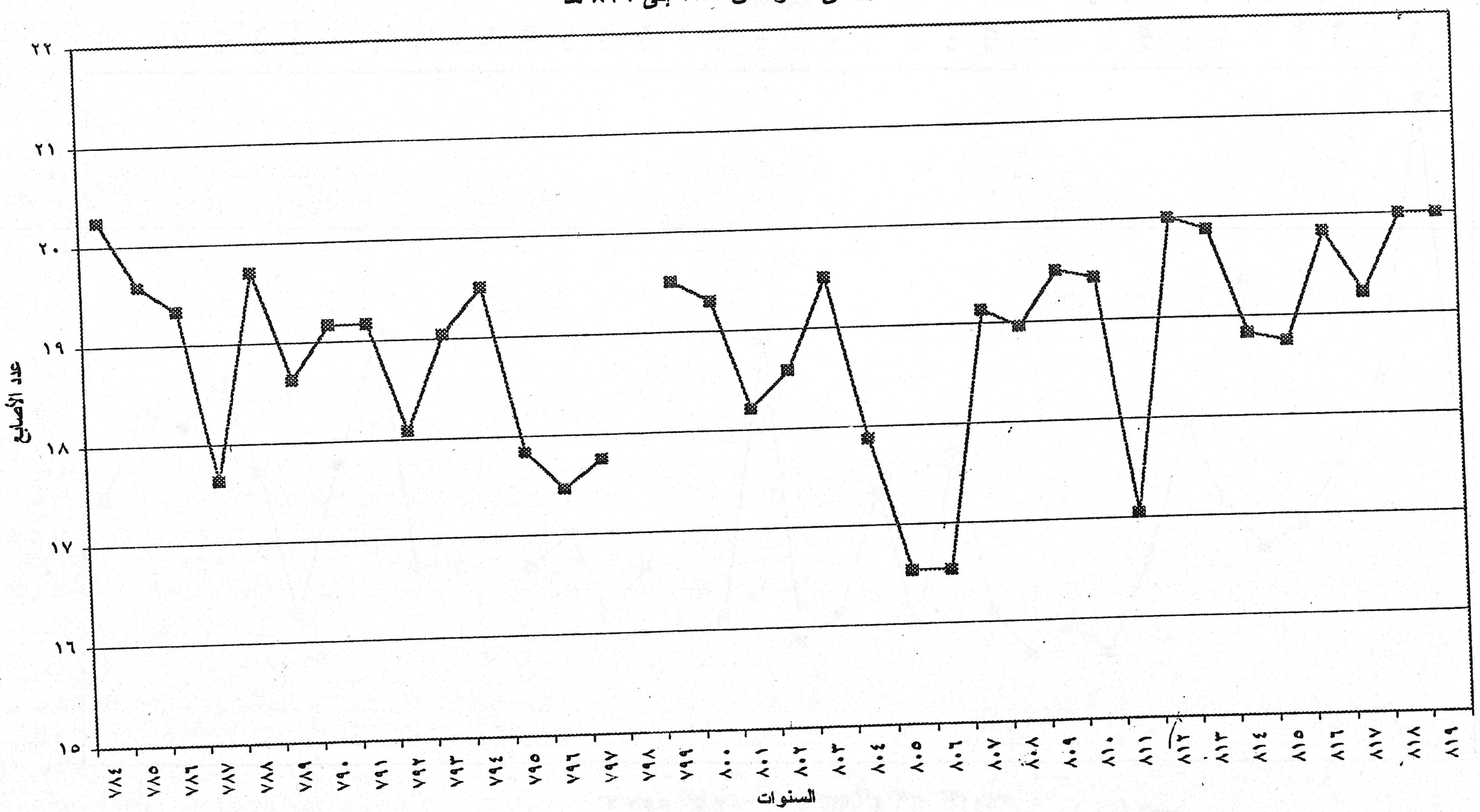
- وخلصت الدراسة إلى انخفاض أعداد فرق الجيش ومقرراته المختلفة نتيجة للأزمات والأوبئة، بينما لم تتأثر تجهيزات الجيش وحملاته العسكرية بها، إذ لم تؤثر الأزمات على المبالغ النقدية التى كان يتقاضاها الأمراء والجنود المسافرون للقتال .

- وانتهت الدراسة إلى أنه على الرغم من شدة الأزمات التى عانى منها الشعب المصرى فى تلك الفترة إلا أن ثوراته الإيجابية كانت متفرقة ونادراً ما تكون مصحوبة بالعنف، وكانت تخمد قبل أن تبدأ، ولذا غلب على مقاومته الشكل السلبى الذى اتخذ صوراً وأشكالا مختلفة مثل الهروب من الأرض أو السخرية والتهكم من رموز السلطة الحاكمة، وأسباب ذلك .

- خلصت الدراسة إلى أنه نظرا لافتقار الدولة فى أخريات حياتها لعناصر القوة المالية والعسكرية والبشرية اللازمة للتصدى للعدوان ؛ فقد كان لذلك أثره فى توجيه دفة السياسة الخارجية لدولة المماليك الجراكسة، وكانت سببا فى إحجام السلطة الحاكمة على رد اعتداء بعض المناوئين لها، بل ومهادنتهم وقبول شروطهم فى بعض الأحيان، ثم أفضى ذلك فى النهاية إلى سقوط دولة المماليك ونهاية دولتهم .

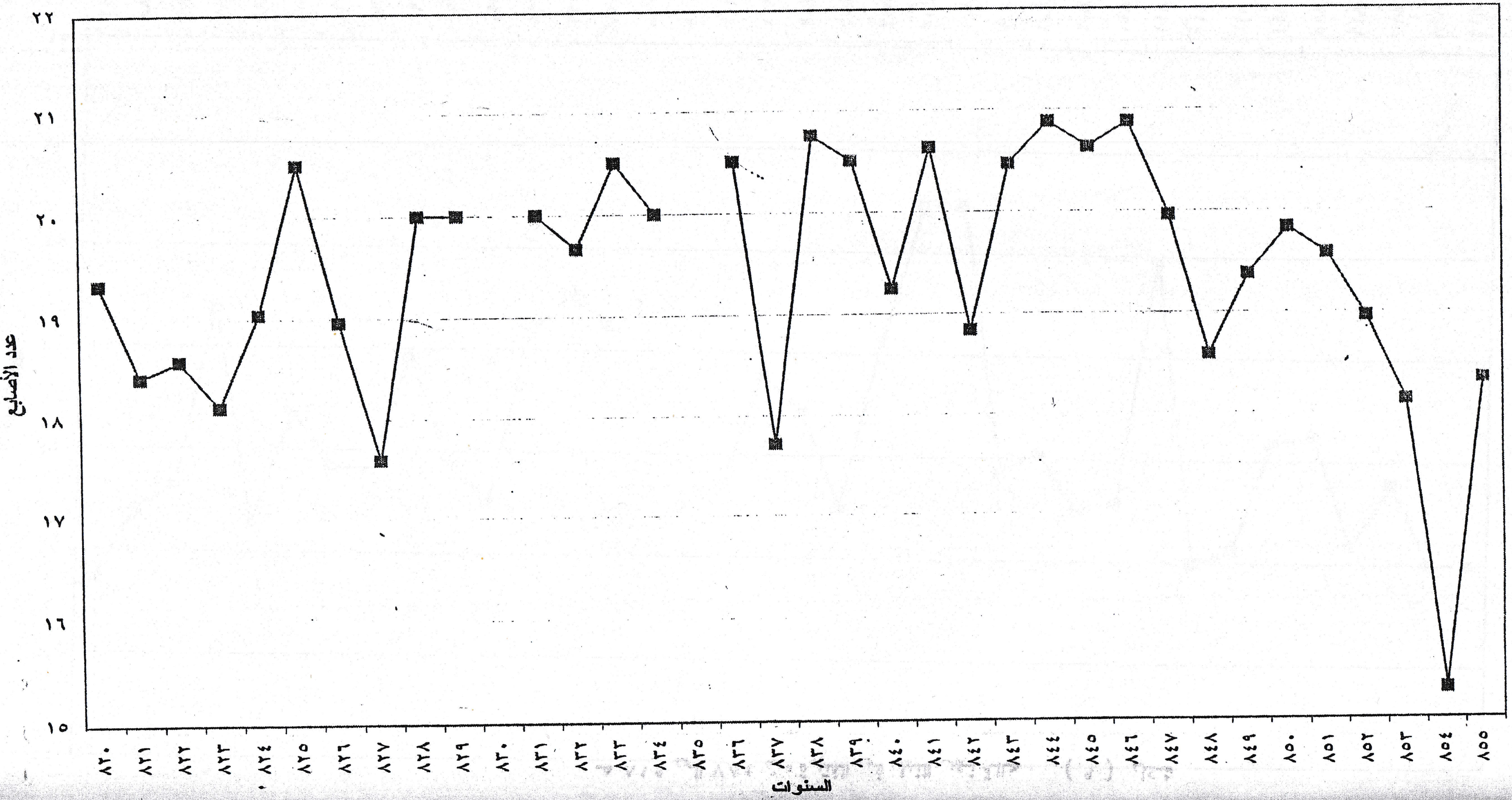
الأشكـــــــال

شكل (٩) حالة نهر النيل فى الفترة من ٧٨٤ إلى ٨١٩ هـ



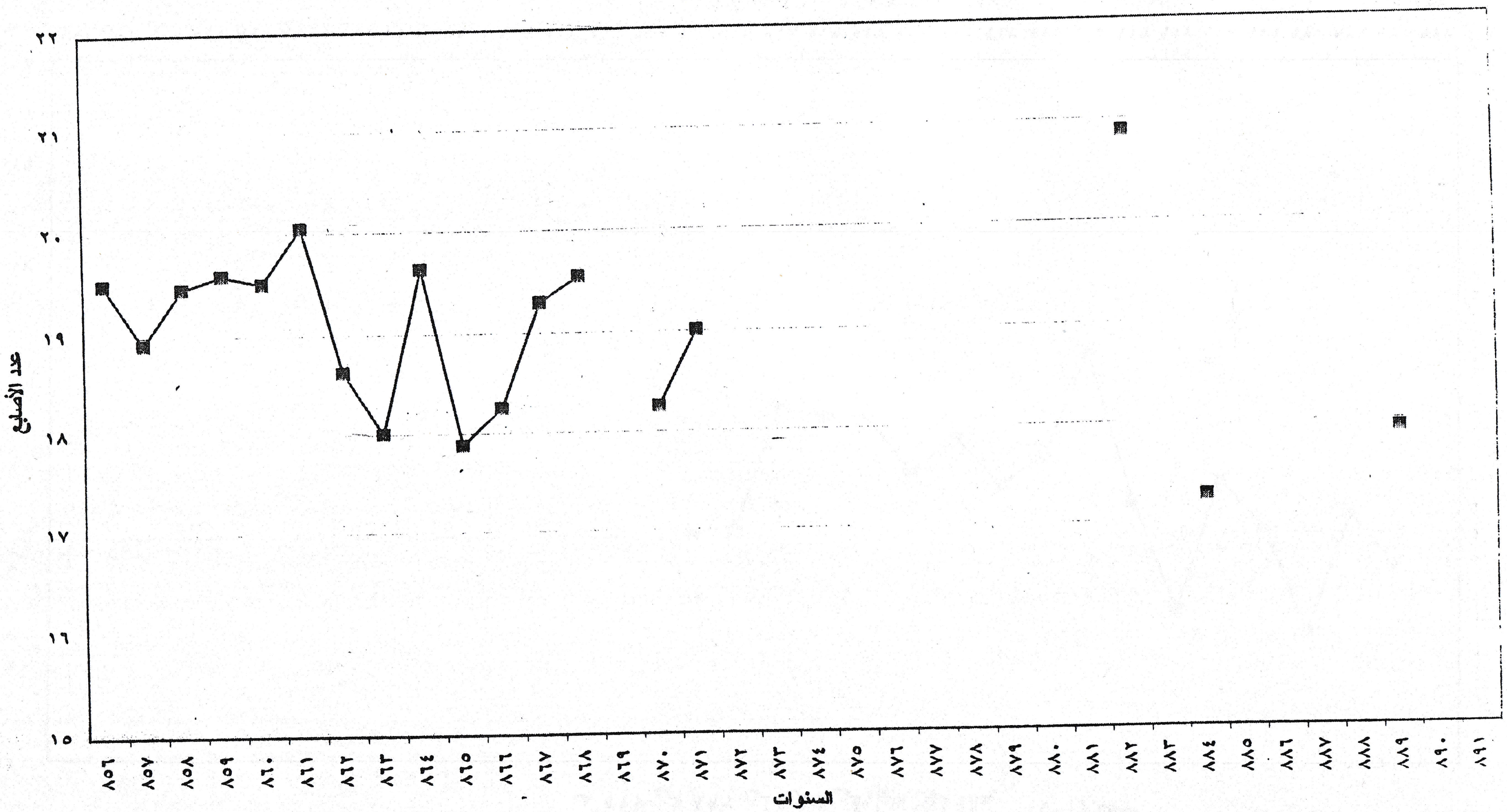
شكل (١٠)

حالة نهر النيل فى الفترة من ٨٢٠ إلى ٨٥٥ هـ



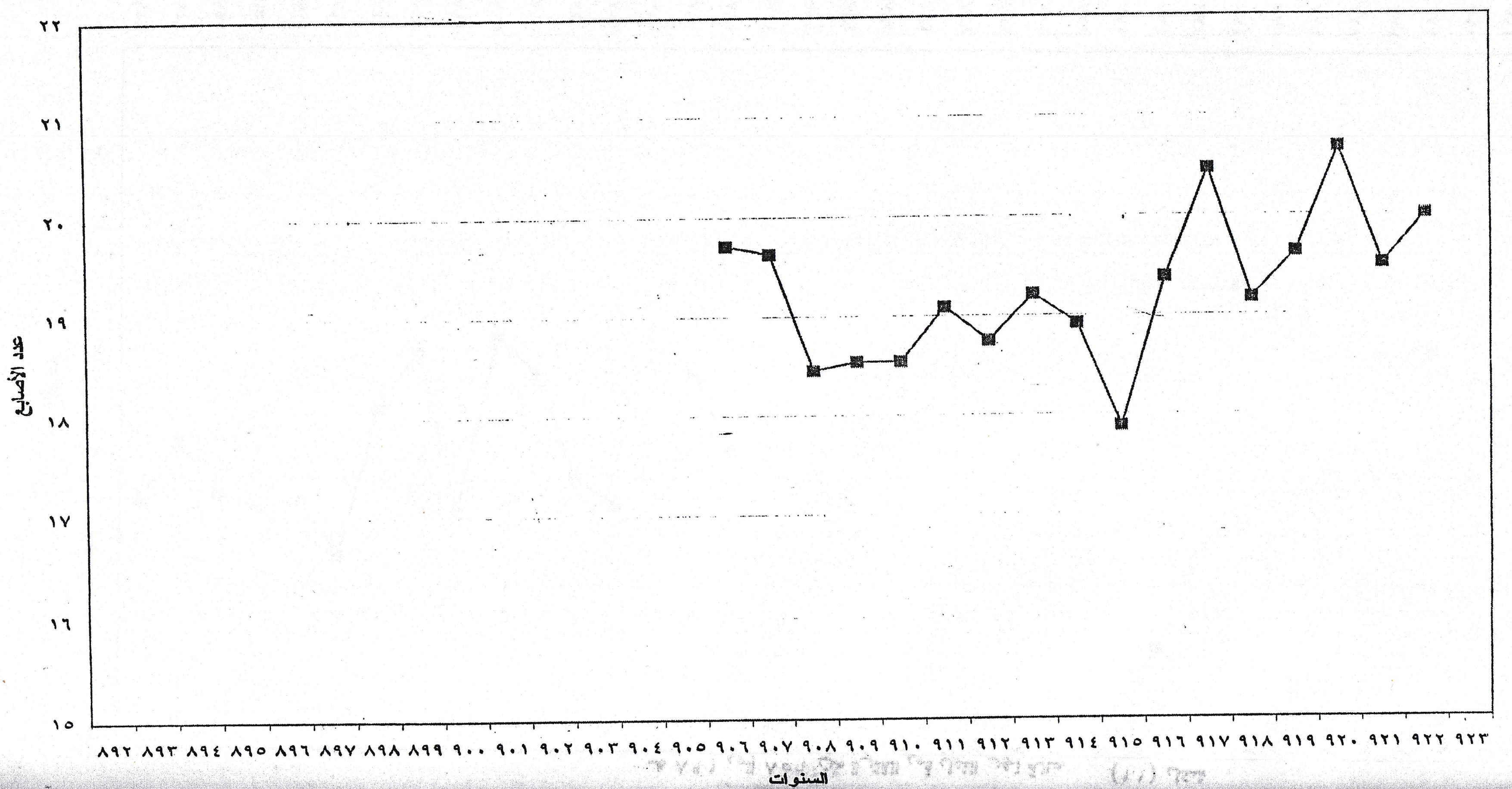
شكل (١١) حالة نهر النيل فى الفترة من ٨٥٦ الـ ٨٩١ هـ

شكل (١٦) . حالة نهر النيل في الفترة من ٨٥٦ إلى ٨٩١ هـ



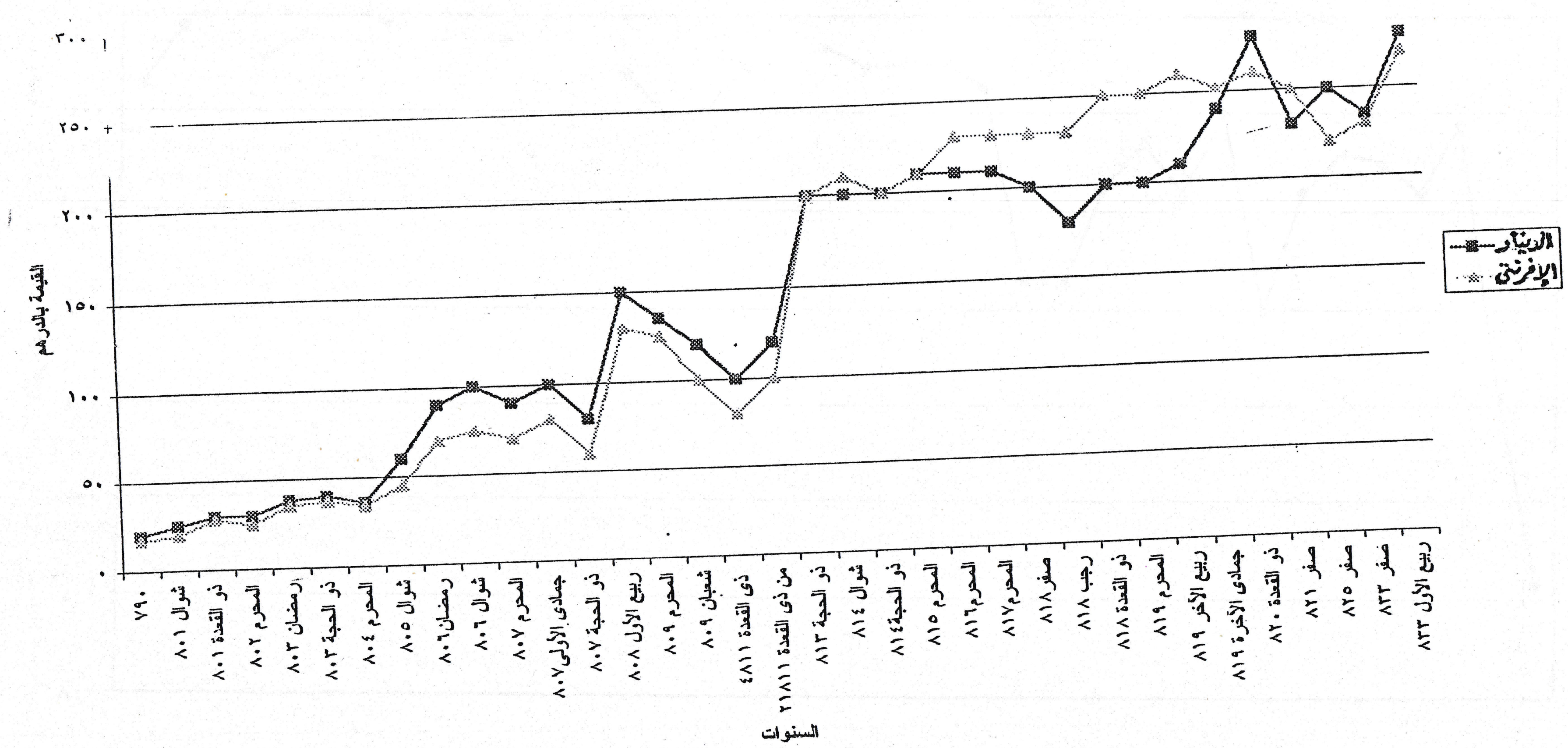
شكل (١٢)

حالة نهر النيل فى الفترة من ٨٩٢ إلى ٩٢٣ هـ

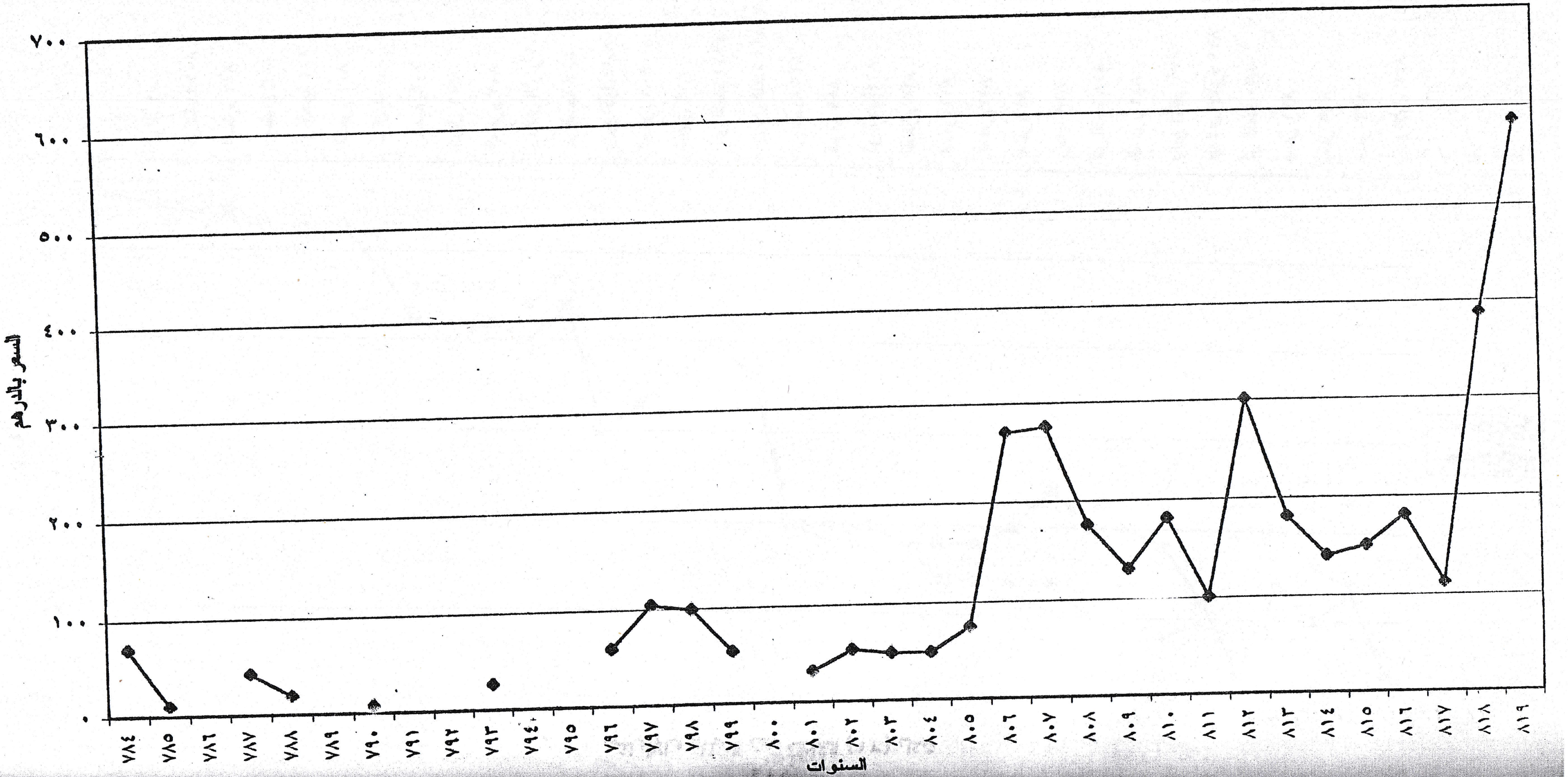


شكل (١٣) العلاقة بين الدينار و الأفرنتى

شكل (١٣) العلاقة بين الدينار والإفرنتي



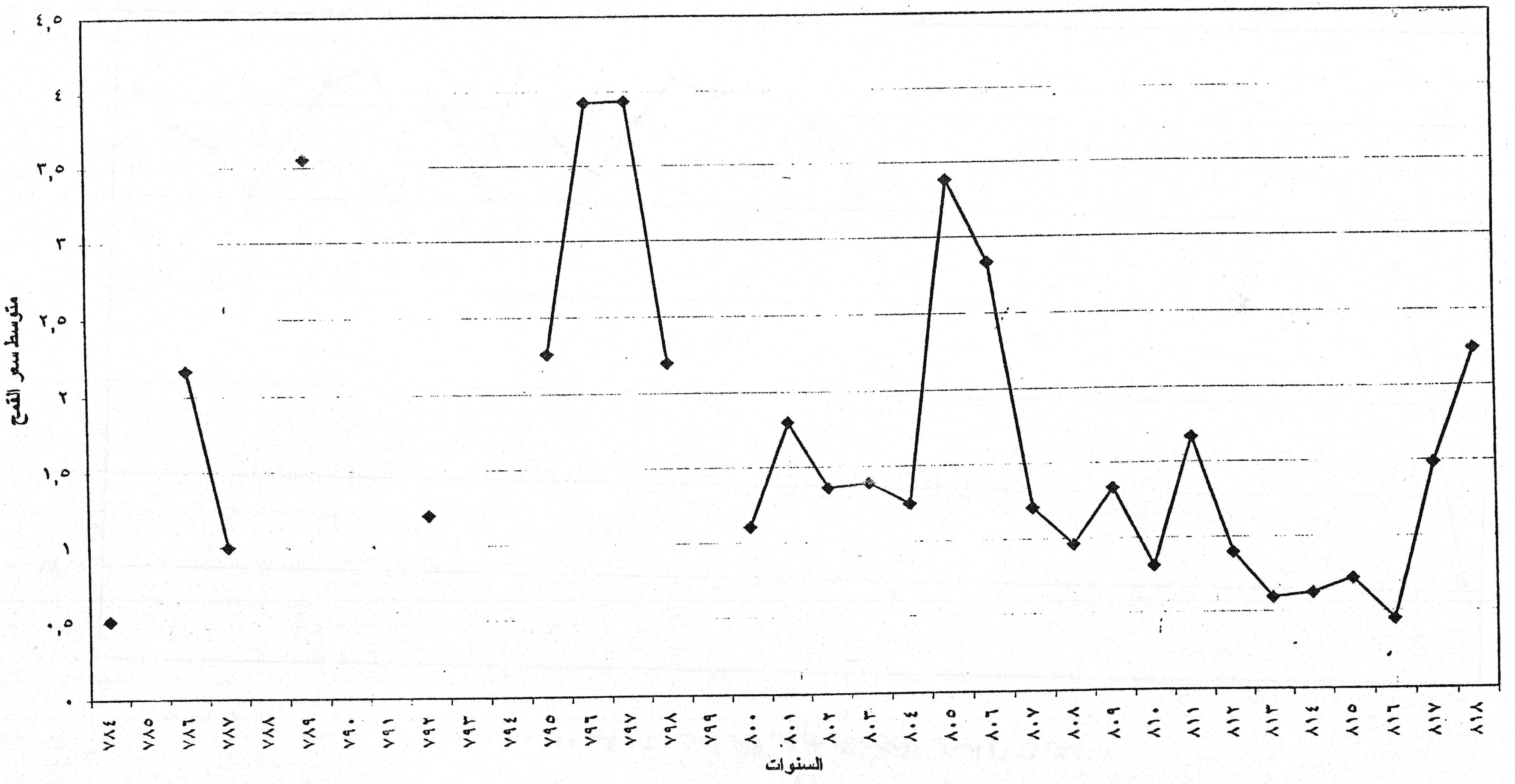
شكل ١٤ أسعار القمح بالدرهم فى الفترة من ٧٨٤ إلى ٨١٩ هـ



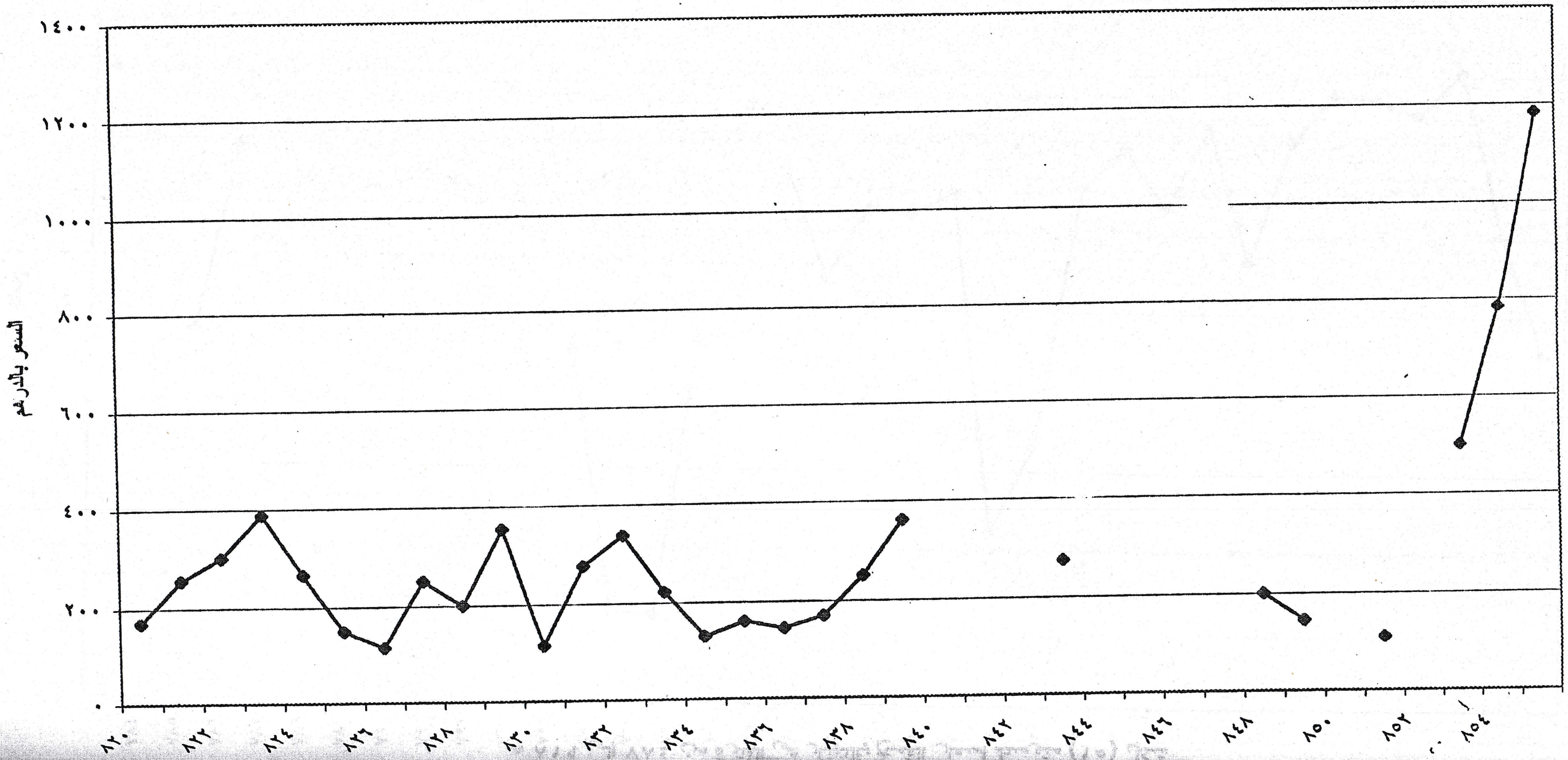
شكل (١٥) متوسط أسعار القمح بالدينار في الفترة من ٧٨٤ إلى ٨١٩ هـ

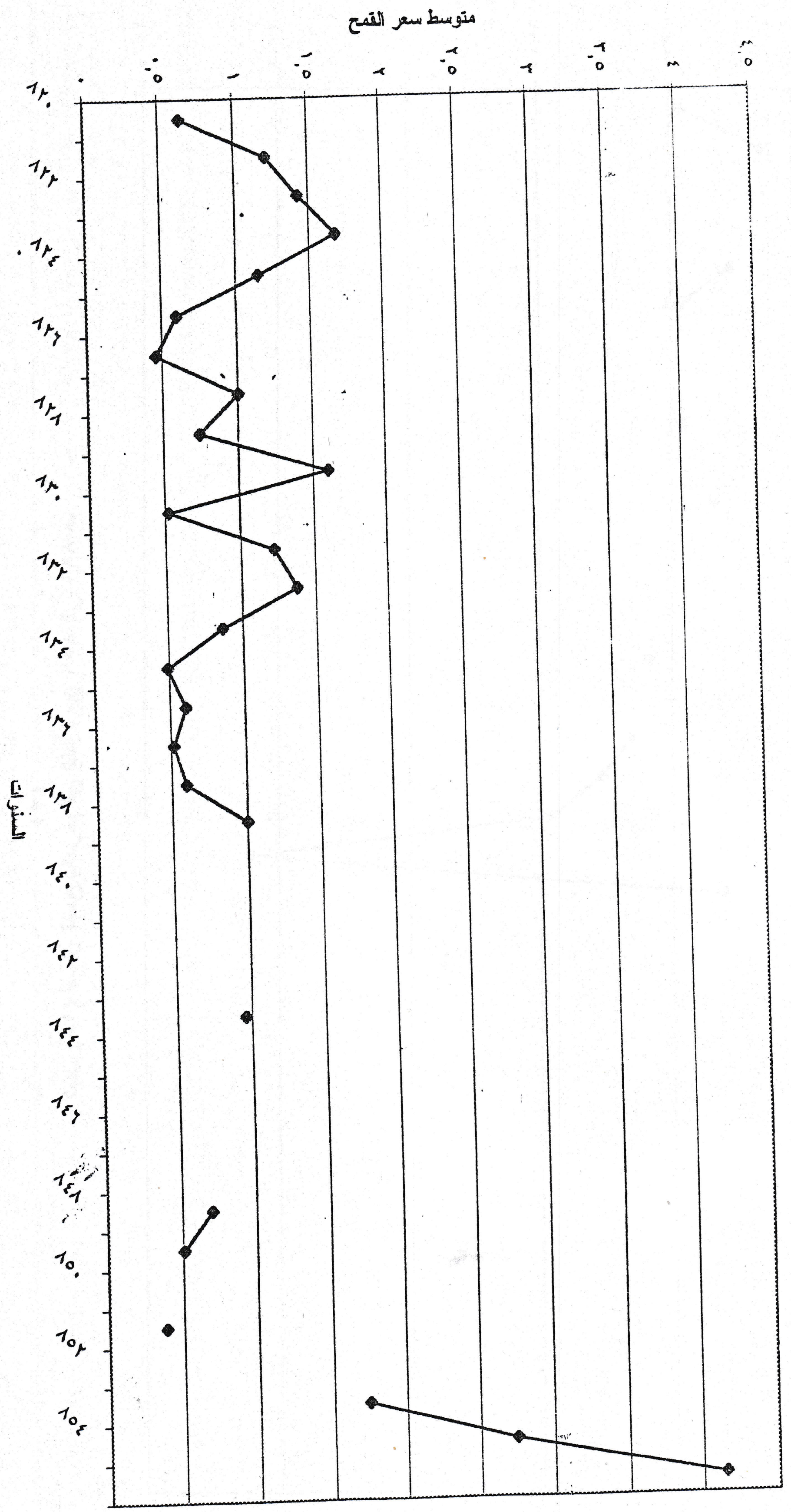
السنوات

شكل ([illegible]) متوسط أسعار القمح بالدينار في الفترة من ٧٨٤ إلى ٨١٦ هـ



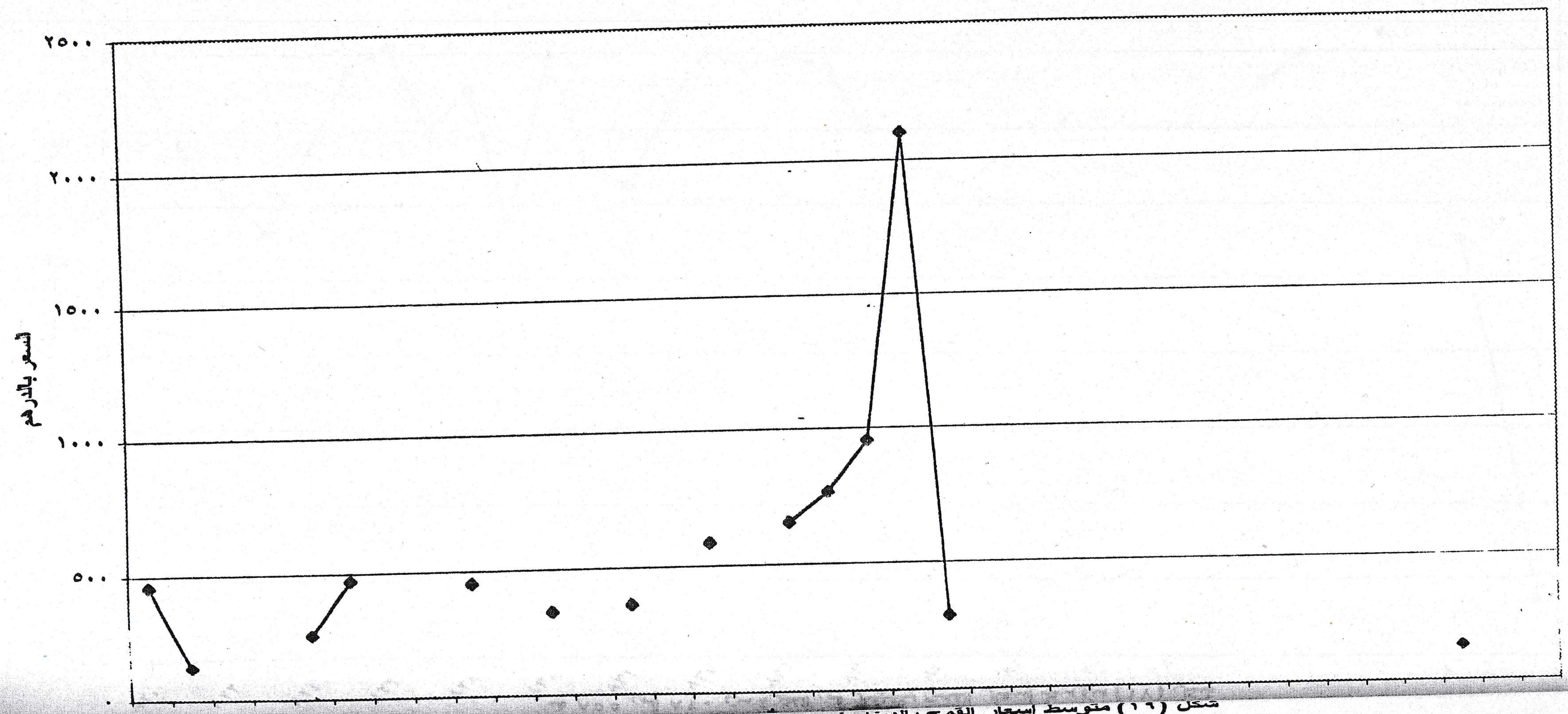
شكل (١٦) أسعار القمح بالدرهم فى الفترة من ٨٢٠ إلى ٨٥٥هـ





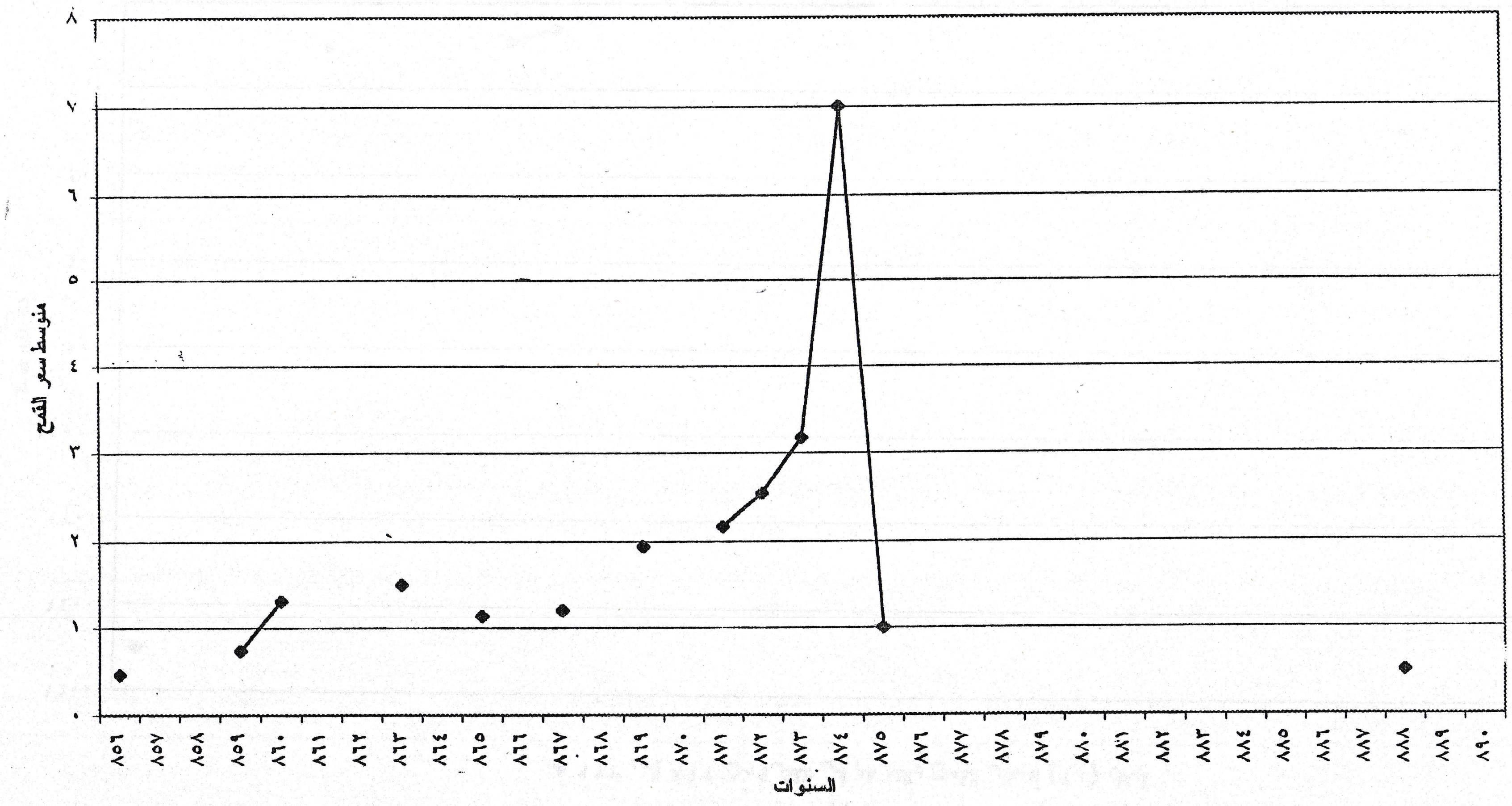
متوسط سعر القمح
٠
٠.٥
١
١.٥
٢
٢.٥
٣
٣.٥
٤
٤.٥
٨٢٠
٨٢٢
٨٢٤
٨٢٦
٨٢٨
٨٣٠
٨٣٢
٨٣٤
٨٣٦
٨٣٨
٨٤٠
٨٤٢
٨٤٤
٨٤٦
٨٤٨
٨٥٠
٨٥٢
٨٥٤
السنوات

شكل (١٨) أسعار القمح بالدرهم فى الفترة من ٨٥٦ إلى ٨٩١ هـ

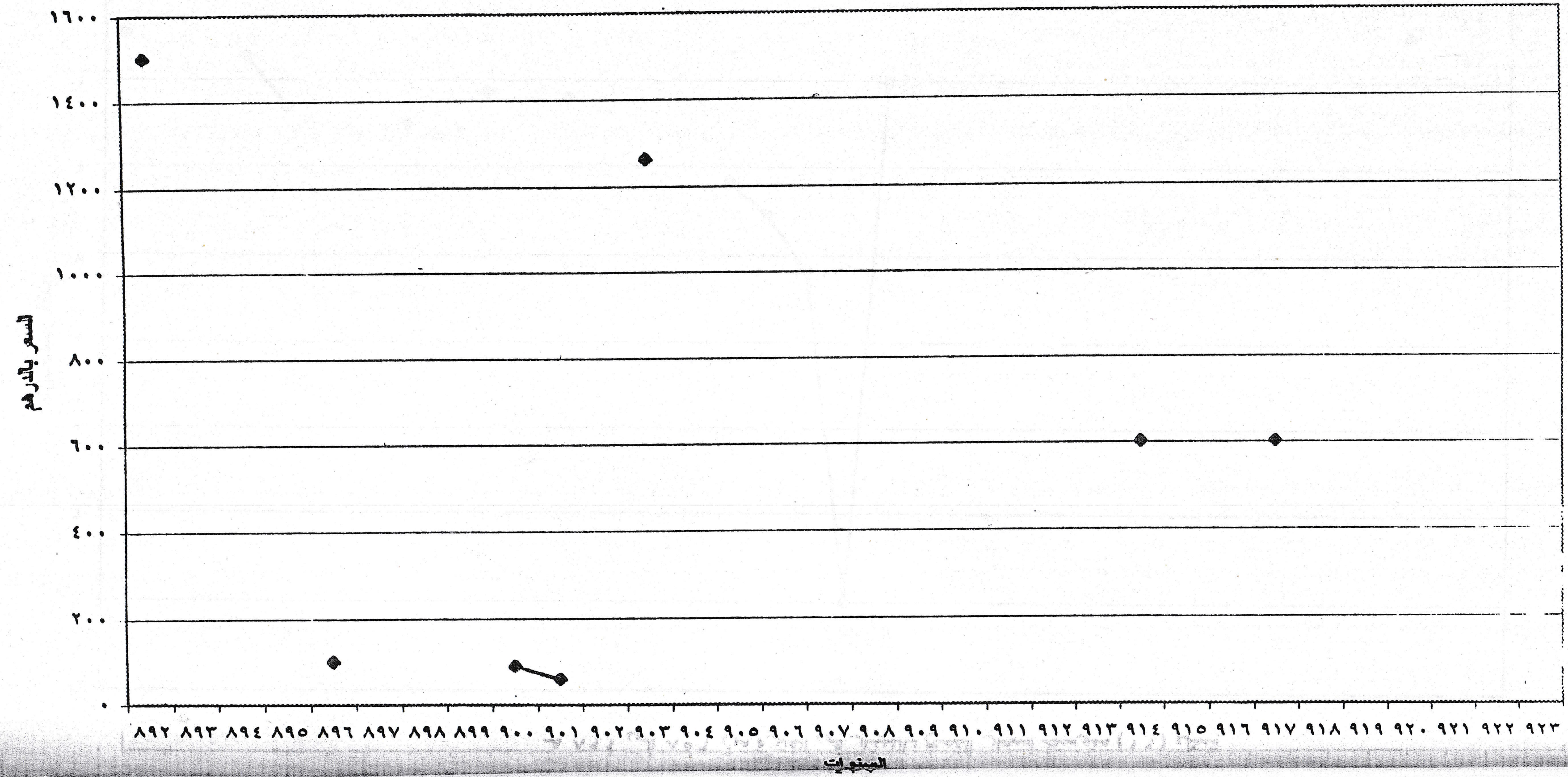


شكل (١٩) متوسط أسعار القمح بالدينار فى الفترة من ٨٥٦ إلى ٨٩١ هـ

شكل (١٦) متوسط أسعار القمح بالدينار فى الفترة من ٨٥٦ إلى ٨٩١ هـ

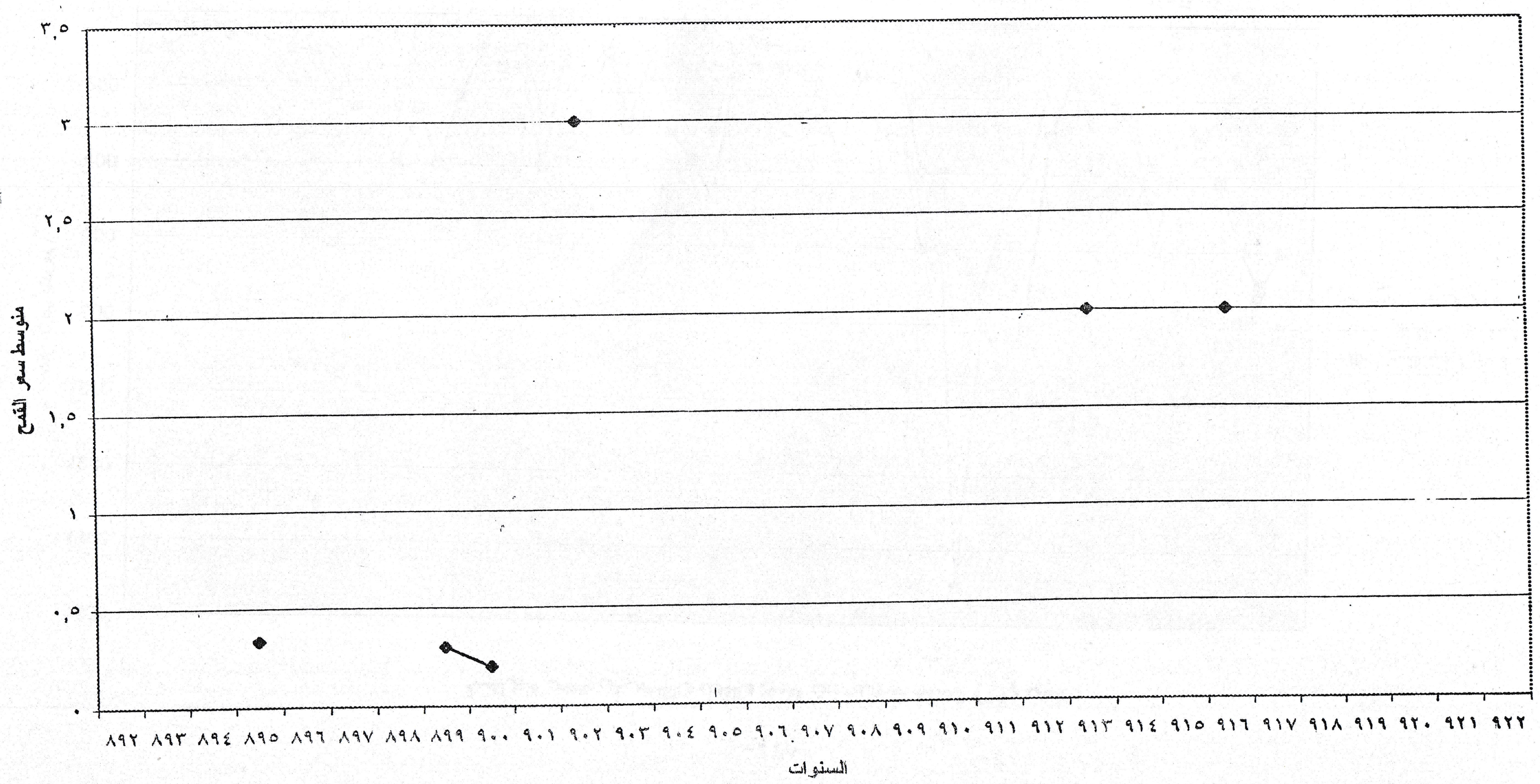


شكل (٢٠) أسعار القمح بالدرهم فى الفترة من ٨٩٢ إلى ٩٢٣ هـ

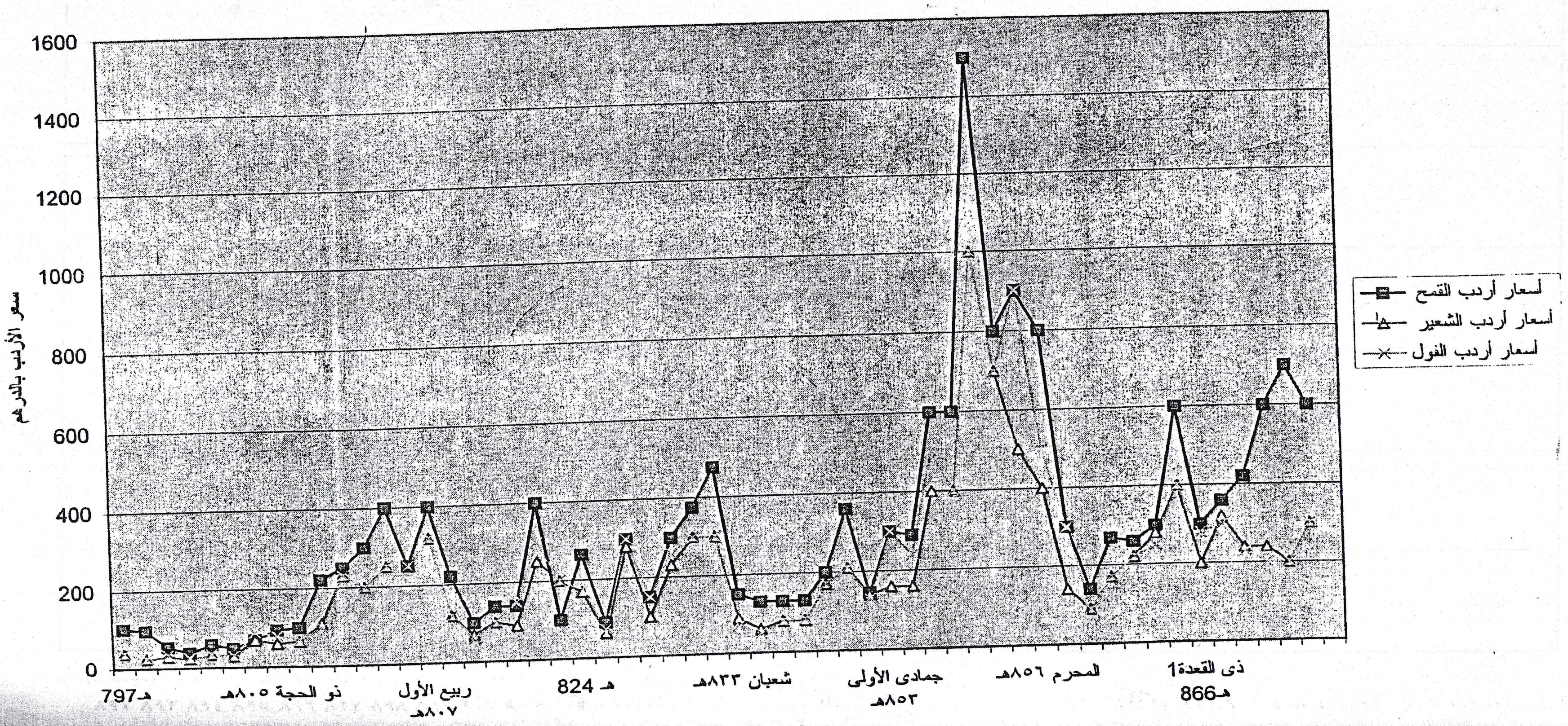


شكل (٢١) متوسط أسعار القمح بالدينار فى الفترة من ٨٩٢ إلى ٩٢٣ هـ

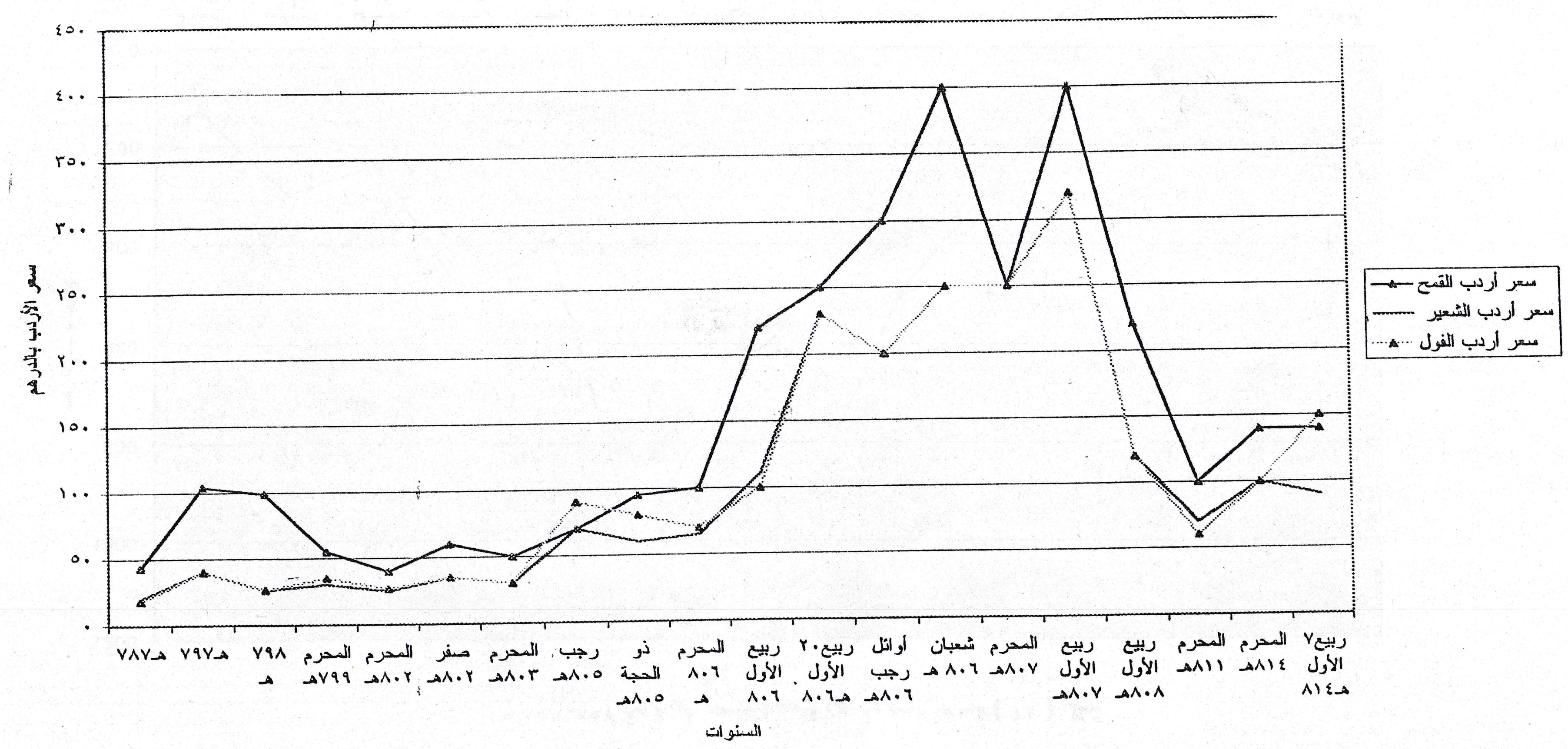
شكل (٢١) متوسط أسعار القمح بالدينار فى الفترة من ٨٩٢ إلى ٩٢٣ هـ



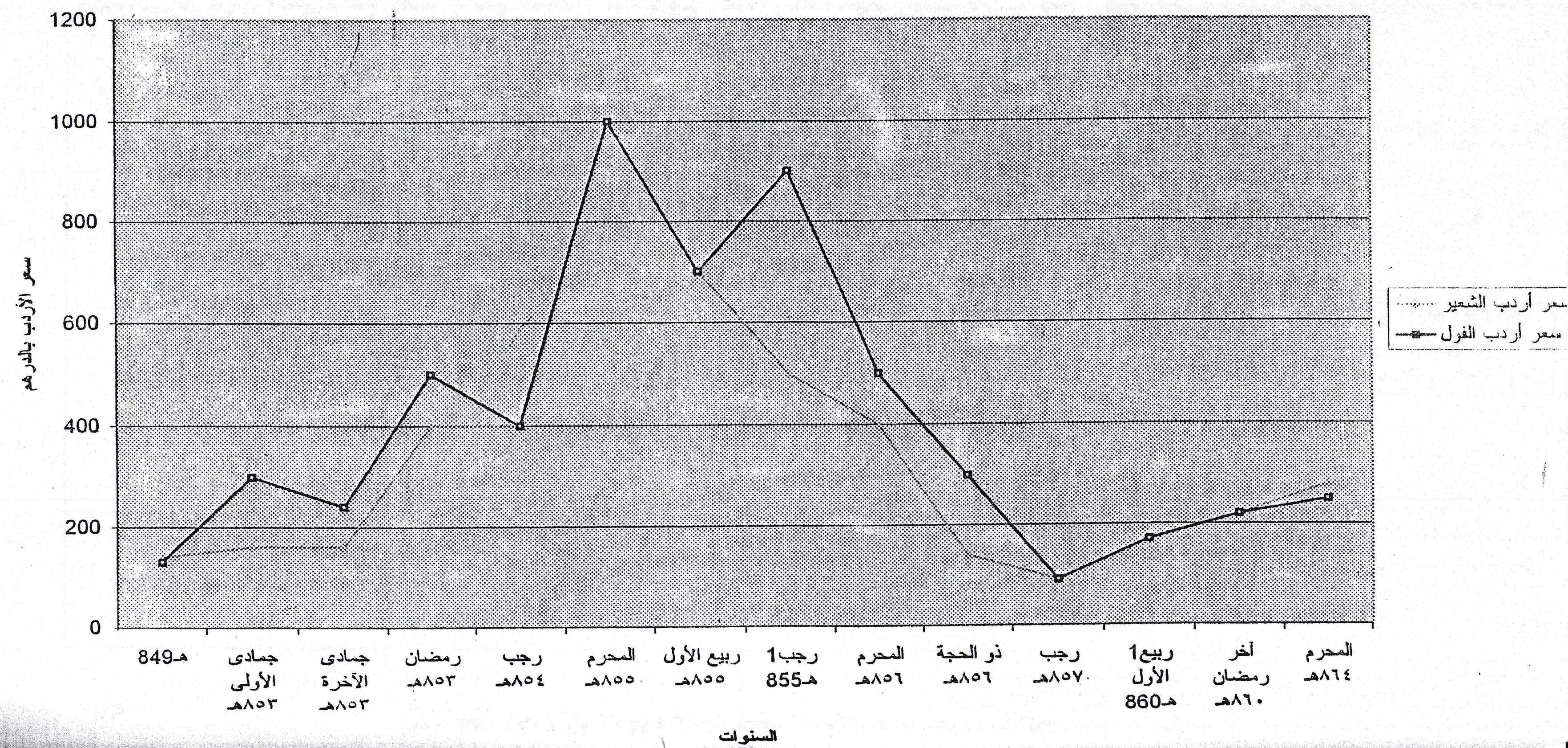
شكل (٢٢) العلاقة السعرية بين القمح والفول والشعير فى عصر الجراكسة



شكل (٢٣) العلاقة السعرية بين القمح والفول والشعير فى أزمة ٨٠٦هـ



شكل (٢٤) العلاقة السعرية بين الفول والشعير فى أزمة ٨٥٣-٨٥٦



الجـــــداول

(جدول ٢٣)

أهم الأوبئة فى مصر فى عصر المماليك الجراكسة

م	سنة الوباء	نوع الوباء	بداية الوباء بالتقويم الهجرى	بداية الوباء بالتقويم القبطى والميلادى	نهاية الوباء بالتقويم الهجرى	نهاية الوباء بالتقويم الميلادى	فصل الوباء	مكان انتشاره	ملاحظات
١	٧٨٨ هـ/١٣٨٦م	وقع الفناء	ربيع الآخر	٧ بشنس / ٢مايو			الربيع	الإسكندرية [1]	
٢	٧٩٠هـ /١٣٨٨م	طاعون [2]	ربيع الأول	١٤ برمهات /١٠مارس	٨ جمادى الآخرة	٢١بؤنة/١٥ يونيو	الربيع	القاهرة ومصر وضواحيها [3]	
٣	٧٩١هـ/١٣٨٩م	طاعون	جمادى الأولى	٣بشنس/ ٢٨ ابريل			الربيع	مصر [4]	
٤	٧٩٥هـ/١٣٩٣م	وقع الفناء	ربيع الآخر	٢٠أمشير/١ ٤ فبراير			الشتاء	الإسكندرية [5]	
٥	٧٩٧هـ/١٣٩٤م ١٣٩٥م	وقع بعض وباء	صفر [6] شوال [7]	٣٠ هاتور / ٢٦ نوفمبر ١٣٩٤م ٢٦ أبيب / ٢٠ يوليو ١٣٩٥م			الخريف الصيف	القاهرة	
٦	٨٠٠هـ/١٣٩٧م	وقع فناء بالباردة والحمى	ربيع الأول	٢٦ هاتور / ٢٢نوفمبر			الخريف	أنحاء مصر [8]	
٧	٨٠٢هـ/١٣٩٩	وقع الوباء بالباردة والسعال	صفر [9] ربيع الأول [10]	٥ بابه /٣ أكتوبر ٤ هاتور / ١ نوفمبر	جمادى الآخرة	٣ أمشير / ٢٩ يناير ١٤٠٠	الخريف والشتاء		
٨	٨٠٦-٨٠٧ / ١٤٠٣-١٤٠٤م	وباء بالسعال وذات الصدر والحمى	جمادى الآخرة	١٩ كيهك / ١٦ ديسمبر ١٤٠٣م	رمضان ٨٠٧ هـ			أكثر من عام	فى أنحاء البلاد [11]
٩	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	طاعون	جمادى الأولى	٢٨ بابه / ٢٥ أكتوبر			الربيع	فى القاهرة ومصر والصعيد [12]	لما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء

---

(١) إنباء الغمر ، جـ٢ ،ص ٢١٨ ، نزهة ، جـ١ ، ص ١٣١ ، السلوك ، جـ٣ ، ق٢، ص ٥٤٤ .

(٢) النجوم ، جـ ٥ ، ص ٣٨٩ .

(٣) نزهة ، جـ١ ، ص ١٦٨ ، ١٧٢ ، السلوك ، جـ ٣ ، ق ٢ ، ص ٥٨٠ ، إنباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

(٤) نزهة ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ .

(٥) إنباء الغمر ، جـ٣ ،ص ١٦٥ . .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ .

(٧) بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ .

(٨) نزهة ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ ، إنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٣٩٧ .

(٩) إنباء الغمر ، جـ٤ ،ص ١١٥ .

(١٠) السلوك ، جـ٣ ،ق ٣ ، ص ١٠٠٣ ، بدائع ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥٧٢ .

(١١) السلوك ، جـ٣ ، ق٣ ، ص ١١٢٠ ، ١١٥٢ ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٦٨٦ .

(١٢) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٧٥١ .

م	سنة الوباء	نوع الوباء	بداية الوباء بالتقويم الهجرى	بداية الوباء بالتقويم القبطى والميلادى	نهاية الوباء بالتقويم الهجرى	نهاية الوباء بالتقويم الميلادى	فصل الوباء	مكان انتشاره	ملاحظات
١٠	٨٠٩ هـ / ١٤٠٧م	طاعون	شوال	١٥ برمهات / ١١ مارس			الربيع	أنحاء البلاد (١)	
١١	٨١٠ هـ / ١٤٠٨	طاعون						الديار المصرية (٢)	
١٢	٨١٣ هـ / ١٤١٠م	طاعون	المحرم	١١ بشنس / ٦ مايو	اشتد فى شعبان ورمضان	رمضان ٢ طوبة/ ٢٨ ديسمبر	الربيع والصيف والخريف	مصر (٣)	طاعون وافد
١٣	٨١٥-٨١٦ هـ / ١٤١٣م	طاعون	ذو الحجة ٨١٥هـ	٨ برمهات / ٤ مارس	صفر ٨١٦ هـ	٨ بشنس/ ٣ مايو	الربيع	مصر (٤)	
١٤	٨١٧ - ٨١٨ هـ/١٤١٥م	طاعون	ذو القعدة ٨١٧ هـ	١٧ طوبة / ١٢ يناير	ربيع الأول ٨١٨ هـ	١٦ بشنس / ١١ مايو	الشتاء	وقع بكورة البهنسى ثم القاهرة (٥)	
١٥	٨١٩ هـ / ١٤١٦م	طاعون	المحرم	٥ برمهات / ١ مارس	ربيع الآخر		الربيع	كل البلاد (٦)	طاعون وافد
١٦	٨٢٠ هـ / ١٤١٧م	طاعون	ربيع الأول	٢٣ برمودة / ١٨ أبريل			الربيع	دمياط والإسكندرية والقاهرة (٧)	
١٧	٨٢١ هـ / ١٤١٨	طاعون	صفر	/٩ مارس			الربيع	القاهرة (٨)	
١٨	٨٢٢هـ / ١٤١٩م	طاعون الحمى	صفر ذو القعدة (٩)	٣ برمهات/ ٢٧ فبراير /١٨ نوفمبر	تناقص فى جمادى الأولى	١ بؤنة / ٢٦ مايو	أواخر الشتاء وبداية الربيع	كل البلاد (١٠)	
١٩	٨٢٣ هـ / ١٤٢٠م	كثر الوباء	ربيع الآخر	٢٠ برمودة/ ١٥ أبريل			الربيع	الإسكندرية والبحيرة وما حولهما (١١)	
٢٠	٨٢٧ هـ / ١٤٢٠م	كثر الوباء	شعبان	٥ أبيب / ٢٩ يونيه			الصيف	دمياط (١٢)	

(١) السلوك، جـ٤ ، ق١ ، ص٤٢ ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٧٦٩ .

(٢) أوضح السيوطى أن الطاعون قد وقع بالديار المصرية فى هذا العام دون تحديد بداية أو نهاية له حسن المحاضرة، جـ٢ ، ص ٣٠٨ .

(٣) بدائع ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٨٠٣ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٠٩ ، السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٢٥٧ ، نزهة ، جـ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٥) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٣٠١ ، ٣١٢ ، بدائع ، جـ٢ ، ص ١٩ ، النجوم ، جـ١٤ ، ص ٢٦ .

(٦) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، بدائع ، جـ٢ ، ص٦ ، ٢٦ .

(٧) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٣٨٨ .

(٨) بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٣ ، النجوم ، جـ١٤ ، ص ١٤٩ .

(٩) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٤٨١ ، بدائع ، جـ٢ ، ص ٤٣ ، نزهة ، جـ٢ ، ص ٤٤٢ ، النجوم ، جـ١٤ ، ص ٨٠ .

(١٠) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٥١١ .

(١١) السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، ص ٥٢٧ ، نزهة ، جـ٢ ، ص ٤٧٤ .

(١٢) السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ٦٦٧ .

م	سنة الوباء	نوع الوباء	بداية الوباء بالتقويم الهجرى	بداية الوباء بالتقويم القبطى والميلادى	نهاية الوباء بالتقويم الهجرى	نهاية الوباء بالتقويم الميلادى	فصل الوباء	مكان انتشاره	ملاحظات
٢١	٨٢٨ هـ / ١٤٢٥م	شنع الوباء	جمادى الأولى	٢٥ برمهات / ٢١ مارس	كان مازال فى رجب	٢٤ بشنس / ١٩ مايو ١٤٢٥م	الربيع	دمياط وفارسكور (١)	
٢٢	٨٣١ هـ / ١٤٢٨م	كثر الوباء	رجب	٢١ برمودة / ١٦ إبريل	كان مستمرا فى شعبان	٢١ بشنس / ١٦ مايو	الربيع	صعيد مصر (٢)	
٢٣	٨٣٣هـ / ١٤٢٩-١٤٣٠م	طاعون	ربيع الآخر	٢ طوبة / ٢٨ ديسمبر ١٤٢٩م	تناقص فى رجب	٣٠ برمهات / ٢٦ مارس ١٤٣٠م	الشتاء والربيع	كل البلاد (٣)	طاعون وافد
٢٤	٨٣٩ هـ / ١٤٣٦م	طاعون	شعبان	٢٤ أمشير / ١٩ فبراير			الشتاء	صعيد مصر (٤)	
٢٥	٨٤١ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٣٨	طاعون	رجب	٣ طوبة / ٢٩ ديسمبر ١٤٣٧	تناقص فى ذى الحجة	/ مايو ١٤٣٨	الشتاء والربيع	صعيد مصر (٥)	طاعون وافد
٢٦	٨٤٢ هـ ١٤٣٩م	طاعون	شوال	٢١ برمهات / ١٧ مارس			الربيع	القاهرة والوجه البحرى (٦)	
٢٧	٨٤٧ - ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤م	طاعون	ذو الحجة	٢٥ برمهات / ٢١ مارس	ربيع الأول		الربيع	القاهرة (٧)	
٢٨	٨٥٢ - ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩م	طاعون	ذو الحجة	١ أمشير / ٢٦ يناير	ربيع الأول		الشتاء والربيع	الديار المصرية (٨)	
٢٩	٨٥٨هـ / ١٤٥٤م	طاعون	ربيع الأول	٥ برمهات / ١ مارس	جمادى الأولى		الربيع	صعيد مصر (٩)	
٣٠	٨٥٩هـ / ١٤٥٥م	طاعون	ربيع الأول	/ ٢ فبراير	جمادى الأولى		الشتاء والربيع	القاهرة (١٠)	
٣١	٨٦٤ هـ / ١٤٥٩م	طاعون	صفر	٣٠ هاتور/٢٧ نوفمبر	شعبان	٢٧ بشنس /٢٢مايو	الشتاء والربيع	أنحاء البلاد (١١)	طاعون وافد
٣٢	٨٧٣ هـ / ١٤٦٨م	طاعون	المحرم	٢٨ أبيب/٢٢ يوليو	شوال	١٩ برمودة / ١٤ أبريل	الصيف - الخريف - الشتاء - بداية الربيع	أنحاء البلاد (١٢)	

(١) السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ٦٨٩ .

(٢) السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ٧٧٩ .

(٣) السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، ص ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٩ ، نزهة ، جـ٣ ، ص ١٨٢ ، بدائع ، جـ٢ ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ .

(٤) بدائع ، جـ٢ ، ص ١٦٩ .(لم يرد ذكر لهذا الوباء عند كل منن المقريزى والصيرفى) .

(٥) ابن عربشاه : التأليف الطاهر ، ص ٢٣٥ ، نزهة ، جـ٣ ، ص ٤١٤ ، النجوم ، جـ١٥ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٥ .

(٦) السلوك ، جـ٤ ، ق٣ ، ص ١١٠٩ ، ١١٢٦ .

(٧) بدائع ، جـ٢ ، ص ٢٤١ .

(٨) بدائع ، جـ٢ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ابن عربشاه : التأليف الطاهر ، ص ٢٥٥ ، النجوم ، جـ١٥ ، ص٣٨٧ ، ٣٩٢ .

(٩) حوادث الدهور ، ص ٢٠٤ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ . .

(١١) حوادث الدهور ، ص ٣٣١ ، النجوم ، جـ١٦ ، ص ١٤٧

(١٢) حوادث الدهور ، ص ٧٠٦ ، بدائع ، جـ٣ ، ص ١٨ .

م	سنة الوباء	نوع الوباء	بداية الوباء بالتقويم الهجرى	بداية الوباء بالتقويم القبطى والميلادى	نهاية الوباء بالتقويم الهجرى	نهاية الوباء بالتقويم الميلادى	فصل الوباء	مكان انتشاره	ملاحظـات
٣٣	٨٨١هـ/١٤٧٦ - ١٤٧٧م	طاعون	رمضان	٢٢ كـهيك /١٨ ديسمبر ٧٦	كان مازال في ذى الحجة	٢١ برمـهات/١٧ مارس	الشتاء	فى البلاد (١)	
٣٤	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	طاعون	جمادى الأولى	٥ برمهات/١ مارس	اتجه إلى الصعيد فى شعبان	٤ بؤنة /٢٩ مايو	الربيع	أنحاء البلاد(٢)	طاعون وافد
٣٥	٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م	طاعون	المحرم	٢٦ بابه / ٢٣ أكتوبر			الخريف	القاهرة (٣)	
٣٦	٩٠٣هـ/١٤٩٨م	طاعون	جمادى الآخرة	٣٠ طوبة / ٢٥ يناير	تناقص فى رمضان	٢٨ برمـودة/٢٣ أبريل	الشتاء والربيع	الديار المصرية (٤)	طاعون وافد
٣٧	٩٠٤هـ/١٤٩٩م	طاعون	شعبان	١٨ برمـهات/١٤ مارس			الربيع	الديار المصرية (٥)	
٣٨	٩٠٩هـ/١٥٠٤م	طاعون	ذو القعدة	٢١ برمـودة/١٦ أبريل	ذو الحجة (٦)	١بؤنة / ١٤مايو	الربيع	الديار المصرية (٧)	
٣٩	٩١٠هـ/ ١٥٠٥م	طاعون	رمضان	١١ أمشير / ٥ فبراير	ذو الحجة	١٠ بشنس /٥مايو	الشتاء والربيع	القاهرة ولم يظهر بالصعيد (٨)	
٤٠	٩١٢ هـ/ ١٥٠٧م	طاعون	ذو الحجة	١٩ برمودة / ١٤ أبريل			الربيع	بلاد الصعيد(٩)	
٤١	٩١٨ - ٩١٩ هـ / ١٥١٣م	طاعون	ذو الحجة	١٣ أمشير / ٧ فبراير	ربيع الآخر	١٢ بؤنة / ٦ يونيو١٥١٣م	الشتاء والربيع	الإسكندرية ورشيد وبعض السواحل (١٠)	
٤٢	٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م	طاعون	ربيع الآخر	١ بؤنة / ٢٦ مايو			الربيع	الشرقية (١١)	

---

(١) بدائع ، جـ٣ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) بدائع ، جـ ٣ ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٩ .

(٣) بدائع ، جـ٣ ، ص ٢٩٤ .

(٤) بدائع ، جـ٣ ، ص ٣٩١،٣٨٦ .

(٥) بدائع ، جـ٣ ، ص ٤١١ .

(٦) يوضح ابن تغرى بردى أن الطعن استمر حتى دخل شهر بؤنة القبطى ، وهو يقابل ١٠ ذى الحجة .

(٧) بدائع ، جـ٤ ، ص ٦٣ .

(٨) بدائع ، جـ ٤ ، ص ٧٥ ، ٧٩ .

(٩) نفس المصدر ، ص ١٠٩ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٩٥ ، ٣١٨ .

(١١) نفس المصدر ، ص٣١٨ .

(جدول ٢٤)

أهم الأوبئة طبقا لفصول السنة

الفصل	الأوبئة	العدد	النسبة
الربيع	٧٨٨هـ - ٧٩٠ هـ - ٧٩١ هـ - ٨٠٨ هـ ٨٠٩ هـ - ٨١٥ هـ - ٨١٩ هـ - ٨٢٠ هـ ٨٢١ هـ - ٨٢٣ هـ - ٨٢٨ هـ - ٨٣١ هـ ٨٤٢ هـ -٨٤٧/٨٤٨ هـ - ٨٥٨ هـ - ٨٩٧ هـ ٩٠٤ هـ - ٩٠٩ هـ - ٩١٢ هـ - ٩٢٠ هـ	٢٠	٤٧,٦٢ %
الصيف	٨٢٧ هـ	١	٢,٣٨ %
الخريف	٨٠٠ هـ - ٨٠٢ هـ - ٨٩٨ هـ	٣	٧,١٤ %
الشتاء	٧٩٥هـ - ٨١٧/٨١٨ هـ - ٨٣٩ هـ - ٨٨١ هـ	٤	٩,٥٣ %
الشتاء والربيع	٨٢٢ هـ - ٨٣٣ هـ - ٨٤١ هـ - ٨٥٢/٨٥٣ هـ ٨٥٩ هـ - ٨٦٤ هـ - ٩٠٣ هـ - ٩١٠ هـ ٩١٨ / ٩١٩ هـ .	٩	٢١,٤٣%
أكثر من فصلين	٨٠٦ هـ / ٨٠٧ هـ - ٨١٣ هـ - ٨٧٣ هـ	٣	٧,١٤%
لم يذكر فصل حدوثه	٨١٠ هـ	١	٢,٣٨ %
اختلاف بين المؤرخين فى بداية انتشار الوباء	٧٩٧ هـ	١	٢,٣٨ %
		٤٢	١٠٠ %

(جدول ٢٥)

أسعار استبدال الدينار بالدرهم

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
ربيع الأول ٧٨٨		٢٠	إنباء الغمر، ج٢، ص٢٣١	
٢٠رمضان٧٨٩		٢٥	إنباء الغمر، ج٢، ص٢٦١	
٧٩٠ وما حولها		٢٠	صبح، ج٣، ٤٤٢	
	الأفرنتي	١٧	نفس المصدر والصفحة	
ربيع الأول ٧٩٠		٢٥	إنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٠	
ربيع الآخر ٧٩٦		٢٦,٥	النجوم، ج ٥، ص٥٦٠	
٧٩٨		٢٥	إنباء الغمر، ج ٣، ٢٨٦	قنطار الذهب = ١٠٠٠ دينار
٨٠١		٣٠	شذور العقود، ص٨٦	
		٣١-٣٣	إنباء الغمر، ج٤، ص٣	
شوال ٨٠١		٣٠	بدائع، ج١، ق٢، ص٥٤٠	
	الهرجة	٢٥	إنباء الغمر، ج٤، ص٣١	
	الإفرنتي	٢٠	نفس المصدر والصفحة	
ذو القعدة ٨٠١	الهرجة	٣٠	نفس المصدر والصفحة، بدائع ج١، ق٢، ص، ٥٤٣	
	الإفرنتي	٢٨	بدائع ج١، ٢، ص، ٥٤٣	
المحرم ٨٠٢	الدينار المصري	٣٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص٩٧٧	
	الإفرنتي	٢٥	نفس المصدر والصفحة	
المحرم ٨٠٣	المثقال	٣٠	نفس المصدر، ص١٠٢٧	
	الإفرنتي	٢٩	نفس المصدر والصفحة.	
جمادى الآخر ٨٠٣	الدينار	٣٩	نزهة، ج٢، ص٩٨ .	
	الأفلوري	٣٨	نفس المصدر والصفحة.	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
رمضان ٨٠٣	الدينار	٣٨	السلوك، ج٣، ق٣، ص ١٠٥٩	
	الإفرنتي	٣٥	نفس المصدر والصفحة.	
ذو الحجة ٨٠٣	الدينار المصرى	٤٠	نفس المصدر، ص١٠٧٠	
	الإفرنتي	٣٧	نفس المصدر والصفحة.	
المحرم ٨٠٤	الدينار المختوم	٣٦	نفس المصدر ، ص١٠٧٦ .	
	الإفرنتي	٣٤	نفس المصدر والصفحة.	
المحرم ٨٠٥	المثقال الهرجة	٥٠	نفس المصدر ، ص١٠٩١ .	
جمادى الآخرة ٨٠٥	الهرجة	٦٥	نزهة، ج ٢، ص١٥٨	
	الأفلورى	٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
شوال ٨٠٥	الهرجة	٦٠-٧٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٠٤	
	المشخص	٤٥-٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢٢ شوال ٨٠٥	المثقال المختوم	٦٠	نفس المصدر، ص١١٠٥	
	الإفرنتي	٤٥	نفس المصدر والصفحة .	
صفر ٨٠٦	الهرجة	٦٤	نزهة، ج٢، ص١٧٨	
	المشخص الأفلورى	أكثر من ٥٠	نفس المصدر والصفحة .	
أول ربيع الأول٨٠٦	الهرجة	٧٠	نفس المصدر، ص١٨٠	
	المشخص الأفلورى	٥٥-٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
ربيع الآخر٨٠٦	الدينار	٧٢	نفس المصدر ، ص١٨٢	
جمادى الأولى٨٠٦	الدينار	٧٣	نفس المصدر والصفحة .	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
	المشخص الأفلورى	٥٧	نفس المصدر والصفحة .	
شعبان ٨٠٦	الدينار المصرى	٩٠	نفس المصدر ، ص ١٨٦	
	الأفلورى	٧٠	نفس المصدر والصفحة .	
رمضان ٨٠٦	المثقال	٩٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٢٢	
	الإفرنتى	٧٠	نفس المصدر والصفحة.	
شوال ٨٠٦	المثقال	١٠٠	نفس المصدر ، ص١١٢٣ .	
	الإفرنتى	٧٥	نفس المصدر والصفحة.	
المحرم ٨٠٧	المثقال	٩٠	نفس المصدر، ص١١٣٠ .	
	الإفرنتى	٧٠	نفس المصدر والصفحة.	
صفر ٨٠٧	المثقال فى القاهرة	١١٠	بدائع، ج١، ق٢، ص٦٩٤ -السلوك، ج٣، ق٣، ١١٣١	
	المثقال فى الإسكندرية	٢٠٠	نفس المصدرين والصفحتين .	
جمادى الأولى ٨٠٧	المثقال	١٠٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٣٤	
	الإفرنتى	٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢٢شوال ٨٠٧	المثقال	١٠٠	نفس المصدر ، ص١١٥٥	بعد أن وصل إلى ١٣٠
	الأفرنتى	٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
ذوالقعدة ٨٠٧	المثقال	١٠٠	نفس المصدر ، ص ١١٥٦ .	
١٠ذى الحجة ٨٠٧	المثقال	٨٠	نفس المصدر ص١١٦٢ بدائع، ج١، ق٢، ص٧٢٠	بعد أن وصل إلى ١٣٠
	الإفرنتى	٦٠	السلوك، ج٣، ق٣، ص ١١٦٢ -بدائع، ج١، ق٢، ص٧٢٠	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
١٥ذى الحجة ٨٠٧	رسم ان يكون السعر على ما كان عليه قبل ١٠ ذى الحجة ٨٠٧ [١٠٠]			
المحرم ٨٠٨	المثقال	١٤٠	السلوك، ج٣، ق٣، ١١٧٠	
	الإفرنتى	١٢٠	نفس المصدر والصفحة .	
ربيع الأول ٨٠٨	المثقال	١٥٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٣ - بدائع، ج١، ق٢، ص٧٣٧	
	الإفرنتى	١٣٠	نفس المصدرين والصفحتين	
٢٧ربيع الأول ٨٠٨	المثقال	١٤٠	نفس المصدرين والصفحتين	
	الإفرنتى	١٢٠	نفس المصدرين والصفحتين	
١٨ربيع الآخر٨٠٨	المثقال	١٦٥	النجوم ، ج١٣، ص٤٣	
ذو الحجة ٨٠٨	المثقال	١٣٠	السلوك، ج٤، ق١، ص١٩	
أول المحرم ٨٠٩	المثقال	١٣٥	بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٧	
	الإفرنتى	١٢٥	نفس المصدر والصفحة .	
٢٨ المحرم ٨٠٩	المثقال	١٥٠	بدائع، ج١، ق٢، ص٧٦٠	بعد أن كان ١٣٠
١٥ شعبان ٨٠٩	المثقال	١٢٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٤٠ - بدائع، ج١، ق٢، ص٧٦٧	
	الإفرنتى	١٠٠	السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٠	بعد أن كان ١٣٥
المحرم ٨١٠	الدينار المشخص	١٤٠	نفس المصدر ص٥٠ -٥١، بدائع، ج١، ق٢، ص٧٧٦	
٦رمضان ٨١١	المثقال	١٧٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٨٢	
شوال ٨١١	المثقال	١٠٠	نفس المصدر، ص٨٤ .	
٤ذى القعدة ٨١١	المثقال	١٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الإفرنتى	٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢١ذى القعدة ٨١١	المثقال الهرجة	١٢٠	نفس المصدر، ص٨٥ .	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
	المشخص	١٠٠	نفس المصدر والصفحة.	
	الناصرى	١٠٠	نفس المصدر والصفحة.	
المحرم ٨١٢	الهرجة	١٦٠	نفس المصدر، ص٩١	
جمادى الآخرة ٨١٢	الدينار	٢٠٠	نزهة، ج٢، ص٢٦٠	
	الأفلورى	١٨٥	نفس المصدر ، ص٢٦١	
المحرم ٨١٣	المثقال	١٨٠	السلوك، ج٤، ق١، ص١٣١	
	المشخص	١٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢٣صفر ٨١٣	المثقال	٢٠٠	نفس المصدر، ١٣٣	
	المشخص	١٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
٩ربيع الأول ٨١٣	المثقال	٢٠٠	نزهة، ج٢، ص٢٦٤	
	الأفلورى	١٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
ذو الحجة ٨١٣	الإفرنتى	٢٠٠	السلوك، ج٤، ق١، ص١٦٥	
	الهرجة	٢٢٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
شوال ٨١٤	المثقال	٢٣٠	نفس المصدر ، ص١٩٣،	
	الهرجة		نزهة، ج٢، ص٢٨٩	
	الناصرى	٢٠٠	نفس المصدرين والصفحتين	
	الإفرنتى	٢١٠	نفس المصدرين والصفحتين	
٢٢ ذى الحجة ٨١٤	الهرجة	٢٤٠	نزهة، ج٢، ٢٩٤	
	الناصرى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢٤ ذى الحجة ٨١٤	الناصرى	٢٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الإفرنتى	٢٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
أوائل ٨١٥	المثقال	٢٤٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٢٠٤	
	الهرجة			
	الإفرنتى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	

التــاريخ	نـــوع العمــلة	القيمة بالدرهم	المصـــــدر	ملاحظــات
المحرم ٨١٦	الهرجة	٢٥٠	السيف المهند، ص٣١٥	
	الإفرنتي	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
المحرم ٨١٧	الهرجة	٢٥٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٢٨٠.	
	الإفرنتي	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
صفر ٨١٨	الناصرى	٢٠٠	نزهة، ج٢، ص٣٤٨	
٢٤صفر ٨١٨	المثقال الهرجة	٢٥٠	السلوك، ج٤، ق١، ٣٠٧	
	الإفرنتي	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
١٦ربيع الأول	الناصرى	١٨٠	نفس المصدر، ٣١٢، ٣١٨	
رجب ٨١٨	المثقال	٢٥٠	النجوم، ج ١٤، ص٤٠	
	الإفرنتي	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	١٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
ذو القعدة ٨١٨	المثقال	٢٧٠	الســـــلوك، ج٤، ق١ ، ص٣٣٥	
	الإفرنتي	٢٥٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
ذو الحجة ٨١٨	المثقال	٢٦٠- ٢٨٠	النجوم، ج١٤، ص٤٠، الســـلوك، ج٤، ق١، ص ٣٣٥ ثم تم النداء ٢٥٠	
	الناصرى	٢١٠	النجوم، ج١٤، ص ٤٠، السلوك، ج٤، ق١، ٣٣٥	
	الإفرنتي	٢٣٠- ٢٦٠	الســـــلوك، ج٤، ق١، ص٣٣٥.	
المحرم ٨١٩	الإفرنتي	٢٥٠	نفس المصدر ، ص٣٤٤	
	الناصرى	٢٠٠	نفس المصدر والصفحة .	
ربيع الأول٨١٩	الهرجة	٢٣٠	نزهة، ج٢، ص٣٦٨	انخفض من٢٨٠ إلى ٢٣٠

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
	الناصرى	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الإفرنتى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
١٢ربيع الآخر ٨١٩	المثقال	٢٨٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٣٥٤	
	الإفرنتى	٢٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
٢١ربيع الآخر ٨١٩	المثقال	٢٥٠	نفس المصدر، ص٣٥٦	
	الإفرنتى	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
جمادى الآخرة ٨١٩	المثقال الهرجة	٢٧٠	نفس المصدر ، ص٣٦٠	
	الإفرنتى	٢٥٢	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	٢٤٠	نفس المصدر والصفحة .	
١٨ رجب ٨١٩	الهرجة	٢٥٠	نفس المصدر، ٣٦٣ - بدائع، ج٢، ص٢٨	
	الإفرنتى	٢٣٠	السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٦٣ ، بدائع، ج٢، ص٢٨	
٩ رمضان ٨١٩	الإفرنتى	٢٣٠	السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٦٦	
المحرم ٨٢٠	المثقال	٢٥٠	بدائع، ج٢، ص٣٠ - السلوك، ج٤، ق١، ص٣٨١	
	الإفرنتى	٢٣٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٣٨١	
١٠صفر ٨٢٠	الدينار المختوم	٢٥٠	نفس المصدر والصفحة	كان ب ٢٨٠
	الإفرنتى	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة	كان ب ٢٦٠
آخر ذى القعدة ٨٢٠	الدينار	٢٨٠	نزهة، ج٢، ص٤٠٠	
	الإفرنتى	٢٦٠	نفس المصدر والصفحة .	
ذو الحجة ٨٢٠	الدينار	٢٦٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٤٣٧	
١٠صفر ٨٢١	المثقال	٢٣٠	نفس المصدر ، ص٤١٠	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
	الأفلورى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
١٦صفر ٨٢١	الدينار المختوم	٢٣٠	السلوك، ج٤، ق١، ٤٣٧	
	الإفرنتى	٢٥٠	نفس المصدر والصفحة .	
١١ربيع الأول ٨٢١	الدينار	٢١٠	نفس المصدر، ص٤٤٠	
١٤ ربيع الأول ٨٢١	الدينار	١٧٠	نفس المصدر ، ص٤٣٩ .	
٨شعبان ٨٢١	الإفرنتى	٢١٠	نفس المصدر، ص٤٠٥ .	
المحرم ٨٢٣	الدينار المصرى	٢٣٠	نزهة، ج٢، ص٤٨١	
	الأفلورى	٢١٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الناصرى	١٧٥	نفس المصدر والصفحة .	
فى الفترة من٨٢٥ إلى ٨٢٧ هـ	الدينار المصرى.	٢٥٠ درهما	نزهة ج٣، ص٥٦	ظل سعر الدينار المصرى ثابتا عند ٢٥٠ درهما.
١٨صفر ٨٢٥	الإفرنتى	٢٢٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٦٠٣ .-النجوم، ج١٤، ص ٢٢٦.	
٢١ذى الحجة ٨٢٦	الإفرنتى	٢٢٠	السلوك، ج٤، ق١، ص٦٤٨.	
٨٢٨	المثقال الهرجة	٢٧٠	نزهة، ج٣، ص٦٩ .	
	الإفرنتى	٢٢٥	السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٧٨.	
ربيع الأول ٨٢٩	"	٢٢٠	نفس المصدر، ٧١٢	
شوال ٨٣١	الدينار الأشرفى	٢٢٥	إنباء الغمر، ج٣، ص٤٠٦.	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
١٠ شوال ٨٣٢	الدينار	٢٦٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٠٥.	
نهاية صفر ٨٣٣	الأشرفى	٢٣٥	النجوم، ج١٤، ص٣٥٢.	
	الإفرنتى	٢٣٠	نفس المصدر والصفحة .	
ربيع الأول٨٣٣	الأشرفى	٢٨٠	نفس المصدر والصفحة .	
	الإفرنتى	٢٧٠	نفس المصدر والصفحة .	
صفر ٨٣٤	الأشرفى	٢٣٥ بعد ٢٨٠	بدائع، ج١٢ ، ص١٣٧، . السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٥٢ . نزهة، ج٣، ص٢١٨	
	المشخص	٢٣٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٥٢ . نزهة، ج٣، ص٢١٨	انحط السعر ٥٠ درهما .
٤ربيع الأول ٨٣٤	الأشرفى	٢٨٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٥٣ -نزهة، ج٣، ص٢١٨.	
	الإفرنتى	٢٧٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٥٣-	
جمادى الآخرة ٨٣٦	الأشرفى	٢٨٠	النجوم، ج١٤، ص٣٦٩	
أول عام ٨٣٧	الأشرفى	٢٨٥	نزهة، ج٣، ص٢٧١	
صفر ٨٣٨	الأشرفى	٢٥٠	السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٣١.	
٧ذى الحجة ٨٤٣	الأشرفى	٢٨٥	النجوم، ج١٥، ص٣٤٠ .	
١٧ ربيع الأول ٨٥٦	الظاهرى والأشرفى	٢٨٥	نفس المصدر، ص٤٤٠ .	
ذو القعدة ٨٥٦	الأشرفى	٣٢٠	حوادث الدهور، ص١٣٥	
ربيع الأول ٨٥٧	الأشرفى	٢٨٠	نفس المصدر، ص١٧٤	
جمادى الأول ٨٥٧	الأشرفى والظاهرى	٢٨٥	نفس المصدر، ص١٨٦	

التاريخ	نوع العملة	القيمة بالدرهم	المصدر	ملاحظات
أول ذى القعدة ٨٥٧	الأشرفى	٣٣٥	نفس المصدر، ص١٩٦	
	المنصورى	٢٩٥	نفس المصدر والصفحة .	
ذو الحجة ٨٥٧	الأشرفى	٣٢٠	نفس المصدر، ص١٩٩	
جمادى الآخرة ٨٥٨	الأشرفى	٣٢٠ بعد ٣٥٠	نفس المصدر، , ص٢٠٨	
رجب ٨٥٨	الأشرفى	٣٥٠	نفس المصدر، ص٢٠٩	
المحرم ٨٥٩	الأشرفى	٣٧٠	بدائع، ج٢، ص٣٢٢ .	
رمضان ٨٦٠	الدينار	٣٦٠	حوادث، ص٢٧٦	
المحرم ٨٦١	الدينار	٣٠٠ بعد ٣٧٠ - ٣٧٥	بدائع، ج٢، ص٣٣٦ ـ حوادث الدهور، ص٢٩١ . النجوم، ج١٦، ص٩٩ .	
١٨ربيع الأول ٨٦١	الدينار	[illegible]٠٠	النجوم، ج١٦، ص١٠٤ .	
أول ربيع الأول ٨٦٢	الدينار	٣٠٠ بعد ٤٦٠	نفس المصدر، ص ١١٥ . بدائع، ج٢، ص٣٤٤. حوادث الدهور، ص٣١١ .	
٩٠٣	الدينار	٤٢٠	بدائع، ج٣، ص٣٩٥ .	

(جدول ٢٦)

متوسط أسعار استبدال الدينار بالدرهم

السنة	سعر استبدال الدينار على مدى العام								متوسط سعر الاستبدال
٧٨٤	٢٠								٢٠
٧٨٥	٢٠								٢٠
٧٨٦	٢٠								٢٠
٧٨٧	٢٠								٢٠
٧٨٨	٢٠								٢٠
٧٨٩	٢٥								٢٥
٧٩٠	٢٠	٢٥							٢٢,٥
٧٩١									
٧٩٢									
٧٩٣									
٧٩٤									
٧٩٥									
٧٩٦	٢٦,٥								٢٦,٥
٧٩٧									
٧٩٨	٢٥								٢٥
٧٩٩									
٨٠٠									
٨٠١	٣٠	٣٢	٣٠	٢٥	٣٠				٢٩,٤
٨٠٢									
٨٠٣	٣٠	٣٩	٣٨	٤٠					٣٦,٧٥
٨٠٤	٣٦								٣٦
٨٠٥	٥٠	٦٥	٦٥	٦٠					٦٠
٨٠٦	٦٤	٧٠	٧٢	٧٣	٩٠	١٠٠			٧٩,٨٦
٨٠٧	٩٠	١١٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٨٠	١٠٠		٩٧,١٤
٨٠٨	١٤٠	١٥٠	١٤٠	١٦٥	١٣٠				١٤٥
٨٠٩	١٣٥	١٥٠	١٢٠	.					١٣٥

السنة	سعر استبدال الدينار على مدى العام								متوسط سعر الاستبدال
٨١٠									
٨١١	١٧٠	١٠٠	١٠٠	١٢٠					١٢٢,٥
٨١٢	١٦٠	٢٠٠							١٨٠
٨١٣	١٨٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٢٠					٢٠٠
٨١٤	٢٣٠	٢٤٠							٢٣٥
٨١٥	٢٤٠								٢٤٠
٨١٦	٢٥٠								٢٥٠
٨١٧	٢٥٠								٢٥٠
٨١٨	٢٥٠	٢٥٠	٢٧٠	٢٧٠					٢٦٠
٨١٩	٢٨٠	٢٣٠	٢٨٠	٢٥٠	٢٧٠	٢٥٠			٢٦٠
٨٢٠	٢٥٠	٢٨٠	٢٥٠	٢٨٠	٢٦٠				٢٦٤
٨٢١	٢٣٠	٢٣٠	٢١٠	١٧٠					٢١٠
٨٢٢									
٨٢٣	٢٣٠								٢٣٠
٨٢٤	٢٣٠								٢٣٠
٨٢٥	٢٥٠								٢٥٠
٨٢٦	٢٥٠								٢٥٠
٨٢٧	٢٥٠								٢٥٠
٨٢٨	٢٧٠								٢٧٠
٨٢٩	٢٢٠								٢٢٠
٨٣٠									
٨٣١	٢٢٥								٢٢٥
٨٣٢	٢٣٠	٢٦٠							٢٤٥
٨٣٣	٢٣٥	٢٨٠							٢٥٧,٥
٨٣٤	٢٨٠	٢٣٥	٢٨٠						٢٦٥
٨٣٥									
٨٣٦	٢٨٠								٢٨٠
٨٣٧	٢٨٥								٢٨٥
٨٣٨	٢٥٠								٢٥٠

السنة	سعر استبدال الدينار على مدى العام									متوسط سعر الاستبدال
٨٣٩										
٨٤٠										
٨٤١										
٨٤٢										
٨٤٣	٢٨٥									٢٨٥
٨٤٤										
٨٤٥										
٨٤٦										
٨٤٧										
٨٤٨										
٨٤٩										
٨٥٠										
٨٥١										
٨٥٢										
٨٥٣										
٨٥٤										
٨٥٥										
٨٥٦	٢٨٥	٣٢٠								٣٠٢,٥
٨٥٧	٢٨٠	٢٨٥	٣٣٥	٣٢٠						٣٠٥
٨٥٨	٣٥٠	٣٢٠	٣٥٠							٣٤٠
٨٥٩	٣٧٠									٣٧٠
٨٦٠	٣٦٠									٣٦٠
٨٦١	٣٧٠	٣٠٠	٤٠٠							٣٥٦
٨٦٢	٤٦٠	٣٠٠								٣٨٠
٨٦٣										
٨٦٤										
٨٦٥										
٨٦٦										
٨٦٧										

السنة	سعر استبدال الدينار على مدى العام								متوسط سعر الاستبدال
٨٦٨									
٨٦٩									
٨٧٠									
٨٧١									
٨٧٢									
٨٧٣									
٨٧٤									
٨٧٥									
٨٧٦									
٨٧٧									
٨٧٨									
٨٧٩									
٨٨٠									
٨٨١									
٨٨٢									
٨٨٣									
٨٨٤									
٨٨٥									
٨٨٦									
٨٨٧									
٨٨٨									
٨٨٩									
٨٩٠									
٨٩١									
٨٩٢									
٨٩٣									
٨٩٤									
٨٩٥									
٨٩٦									

السنة	سعر استبدال الدينار على مدى العام								متوسط سعر الاستبدال
٨٩٧									
٨٩٨									
٨٩٩									
٩٠٠									
٩٠١									
٩٠٢									
٩٠٣	٤٢٠								٤٢٠
٩٠٤									
٩٠٥									
٩٠٦									
٩٠٧									
٩٠٨									
٩٠٩									
٩١٠									
٩١١									
٩١٢									
٩١٣									
٩١٤									
٩١٥									
٩١٦									
٩١٧									
٩١٨									
٩١٩									
٩٢٠									
٩٢١									
٩٢٢									
٩٢٣									

(جدول ٢٧)

أسعار مبادلة الدراهم الفضة بالدراهم الفلوس

التاريخ	نوع الدرهم	القيمة بالدرهم الفلوس	المصدر
٨٠٦	الدرهم المعاملة	٥	إغاثة، ص٧٧
المحرم ٨٠٩	درهم كاملى	٥	بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٧
المحرم ٨١٠	درهم كاملى	٥	بدائع، ج١، ق٢، ص٧٧٦ -السلوك، ج٤، ق١، ص ٥١
المحرم ٨١٣	درهم نقرة	١٢	السلوك، ج٤، ق١، ص١٣١
٩ربيع الأول ٨١٣	الدرهم الحجر الدرهم المسكوك	١٢ ٦	نزهة، ج٢، ص٢٦٤ . نزهة، ج٢، ص٢٦٤ .
ذو الحجة ٨١٣	الفضة التى لم تغش	١٣	السلوك، ج٤، ق١، ص١٦٥
صفر ٨١٨	الدرهم الكاملى	٢٤	السلوك، ج٤، ق١، ٣٠٦
٢٤ صفر ٨١٨	النصف المؤيدى	٩	السلوك، ج٤، ق١، ٣٠٧
	الدرهم المؤيدى	١٥	السلوك، ج٤، ق١، ٣٠٧
ربيع الأول ٨١٨	النصف المؤيدى	٩	السيف المهند، ص٣٣٢ -نزهة، ج٢، ص٣٤٩
	الدرهم المؤيدى	١٨	السيف المهند، ص٣٣٢ - نزهة، ج٢، ص٣٤٩
	الدراهم البندقية (وزن ½+١/٨)	١٢	السلوك، ج٤، ق١، ص٣١١
	الدرهم البندقى	١٢	شذور العقود، ٨٧
المحرم ٨١٩	النصف المؤيدى	٩	النجوم، ج١٤، ص٤٠
١٨ رجب ٨١٩	النصف المؤيدى	٨	السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٦٣ -بدائع، ج٢، ٢٨
٩ رمضان ٨١٩	النصف المؤيدى	٨	السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٦٦

التاريخ	نوع الدرهم	القيمة بالدرهم الفلوس	المصدر
المحرم ٨٢٠	النصف المؤيدى	٨	السلوك، ج٤، ق١، ص ٣٨١
آخر ذى القعدة ٨٢٠	النصف المؤيدى	٩	السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٢٧
١٠صفر ٨٢١	النصف المؤيدى	٧	نزهة، ج٢، ص٤١٠ .
٨شعبان ٨٢١	النصف المؤيدى	٧	السلوك، ج٤، ق١، ص٤٥٥
صفر ٨٢٥	النصف المؤيدى	١٠	بدائع، ج٢، ص ٧٨- السلوك، ج٤، ق١،ص٦٠٣ النجوم، ج١٤، ص ٢٢٦
صفر ٨٣٤	الدرهم الأشرفى	٢٠	نزهة، ج٣، ص٢١٧ .
٤ربيع الأول ٨٣٤	الدراهم القرمانية والنكية والقبرسية	١٦	السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٥٢ نزهة، ج٣، ص ٢١٨
٧ذى الحجة ٨٤٣	الدرهم الأشرفى	٢٠	النجوم، ج١٥، ص٣٤٠
	" الظاهرى	٢٤	النجوم، ج١٥، ص٣٤٠
٩ جمادى الأولى ٨٥٤	" الأشرفى	٢٠	التبر المسبوك، ص٣٠٧ .
	" الظاهرى	٢٤	التبر المسبوك، ص٣٠٧ .
أول ربيع الأول ٨٦٢	" المغشوش	١٦	النجوم، ج١٦، ص١١٥ .
	" الإينالى	٢٤	النجوم، ج١٦، ص١١٥ .
رجب ٨٨١	النصف الفضة	١٨	بدائع، ج٣، ص١٢١ .
٩٠٣	النصف الفضة	١٤	بدائع، ج٣، ص٣٨٨ .
رمضان ٩١٩	النصف الفضة	١٢	بدائع، ج٤، ص٣٣٩ .

(جدول ٢٨)

أسعار الرطـــــل من الفلوس

التاريـــخ	نوع الرطل	القيمة بالدرهم الفلوس	المصـــــــدر
٨٠٦	الرطل مـــن الفلوس	٦	شذور العقود، ص ٨٧
	القنطـــار =١٠٠ رطل مصرى	٦٠٠	إغاثة، ص٧٦
شوال ٨٠٧	الرطل مـــن الفلوس	٦	بدائع، ج١، ق٢، ص٧١٥ كانت القفــة =٥٠٠ درهم السلوك، ج٣، ق٣، ١١٥٥
١٠ذى الحجة ٨٠٧	الرطل	٤	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٦١بدائع، ج١، ق٢، ٧٢٠
المحرم ٨٠٨	الرطل	٦	السلوك، ج٣، ق٣، ص١١٧٠
أول المحـــرم ٨٠٩	الرطل	٦	" بدائع، ج١، ق٢، ص٧٥٧
أول المحـــرم ٨١٣	الرطل	٦	السلوك، ج٤، ق١، ١٣١
٢٣صفـــــر ٨١٣	الرطل	١٢	السلوك، ج٤، ق١، ١٣٣
٢٥صفـــــر ٨١٣	الرطل	٩	السلوك، ج٤، ق١، ١٣٣
٢٧صفـــــر ٨١٣	الرطل	٦	السلوك، ج٤، ق١، ١٣٤
ذو الحجـــة ٨١٣	الرطل	٦	السلوك، ج٤، ق١، ١٦٥ – ١٦٦
ذو الحجـــة ٨١٤	الرطل	١٢	شذور العقود، ص٨٧
١٦ذى القعدة ٨١٤	الرطل	١٢	نزهة، ج٢، ص٢٨٩

التاريخ	نوع الرطل	القيمة بالدرهم الفلوس	المصدر
٢٧ ذى القعدة ٨١٤	الرطل	٦	نزهة، ج٢، ص ٢٩٢
صفر ٨١٨	الرطل	٦	السلوك، ج٤، ق١، ٣٠٦
١٨رجب ٨١٩	الرطل	٥,٥	السلوك، ج٤، ق١، ٣٦٣ -بدائع، ج٢، ص٢٨
٩ رمضان ٨١٩	الرطل	٥,٥	السلوك، ج٤، ق١، ٣٦٦ -نزهة، ج٢، ص٣٨٣
المحرم ٨٢٠	الرطل	٦	نزهة، ج٢، ص٣٨٣ - السلوك، ج٤، ق١، ٣٨١
آخر ذى القعدة ٨٢٠	الرطل	٦	نزهة، ج٢، ص٣٨٣ - السلوك، ج٤، ق١، ٣٨١
١٨صفر ٨٢٦	الرطل الخالى من الحديد والنحاس	٧	السلوك، ج٤، ق٢، ٦٣٠
	الرطل القطع	٥	السلوك، ج٤، ق٢، ٦٣٠
٢٨ رمضان ٨٢٦	الرطل المنقى(الخالى من الحديد)	٩	السلوك، ج٤، ق٢، ص ٦٤٢
٢٦ذى القعدة ٨٢٨	الرطل	١٢	السلوك، ج٤، ق٢، ص ٦٩٨
٨ربيع الآخر ٨٣٢	الرطل	١٨	نزهة، ج٣، ص١٤٧ .السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٩٤
١٧ شعبان ٨٣٨	الرطل	١٨	نزهة، ج٣، ص٣١٦ .
٢٥ جمادى الآخر ٨٥٢	الرطل	٣٦	حوادث الدهور، ص٣٤
ربيع الآخر ٨٥٤	الرطل	٣٦ بعد ٤٢	التبر المسبوك، ص٣٠٧

التاريخ	نوع الرطل	القيمة بالدرهم الفلوس	المصدر
٢٨ ذى الحجة ٨٥٤	الرطل	٣٦	التبر المسبوك، ص ٣٢٥
٢٤ شوال ٨٦٦	الفلوس العتق	٢٥	حوادث الدهور، ص٤٢٩
٢٤ ذى الحجة ٨٦٩	الفلوس العتق	٣٠	حوادث الدهور، ص٥٠٣ .
١٩ ربيع الأول ٨٧٠	الرطل من القلوس الجدد	٣٦	حوادث الدهور، ص٥١٠
٨ صفر ٨٧٣	الرطل من القلوس الجدد	٢٤	حوادث الدهور، ص٦٧٥ . بدائع، ج٣، ص٢٠
ذى الحجة ٨٧٩	الرطل من القلوس الجدد	٣٦	بدائع، ج٣، ص١٠٥
	العتق	٢٤	بدائع، ج٣، ص١٠٥ .
رمضان ٨٨١	الرطل	٣٦	بدائع، ج٣، ص١٢١ .
رمضان ٨٨٦	الرطل من الغلوس العتق والجدد	٣٦	بدائع، ج٣، ص١٨٩
ذى الحجة ٩١٧	الرطل من الغلوس العتق والجدد	١٨	بدائع، ج٤، ص٢٥١
شعبان ٩١٩	الرطل	كان بثلاثة أنصاف (٣٦) فنودى عليه بنصفين(٢٤)	بدائع، ج٤، ص٣٣٨ -٣٣٩ .

(جدول ٢٩)

الأسواق والسويقات خارج باب زويلة

الخطط ، ج٢ ، من ص ١٠٠-١٠٧

م	اسم السوق	نشاط السوق	حالة السوق بعد أزمة ٨٠٦هـ
١	سويقة أمير الجيوش	حوانيت الرفائين والحباكين والخياطين والبزازين والخلعيين	خرب أكثر هذه الحوانيت في سنى المحنة وما بعدها
٢	سوق الجملون الصغير	بزازون(يبيعون ثياب الكتان)-خياطون - البابية(لغسل الثياب وكيها) الضببيون	خرب هذا السوق
٣	سوق المحاريين	عمل المحاير التي يسافر فيها إلي الحجاز	ـــــ
٤	الصاغة	كانت مطبخا للقصر الفاطمي	ـــــ
٥	سوق الكتبيين	لبيع الكتب	دثر
٦	سوق الصنادقيين	فيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب- كان فيه عدة طباخين	فيه بقية
٧	سوق الحريريين	عرف في زمن المقريزى بالحريريين والشرابيين وعرف بعضه بسوق الزجاجين	ـــــ
٨	سوق العنبريين	لبيع العنبر	قل ترفه أهل مصر عن استعمال الكثير من العنبر ، فطرق هذا السوق ما طرق غيره من أسواق البلد
٩	سوق الخراطين	لبيع المهد الذي يربي فيه الأطفال وحوانيت	تلاشي هذا السوق

م	اســـم الســـوق	نشاط الســـوق	حالةالسوق بعد أزمة٨٠٦هـ
			(أي أنها لم تعد عامرة)
٣٠	سويقة السنابطة	....	أدركتها عامرة
٣١	سويقة العرب	....	خراب يسكنها اليوم
٣٢	سويقة العزي	....	عامرة بعمارة ما حولها
٣٣	سويقة العياطين	....	ـــــ
٣٤	سويقة العراقيين	....	ـــــ

(جدول ٣٠)

الأسواق في " القصبة "

الخطط ، ج٢ ، ص ٩٤-١٠٠

م	اسم السوق	نشاط السوق	حالة السوق بعد أزمة٨٠٦ هـ
١	سوق باب الفتوح	اللحوم والخضراوات	فيه بقية صالحة
٢	سوق المرحلين	رحلات الجمال وأقتابها	خرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقي منه ولم يبق فيه سوي القليل
٣	سوق خان الرواسين	المآكل	اختل وتلاشي أمره
٤	سوق حارة برجوان	اللحوم-الزيت-الجبن	تعطل بأسره
٥	سوق الشماعين	الشموع	لم يبق به إلا نحو الخمسة حوانيت بعدما كانت تزيد علي عشرين حانوتاً
٦	سوق الدجاجين	الدجاج والأوز والعصافير	بقي بهذا السوق بقية قليلة
٧	سوق بين القصرين	كان أعظم أسواق الدنيا	فيه الآن بقية تحزنني رؤيتها إذ صارت إلي هذه القلة .
٨	سوق السلاح	لبيع القسى والنشاب وآلات السلاح	ـــــ
٩	سوق القفصيات	الخواتم والفصوص وأساور النساء والخلاخيل	ـــــ
١٠	سوق باب الزهومة	مآكل	فيه بقايا .
١١	سوق المهمازيين	مهاميز الخيول	تغير نشاط هذا السوق ولم يعد إنتاجه من الذهب والفضة
١٢	سوق اللجميين	آلات اللجم	بعد أزمة ٨٠٦هـ غلب علي التلس الفقر فقلت سروج الذهب والفضة .
١٣	سوق الجوخيين	بيع الجوخ	ازداد نشاطه بعد أن صار معظم الناس يلبسون الجوخ

م	اسم السوق	نشاط السوق	حالة السوق بعد أزمة ٨٠٦ هـ
١٤	سوق الشرابشيين	يباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء	منع الناس من بيع هذا الصنف إلا للسلطان
١٥	سوق الحوائصيين	تباع فيه الحوائص	في أيام الملك المؤيد شيخ ، قل توزيع الحوائص علي الأمراء
١٦	سوق الحلاويين	بيع الحلاوة	بقي منه بقية غير طائلة
١٧	سوق الشوايين	الشواء	قل نشاطه

(جدول ٣١) القرى المصرية التى تغيرت عبرتها فى عصر الجراكسة

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
الضواحى	(٢) من ٢٠					
ر شبرى	٦٣٨,٥	٢٠	٤٥٠٠	٢٢٥٠	٢٢٥٠	٧
أمرا	-	-	١١٨٥٠	١٠٣٠٠	١٥٥٠	٧
					٣٨٠٠	
أعمال القليوبية		(١٣) من ٥٩			٥٠٠	٩
رة	١٥٠	٧	١٠٠٠	٥٠٠	١٤٠٠	٩
ع	٦١٢		٢٨٠٠	١٤٠٠	٢٤٠٠	٩
شلقان	لم تمسح		٢٤٠٠	الأن قطعها البحر الأعظم	٢٥٠٠	٩
القريطيين	لم تكتب لها مساحة		٥٠٠٠	٢٥٠٠	٦٢٥٠	١٠
رس ومنى جعفر	٥١٤١	٣٤٨	١٥٠٠٠	٨٧٥٠	+ ٤٠٠٠	١١
	١٠٢٤	٤٠	٨٠٠٠	١٢٠٠٠	٦٠٠٠	١١
ن	٢٩٠٠	٤٧,٧٥	١٨٠٠٠	١٢٠٠٠	٢٤٠٠	١١
هارس	١٣٧٦	٤٩,٥	٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٨٠٠	١١
وجزيرتها	١٧٩٠	٥٨	٥٦٠٠	٢٨٠٠	٢٥٠٠	١٣
رخا	٥٨٤	٣٥,٥	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٤٠٠٠	١٣
رزوق	٣٢٣٤	١٤٢	١٢٠٠٠	٨٠٠٠	١٣٥٠	١٣
عاصم	٦٥٢	٢٠	٢٧٠٠	١٣٥٠	٤٥٠٠	١٣
السدر وبمنائلث كفرها	٢١٩٠	٥٧	٩٠٠٠	٤٥٠٠	٩٠٠٠	١٣
ال الشرقية	(٦١) من ٣٨٠					
وأبو قراميط ومنية نعمة	١٥٩٠	٥٢	٣٥٥٠	١٠٠٠	٢٥٥٠	١٤
يال	٤١٣	-	١٣٠٠	٦٥٠	٦٥٠	١٤
ن والأنعام كفرها	٢١٥٠	٥٩	١٤٠٠٠	٧٠٠٠	٧٠٠٠	١٤
	١٨٣٥	-	٧٢٠٠	٥٠٠٠	٢٢٠٠	١٥
	١٣٠٨	-	١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	١٥
	٥٤٢	٤	١٠٠٠	٧٠٠	٣٠٠	١٦
وكفورها	٢٧٧٧	١٣١	١٣٠٠٠	٥٠٠٠	٨٠٠٠	١٦
بية	٥٥٠	٤١	١٤٠٠	٧٠٠	٧٠٠	١٧
ون من كفور العلاقمة	١٤٩٠	٦٠	٤٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٠	١٨،١٧
ين	٣٧٨	-	١٢٠٠	٤٠٠	٨٠٠	١٨
وهى رملة بنها	١٢٩٣	٧٥	٤٨٠٠	٢٥٠٠	٢٣٠٠	١٨
ت	١٣٢٥	٦٣	٩٠٠٠	٤٥٠٠	٤٥٠٠	١٨
رية	٦٨٥	٥٦	١٥٠٠	١٠٠٠	٥٠٠	١٩
س من كفور سلمون	٥٢٧	٣٠	٢٨٠٠	١٤٠٠	١٤٠٠	٢٠
ن	٢٠٨٢	٥٤	٧٠٠٠	٢٠٠٠	٥٠٠٠	٢٠
لد	١٠٩٤	٤٩	١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	٢٠
	٧٣٠	٦١	٢٢٠٠	١٠٠٠	١٢٠٠	٢٠
مشير	١٩٧٧	٨٤	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٢١
ن	٢٥٧٨	١٠٠	٨٠٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠	٢١
لة	١٢٠٠	٧٥	٥٧٠٠	٤٠٠٠	١٧٠٠	٢٢
بة	٢٨٤	٢١	٧٠٠	٤٠٠	٣٠٠	٢٢
ن	١١١٩	٥٢	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٢٢
ر	٤٦٥	-	١٠٠٠	وهى الأن خراب	١٠٠٠	٢٣
	١٥٩٩	٧٣	٧٥٠٠	٥٥٠٠	٢٠٠	٢٤
ط	٢٠٥٤	٩٧	٣٥٠٠	١١٥٠	٢٣٥٠	٢٤
	١٥٢٥	١٠٨	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٢٥
يل	١١٩٤	٦٤	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٢٥
ا	٨٢٤,٥	٥٢	٣٥٠٠	١٧٥٠	١٧٥٠	٢٦
مارة	٧١٢	٧٧	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	٢٧
المنديد	١٤٥٤	٥٠	٣٤٠٠	١٧٠٠	١٧٠٠	٢٨
	١٥٠٠	-	٢٥٠٠	١٥٠٠	١٠٠٠	٢٩
مى وأم الفقيه سليمان	٢٦٠٠	٤٤	٥٧٦٠	٣٠٠٠	٢٧٦٠	٢٩

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
دروى	١٠٣٤	٦١	٣٥٠٠	٣٠٠٠	٥٠٠	٣٠
زبلة	١١٤٠	٤٣	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٣١
سرنجا	١١٣٠	٦٥	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٣١
سنبوا مقام	١٥٠٨	١٢٦	٢٦٤٠	٢٠٠٠	٦٤٠	٣٢
سنهوت ومنية صفى	٢٩٠٠	٢٢٩	٥٢٠٠	٢٦٠٠	٢٦٠٠	٣٢
شبرى الخمارة	١٣٤٢	٨٢	٣٥٠٠	٨٧٥	٢٦٢٥	٣٣
شبرى النخلة "شبرى اللوق"	١٩٥٥	١٠٠	٨٥٠٠	٦٣٧٥	٢١٢٥	٣٣
شبرى صورة	٩٦٦	٧٦	٣٠٠٠	٢٢٥٠	٧٥٠	٣٣
شبرى مقمص	١٣٢٧	٨	٤٥٠٠	٢٢٥٠	٢٢٥٠	٣٤
شنبارة المامونة وكفرها	١٥٧٧	٦٤	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٣٤
طحلا العرب	١٦٥٣	٧٨	٥٦٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٣٥
طفسة بنى حرام ومرقى كفرها	٢٨٠٠	١٣٨	٦٤٠٠	٣٢٠٠	٣٢٠٠	٣٦
طهوية من كفور برهمتوش	١١٠٠	٥١	٥٠٠٠	٦٠٠٠	+ ١٠٠٠	٣٧
طوخ الأقلام	١٥٣٢	٨٦	٥٥٠٠	٢٧٥٠	٢٧٥٠	٣٧
غيفا	٨٢٠	١٠٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	٣٧
فيشابنا	١١١٣	٩٣	٤٥٠٠	٢٨٠٠	١٧٠٠	٣٨
معشوقة رجاء وهى تروط	٢٥٦٠	بها رزق ولم تحدد	٨٠٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠
منزلة نعمة وهى الطويلة والجابية والمنصورة	١٨٤٦	-	٤٦٥٠	٤٥٥٠	١٠٠	٤٠
منشية ابن عنتر	٧٧٢	٤٤	٢٨٥٠	٢٢٠٠	٦٥٠	٤١
منشية إشنه	٩١٢	٦١	٥٥٠٠	٢٥٤٠	٢٩٦٠	٤٢
منية الذويب	١٥٦٠	٥٨	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٤٢
منية القرش	٨٩٧	٧١	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	٤٢
منية بشار	٢٥٤٠	١٣٨	٤٥٠٠	٢٢٥٠	٢٢٥٠	٤٣
منية صان وطناه والبستان	٢١٣٠	١٢٤	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٤٣
منية حمير	٨١٦	٢٠	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٤٣
منية سهيل	١٨٤٧	٥٩	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٤٣
ملامس	٨٠٠	٦٦	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٤٤
نبتيت	١٣٩٠	٩٤	٦٤٠٠	٣٢٠٠	٣٢٠٠	٤٤
نشوة	٢٠١١	١١٦	٧٢٠٠	٤٨٠٠	٣٤٠٠	٤٥
الأعمال الدقهلية والمرتاحية	(٥٤) من ٢١٧					
أشموم طناح	١٧٥٣	٢٦	١٥٠٠٠	١٤٥٣٠	٤٧٠	٤٦
البرمونين	٢١٤٠	٤٥	٨٠٠٠	٦٠٠٠	٢٠٠٠	٤٦
البسراطين	٩١٠	٣١	٣٠٠٠	٣٤٥٠	+ ٤٥٠	٤٦
البهو ومنية فوريك	٧٦٠	٣٧	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	٤٧
الجديدة المعروفة بمنية خيرون	٤٩٧	١٥	٢٧٠٠	١٣٥٠	١٣٥٠	٤٧
الجنينة المستجدة	٩٠٩ بما فيها من الرزق		١٥٠٠	وهى الآن خراب	١٥٠٠	٤٧
الحمرا والسنبلاوين	٣٦٠٠	١٦٢	١٠٠٠٠	٨٠٠٠	٢٠٠٠	٤٧
الحواوشة	٧٥٠	٣٦	٤٢٠٠	٣٠٠٠	١٢٠٠	٤٨
السعدية	٦٢٨ بما فيها من الرزق		٨٠٠	٤٠٠	٤٠٠	٤٨
الشرقانة	٢٩٨	-	٤٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٤٨
الطمبوق البحرى	٧٢٠	٢٠	٢٧٠٠	٩٠٠	١٨٠٠	٤٨
الطمبوق القبلى	٨٠٠	٢٠	١٠٠٠	٢٠٠	١٨٠٠	٤٨
اللؤلؤة ومرجانة	٥٣٦ بما فيها من الرزق		١٦٠٠	٨٠٠	٨٠٠	٤٩
المنصورة	٨٤٠	-	١٦٠٠	٥٣٣	١٠٦٧	٥٠
بدين	١٠٨٠	٣٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٥٠
بركة فياض وحوض الراهب	١٢٣	-	جملة فدانها خراب			٥٠
تل الضباع	١٣٠	-	١٥٠	٧٥	٧٥	٥١
تلبانة عدى	٢٢٢٥	٧٩	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥١
تلبنت أجا	٤١٣	٢٤	١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	٥١

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
من كفور تلبانه	٥٤	١٥	١٨٥٠	٩٢٥	٩٢٥	٥١
ن العرب	٢١٦	–	٤٠٠	والآن خراب	٤٠٠	٥٢
	٣٢٧	٤	٣٠٠	١٥٠	١٥٠	٥٢
	١٠٦٧	٣٥	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٥٢
	١٢٥٢	٤٥	٣٥٠٠	١٧٥٠	١٧٥٠	٥٣
بلجهور	٦٣٩	٢٦	٢١٠٠	الآن بغير عبرة	٢١٠٠	٥٣
	٩٧١	٢٧	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٥٤
ن وكفرها	٣٣٢٣	٦٣	١٠٥٩٠	١٥٠٠	٩٠٩٠	٥٤
ساح	١٢٩٥	٢٢	٧٠٠٠	٦٧٣٠	٢٧٠	٥٤
سلنت	١٤٥٥	٣٠	٥٠٠٠	٢٣٣٣	٢٦٦٧	٥٤
	٦٤٩	٩	٨٠٠	٦٦٦	١٣٤	٥٥
وحصتها وأحواضها	٣٠٠٥	٣٩	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٥٥
شنودة	٥٠	–	٣٠٠	خراب	٣٠٠	٥٥
الظاهرية	٨٠٣	–	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	٥٦
القليوبية الأكراد	٥٢٤	–	٢٠٠٠	خراب	٢٠٠٠	٥٦
الذرى	٤٩٥	٤	١٤٠٠	٧٠٠	٧٠٠	٥٦
بنى مراس	٩٣٣	٤٨	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	٥٦
بنى هانى	٣٧٥	٦	١٢٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٥٦
دمنا	٩١٨	٤٩	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٥٦
د ميمون	٩٨٨	١٦	١٢٠٠	الآن خراب	١٢٠٠	٥٧
ة الظاهر	٧١٠	١١	١٨٠٠	١٦٥٠	١٥٠	٥٧
الأخوة	١٠٦٥	٣٤	٥٦٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٥٧
القمص والخفاف	١٥٣٦	٢٥	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٥٨
النحال	١٥٠٨	٤١	٣٢٠٠	١٦٠٠	١٦٠٠	٥٨
امامه	٧٥٢	١٩	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٥٨
باديس	٥١٩	١٢	١٠٨٣	٥٤١,٥	٥٤١,٥	٥٩
بخانة	١٢٣	–	٤٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٥٩
بنى سلسيل	٢٥٤٢	٥٩	١١٠٠٠	٩٣٠٠	١٧٠٠	٥٩
جراح	٧٨٠	١٨	٢٤٠٠	١٦٠٠	٨٠٠	٥٩
خميس	٣١١	٢٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٦٠
خيرون	٤٢٨	١٩	٢١٥٠	١١٢٥	١٠٢٥	٦٠
سمنود	١٤٢٤	٥٦	١١٠٠٠	٢٥٠٠	٨٥٠٠	٦٠
عدلان	٨٨٥	٢٤	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	٦١
كرمل ومنية لوزة	١٥٣٨	٣١	٥٠٠٠	٢٧٥٠	٢٢٥٠	٦٢
	٧٩٦	٢٤	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	٦٢
ثغر دمياط المحروس	**لا يوجد فيه تغيير**					
الأعمال الغربية	(١١٧) من ٤٧١					
ة الملق	٤٧٨٥	١٥٧	٢٣٠٠٠	١١٢٥٠	١١٧٥٠	٦٤
ن وكفروها	٣٤٠٠	٢٥	١٦٤٢٥	٨٢١٢	٨٢١٣	٦٤
ه	٤٠٥	١١	٧٥٠	٢٥٠	٥٠٠	٦٥
جانية	٦٠٥	١٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٦٥
ا وبشنديله	١٠٠٠	١٨	٣٨٠٠	استقرت بغير عبرة	٣٨٠٠	٦٥
وش	٧٧٢	١٣	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٦٥
رية	١٥٠٠	٣٤	٧٢٠٠	٣٦٠٠	٣٦٠٠	٦٥
كيل	١٢٨١	٤٤	٧٦٠٠	١٩٠٠	٥٧٠٠	٦٦
بين	٨٧٥	١٥	٣٢٠٠	١٦٠٠	١٦٠٠	٦٧
ية وهى الحدين	٤٥٠	١٢	٦٠٠	٢٥٠	٣٥٠	٦٧
رية	٧٩١	١١	٧٢٠٠	٣٦٠٠	٣٦٠٠	٦٧
نة	١٣٠٥	٢١	٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٤٠٠	٦٧
يلة بنشرت	١٤٦٥	٨٩,٥	٥٠٠٠	٢٢٥٠	٢٧٥٠	٦٨

الإقليـــــم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة
الغابة	٣٠٥	١٨,٥	٨٠٠	بغير عبرة	٨٠٠٠
الكفر المعروف بالمنية	٢٦٠	١٥	٤٥٠	٢٢٥	٢٢٥
الكنيسة وتعرف بشبرى انطو	٨٠٨,٥	–	٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٤٠٠
المعيصرة	٥٠٤	١٢	٢٥٠٠	١٢٣٣	١٢٦٧
المنشليخ من كفور شباس انباو	٤١٠	٣١	١٢٠٠	١٠٠٠	٢٠٠
المنشية الجديدة	١٢٢٠	٤٣	٧٥٠٠	٧٤٥٠	٥٠
الميما والعسكر	١٠٠٥	٥	٥٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠
الناوية بالمطرمية	١٠٦٠	٣٠	١٠٠٠	٣٣٣,٣	٦٦٦,٧
بساط الأحلاف	١٦٥٠	٢٢	٤٩٠٠	٢٤٥٠	٢٤٥٠
بساط قروص	١٠٠٠	١٢	٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٤٠٠
بسطوية وشبرى زيتون	٧٥٠	٤٤	٢٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠
بلوطس	–		٥٠	وهى خراب دائر	٥٠
بيولا وحصتها	٢٠٥٠	٦٠	٢٦٠٠	٨٠٠	١٨٠٠
نطاية	١٤٣٩	٣٠	٨٠٠٠	٤٤٥٠	٣٥٥٠
تلبنت قيصر	١٩٥٠	١٩	٤٦٠٠	٢٣٠٠	٢٣٠٠
تيرة وشبرى بلاحه	٤٠٧	٦	٢٦٠٠	١٣٠٠	١٣٠٠
جناج	١٧٢٠	١١٨	٦١٠٠	٣٠٥٠	٣٠٥٠
حانوت	٨٩٤	٤٢	٥٩٠٠	٥٥٠٠	٤٠٠
حصة شبشير	١١١٢	٨٢	٣٥٠٠	٣٠٠٠	٥٠٠
حصة فارس الشام	٣٨٠	١٠	٦٠٠	الآن خراب دائر	٦٠٠
حصة كرام	١٠٤٥	١٤	٢٨٠٠	٢٠٠٠	٨٠٠
حصة مهدى	٥٠٠	١٧	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠
خرشيت	٩٣٠	٣٠	٢٢٠٠	١٩٢٥	٢٧٥
دار البقر البحرية	١٥١١	٥٤	٦٠٠٠	٤٠٠٠	٢٠٠٠
دار البقر القبلية	٩٦٥	٣٧	٣٣٠٠	١٦٥٠	١٦٥٠
وجنا	٤٣٤	١٢	١٥٠٠	١١٢٥	٣٧٥
دخنوقة	–	–	١٥٠	خراب دائر	١٥٠
دفرية	١١٩٠	٦٣	٤٠٠٠	٣٣٣٣	٦٦٧
دكوده	٧٢٦	١٦	٢٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠
دمابة شابه	لم تعين لها مساحة	–	٣٠٠	خراب	٣٠٠
دماط والمبلات كفرها	٣٣٦٠	٥٩	١٩٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠
دمقش	١٦٠٠	٦٤	٦٤٠٠	٢١٣٣	٤٢٦٧
دمنهور وحشى	٢٦٠٠	٦٦	٧٢٠٠	٣٦٠٠	٣٦٠٠
دملاش ومنية نمى	٨٠٧,٥ بما فيها الرزق		٥١٠٠	٢٥٦٠	٢٥٦٠
أميوط	٤١٠٠	٩١	١٧٠٠٠	٤٢٥٠	١٢٧٥٠
بريم وهى ريم	٣٢		١٠٠	وهى خراب	١٠٠
ونوشر	٢٢٥٢	١٥٥	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠
دهتوره	٢٠٣٤	٤٨	٨٠٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠
ديا الكوم	٧٤٠	٢٣	٢٦٠٠	١٣٠٠	١٣٠٠
ديرب ومنيتى أمونة والجنان	٢٨٩٠	٩٤,٥	١٢٠٠٠	٤٠٠٠	٨٠٠٠
زمزور	١٣٧٤	٥٦	١٠٠٠٠	٢٥٠٠	٧٥٠٠
سامول	١٥٣٠	٣٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠
سردوس	٨٥٠	٢٧	١٣٠٠	٦٥٠	٦٥٠
سلكا ومنيتها	١٢٠٨	٥١	٤٨٠٠	استقرت بغير عبرة	٤٨٠٠
شارنقاش	٩٢١	١٦	٤٨٠٠	٣٣٠٠	١٥٠٠
شبرى بابن	٣٠٣٩	٤٦	١٠٨٠٠	١٢٦٠٠	١٨٠٠ +
شبرى بلولة بالسمنودية	٦٢٠	٢٩	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠
شبرى بين البحرية	٢١٢٤	٣٩	٩٠٠٠	٦٠٠٠	٣٠٠٠
شبرى بين القبلية	٧٥٠	٤٣	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠
شبرى تنى	١٠٤٩	٢٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠
شبرى قاص	١١٨٢	٤٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٢ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
بالة	٨٢٧	٢٨	٥٠٠٠	٤٠٠٠	١٠٠٠	٨٣
مريق	١٠٨٥	٨٣	٧٠٠٠	٣١٥٠	٢٥٠٠	٨٣
نباص	٦٠٠	٤٠	١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠٠	٨٣
ـس	١٠٥٠	٢٧	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٣٨٥٠	٨٣
	١٣٦٠	٣١	٧٠٠٠	٣٥٠٠	٥٠٠	٨٤،٨٣
الكوم	٣٣٣٠	٢١٣	١٤٤٠٠	٧٢٠٠	٢٥٠٠	٨٤
رون	١٧٤٠	٢٦	٥٠٠٠	٤٨٧٥	٣٥٠٠	٨٤
ـن	١٣٧٠	٣٣	٨٠٠٠	٤٨٠٠	٧٢٠٠	٨٤
ـى	١٠٩٤	٩٧	٥٠٠٠	٢٥٠٠	١٢٥	٨٤
والمنديات	١٣١٣	٢٣	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٣٢٠٠	٨٥
رى قطاره	٢٠٣٨	-	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٢٥٠٠	٨٥
ـن	-	-	٢٠٠	خراب	٢٠٠	٨٥
	٢٧٨٢	٢٥	٧٢٠٠	٣٦٠٠	٣٦٠٠	٨٦
ر وتعرف بطوخ بنى مزيد	٢٨٥٠	-	١٥٠٠٠	١٠٢٠٠	٤٨٠٠	٨٦
شبرى تتى	٧٠١	١٧	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٨٦
	٤٣٥	١٧	٢٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠	٨٧،٨٦
	٢٤٦٠	١٧٣	١١٢٠٠	٦٤٠٠	٤٨٠٠	٨٧
	٦٥٥٠	١٠٨	٢٠٠٠٠	٩٠٠٠	١١٠٠٠	٨٧
	٤٨٠	١٢	٣٢٠٠	١٦٠٠	١٦٠٠	٨٧
ى سحيم	٦٦٦	٢٣	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	٨٨
سردوس	٦٠٠	٧٢	١٧٥٠	٨٧٥	٨٧٥	٨٨
رمل من كفور شباس	٥٠٠	٣٥	٢٢٠٠	١١٠٠	١١٠٠	٨٨
سودان	٥٣٠	٢٠	٥٠٠	٨٢٥	٣٢٥ +	٨٨
اب وكفورها	٢٨٦٣	٧٠	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٨٩
الصويت	١٠٦٧	١٧	٢٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠	٨٩
	٢٤٧٤	٧٠	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	٨٩
الداخل	٢١٥٠	٦٠	٧٤٠٠	٤٥٠٠	٢٩٠٠	٩٠
القصب الشرقية	١٤٤٢	٣٠	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٩٠
قصب الغربية والحوض ب ببركة ابراهيم	١٣٧٣	١٥٤	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٩٠
خلف	٩٠٦	٣٠	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٩٠
روح	٩٩١	٢٨	٦٠٠٠	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٩٠
زياد	٣٥٨٥	٥٥	١٢٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٩١
سير	١٢٨٠	٧٧	٥٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠	٩١
بة	١٨٢٥	٧٢	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٩١
	٣٦٧٠	٦٤	١٣٠٠٠	٤٣٣٣,٣	٨٦٦٦,٧	٩١
داعى	١١٢	٨	٤٠٠	٣٣٣,٣	٦٦,٧	٩٣
سودان بالطندتاوية	٨٧٦	١٦,٥	٢٨٠٠	١٦٠٠	١٢٠٠	٩٣
امبين وهى منية الشيخ	١٣١٧	٥٩	٤٤٠٠	٣٤٠٠	١٠٠٠	٩٣
عجيل	١٧٠٠	٣١	٥٦٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٩٤
مخلص	٥٠٠	١٩,٥	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٩٤
موز	٣٤٢	١٩	١٥٠٠	١٢٨٦	٢١٤	٩٤
أحلاف	٦٠٠	٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	٩٤
رى	٢٨٠٧	٩٦	١٢٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	٩٥
عفر	١٢٢٥	٧٢	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	٩٥
نون	٩١٨	-٢٩	٣٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	٩٥
نقر والقيطون	١٩٥٠	٢٥	٤٥٠٠	٢٣٥٠	٢١٥٠	٩٦
يد وهى تلبنت	١٣٧٠	٥٠	٥٠٠٠	٤٠٠٠	١٠٠٠	٩٨
وأرض فرحون	١٥٦٩	٩٠	٧٢٠٠	٥٠٠٠	٢٢٠٠	٩٨
القناطر والقرار وكفرها	٢٧٧١	٦٠	١٠٠٠٠	٣٣٣٣,٣	٦٦٦٦,٧	٩٨
	٢١٠٠	٩	٧٢٠٠	٣٦٠٠	٣٦٠٠	٩٩
البصل	٤١٥٠	٢٣٠	٢٠٠٠٠	٢١٥٠٠	١٥٠٠ +	٩٩

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصف
هورين بهرمس	١٢٧٠	٢٢١	٦٠٠٠	٣٦٠٠	٢٤٠٠	٩٩
هورين تطاية	٤٣٠٤	١١٦	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٩٩
الأعمال المنوفية	(٣٨) من ٢٣٢					
أبخاس الكبير البحرى وأبخاس الصغير القبلى	٦٥٤	٤٧	٢٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠	١٠٠
أبو رقبة	٥٦٩	٥٦	٦٠٠	٢٠٠٠	+١٤٠٠	١٠٠
أبيوهه وهى مسجد الخضر عليه السلام	٧٥٦	٨١	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٠٠
الراهب من كفور شنوان	٦٢٢	٨٦	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٠١
الساحل من كفور منوف	٨٦٥	-	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	١٠١
الصوالح	١٤٨	١٠	٨٠٠	٤٠٠	٤٠٠	١٠٢
الفرعونية	١٨٦٨	١٠٠	٦٤٠٠	٥٠٠٠	١٤٠٠	١٠٢
القناطرين	٦٤٥	٤٥	١٦٠٠	٨٠٠	٨٠٠	١٠٢
المنية البيضا	٥٣٨	٤٣	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٠٣
المنية الوسطى	٦٣٧	٤٨	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	٠٣
المية وكفورها	٢٥٥٠	٩٢	٩٦٠٠	٤٨٠٠	٤٨٠٠	٠٣
الأنجب	١٠٠٠	٥٥	٤٠٠٠	٢٥٠٠	١٥٠٠	٠٣
تلبنت أبجيج	٧٤٩	-	٣٦٠٠	٢٠٠٠	١٦٠٠	٠٤
سبك العبيد	٢٩٤٦	١٠٨	١٥٧٠٠	١٠٠٠٠	٥٧٠٠	٠٥
سراوه	٤٥٢	٣٣	٢٥٥٠	١٠٠٠	١٥٥٠	٠٥
سر سنى	٢٦٩٣	٦٠	٧٥٠٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٠٥
سملاهية ومنيل أبو شعرة	١٩٠٩	٨٣	٣٢٠٠	٢١٣٣	١٠٦٧	٠٦
سنجرج	٧٠٣	٥٤	٢١٠٠	١٠٥٠	١٠٥٠	٠٦
شبرى النخلة	١٠٧٨	١١٢	٧٠٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	٠٦
شبرى بلولة	١٢٠٩	٤٥	٥٦٠٠	٣٢٠٠	٢٤٠٠	٠٦
شمما	٧٧٠	٨٢	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٠٧
شميرف	٩٥٨	٦٨	٢٣٣٢	١١٦٦	١١٦٦	٠٧
شنوال ومنيل المغاربة	٢٣٠٨	٨٢	١٠٥٠٠	٥٠٢٥٠	٥٠٢٥٠	٠٧
شنوفة	٧٥٩	٣٩	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	٠٧
شوشيه	١١٦٠	١٠١	٣٣٠٠	٢٢٠٠	١١٠٠	٠٧
شبين الكوم	٣١٢١	١٨٢	١٥٠٠٠	٧٥٠٠	٧٥٠٠	٠٧
طنت	١٦٤٥	١٤٧	٤٥٠٠	٢٢٥٠	٢٢٥٠	٨،١٠٧
فيشه الصغرى	٦٥٨	٨١	٤٠٠٠	٣٧٠٠	٣٠٠	٠٨
فيشه الكبرى	١٤٧٢	١٥١	٥٤٠٠	٣٠٠٠	٢٤٠٠	٠٨
قورص	٥٢٩	٢٢	٢٠٠٠	٣٠٠٠	+١٠٠٠	٠٨
كفر عزاز	٣٤٣	٤٦	٢٨٠٠	١٥٠٠	١٣٠٠	٩،١٠٨
كوم الضبع	٣٧١	٢٣	١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	٠٩
كوم سيس	١٠٧٥	٣٧	٦٠٠٠	٤٥٠٠	١٥٠٠	٠٩
منيل أبو سنيطة	٣٢٧	٥٨	١٦٠٠	١٠٠٠	٦٠٠	١٠
منيل عباس	٢٢١	٢٦	٦٠٠	٣٠٠	٣٠٠	١٠
منية خلف	١٤٧٦	٦٤	٦٤٠٠	٣٢٠٠	٣٢٠٠	١١
منية عنيف	٥٧٧	٢٧	١٤٠٠	٧٠٠	٧٠٠	١١
هيت	١٤٧١	٧٨	٨٠٠٠	٥٣٣٣	٢٦٦٧	١١
عمل أبيار وجزيرة بنى نصر (١٢) من ٤٦						
أخشا	٤٠٠٠		٧٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠	١٢
الطا والعدارى	٤٠٠٠		٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٢
بنوفر	١٣٤٠		٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٣
جريسان	٢٠٠٠		١٥٠٠	٥٦٢	٩٣٨	١٣

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
عامر	١١٦٢		٨٠٠	٤٠٠	٤٠٠	١١٣
لوك	٤٦٥٥		٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١١٤
ن	٢٠٨٠		١٠٠٠	٢٥٠	٧٥٠	١١٥
	١٥٥٦		١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	١١٥
اللوق	١٧٠٠		٢٤٠٠	١١٩٥	١٣٠٥	١١٥
نوس	١٤٦٠		٢٨٦٥	٢٥٢٥	٣٤٠	١١٥
	١١٥٣		١٤٠٠	٧٠٠	٧٠٠	١١٥
الة	١٥٩٠		٢٨٠٠	١٤٠٠	١٤٠٠	١١٦
أعمال البحيرة	(٨٠) من ٢٢٢					
انب	٥٠		خراب			
وج	١٠٧٠	٤٤	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	١١٧
	١٨٠٤	٣٧	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١١٧،١١٨
سراء	٢٢٤٧	١٧	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	١١٨
	٥٥٠		١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	١١٨
	٢٧٠٤		٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	١١٨
روف باليهودى المجاور لخربتا	٣٤٠		٣٠٠	والآن خراب	٣٠٠	١١٩
ب	١١٥١	٨٢	٣٠٠٠	٢٥٠٠	٥٠٠	١٢٠
سف	١١٢	٥	١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	١٢٠
من حقوق فيشا بلخا	١٣٣	١٤	٣٠٠	١٥٠	١٥٠	١٢١
ة	٨٨٧	٦٢	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	١٢١
ن	٣١٦٠	٧٥	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٢١
الأخضر	١١٦٥	٢٧	١٠٠٠	٢٠٠	٨٠٠	١٢١
ة	٥٠٠		٥٠٠	١٦٦	٣٣٤	١٢١
من كفور نقاته	٥٧١	٣١	١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	١٢١
	١٠٠٠	-	٦٩٧٥	٢٠٠٠	٤٩٧٥	١٢٢
التراز	٥٦		١٨٠	خراب	١٨٠	١٢٢
ظهر التمساح	٧٥١	١٧١	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٢٢
ب	١١٧٣	٤٧	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٢٣
	٧٢٤	١٣	١٠٠٠	٢٠٠	٨٠٠	١٢٣
	٣٢٨٥	١١٠	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٢٣
	٦٥٨	٥	٢٢٠٠	١١٠٠	١١٠٠	١٢٣
ل	٤٠٥٣	٥٢	٩٠٠٠	٤٥٠٠	٤٥٠٠	١٢٤
	٥٣٨٤	٨٦	١٢٠٠٠	٣٠٠٠	٩٠٠٠	١٢٤
وجزيرة مالك	١٠٩٧	٤٠	٣٦٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	١٢٤
باع	لم يمسح	-	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٢٤
لكبرى	٢١٠٠	٣٥	٢٤٠٠	١١٠٠	١٣٠٠	١٢٥
عيسى	١٤٩١	١١	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٢٥
زياق	١٠٥٠	-	٣١٥٠	١٥٧٥	١٥٧٥	١٢٥
	٧٨٠	٤٩	١٨٠٠	٧٧٥	١٠٢٥	١٢٦
	١٨٤٤	٨١	٦٠٠٠	١٠٠٠	٥٠٠٠	١٢٦
	٤٩١	٢٥	٣٥٠٠	٣٤٢٥	٧٥	١٢٦
المقاريضى	٢٨٦٠	٢٨	٢٨٠٠	٥٠٠	٢٣٠٠	١٢٦
يه وسرسيقه	١٧٢٤	٤٦	٤٠٠٠	٣٧١٧	٢٨٣	١٢٧
ة	٥٤٥	-	٧٥٠	٤٠٠	٣٥٠	١٢٧
	١٤٤٨	٤٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٢٧
الد وهى سفط دعوه	٤٩٤٩	٢٤	١٥٠٠٠	٨٠٠٠	٧٠٠٠	١٢٧، ١٢٨
لداسة	٦٦٩	١٧	١٢٠٠	٦٠٠	٦٠٠	١٢٨

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
سلمون وحصتها	٩٨٥	١٣	٤٨٠٠	٤٧٠٠	١٠٠	١٢٨
سمخراط	١٥٧٠	٤٠	٦٤٠٠	٣٠٠٠	٣٤٠٠	١٢٨
سمديسة	١١٦٧	١٠٩	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٢٨
سنباده	١٣٨٤	٣٦	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٢٨
سنهور طلوت	٣٠٧٠	١٦٠	٩٦٠٠	٤٨٠٠	٤٨٠٠	١٢٨
شابور	٢٠٣٦	٣١	٦٠٠٠	١٥٠٠	٤٥٠٠	١٢٨
شبرى النخلة وحوض القضابة وكفر حريز	٥٩٦٨	٥٠	٦٠٠٠	١٥٠٠	٤٥٠٠	١٢٨،١٢٩
شبرى ويش	١٦٨٩	-	٥١٠٠	٢٦٠٠	٢٥٠٠	١٢٩
شبرى خيت	٨٢٠	٣٢	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٢٩
شرنوب	٣٩١٢	٢١٩	٨٨٠٠	٤٤٠٠	٤٤٠٠	١٢٩
ششت	٢٧٠٤	٢٥٠	٥٥٠٠	٣٥٠٠	٢٠٠٠	١٢٩
شندويد	١٤٨٥	-	٤٥٠٠	٢٥٠٠	٢٠٠٠	١٢٩
شنشير	٩٩٨	٥٨	٢٤٠٠	٦٠٠	١٨٠٠	١٢٩،١٣٠
صيفيه	١٢٧٧	٤٠	٢٥٠٠	٨٣٣	١٦٦٧	١٣٠
طلموس	١٣٩٠	١٠	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٣٠
طبرنبه	٢٦٠٧	-	٥٠٠٠	٧٥٠	٤٢٥٠	١٣٠
طلمسوس	١٨٦١	٤٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٣٠
فيشة بلخاية	٢١٢١	١٢٧	٧٢٠٠	٤٨٠٠	٢٤٠٠	١٣١
قافلة	٣٧٨٤	-	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٣١
قبر المرأة	٩٦٠	-	٢٤٠٠	٢٦٦	٢١٣٤	١٣١
قبر روق	٨٤٥	-	٥٨٥٠	والآن خراب دائر	٥٨٥٠	١٣١
قبيل	١٦١٨	٣٧	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٣١
قلاوة أفريم	٢٤٠		٤٠٠	١٣٣	٢٦٧	١٣٢
كنيسة الغيط	١٣٨٨	٢٨	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٣٢
كيمان سراس	٩٣٣	٥٠	٢٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٣٢،١٣٣
لوقين	١٧٨٠	٤٠	٦٠٠٠	٢٥٠٠	٣٥٠٠	١٣٣
محلة الكروم	١٠٩٤	١٥	١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	١٣٣
محلة بشر	٩٦٩	٣٢	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٣٣
محلة ثابت	٧١٤,٥	٣٧	١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	١٣٣
محلة حسن	٦٣١	٣٢	١٦٠٠	٥٣٣,٣	١٠٦٦,٧	١٣٣
محلة داود	٢١٧١	٧٨	٥٧٠٠	٢٨٥٠	٢٨٥٠	١٣٤
محلة زبال	١٦٦٣	٦١	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٣٤
محلة صا	١٥٣٠	١٧	٧٠٠٠	١٠٠٠	٦٠٠٠	١٣٤
محلة فرنوى	١٣١٥	٧٣	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٣٤
محلة قيس	١٠٠٦	٤٠	٣٦٠٠	٢٤٠٠	١٢٠٠	١٣٤
محلة كيك	٢٢٣٤	٩٠	٥٠٠٠	٦٠٠	٤٤٠٠	١٣٤
مسجد غانم	١٦٠	١٠	٦٠٠	٣٠٠	٣٠٠	١٣٥
منية طراد وهى القاعة	٢٧٠	-	٧٠٠	٣٥٠	٣٥٠	١٣٥
نتما ومحلة أحمد	١٣٨٣	٢٢	٥٥٠٠	٣٥٠٠	٢٠٠٠	١٣٦
ندبيه	٤١٦٠	-	١٥٠٠٠	٧٥٠٠	٧٥٠٠	١٣٦
ورزافه	١٢٩٨	٣٩	١٥٠٠	٧٥٠	٧٥٠	١٣٦
ياطس	٢٠٢٧	١٤٥	٤٢٠٠	٢١٠٠	٢١٠٠	١٣٦
إقليم فوه والمزاحمتين	(١) من ١٦					
العطف	١٤٠٠	٥٦	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٣٧
إقليم نستراوه (١) من ٦						
سنجار			٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٣٨

الصفحة	الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
١٢٨	تغر الاسكندرية	المحروس (٢) من ٨					
١٢٨	ن	٣٤٣٩	٥٤	١٠٠٠	والآن بغير عبرة	١٠٠٠	١٣٨
١٢٨				١٣٠٠٠	١٢٨٣٠	١٧٠	١٣٨
١٢٨	الأعمال الجيزية						
١٢٨	غالب						
١٢٨	ن التكرورى			٢٣٥٠	١١٧٥	١١٧٥	١٣٩
١٢٩،١٢٨	وحصة بنى قادوس			٤٧٠٠	٤٤٥٠	٢٥٠	١٤٢
١٢٩	عياش	٨٧٣		٨٥٠٠	٤٥٠٠	٤٠٠٠	١٤٢
١٢٩	قادوس	١٢٠٠		٢٥٠٠	٨٣٣	١٦٦٧	١٤٦
١٢٩				٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٤٧
١٢٩	الأعمال الأطيفحية	(٢٦) من ٥٠					
١٢٩	ج						
١٣٠،١٢٩	بنى بحر			٢٤٤٠٠	١٢٥٠٠	١١٩٠٠	١٤٧
	ل			١٢٦٠٠	٣٠٠٠	٩٦٠٠	١٤٧
١٣٠				٨٠٠٠	٩٠٠٠	+١٠٠٠	١٤٧
١٣٠	الصغير			٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٤٨
١٣٠	ور القبلى	٢٥		٣٥٠٠	٢٩١٦	٥٨٤	١٤٨
١٣١				٧٥	خراب	٧٥	١٤٨
١٣١	لحية			٦٠	خراب	٦٠	١٤٨
١٣١	ية			٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٤٨
١٣١	سليات			١٤٠٠	٩٠٠	٥٠٠	١٤٨
١٣١	لبل			١٠٠	خراب	١٠٠	١٤٨
١٣	عمران			٥٠٠٠	١٢٥٠	٣٧٥٠	١٤٨
١٣	ر الميمون			٢٠٠	خراب	٢٠٠	١٤٨
١٣	رة إبراهيم بن فايز			٢٤٠٠	خراب	٢٤٠٠	١٤٩
٣٣	رة أبى على			–	ليس لها وجود	–	١٤٩
٣٣	رة البوصة			٨٠٠	خراب	٨٠٠	١٤٩
٣٣	رة الجاهل			–	خراب	–	١٤٩
٣	رة الصف			٥٠٠	خراب	٥٠٠	١٤٩
٣	رة القط القبلية			١٢٠٠	قطعها البحر وليست موجودة	١٢٠٠	١٤٩
٢	رة الوسطا			١٢٠٠	خراب	١٢٠٠	١٤٩
	رة الاسطبل			١٤٠٠	قطعها البحر	١٤٠٠	١٤٩
	رة بركات			٨٠٠	ليست موجودة	٨٠٠	١٤٩
	ساص والمناشى			٣٠٠	خراب	٣٠٠	١٤٩
	رة رماد تزمنت			١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	١٤١
	وجزائرها وجروفها			١٢٠٠	الأن ليست موجودة	١٢٠٠	١٤٩
				٥٠٠٠	٤١٦٦	٨٣٤	١٤٩
	ة وجزائرها			٧٠٠٠	٧٢١٢,٥	+٢١٢,٥	١٥٠
	ال الفيومية : (٢٤) من ٩٧			٢٠٠٠	الأن قطعها البحر	٢٠٠٠	١٥٠
	ص الحلاف	١٨٩٧					١٥١
	شلا	٢٤٠		٧٠٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	١٥١
	ة	١٢٦٢		١٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	١٥١
	ة وشوبيس وتعرف بصقيل			٤٠٠٠	استقرت تحت الغرق	٤٠٠٠	١٥٢
	ركفرها	١٨٣٠		١٢٥٠	استقرت تحت الغرق	١٢٥٠	١٥٢
		٢٠٩٦	١٦	٤٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٠	١٥٣
		١٠٥٠		١٠٥٠٠	والآن تحت الغرق	١٠٥٠٠	١٥٤
	الرماد	٢٦٨٧		٢٢٠٠	١١٠٠	١١٠٠	١٥٤
				٤٠٠٠	استقرت بغير عبرة	٤٠٠٠	١٥٤

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
ذات الصفا وأقصابها			٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٥٤
دبوشيت الملاحة	١٨٣٤	٨	٩٠٠٠	٦٠٠٠	٣٠٠٠	١٥٤
دنقارة جردو	٧٩٧		٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٥٥
دير أبى جعران			٣٠٠	١٠٠٠	٧٠٠ +	١٥٥
سيله وكفورها	٣٦٠٩	٤٠	٨٨٠٠	٩٠٠٠	٢٠٠+	١٥٥
شابه	٥٤٤٣		٢١٠٠٠	١٤٠٠	١٩٦٠٠	١٥٥
شرموه من كفور سنورس	٩١٦		٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٦
صقيل والعيارة			١٠٠٠	استقرت تحت الغرق	١٠٠٠	١٥٦
عنز	٧١٨		٢٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٥٦
غابة باجة	٩٢٤		٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٤٠٠	١٥٦
غرق عجلان	٤٢٣٥		٨٠٠٠	٥٦٧٢	٢٣٢٨	١٥٧
مطول والبحر كفرها	٤٣٢٠		١٢٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠٠٠	١٥٧
منشية الطواحين والأقصاب بها من كفور سنورس	٦٧٦		٤٥٠٠	١٧٥٠	٢٧٥٠	١٥٨
منشية ربيع بن حاتم	٣٢٣		٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٥٨
منية ششها	٥٢٢		٢٠٠٠	٦٥٠	١٣٥٠	١٥٨
هوارة القبلية والبحرية	١٢٩٦		٢٤٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠	١٥٨
الأعمال البهنساوية	**(٦٣ من ٢٥٦)**					
أبوج	١٢٨٧		٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٥٩
أبشاق وطمبو	٣٨٨٩	١٠٣,٥	١٣٠٠٠	٦٠٠٠	٧٠٠٠	١٥٩
إبوان وكفورها	٣٧٠٦	٤٨	١٦٥٠٠	٨٥٠٠	٨٠٠٠	١٥٩
أبو دخان ومعصرتها	١٠٤٣		٤٠٠٠	١٠٠٠	٣٠٠٠	١٥٩
أبويط	٥١٦	١٦	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٥٩
إدريجة وكفورها			٦٠٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠	١٥٩
إشروبه	٣٧٨٠	٧٨	١٠٠٠٠	٧٥٠٠	٢٥٠٠	١٦٠
إشنى وطمبا	٩٥٢٠	٢٠٠	٢٦٠٠٠	١٦٠٠٠	١٠٠٠٠	١٦٠
إطسا	٢٧١٨	٩٨	٥٠٠٠	٤٠٠٠	١٠٠٠	١٦٠
أطناى	٣٣٠	-	٦٠٠	الآن بغير عبرة	٦٠٠	١٦٠
أقفهس وكفورها	٥٥٢٠	٤٢	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٦٠
البراقى وذنب التمساح	١٤٣٠	٦٧	٢٥٠٠	١٠٠٠	١٥٠٠	١٦٠
البرج	٦٧٠	-	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٦٠
البسقنون وكفورها	٩٥٥٥	١٥٣	٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	١٦١
البهجور	٢٩٢	-	٧٠٠	٥٠٠	٢٠٠	١٦١
البيهو والنخلة	٢١٠٥	١٠٧	٧٠٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	١٦١
الزيتون	٧٧٩	-	٢٤٠٠	١٥٠٠	٩٠٠	١٦١
القايات وكفورها	٦٧٦٥	١٤٥,٥	١٥٠٠٠	٥٠٠٠	١٠٠٠٠	١٦٢
الكفور الصوليه	٤٣٥٨	٢٥	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٦٢
الكوم الأخضر والمجدب من كفور أبو صير	٩٣٧	-	٢٠٠٠	١٦٢٥	٣٧٥	١٦٢
إهريت	١٧٣٦	٣٤	٦٠٠٠	١٥٠٠	٤٥٠٠	١٦٢
أهناس المدينة	٣١٥٠	٤٨	١١٠٠٠	٥٥٠٠	٥٥٠٠	١٦٣
اهناسية الصغرى	٢٢٣١	٥٦	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	١٦٣
أهوى	١٩٣٤	٧-	١٠٠٠٠	٧٠٠٠	٣٠٠٠	١٦٣
بام	٢٦٠٠	٥٤	٩٠٠٠	٣٠٠٠	٦٠٠٠	١٦٣
باها	٢٨٧٩	٧٨	١٣٠٠٠	٦٥٠٠	٦٥٠٠	١٦٣
ببا الكبرى	٧٥٩٠	١٧٣	٣٥٠٠٠	٣٢٢٤٤	١٢٧٥٦	١٦٣
بجاج	١٥٧٩	١٨	٣٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٦٣
بروط وكفورها	٢٣٥٥	١٦	١١٠٠٠	٥٥٠٠	٥٥٠٠	١٦٤

صفحة	الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
١٥	ى هارون	١٦٢٥	٤	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٦٥ ، ١٦٤
١٥	شيم	١٨٢٠	٤٤	٦٠٠٠	٥٠٠٠	١٠٠٠	١٦٥
١٥	ى قرا	٦١٦٣	١٦٠	٢٢٠٠٠	٢١٠٤٤	٩٥٦	١٦٥
١٥		١٦٠٠	١١	٤٠٠٠	١٩٦٠	٢٠٤٠	١٦٥
١٥	نت والساحل ونروه كفرها	١٢٩٠		٧٠٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	١٦٥
١٥	ن	٤٧٩٠	٦٠	١٣٠٠٠	٦٥٠٠	٦٥٠٠	١٦٥
١٥	يرة البصلية والمعين	٣١٥		٦٠٠	خراب	٦٠٠	١٦٥
١٥	يرة الكواشرة	٣٤٠	١٦٠	لم يحدد العبرة	خراب		
١٥	طوط الحرجة	١٦٨٠	١٥٢	٨٠٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠	١٦٦
١٥	اشة من كفور قاى	٤٩٦		٢٠٠٠	٧٠٠	١٣٠٠	١٦٦
١٥	القصنون وحصته	٥٤٠		٢١٠٠	١٨٠٠	٣٠٠	١٦٧
١٥	عطيه	١٢٣٠	٤٦	٧٠٠٠	١٧٥٠	٥٢٥٠	١٦٧
١٥	ف وحصتها	١٤٠٠	١٣	٦٠٠٠	٥٠٠٠	١٠٠٠	١٦٧
١٥	ة محفوظ	٩٨٨	٥	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٦٧
١٥	ال	١٨٦٢		٦٥٠٠	٢٤٠٧	٤٠٩٣	١٦٧
١٥	أبو جرجا	٢٣٦٦	٤٤	١٠٠٠٠	٤٦٦٦	٥٣٣٤	١٦٨
١٥	ا	٢٧٦٩	١٣	٦٠٠٠	١٠٠٠	٥٠٠٠	١٦٨
١٥	وكفورها	١٨٧٠	٧٤	١٠٠٠٠	٥٠٠٠	٥٠٠٠	١٦٨
	البصل	٢٣١٨	٣٦	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٦٩
	طا وكفورها	١٠٥١٠	٥٥	٢٢٠٠٠	٣٥٥٢٠	١٣٥٢٠+	١٦٩
١٥	ية وكفورها	٣٤٤٠	١٢٩	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٦٩
١٥	المدينة	٤٠٢٨	١٩٩	١٣٥٠٠	٣٣٧٥	١٠١٢٥	١٦٩
١٥	ه	١٥٧٥	٢٦	٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٦٩
١٥	ايه	٥٦١	١٢	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٧٠،١٦٩
١٥	ايه وبنى غنى	٢٧١٢		٥٠٠٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	١٧٠
١٥	وكفورها	١٢٥٤٢	١١٩	٤٠٠٠٠	٣٨٨٠٠	١٢٠٠	١٧٠
١٦	الراهب	١٤٦٧		٢٥٠٠	٢١٥٠	٣٥٠	١٧١
١٦	الرمل	٤٤٨		٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٧١
١٦		٢١٥٥	٤٠	١٠٥٠٠	٥٢٥٠	٥٢٥٠	١٧١
١٦	ة قاى وشراهى كفرها	١٥٨٤	٦٠	٦٤٠٠	٣٢٠٠	٣٢٠٠	١٧٢
١٦	رية	٣٤٢٠	٩٠	١٧٠٠٠	٨٥٠٠	٨٥٠٠	١٧٢
١٦	بنى على	٤٣٨٦		٧٩٦٢	٤٠٠٠	٣٩٦٢	١٧٢
١٦	يهننا	٣٢٩١	١٨	١٤٠٠٠	١٠٠٠٠	٤٠٠٠	١٧٣
١٦		١٤٤٥		٤٢٠٠	٢١٠٠	٢١٠٠	١٧٣
١٦	**أعمال الأشمونين**	(٤٢) من ١٠٢					
١٦	ت والإتله	٢٦٤٠	٨٢	٥٠٠٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	١٧٤،١٧٣
١٦	هدر	١٤٤٦	٤٠	٨٠٠٠	٦٠٠٠	٢٠٠٠	١٧٤
١٦	عطية	٤٣٠	١٥	١٥٠٠	١٢١٨,٧٥	٢٨١,٢٥	١٧٤
١٦	ودير العسل وكفورها	٢٧٤٨	٤٦	٦٢٠٠	٦١٥٥	٤٥	١٧٤
١٦	ـــــو	٩٥٦	١٨	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٧٤
١٦	ان	٢٠٤٢	٦٥	٧٠٠٠	٤٠٠٠	٣٠٠٠	١٧٥
١٦	كبير من كفور بنى عبيد	٨٦١	٢٢	٣٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	١٧٥
١٦	وخليج الذهب	٢١١٧		٥٠٠٠	٤٠٠٠	١٠٠٠	١٧٥
١٦	ه والنملية والواهلية	٩٥٠	٣٠	٢٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٧٥
١٦	ة	٧٢٠	٣٠	٣٠٠٠	٧٥٠	٢٢٥٠	١٧٥
١٦	ون	٢٢٢٣	١٢٥	٩٠٠٠	٤٥٠٠	٤٥٠٠	١٧٦
١٦		٥٠٠٠	١٩٤	٥٠٠٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	١٧٦
١٦	على المفرد من دروة سريام	٥٠٠		١٥٠٠	٣٧٥	١١٢٥	١٧٦
١٦		٢٠١٢	٤٢	٩٠٠٠	٤٥٠٠	٤٥٠٠	١٧٦
١٦	ة وجزائرها	١٠٢٣		٢٥٠٠	١٠٠٠	١٥٠٠	١٧٧
١٦		٩٢١	٢٢	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٧٧

الإقليم	المساحة الكلية بالفدان	الرزق بالفدان	العبرة فى شوال ٧٧٧ هـ	العبرة وقت ابن الجيعان ت ٨٨٥هـ	الفرق فى العبرة	الصفحة
بلهمة	٩٢٢	٢٧	٢٠٠٠	١٦٢٥	٣٧٥	١٧٧
بنى سراج			٢٠٠٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٧٨
جزيرة جمعه بالبوصة	٢٨٨		٢٥٠٠	الآن رزقه خراب	٢٥٠٠	١٧٨
جزيرة سكر وقنيده وعسيلة وشهيدة	١٠٤٥		٢٤٠٠	٩٠٠	١٥٠٠	١٧٩
دروة أشموم وهى دروط أم نخلة	٢٨٨٥	٣٠	١٤٠٠٠	٧٠٠٠	٧٠٠٠	١٧٩
دشلوط	١٠١٤	٣٦	٣٠٠٠	٥٠٠	٢٥٠٠	١٧٩
ديراسود وكفورها	٧٧٠	٢١	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٨٠
دير سملوط	١١٠٠	٢٧	٣٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٠	١٨٠
رمجوس	٧٦٧	-	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٨٠
ريدة	٢١٣١	٧٨	٤٨٠٠	٢٤٠٠	٢٤٠٠	١٨٠
ساو	٤١٥٩	١٨٤	١٧٠٠٠	٤٢٥٠	١٢٧٥٠	١٨٠
سفط الخمارة	٦٣٥٦	٦٠	١٥٦٠٠	١٠٠٦٦	٥٥٣٤	١٨٠
سفط المهلبى	١٢٥١	٦٦	٣٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	١٨١،١٨٠
سملوط	٦٩٧٥	٣٤٤	١٢٠٠٠	٥٠٠٠	٧٠٠٠	١٨١
سمنت	٤٠٧	٣١	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٨١
سمبو وأم البكارير	١٤٢٤	٤٦	٤٠٠٠	١٣٣٣,٣	٢٦٦٦,٧	١٨١
سنبو	٨١٤٥	٤٤	٢٥٠٠٠	٢٤٥٠٠	٥٠٠	١٨١
طهنا وكفورها	١٧٩٦	٤٨	٤٧٥٠	٤٥٥٠	٢٠٠	١٨١
طوخ الخيل	٢٩٦٨	٨٦	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	١٨١
ظهر الجمل	٤١٠	٤٨	١٨٠٠	١٠٠٠	٨٠٠	١٨٢
قيدوها	٧٦١	٦٣	٢٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٨٢
معصرة الريرمون (تعرف بالروضة الجمالية)	٢٧٧٨	٧٥	٦٠٠٠	١٥٠٠	٤٥٠٠	١٨٢
متطول	٨٥٠	٣١	٤٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٨٣،١٨٢
ملوى	٤٨٧٠	٧٥	١٨٠٠٠	١٠٠٠٠	٨٠٠٠	١٨٣
منتوت وكفورها	١٩٤٢	٨١	٧٠٠٠	٣٥٠٠	٣٥٠٠	١٨٣
منسفيس	٢٩٦٩	١٤٢	٨٠٠٠	٤٠٠٠	٤٠٠٠	١٨٣
الأعمال المنفلوطية (١) من ٥						
دروة سريام	٥٣٦٠	-	١٨٠٠٠	٤٥٠٠	١٣٥٠٠	١٨٤
الأعمال السيوطية	(٦) من ٣٢					
أبو هدرى	٢٢٦٧	-	٢٥٠٠	١٠٠٠	١٥٠٠	١٨٤
القطاطية	٥٥٠	٢٥	لم يذكر عبرة	والآن خراب		١٨٥
بوتيج خارجا عن أراض الملك	١١٩٧٠	٤٨٨	٣٨١٥٠	٢٢٥٠٠	١٥٦٥٠	١٨٦
جزيرة شندويد	٦٠٠٠	-	١٠٠٠٠	٢٥٠٠	٧٥٠٠	١٨٦
دير أبى مقروفة	٣٤٥٠	٤٦	١٠٥٠٠	٤٢٥٠	٦٢٥٠	١٨٦
مشطا وجروفها وجزائرها	٥١٥٤	١٨	٩٠٠٠	٨٥٠٠	٥٠٠	١٨٨
الأعمال الأخميمية	(٥) من ٢٦					
الجزاير والجروف بالمراغات	٤٣٣	-	٣٠٠٠	والآن خراب	٣٠٠٠	١٨٨
الرملة بالبيارات	٤٥٢	٨٧	٢٠٣١	والآن خراب	٢٠٣١	١٨٩،١٨٨
المراغاة وزياجير وجزايرها	٣٠٣٥٠	٢٧٢	٢٣٠٠٠	١٩٢٥٠	٣٧٥٠	١٨٩
بلسفورة خارجا عن الملك	٦٧٨٧	-	١٥٠٠٠	١٥٨٠٠	+ ٨٠٠	١٨٩
جزاير الجبل	٢٠٤٢	-	١٥٠٠	١٠٠٠	٥٠٠	١٨٩
الأعمال القوصية	(٣) من ٤٣					
الأقصرين وجزائرها	١٦٨٩٠	٢٦١	١٨٠٠٠	٩٠٠٠	٩٠٠٠	١٩٢
فرجوط	٢٣٠٠٠	-	١٩٧٠٠	١٥٠٠٠	٤٧٠٠	١٩٤
مخانس	٩٩٨٦	-	١٥٠٠٠	٢٥٠٠	١٣٥٠٠	١٩٥

(جدول ٣٢)

أسعار أردب القمح بالدرهم

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
أواخر ٧٨٥هـ/يناير ١٣٨٤م	٨ – ١٥	إنباء الغمر، جـ ٢ ، ص ١٣٧ بدائع، جـ ١، ق٢، ص ٣٤٢	
	٨ – ١٠	نزهة، جـ ١، ص ٨٨	
٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م	٣٠	نفس المصدر، ص ١٢٣	
أول ذى الحجة ٧٨٧هـ / يناير ١٣٨٦م	٥٠	نفس المصدر، ص ١٢٣	
فى عام ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م	٥٠	إنباء الغمر، جـ٢، ص ١٩١	
صفر ٧٨٨هـ / مارس ١٣٨٦م	٢٠	نفس المصدر، ص ٢٢٣	
٧٩٠هـ / ١٣٨٨م	٨	نفس المصدر، ص ٢٩٠	
٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م	٢٧	النبراوى: أسعار، ص ١٥٣	
٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م	٤٠	إنباء الغمر، جـ٣، ص٢١٦، نزهة جـ١، ص٣٩١	
	٨٠	إنباء الغمر، جـ ٣، ٢١٦	
صفر ٧٩٧هـ / نوفمبر ١٣٩٤م	٧٠	نزهة، جـ ١، ص ٣٣٩	
٦ربيع الآخر ٧٩٧هـ/ ٣٠ يناير ١٣٩٥	٦٦	نفس المصدر، ص ٤٠٣	
شوال ٧٩٧هـ/ يوليه ١٣٩٥م	٨٠	إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٨١	
	٢٠٠	إغاثة، ص ٤٢	
جمادى الأولى ٧٩٨هـ/فبراير ١٣٩٦ م	١٧٠	إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٢٨٢	
	٥٠	نفس المصدر والصفحة	
	١٢٠	نفس المصدر والصفحة	
	٥٠	نفس المصدر والصفحة	
	٨٠	نفس المصدر والصفحة	

التـــــاريخ	السعر	المصـــــــدر	ملاحظات
	١٢٠	نزهة، جـ ١، ص ٤٣٠	
المحرم ٧٩٩ هـ / أكتوبـــر ١٣٩٦ م	٥٠ - ٦٠	نزهة، جـ ١، ص ٤٣٩	
٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م	٢٥ - ٤٠	السلوك، جـــــ ٣، ق٣، ص ٩٨٢	
أول المحرم ٨٠٢هـ/سبتمبر ١٣٩٩م	٤٠	بدائـع، جــــ ١، ق ٢، ص ٥٥١	
صفر ٨٠٢ هــــــ / أكتوبـــر ١٣٩٩ م	٦٠	نفس المصدر، ص٥٥٤ السـلوك، جــــــ٣، ق٣، ص٩٨٢	
ربيـع الأول ٨٠٢ هـــــــ / نوفمبر ١٣٩٩م	٥٠ - ٧٠	بدائــع، جـــــ١، ق ٢، ص ٥٦٣	
جمادى الأولــى ٨٠٢ هـــــ / يناير ١٤٠٠م	٣٥	نزهة، جـ ٢، ص ٤٥	
شعبان ٨٠٢ هـــــ / مـارس ١٤٠٠ م	٧٥	السـلوك، جــــــ ٣، ق ٣، ١٠١٣	
المحرم ٨٠٣ هـ / أغسـطس ١٤٠٠ م	٥٠	بدائـع، جــــ ١، ق٢، ص ٥٩١	
المحرم ٨٠٤ هـ / أغسـطس ١٤٠١م	٥٠	نفس المصدر، ص ٦٣٨	
المحرم ٨٠٥ هـ / أغسـطس ١٤٠٢م	٦٠	السـلوك، جــــ٣، ق٣، ص١٠٩١ بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٥٩	
رجب٨٠٥ هـ /يناير ١٤٠٣م	٧٠	السـلوك، جــــ٣، ق٣، ص١١٠٠، بدائـع، جـــ١، ق٢، ص٦٦٦، نزهة، جـ٢، ص١٦١ .	
ذو الحجـــة٨٠٥ هــــــــ /يونيه١٤٠٣ م	٩٥	بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٧٣، نزهة، جـ٢، ص١٦٩ .	
المحـرم ٨٠٦ هــ/ يوليـه ١٤٠٣	١٠٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص٦٧٨	

التـــــاريخ	السعر	المصـــــدر	ملاحظات
أواخر المحرم٨٠٦ هـــ/١٩ أغسطس١٤٠٣	١٢٠	نفس المصدر، ص٦٨٠، نزهة، جـ٢، ص١٧٨،	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
ذو الحجة ٨٠٨ هـ / مايو ١٤٠٥ م	١٣٠	بدائع، جـ١، ق٢، ص٧٥١. السلوك، جـ٤، ق١، ص١٩.	
	١٢٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٢.	
المحرم ٨٠٩هـ / يونيه ١٤٠٦ م	١٣٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٧	
المحرم ٨١٠ هـ / يونيه ١٤٠٧م	١٨٠	نفس المصدر، ص٥١ بدائع جـ١، ق٢، ص٧٧٦ .-	
المحرم ٨١١ هـ / مايو ١٤٠٨ م	١٠٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص٦٧.	
شعبان ٨١٢ هـ / ديسمبر ١٤٠٩م	٣٠٠	نفس المصدر، ص١١٦	
المحرم ٨١٣ هـ / مايو ١٤١٠م	٢٠٠	نفس المصدر، ص١٣١ .	
ربيع الأول ٨١٣هـ / يوليه ١٤١٠ م	٢٠٠- ٢٢٠	نزهة، جـ٢، ص٢٦٥ .	
عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م	١٣٠	نفس المصدر، ص٢٧٦ .	
المحرم ٨١٤هـ/أبريل ١٤١١م	١٤٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص١٧٣	
٧ربيع الأول ٨١٤هـ / ٣٠يونيه ١٤١١.	١٤٠	نزهة، جـ٢، ص٢٨٤ .	
رجب ٨١٤هـ / أكتوبر ١٤١١م	١٤٠	نفس المصدر، ص٢٨٧ .	
المحرم ٨١٥هـ / أبريل ١٤١٢ م	١٥٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٥٦ نزهة، جـ٢، ص٣٢٦ .	
المحرم ٨١٦هـ /أبريل ١٤١٣ م	١٨٠	نزهة، جـ٢، ص٣٢٦، السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٥٦ .	
المحرم ٨١٧ هـ / مارس ١٤١٤م	١٤٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٨٠	

التـــــاريخ	السعر	المصـــــــدر	ملاحظات
رمضان ٨١٧هـــ / نوفمـــبر ١٤١٤م	٨٣	نفس المصدر، ص ٢٨٧	٣ أردب بدينار الدينار = ٢٥٠ درهم
جمادى الثـــاني ٨١٨ هـــ /	١٦٠	نفس المصدر، ص ٣٢[illegible]	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
المحرم ٨٢٤هـ / يناير ١٤٢١ م	٢٨٠	السلوك، جـ٤، ق١، ص ٥٤٨	
رمضان ٨٢٥هـ / أغسطس ١٤٢٢م	١٥٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦١٨	
صفر ٨٢٦ هـ / يناير ١٤٢٣م	٩٠	نزهة، جـ٣، ص٢٣	
جمادى الأولى ٨٢٦هـ / أبريل ١٤٢٣ م	٨٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٣٤	
جمادى الأخرة ٨٢٦هـ / مايو ١٤٢٣م	١٤٠	نفس المصدر، ص ٦٣٦	
شوال وذو القعدة ٨٢٦هـ / سبتمبر وأكتوبر ١٤٢٣م	١٥٠	نزهة، جـ٣، ص٢٣	
ربيع الآخر ٨٢٧هـ / مارس ١٤٢٤م	٢٠٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٦٠	
ذو القعدة وذو الحجة ٨٢٧هـ / سبتمبر وأكتوبر ١٤٢٤ م	٣٠٠	نزهة، جـ٣، ص٧٠	
شعبان ٨٢٨هـ / يونية ١٤٢٤م	٢٠٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٩١	
ذو القعدة ٨٢٨هـ / سبتمبر ١٤٢٥م	٢٠٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٦٩٧	
صفر ٨٢٩هـ / ديسمبر ١٤٢٥م	٣٠٠	نفس المصدر، ص ٧١٠	
ربيع الأول ٨٢٩هـ / يناير ١٤٢٦م	٣٠٠	نفس المصدر، ص ٧١٢	
جمادى الأولى ٨٢٩هـ / مارس ١٤٢٦م	٥٤٠	نفس المصدر، ص ٧١٨	الأردب = ٢ دينار والدينار =٢٧٠درهم
آخر جمادى الأولى ٨٢٩هـ/ ٩أبريل ١٤٢٦م	٢٧٠	نفس المصدر والصفحة	الأردب = دينار
المحرم ٨٣٠هـ / نوفمبر ١٤٢٦م	١٥٠	نفس المصدر، ص ٧٣٤	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
رجب ٨٣٠ هـ / أبريل ١٤٢٧م	٨٠	نفس المصدر، ص ٧٤٤	
المحرم ٨٣١هـ / أكتوبر ١٤٢٧م	١٧٠	نفس المصدر، ص ٧٦٤	
رجب ٨٣١هـ / أبريل ١٤٢٨م	١٦٠	نفس المصدر، ص ٧٧٨	
ذو القعدة ٨٣١هـ/ أغسطس ١٤٢٨م	٣٠٠	نفس المصدر، ص ٧٨٢	
ذو الحجة ٨٣١هـ / سبتمبر ١٤٢٨م	٤٠٠ ٣٥٠	نفس المصدر، ص ٧٨٣ نفس المصدر والصفحة	
أول ربيع الآخر ٨٣٢ هـ / ٨ يناير ١٤٢٩م	٤٥٠ ٥٠٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٧٩٤، نزهة، جـ٣، ص ١٤٨ نفس المصدرين والصفحتين	
جمادى الآخر ٨٣٢ هـ / مارس ١٤٢٩م	٢٨٠	نزهة، جـ ٣، ص ١٥٤	
رجب ٨٣٢ هـ / ابريل ١٤٢٩ م	٢٤٠	نفس المصدر والصفحة	
رجب ٨٣٢ هـ / ابريل ١٤٢٩ م	٣٠٠	نفس المصدر، ص ١٥٥، السلوك، جـ٤، ق٢، ص٨٠٠	
شوال ٨٣٢ هـ / يوليه ١٤٢٩ م	٢٥٠	نزهة، جـ ٣، ص ١٦٠	
ربيع الأول ٨٣٣ هـ / نوفمبر ١٤٢٩ م	٣٦٠	نفس المصدر، ص ١٨١	
ربيع الآخر ٨٣٣ هـ / ديسمبر ١٤٢٩	٢٥٠ ١٥٠	السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٨٢٠ نزهة، جـ ٣، ص ١٨٢	
رجب ٨٣٣ هـ / مارس ١٤٣٠ م	٢٠٠	السلوك، جـ٤، ق٢، ص ٨٣٠، نزهة، جـ ٣، ص ١٩٣ .	

التــــاريخ	السعر	المصـــــــدر	ملاحظات
شعبان ٨٣٣ هـــــ / ابريــل ١٤٣٠ م	١٥٠	السلوك، جـــ ٤، ق ٢، ص ٨٣٢	
صفر ٨٣٤ هـــــ / اكتوبــر ١٤٣٠ م	١٣٠	نفس المصدر، ص ٨٥١	
شــوال ٨٣٥ هــــ/ يونيـــه ١٤٣٢م	١٦٠	نزهة، جـــ ٣، ص ٢٣٩	زاد الأردب ٣٠ درهم
المحرم ٨٣٦ هــ / أغســطس ١٤٣٢ م	١٣٠	نفــس المصــــدر، ص ٢٤٧، الســـلوك، جـــــــ٤، ق٢، ص٨٨٠ .	
صفــر ٨٣٦هـــــ / ســبتمبر ١٤٣٢ م	١٨٠	نزهة، جـــ ٣، ص ٢٧٣	
ذو القعــدة ٨٣٦ هــــــ / ١٩ يونيه ١٤٣٢م	١٣٠	السلوك، جـــ ٤، ق ٢، ٨٩٣	
ذو الحجـــة ٨٣٦ هــــــ/ ١٩ يوليه ١٤٣٢ م	١٤٠	نفس المصدر، ص ٨٩٤	
المحرم ٨٣٧ هــ / أغســطس ١٤٣٣ م	١٤٠	نفس المصدر، ص ٩٠٢	
شوال ٨٣٧ هــ / مايو ١٤٣٣ م	١٧٠	نزهـــة، جـــــــ٣، ص ٢٩٠، الســـلوك، جـــــ٤، ق٢، ص ٩١٩	
ذو الحجة ٨٣٧ هــ / يوليـــه ١٤٣٤ م	٢٠٠	نزهة، جـــ ٣، ص ٢٩١	
شـــوال ٨٣٨ هــــ / ابريــل ١٤٣٤ م	٢٥٠	إنباء الغمــــر، جــــــ ٣، ص ٥٥٢	
ربيــع الآخــر ٨٣٩ هـــــ / أكتوبر ١٤٣٥ م	٣٦٠	الســـلوك، جـــــــ٤، ق٢، ص٩٦٤، نزهة، جـــ٣، ص ٣٣٧	
صفــر ٨٤٣ هـــ / يوليـــه ١٤٣٩م	١٩٠	السلوك، جــــ ٤، ق٣، ص ١١٦٠	
شــعبان ٨٤٣ هـــ / ينـــاير ١٤٤٠ م	٣٠٠	نفس المصدر، ص ١١٨٠ .	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
رمضان ٨٤٣ هـ / فبراير ١٤٤٠ م	٣٣٠	نفس المصدر، ص ١١٨١	
المحرم ٨٤٨ هـ / ابريل ١٤٤٤ م	٢٠٠	حوادث الدهور، ص ١١	
من المحرم إلى شوال ٨٤٩هـ/ابريل إلى ديسمبر ١٤٤٥ م	١١٠ – ١٢٠	التبر المسبوك، ص ١٢٦	
بعد شوال ٨٤٩ هـ / بعد ديسمبر ١٤٤٥ م	١٧٠- ١٨٠	نفس المصدر والصفحة	
عام ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م	١١٠	التبر المسبوك، ص ١٨٧	
جمادى الأولى ٨٥٣ هـ / يونيه ١٤٤٩م	٣٠٠	حوادث الدهور، ص ٤٦	
جمادى الآخرة ٨٥٣هـ / يوليه ١٤٤٩م	٢٩٠	نفس المصدر، ص ٤٧	
	٤٠٠	نفس المصدر، ص٤٨، التبر المسبوك، ص٢٦٠، النجوم، جـ١٥، ص٣٩٦	
ربيع الثانى ٨٥٣هـ / مايو ١٤٤٩ م	٣٠٠	التبر المسبوك، ص ٢٥٩	
جمادى الأولى ٨٥٣ هـ / يونيه ١٤٤٩ م	٢٩٠	نفس المصدر والصفحة	
رمضان ٨٥٣ هـ / اكتوبر ١٤٤٩ م	٦٠٠	حوادث الدهور، ص ٥٢	
ذو الحجة ٨٥٣ هـ / يناير ١٤٥٠ م	٨٠٠	التبر المسبوك، ص ٢٦٢	
أواخر عام ٨٥٣ هـ / يناير ١٤٥٠ م	١٠٠٠	نفس المصدر، ص ٢٧١	
المحرم ٨٥٤ هـ / فبراير ١٤٥٠	٨٠٠	النجوم، جـ١٥، ص ٤٠٥، حوادث الدهور، ص ٦٠	
	٦٠٠	التبر المسبوك، ص ٣٠٠	
جمادى الأولى ٨٥٤ هـ / يونيه ١٤٥٠م	٥٠٠	نفس المصدر، ص٣٠١، حوادث الدهور، ص ٧٨ .	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
رجب ٨٥٤ هـ / أغسطس ١٤٥٠ م	٦٠٠	التبر المسبوك، ص٣٠١، حوادث الدهور، ص ٨٦	
رمضان ٨٥٤ هـ / اكتوبر ١٤٥٠ م	١٢٠٠	التبر المسبوك، ص ٣١٢	
فى آخر عام ٨٥٤ هـ / يناير ١٤٥١ م	١٠٠٠	نفس المصدر والصفحة	
المحرم ٨٥٥ هـ / فبراير ١٤٥١ م	١٥٠٠	حوادث الدهور، ص ١٠٠	
صفر ٨٥٥ هـ / مارس ١٤٥١ م	١٠٠٠	التبر المسبوك، ص ٣٤٦	
ربيع الأول ٨٥٥ هـ / ابريل ١٤٥١ م	٨٠٠	نفس المصدر والصفحة	
	٨٠٠ - ١٠٠٠	حوادث الدهور، ص ١٠٥	
رجب ٨٥٥ هـ / يوليه ١٤٥١ م	٩٠٠	نفس المصدر، ص ١١٠ ـ ١١١	
رمضان ٨٥٥ هـ / سبتمبر ١٤٥١ م	١٩٩٥	بدائع، جـ ٢، ص ٢٩١	الأردب = ٧ أشرفى الأشرفى فى ربيع الأول ٨٥٦ = ٢٨٥ درهم
المحرم ٨٥٦ هـ / يناير ١٤٥٢م	٨٠٠	التبر المسبوك، ص ٣٨١	
ربيع الثانى ٨٥٦ هـ / ابريل ١٤٥٢ م	٤٠٠	نفس المصدر والصفحة	
ذو القعدة ٨٥٦ هـ / نوفمبر ١٤٥٢ م	٣٢٠	حوادث الدهور، ص ١٣٥	
أواخر ٨٥٦ هـ / ديسمبر ١٤٥٢ م	٣٠٠	التبر المسبوك، ص ٣٨١	
رجب ٨٥٧ هـ / يوليه ١٤٣٥ م	١٤٠	حوادث الدهور، ص ١٨٨	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
أول ربيع الأول ٨٦٠ هـ / فبراير ١٤٥٦ م	٢٧٠	نفس المصدر، ص ٢٥١	
آخر رمضان ٨٦٠ هـ / اسبتمبر ١٤٥٦ م	٢٦٠	نفس المصدر، ص ٢٧٦	
المحرم ٨٦١ هـ / نوفمبر ١٤٥٦ م	٤٧٠	نفس المصدر، ص ٢٩١	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	

التاريخ	السعر	المصدر	ملاحظات
شوال ٨٧٢ هـ / ابريل ١٤٦٨ م	٦٠٠	نفس المصدر، ص ٦٢٨	
ذو الحجة ٨٧٢ هـ / يونيه ١٤٦٨ م	٧٠٠	نفس المصدر، ص٦٤٣، بدائع، جـ ٣، ص ١٦	
صفر ٨٧٣ هـ / أغسطس ١٤٦٨ م	٧٥٠	حوادث الدهور، ص ٦٧٦	
ربيع الأول ٨٧٣ هـ / سبتمبر ١٤٦٨ م	٨٠٠	نفس المصدر، ص ٦٨٥	
ربيع الآخر ٨٧٣ هـ / اكتوبر ١٤٦٨ م	٩٠٠	نفس المصدر، ص ٦٨٧	
بعد ٢٣ رمضان ٨٧٣هـ / ٨ ابريل ١٤٦٩م	٦٠٠	نفس المصدر، ص ٧٠٦	
المحرم ٨٧٤ هـ / يوليه ١٤٦٩ م	٩٥٠	مجهول : كتاب فى التاريخ من ٨٧٣ حتى ٩٠٤ هـ، ورقة ٥ .	الأردب من ٣ دينار إلى٣,٧
المحرم ٨٧٥ هـ / يونيه ١٤٧٠ م	٢١٠٠	بدائع، جـ ٣، ص ٤٧	الأردب = ٧ أشرفية الدينار =٣٠٠درهم
٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م	٣٠٠	الصيرفى : أبناء، ص ٤٣١	
٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م	١٥٠	بدائع، جـ ٣، ص ٢٠٧	الأردب=٠,٥ دينار الدينلو=٣٠٠ درهم
المحرم ٨٩٢ هـ / ديسمبر ١٤٨٦ م	١٨٠٠ ١٢٠٠	بدائع، جـ ٣، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ نفس المصدر، ص ٢٣٨	٦ دنانير ٤ دنانير
أواخر ٨٩٦ هـ / اكتوبر ١٤٩١ م	١٠٠	نفس المصدر، ص ٢٨٤	٣ أردب= أشرفى
رجب ٩٠٠ هـ / مارس ١٤٩٤م	٩٠	بدائع، جـ ٣، ص ٣٠٨	١٠ أردب = ٣ دنانير

متوسط	متوسط		

السنة	أسعار القمح على مدى العام										متوسط سعر القمح بالدرهم	متوسط سعر القمح بالدينار
٨٨٨												
٨٨٩	١٥٠										١٥٠	٠,٥
٨٩٠												
٨٩١												
٨٩٢	١٨٠٠	١٢٠٠									١٥٠٠	٥
٨٩٣												
٨٩٤												
٨٩٥												
٨٩٦	١٠٠										١٠٠	٠,٣٣
٨٩٧												
٨٩٨												
٨٩٩												
٩٠٠	٩٠										٩٠	٠,٣
٩٠١	٦٠										٦٠	٠,٢
٩٠٢												
٩٠٣	١٢٦٠										١٢٦٠	٣
٩٠٤												
٩٠٥												
٩٠٦												
٩٠٧												
٩٠٨												
٩٠٩												
٩١٠												
٩١١												
٩١٢												
٩١٣												
٩١٤	٦٠٠										٦٠٠	٢

السنة	أسعار القمح على مدى العام										متوسط سعر القمح بالدرهم	متوسط سعر القمح بالدينار
٩١٥												
٩١٦												
٩١٧	٦٠٠										٦٠٠	٢
٩١٨												
٩١٩												
٩٢٠												
٩٢١												
٩٢٢												
٩٢٣												

(جدول ٣٥)

المنشآت الوقفية كما هى مرتبة فى جدول (متوسط أجور الوظائف)

م	الرمز	اسم الوقف والمصدر	التـــاريخ
١	B	خانقاه ومدرسة برقوق Fernandes: The evolution	٧٨٨ هـ
٢	C	قبر حجة ٥٣ دار الوثائق	٢٩ رجب ٧٩٦ هـ
٣	D	الخانقاه الصلاحية حجة ٥٦ دار الوثاق	٨٠٢ – ٨٠٣ هـ
٤	E	رباط حجة ٦٥ دار الوثائق	١٨ ذى الحجة ٨١٠ هـ
٥	F	جامع بقلعة الجبل حجة ٦٦ دار الوثائق	٧ المحرم ٨١٢ هـ
٦	G	قبر حجة ٦٧ دار الوثائق	٢٧ جماد ثان ٨١٣ هـ
٧	H	مدرسة حجة ٦٨ دار الوثائق	٢٨ جماد ثان ٨١٣ هـ
٨	I	جامع حجة ٧٠ دار الوثائق	٢ رمضان ٨١٥ هـ
٩	J	خانقاه وجامع المؤيد شيخ Fernandes : Op . cit	٨٢٣هـ
١٠	K	خانقاه المؤيد شيخ Fernandes : Op . cit	٨٢٣ هـ
١١	L	المدرسة الأشرفية محمد عبد الســـتار : الآثار المعمارية	٨٢٧هـ / ٨٢٨هـ
١٢	M	منشآت برسباى بالصحراء محمـــد عبـد الستار :الآثار المعمارية	٨٢٧ – ٨٢٨ هـ
١٣	N	جامع برسباى بخانقاه سرياقوس محمـــد عبد الستار :الآثار المعمارية	٨٢٧ – ٨٢٨ هـ
١٤	O	مســجد بـــاب النصـــر محمـــد عبـــد الستار :الآثار المعمارية	٨٢٧ – ٨٢٨ هـ
١٥	P	مدرسة جوهر اللالا ليلى كامل : مدرسة جوهر اللالا	٨٣٣ هـ
١٦	Q	حجة الزينى خشقدم عبد الغنى محمود : التعليم	ربيع الآخر ٨٣٧ هـ
١٧	R	خانقاه برسباى فى الانبارية Fernandes : Op . cit	٨٤٠ هـ
١٨	S	خانقاه برسباى فى الصحراء Fernandes : Op . cit	٨٤٠ هـ

م	الرمز	اسم الوقف والمصدر	التاريخ
١٩	T	مسجد قراقجا حسن سيد جودة : مساجد الأمراء	٨٤٥ هـ
٢٠	U	مدرسة الأمير الجمالى يوسف حسن جودة : مساجد الأمراء	٨٥٠ هـ
٢١	V	خانقاه ومدرسة جمال الدين الاستادار Fernandes : Op . cit:	٨٥٢ هـ
٢٢	W	خانقاه وجامع حجة ١٠٦ دار الوثائق	جماد أول ٨٥٢ هـ
٢٣	X	مسجد حجة ١٠٧ دار الوثائق	صفر ٨٥٢ هـ
٢٤	Y	مسجد حجة ١١٠ دار الوثائق	صفر ٨٥٥ هـ
٢٥	Z	تربة وكتاب حجة ٦٧٧ وقف دفتر خانة	ذو الحجة ٨٦٤ هـ
٢٦	AA	حجة قايتباى حسنى محمد : منشآت قايتباى	٨٧٩ هـ
٢٧	AB	خانقاه وجامع قايتباى Fernandes : Op . cit	٨٨٤ هـ
٢٨	AC	جامع أزبك Fernandes : Op . cit	٨٩٠ هـ
٢٩	AD	جامع قايتباى بجزيرة الروضة حسنى محمد: منشآت قايتباى	ذو الحجة ٨٩٥ هـ
٣٠	AE	خانقاه وجامع قرقماس Fernandes : Op . cit	٨٩٨ هـ
٣١	AF	مسجد وأيتام حجة ٢٢٢ دار الوثائق	٩٠٣ هـ/ أوقاف مضافة ٩١٧ هـ
٣٢	AG	خانقاه الغورى Fernandes : Op . cit	٩١١ هـ

(جدول ٣٦)

ترتيب أرباب الوظائف طبقا لأجورهم

مسلسل	الوظيفـــــــة	متوسط الراتب الشهرى بالدرهم	الرقم فى جدول الأجور
١	شيخ الصوفية	١٤٧٥	١
٢	ناظر الوقف	١٤١٦	٧٠
٣	موظف حسابات	١١٩٥	٧٤
٤	شيخ الطحاوى	١٠٥٠	٣٥
٥	شيخ الشافعية	٩٦٦	٢
٦	شيخ الحنفية	٩٣٦	٣
٧	قارىء العقيدة	٨٤٠	٣٧
٨	شاد الوقف	٧٦٦	٦٩
٩	مباشر	٧٢٨	٥١
١٠	جابى	٦٧٧	٦٨
١١	شيخ التفسير	٦٧٥	٦
١٢	عتيق الوقف	٦٥٠	٧٨
١٣	شسخ الحنبلية	٦٢١	٥
١٤	شاهد الوقف	٦٠٣	٦٣
١٥	شيخ المالكية	٦٠٢	٤
١٦	خادم القبة	٦٠٠	٥٣
١٧	كاتب الوقف	٦٠٠	٧٥
١٨	شيخ القرءات السبع	٥٨٥	٨
١٩	سواق الساقية	٥٥٣	٥٥
٢٠	شيخ الحديث	٥٥٢	٧
٢١	موقع الأوقاف	٥٢٤	٧٢
٢٢	إمام	٥١١	٢١
٢٣	مزملاتى سقا	٥٠٢	٤٩
٢٤	كناس / رشاش	٤٩٠	٥٦
٢٥	خطيب	٤٠١	١٦
٢٦	خولى	٤٠٠	٧٧
٢٧	برددار	٣٥٦	٤٥

مسلسل	الوظيفــــــة	متوسط الراتب الشهرى بالدرهم	الرقم فى جدول الأجور
٢٨	أمين الحواصل	٣١٨	٦٥
٢٩	خادم شيخ	٣١٤	٢٣
٣٠	بواب للباب الرئيسى	٣١٠	٤٦
٣١	شاهد العمارة	٣٠٥	٦٤
٣٢	ماحى الأمية	٣٠٠	٤٠
٣٣	ميقاتى	٢٨٩	٤٨
٣٤	قارىء الصوفية	٢٨٤	٤١
٣٥	كاتب الغيبة للمؤذنين	٢٨٠	٢٧
٣٦	طلاب الطحاوى	٢٨٠	٣٦
٣٧	قبانى	٢٨٠	٦٦
٣٨	المخبرى	٢٨٠	٦٧
٣٩	طواش الوقف	٢٨٠	٧١
٤٠	مؤدب	٢٧٤	٣١
٤١	فراش	٢٧٣	٤٤
٤٢	جراح	٢٥٥	٥٩
٤٣	كاتب الغيبة الصوفية	٢٥٠	٢٦
٤٤	بواب للباب الخلفى	٢٣٨	٤٧
٤٥	مشرف على توزيع الخبز	٢٣٣	٧٣
٤٦	خازن الكتب	٢٢٣	٤٣
٤٧	صوفى	٢٢٠	٢٠
٤٨	طالب حنفى	٢١٧	١٠
٤٩	قارىء السيرة النبوية	٢١٦	٤٢
٥٠	خادم المصاحف الأربعة	٢١٠	٣٩
٥١	حكيم طبائعى	٢١٠	٥٧
٥٢	كحال	٢١٠	٥٨
٥٣	مرقى الخطيب	٢٠٠	٣٣
٥٤	قومة / وقاد	١٩١	٥٠
٥٥	مبخر	١٩٠	٥٢
٥٦	سباك	١٨٥	٦٢
٥٧	قارىء للبخارى ومسلم	١٨٤	١٧

مسلسل	الوظيفـــــــة	متوسط الراتب الشهرى بالدرهم	الرقم فى جدول الأجور
٥٨	مرخم	١٧٧	٦١
٥٩	قارىء المصحف "الجمعة"	١٧٠	١٨
٦٠	مؤذن	١٦٨	٢٢
٦١	طالب مالكى	١٦٧	١١
٦٢	طالب حنبلى	١٦٧	١٢
٦٣	خادم الربعة	١٦٦	٢٥
٦٤	خادم السجادة	١٦٣	٢٤
٦٥	قارىء القرآن	١٦١	٢٨
٦٦	طالب تفسير	١٥٥	١٣
٦٧	طالب حديث	١٥٥	١٤
٦٨	طالب القراءات السبع	١٥٥	١٥
٦٩	طالب شافعى	١٥٠	٩
٧٠	مداح	١٤٦	٣٠
٧١	مهندس	١٣٨	٦٠
٧٢	عريف	١٢١	٣٨
٧٣	نجار	١٠٥	٧٦
٧٤	قارىء الشباك	٩١	٣٢
٧٥	طفل من الكتاب (يتيم)	٨٣	٣٤
٧٦	قارئ القبة	٢٢.٥	٢٩
٧٧	طباخ	٢٠	٥٤
٧٨	كاتب طبقات المحدثين	٢٠	١٩

(جدول ٣٧)

وفيات عام ٨٥٣ هـ

السخـــــاوي : التبر المسبوك

م	الاســــــم	يوم الوفاة	مكان الوفاة	سبب الوفاة
١	إبراهيم بن محمد بن ظهير	صفر	مصلي باب النصر	الطاعون
٢	إبراهيم بن محمد الكردي	محرم	مكة	-
٣	إبراهيم بن موسي بن بلال	رمضان	القاهرة	-
٤	إبراهيم بن النقي الدمشقي	ربيع الأول	دمشق	-
٥	إبراهيم الفزاري	شعبان	دمشق	-
٦	أحمد ابن ابي بكر بن عبد الله	ذو القعدة	مكة	-
٧	أحمد ابن السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق	صفر	القاهرة	الطاعون
٨	أحمد بن دلامة البصري	محرم	دمشق	-
٩	أحمد بن عبد الله بن خلف الشبراوي	صفر	القاهرة	-
١٠	أحمد بن علي الشيخ شهاب الديـــن الهيتي	محرم	القاهرة	الطاعون
١١	أحمد بن علي بن عامر	محرم	القاهرة	-
١٢	أحمد بن محمد بن أحمد الذووي	محرم	مكة	-
١٣	أحمد بن محمد بـــن قاســـم الشـــيخ شهاب الدين الطوخي	ذو الحجة	القاهرة	-
١٤	أحمد بن محمد ابن القاضي بدر الدين	ربيع الأول	القاهرة	الطاعون
١٥	أحمد الأقباعي الدمشقي	شعبان	دمشق	-
١٦	أحمد السلوي المغربي	-	المغرب	-
١٧	أردباي الجاركسية	صفر	القاهرة	الطاعون
١٨	أركماس المؤيدي	ربيع الآخر	القاهرة	الطاعون
١٩	أزبك الظاهري	صفر	القاهرة	الطاعون
٢٠	أسد الدين الكيماوي العجمي	المحرم	القاهرة	القتل
٢١	إسماعيل بن زايد	ذو الحجة	القاهرة	التوسيط
٢٢	اسماعيل بن يوسف الهواري	صفر	القاهرة	-
٢٣	آمنة ابنة نصر الله بن أحمد	رمضان	-	-

م	الاســـــم	يوم الوفاة	مكان الوفاة	سبب الوفاة
٢٤	إيدكن الظاهري	ربيع الأول	القاهرة	الطاعون
٢٥	إينال اليشبكي	صفر	القاهرة	–
٢٦	أيوب بن حسن (ابن بشارة)	ذو الحجة	صيدا	توسيط
٢٧	أبو بكر بن أيوب الفيومي	صفر	مكة	–
٢٨	أبو بكر بن عثمان بن محمد (الزمزمي)	صفر	مصر	الطاعون
٢٩	أبو بكر بن زين الدين الحسيني	رجب	–	–
٣٠	بحتك الناصري	صفر	القاهرة	الطاعون
٣١	بردبك الظاهري	صفر	القاهرة	الطاعون
٣٢	بيسق اليشبكي	شعبان	دمشق	–
٣٣	تمراز القرمشي الظاهري برقوق	صفر	القاهرة	الطاعون
٣٤	تمرباي التمر بغاوي	صفر	القاهرة	الطاعون
٣٥	جانم الظاهري	صفر	القاهرة	الطاعون
٣٦	حسن بن علي بن فخر الدين الحسيني (نقيب الأشراف)	صفر	القاهرة	–
٣٧	خديجة ابنة عبد الكريم	–	–	سقطت
٣٨	خشقدم السيفي سودون	ربيع الأول	القدس	–
٣٩	داود الصيرفي	رجب	القاهرة	–
٤٠	رحاب(أحد مشايخ عربان البحيرة)	ذو الحجة	–	قتل
٤١	رسول بن أبي بكر بن الحسين الكردي	صفر	القاهرة	الطاعون
٤٢	سارة ابن الأتابك أقبغا التمرازي	ربيع الأول	القاهرة	–
٤٣	سارة ابنة الأمير ناصر الدين محمد بن العطار	صفر	القاهرة	الطاعون
٤٤	سنان بن علي العمري	المحرم	–	–
٤٥	سنقر أحد مشايخ عربان البحيرة	ذو الحجة	–	قتل
٤٦	سودون المحمدي المؤيدي	رجب	–	الطاعون
٤٧	شاهين الكمالي	صفر	القاهرة	الطاعون
٤٨	طوخ أمير	صفر	القاهرة	الطاعون
٤٩	عبد الرحمن بن أحمد أبو الفرج بن شهاب الدين	صفر	مكة	–
٥٠	عبد الرحمن بن محمد بن بكتمر الزيني	ربيع الأول	القاهرة	--

م	الاســــم	يوم الوفاة	مكان الوفاة	سبب الوفاة
٥١	عبد الرحيم المقدسى الحنفي	شعبان	بيت المقدس	-
٥٢	عبد اللطيف بن محمد بن أحمد	شوال	مكة	اسهال ورمي دم
٥٣	عبد الله بن إسماعيل العفيف	شوال	المدينة	-
٥٤	علي بن حسن بن عجلان	صفر	دمياط	الطاعون
٥٥	علي بن قراجا الحسني	صفر	القاهرة	الطاعون
٥٦	علي بن محمد بن عبد القادر	صفر	القاهرة	-
٥٧	علي بن يوسف الخواجا	شعبان	مكة	-
٥٨	علي الفقيه نور الدين الضرير	صفر	القاهرة	-
٥٩	علي الكرماني الإمام	صفر	القاهرة	الطاعون
٦٠	فاطمة ابنة السلطان الظاهري أبـي سعيد جقمق	صفر	القاهرة	الطاعون
٦١	فرج السراي الحاج صالح	ربيع الآخر	مكة	-
٦٢	قراجا الحسني الظاهرى برقوق	صفر	القاهرة	الطاعون
٦٣	أبو القاسم بن حسن بن عجلان	صفر	القاهرة	الطاعون
٦٤	كبراي ابنـــة العـــلاي علـــي بـــن الناصري محمد	ربيع الآخر	القاهرة	-
٦٥	محمد بن ابراهيم بن عبد المهيمن	-	البحيرة	قتل
٦٦	محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبـد الله بن محمد	رمضان	-	-
٦٧	محمد بن احمد بن محمد	صفر	-	-
٦٨	محمد بن احمد الناصري	صفر	القاهرة	الطاعون
٦٩	محمد بن أرغون شاه	-	دمشق	-
٧٠	محمد ابن السلطان ابي سعيد جقمق	ربيع الأول	القاهرة	الطاعون
٧١	محمد ابن السلطان ابي سعيد جقمق	صفر	القاهرة	الطاعون
٧٢	محمد ابن السلطان ابي سعيد جقمق	صفر	القاهرة	الطاعون
٧٣	محمد بن حسن جمال الدين الخالدي	شعبان	مكة	-
٧٤	محمد بن صدقة الخواجا	جمـــــادي الأولي	دمشق	-
٧٥	محمد بن صلاح بن يوسف	رمضان	بيت المقدس	-
٧٦	محمد بن طوغان الحسني نـــاصر الدين	صفر	-	الطاعون

م	الاســـــم	يوم الوفاة	مكان الوفاة	سبب الوفاة
٧٧	محمد بن الزيني عبد الباسط بن خليل	صفر	القاهرة	الطاعون
٧٨	محمد بن عبد الرحمن بن عيسي بن سلطان	صفر	القاهرة	–
٧٩	محمد بن قاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن	صفر	القاهرة	–
٨٠	محمد بن محمد بن احمد بن عمر القاضي	ذو القعدة	الشرقية	–
٨١	محمد بن محمد بن علي بن احمد بن عبد العزيز	ذو القعدة	مكة	–
٨٢	محمد بن ابي عبد الله بن علي بن احمد	ربيع الأول	مكة	–
٨٣	محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل ابو عبد الله	ذو الحجة	الصالحية	–
٨٤	محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الحافظ	شعبان	بعلبك	–
٨٥	محمد ابو عبد الله البياني المغربي	ربيع الأول	الصالحية	–
٨٦	محمد السطوحي عرف بالصاجاني	ربيع الأول	القاهرة	–
٨٧	محمد الشيخ شمي الدين ابو عبد الله	ربيع الآخر	القاهرة	–
٨٨	محمد بن عمر بن بعقوق	ذو القعدة	–	–
٨٩	مغلباي أحد مماليك السلطان	صفر	القاهرة	الطاعون
٩٠	نقية ابن الأمير ناصر الدين	صفر	القاهرة	الطاعون
٩١	يحيي بن احمد بن عمرو ابن العطار	ذو الحجة	القاهرة	–
٩٢	يحي البيجاي المغربي	–	بلطيم	الطاعون
٩٣	تقي الدين بن درهم المعصراني	صفر	–	–
٩٤	ابن القراجا الحسني	صفر	القاهرة	الطاعون
٩٥	ابن الخليفة المستكفي بالله	صفر	القاهرة	الطاعون
٩٦	ابنة السلطان تساعية	صفر	القاهرة	الطاعون
٩٧	أخت السلطان	صفر	القاهرى	الطاعون

(جدول ٣٨)

وثائق الأوقاف والبيع فى مصر فى عهد المماليك الجراكسة

السنة	أوقاف دار الوثائق	أوقاف الدفترخانة	أوقاف أقباط	أوقاف دار الكتب	المجموع	عدد وثائق البيع
٧٨٤						
٧٨٥						
٧٨٦		١			١	
٧٨٧						
٧٨٨	١				١	
٧٨٩	١	١			٢	
٧٩٠		٣			٣	
٧٩١						
٧٩٢		٢			٢	
٧٩٣	١				١	
٧٩٤						
٧٩٥		٣			٣	١
٧٩٦	١	٢			٣	
٧٩٧		٢			٢	
٧٩٨						
٧٩٩	١				١	
٨٠٠						
٨٠١						
٨٠٢		١			١	٢
٨٠٣	١				١	
٨٠٤	٢	٢			٤	١
٨٠٥						
٨٠٦		١			١	٢
٨٠٧	٣				٣	
٨٠٨	٢		١		٣	١
٨٠٩	١				١	
٨١٠	٢	١			٣	١

السنة	أوقاف دار الوثائق	أوقاف الدفترخانة	أوقاف أقباط	أوقاف دار الكتب	المجموع	عدد وثائق البيع
٨١١						
٨١٢	١				١	
٨١٣	٢				٢	
٨١٤	٢	٢			٤	
٨١٥	١				١	
٨١٦						١
٨١٧		١			١	
٨١٨						
٨١٩						
٨٢٠	١				١	
٨٢١	٢				٢	
٨٢٢						
٨٢٣		١			١	
٨٢٤						١
٨٢٥	١				١	
٨٢٦						
٨٢٧	١	٣		١	٥	
٨٢٨	١				١	١
٨٢٩		١			١	١
٨٣٠	٢				٢	
٨٣١		٢			٢	٤
٨٣٢	١	١			٢	
٨٣٣	٣	٣			٦	٣
٨٣٤	٤				٤	١
٨٣٥						
٨٣٦	١				١	٣
٨٣٧	٢				٢	٢
٨٣٨		١			١	
٨٣٩	٢				٢	٢
٨٤٠						٢

السنة	أوقاف دار الوثائق	أوقاف الدفترخانة	أوقاف أقباط	أوقاف دار الكتب	المجموع	عدد وثائق البيع
٨٤١		١			١	٤
٨٤٢	٢				٢	٢
٨٤٣	٢				٢	٢
٨٤٤	٢	٢			٤	٦
٨٤٥	١	٢			٣	١
٨٤٦	١	١			٢	
٨٤٧	١				١	
٨٤٨	١	١			٢	١
٨٤٩	٢	-			٢	٢
٨٥٠		١			١	٢
٨٥١		١			١	٢
٨٥٢	١				١	٤
٨٥٣	٢	٣			٥	١٠
٨٥٤		١			١	٥
٨٥٥	١				١	٤
٨٥٦	٣				٣	١
٨٥٧						١٠
٨٥٨	١				١	٧
٨٥٩	١				١	٧
٨٦٠	١				١	٥
٨٦١	١	١	١		٣	٩
٨٦٢	١				١	٤
٨٦٣	٢				٢	٢٠
٨٦٤	٥	٥			١٠	٣٩
٨٦٥	٥				٥	١٨
٨٦٦	٤	٣			٧	١١
٨٦٧	١	٣			٤	١٨
٨٦٨	٣	١			٤	٩
٨٦٩	٣	٢			٥	١٤
٨٧٠	٤	١			٥	٥

السنة	أوقاف دار الوثائق	أوقاف الدفترخانة	أوقاف أقباط	أوقاف دار الكتب	المجموع	عدد وثائق البيع
٨٧١	٥	١			٦	١٣
٨٧٢	٥	٢			٧	٥
٨٧٣	٧	٢			٩	٩
٨٧٤	١	٤			٥	١
٨٧٥	٣				٣	١
٨٧٦	١	٤			٥	
٨٧٧	٢	٣	١		٦	٢
٨٧٨		١			١	
٨٧٩	٢	٥			٧	١
٨٨٠	٥				٥	١
٨٨١	٥	٤			٩	٣
٨٨٢	١				١	
٨٨٣	١	١			٢	١
٨٨٤	١	٣			٤	
٨٨٥	١	١			٢	
٨٨٦	١	٢			٣	٢
٨٨٧	٣				٣	٣
٨٨٨		١			١	
٨٨٩						٢
٨٩٠	٥	١			٦	٤
٨٩١	٢	١			٣	٩
٨٩٢		١			١	٢
٨٩٣	١	٤			٥	٧
٨٩٤						٧
٨٩٥	٥	١			٦	
٨٩٦		٢			٢	٢
٨٩٧	٣	٣			٦	٢
٨٩٨	٢	٣			٥	٥
٨٩٩	١	١	١		٣	
٩٠٠		١			١	١

الحمام البرى	يستخدم فى تحريك الهواء وتجديده . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ الدهنة : رسالة مختصرة ، ورقة٤ .
لخزامى	نبت طيب الريح ، قال أبو حنيفة : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهوة ، لها نَوْر كنور البنفسج . ابن منظور : لسان العرب ، مادة خزم . يدفع رائحة الوباء . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .
خل	يضاف إلى كثير من الأدوية المركبة ويستخدم فى علاج الطاعون .البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .
دباء	ويعرف بالقرع ويسمى أيضا اليقطين .وبزره يدخل فى كثير من الأدوية Schopen: Die Natāi´ğ al – Fikarp ,p.٣٨.
رجلة	ويطلق عليها البقلة الحمقاء. البيلونى : خلاصة ، ورقة ٩ .وهى نبات طرى ، يؤكل أوراقها، تستخدم فى علاج القروح . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص ١٠٤ .
رمان	ثمر معروف ، يروى عن على بن أبى طالب قوله " كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ للمعدة . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٤٣١ .وحب الرمان مع العسل طلاء للقروح ، ينفع من الحميات والالتهاب . ابن سينا : القانون ، ص ٢٧٧ . Schopen: Die Natāi´ğ al – Fikar ,p.٣٢
الريباس	نبات يكثر ببلاد الشام وهو كأضلاع السلق ، أكله يبرئ من كثرة الدمامل ، وقال ابن سينا إنه نافع من الوباء ابن فضل الله العمرى : مسالك ، السفر ٢٢ ، ص ٤٤ . ويسكن حدة الدم ، وينفع الطواعين أكلا وشربا . مجهول : مجموعة الشفاء ،ورقة٣٥
لزعفران	يعرف باسم الكركر أو الريهقان ، وزهره فيه شعر إلى البياض إذا فرك فاحت رائحته . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص ١٠٦ .يوضع فى أماكن الإصابة مع النخاع الذى فى ظهر الغنم . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٩
لسعد	نبات له ورق يشبه الكرات ، ينفع فى القروح التى عسر اندمالها . ابن سينا : القانون ، ص ٢١٧ .
لسفرجل	السفرجل والحضرم وربوبها وشراب الليمون وحماض الأترج يكسر سورة الدم ويطفئ وهجة الصفرا . ابن خاتمة : تحصيل ، ورقة ٢٣ .يعالج بدهنه البثور والقروح التى تخرج فى الجسم . ابن سينا : القانون ، ص ٢٣٧ .
لسكر	يستخدم بصورة عامة كعلاج للأوبئة ، ويفضل منه السكر النبات . الصيرفى : نزهة ، جـ٢ ، ص١٨٦ .
لسكنجبين	ينظف المعدة . ابن خاتمة : تحصيل ، ورقة ٢٤
لسماق	بالتشديد من شجر الجبال ، يقارب الرمان ، وله ثمر حامض يطبخ . ابن منظور :لسان العرب ،مادة سمق . ابن الجزار : سياسة الصبيان ، ص ١٦٤ .

سمن البقر	يوضع على المكان المصاب ، وكذلك الزبد الطرى .البيلونى : خلاصة ، ورقة ٩ . مجهول : مجموعة الشفاء ، ورقة ٣٥ .
سنامكى	يستخدم فى التركيبات العلاجية للطواعين .ابن إياس : بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص٧١٣ .
السوسن	نبات له زهر منحنى فيه ألوان متعددة يساعد على التئام الجروح وإذا خلط بأدوية أخرى يملأ القروح لحما جيدا . . ابن سينا : القانون ، ص ٢٢٢ . كما يستخدم فى تركيبة تصلح لإدرار البول .ابن خاتمة : تحصيل ، ورقة ٢٤ .
الشبت	من الخضروات الشائعة يستخدم فى علاج كثير من الأمراض من بينها إدرار البول وعلاج القروح . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص١١٣ .
الشيرخشك	الشيرخشك : ذكر دوزى أن الشيرخشك بضم الخاء وسكون ما بعدها نوع من المن وجاء فى القاموس المحيط أن " المن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف الصمغ كالشيرخشت والتَرنجبين ، والمعروف بالمن ما وقع على شجر البلوط معتدل نافع للسعال والصدر والرئة . المقريزى : السلوك، جـ٣، ص ١١٢٥ حاشية ٢.
الصبر	وهو نوعان ، الأول أسود وهو ضار جدا ، والأخر أصفر اللون إذا فرك تفتت سريعا ، وهذا النوع الذى يستخدم فى العلاج . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧
الصندل	شجر طيب الرائحة ابن منظور : لسان العرب ، مادة صندل يشم طيب الصندل الأبيض مع الخل وماء الورد . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧
الطرحون	يدق ورقه الأخضر ، ويعصر ماؤه ويروق ويستعمل . البيلونى : خلاصة ، ورقة٩
الطرفاء	تستخدم فى البخور . البيلونى : خلاصة ، ورقة ١٠ .
العدس	كان يستخدم فى تخفيض درجة الحرارة ، وإزالة بقايا الحمى . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص١٢٠ .
العسل	ينقى القروح الوسخة الغائرة . ابن سينا : القانون ، ص٢٤ .
العناب	من الثمر ، الواحدة عنابة . ابن منظور : لسان العرب ، مادة عنب
العنبر	وهو من أفخر الطيب بعد المسك .عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص٥٩ ، يدفع رائحة الوباء البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .
الغار	يدفع رائحة الوباء . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .
القثاء	وهو الخيار ويسمى ذكر البطيخ أو الفقوس . ابن الجزار : سياسة الصبيان ، ص ١٧٤ .
القرع	نبات معروف ، ينفع من الحميات .ابن سينا : القانون فى الطب ، ص ٢٦٧ .
القرنفل	شجر صغير الحجم دائم الخضرة يعطى مجموعة كبيرة من الأزهار وتنسم البراعم الزهرية بالخضرة أو الحمرة قبل الجفاف ، والقرنفل طارد للحمى ومطهر ويشفى من القروح ، ويحمى من الأوبئة . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .
القسط	هو العود الهندى ، وهو نوع من البخور عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص ١٢٣ ، يدفع رائحة الوباء . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .

القطريون	نبات عشبى ينبت فى الأراضى الرملية ، شديد المرارة ، يفيد فى علاج القروح المزمنة . عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص١٢٦ - ١٢٧ .
الكافور	شجر تتخذ منه مادة شفافة بلورية رائحتها عطرية وطعمها مر . ابن الجزار : سياسة الصبيان ، ص ١٧٦ . يمنع الأورام . ابن سينا : القانون ، ص ١٤٤ .
الكبر	انظر الحلتيت .
كزبرة	تنفع من الأورام الحارة . ابن سينا : القانون ، ص ١٦٣ .
الكندر	فى لسان العرب الكندر هو اللبان ، قشوره جيده لآثار القروح ، وينفع مع دهن الورد من الأورام الحارة . ابن سينا : القانون ، ص ١٤٥ .
لب خيار شنبر	يستخدم مع عناصر أخرى كدواء مركب . ابن خاتمة : تحصيل ، ورقة٤٤ .
اللبان	انظر الكندر .
اللبن الرايب	هو اللبن المنزوع عنه الزبد .
الليمون	يطفئ اللهب والصداع والعطش والقئ والغثيان. عبد العزيز الشناوى :خلاصة تذكرة داود ، ص١٣٤ .
اللوز	ثمر معروف ، يستخرج منه دهن يستخدم فى العلاج . ابن الجزار : سياسة الصبيان ، ص ١٨١ .
ماء الورد	يستخدم فى كثير من التركيبات المستخدمة فى العلاج والوقاية من الأوبئة . البيلونى : خلاصة ، ورقة ٧ .
المثروديطوس	مركب من أكثر من نبات ، وكان يستخدم مرة واحدة كل أسبوع . البيلونى :خلاصة ، ورقة ٧ .
المر	بقلة تنفرش على الأرض لها ورق مثل ورق الهندبا أو أعرض ، ولها نورة صفراء ، وأرومة بيضاء ، وتقلع مع أرومتها فتغسل ثم تؤكل بالخل والخبز ، وقيل هذه البقلة من أمرار البقول ، والمر دواء كالصبر سمى به لمرارته . ابن منظور : لسان العرب ، مادة مرر .
المسك	ضرب من الطيب ، نباتها نبات القفعاء . ابن منظور : لسان العرب ، مادة مسك .
المصطكى	يسمى العلك الرومى ابن الجزار : سياسة الصبيان ، ص ١٨٤ . ويخلط بدهن الآس أو ماء الورد ويمسح بطن المريض وسرته وخاصرتاه . ابن خاتمة : تحصيل ، ورقة ٣٦ -٣٧ .
النيلوفر	النيلوفر أو اللينوفر : اسم فارس معناه النيلى الأجنحة ، والنيلى الأرباشى ، وهو نبت مائى له أصل كالجزر ، وساق لماء تطول بحسب عمق الماء ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهرا أزرق ، يعرف هذا النبات فى مصر بعرائس النيل المقريزى : السلوك، جـ٣ ، ق٣ ، ص ١١٢٥ حاشية(٣) . قال جالينوس هو كرنب الماء ، أصله ينفع من الأورام ، وبزره وأصله للقروح ، وشرابه نافع من الحميات الحادة . ابن سينا : القانون ، ص ٢٠٦ .
الياقوت	التختم به يمنع من إصابة الطاعون . السيوطى : مقامات ، ص١٣٥ . التيفاشى : أزهار الأفكار ، ص٧٣ .

جدول (٣٤) متوسط أجور أرباب الوظائف في مصر في عصر المماليك الجراكسة

		B	C	D	E	F	G	H	I	J	K	L	M	N	O	P	Q	R	S	T	U	V	W	X	Y	Z	AA	AB	AC	AD	AE	AF	AG	AI
١	شيخ الصوفية	٣٠٠								٢٥٠٠	١٤٠٠	٣٠٠٠	٩٩٠			١٠٠٠	١٢٠		١١٠٠		٥٠٠				٩٩٩,٨٤	١٥٠		٣٠٠٠	١٠٠٠		٩٠٠		٣٠٠٠	١٤٧٥,٧
٢	شيخ الشافعية	٣٠٠								١٠٥٠		١٤٠٠					١٥٠	٢٢٠٠				٥٠٠	٥٠٠											٩٦٦,٦٦٧
٣	شيخ الحنفية	٣٠٠						١٠٠					١٠٥٠				١٥٠	٣٠٠٠	١٦٥٠			٣٠٠	٣٠٨											٩٢٦,٨٥٧
٤	شيخ المالكية	٣٠٠								٧٠٠								١١٠٠				٣٠٠	٣٠٨											٦٠٣
٥	شيخ الحنبلية	٣٠٠								٧٠٠		٧٠٠						١١٠٠				٣٠٠	٣٠٨											٦٢١,٦
٦	شيخ التفسير	٣٠٠								١٠٥٠												٣٠٠												٦٧٥
٧	شيخ الحديث	١٥٠								١٠٥٠												٣٠٠	٣٠٨											٥٥٣,٦٦٧
٨	شيخ القراءات السبع	١٠٠								١٠٥٠												١٢٠												٥٨٥
٩	طالب شافعي	٣٠								٢٨٠		١٤٠					٨٠	٢٢٠				٣٠												١٥٠
١٠	طالب حنفي	٣٠						٣٠		٢٨٠		٣٠٠	٢٨٠				٨٠	٣٠٠	٤٤٠			٣٠												٣١٧,٥
١١	طالب مالكي	٣٠								٢٨٠		١٤٠						٢٢٠				٣٠												١٦٧,٥
١٢	طالب حنبلي	٣٠								٢٨٠		١٤٠						٢٢٠				٣٠												١٦٧,٥
١٣	طالب تفسير	٣٠								٢٨٠												٣٠												١٥٥
١٤	طالب حديث	٣٠								٢٨٠												٣٠												١٥٥
١٥	طالب القراءات السبع	٣٠								٢٨٠												٣٠												١٥٥
١٦	مضيف	١٠٠				١٠٠			٥٠	٧٠٠		٥٠٠		٧٠٠					٢٢٠	٥٠٠	٣٠٠				٤٠٠,٨		٥٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٢٥٠				٤٠١,٦
١٧	قارئ للبخاري ومسلم	١٠٠								١٧٥		٣٠٠				١١٦,٧		٥٠			٣٠٠	٥٠٠			١٥١,٣		٣٠٠	٣٠٠	٨٣,٢		٨,٢	١٩,٦	٣٠٠	١٨٤,٩٣١
١٨	قارئ المصحف "الحـ	٣٠							٥٠	٤٩٠				٣٠٠		١٥٠		١٠٠		١٢٠	٣٠٠		٤٠		١٥١,٣				٣٠٠					١٧٠,١٣
١٩	كاتب طبقات المحدثين	٣٠																																
٢٠	عوفى	١٠		١٥						٢٨٠	١٤٠		٢٢,٨			٣٠٠	٦٠		٤٤٠				٣٠		١٩٩,٩٣	٦٠	٥٠٠	٥٠٠	٣٠٠		١٥٠		٣٠٠	٢٣٠,٢٦٦
٢١	إمام	٧٠				١٠٠		١٠٠		٤٣٠		١٠٠٠		١٠٠٠	٣١٠	٣٠٠		١٠٠٠	٧٧٠	٥٠٠	٤٠٠		٨٠	٣٠٠	٥٠٤		٥٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٨٦٦,٤٨	٦٠٠	٥١١,٩٢٨
٢٢	مؤذن	١٥				٥٠		٦٠		١٠٥	٣١٠	٣٠٠		٣٠٠		١٥٠		٣٠٠		٣٠٠	٣٠٠	١٠	١٠		١٩٩,٩٣		٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠		١٦٨,١٥٤
٢٣	خادم شيخ	٣٠								٤٢٠		٤٠٠						٤٠٠				٥٠	٨٠		٣٠٠			٥٥٠						٢١٤,٢٨٦
٢٤	خادم العمادة	١٥								٢٨٠								٣٠٠				١٠	٤٠								١٥٠		٣٠٠	١٦٢,٣٣٣
٢٥	خادم الربعة	١٥								٢٨٠												١٠	٤٠		١٥٠	٨٥	١٥٠	١٥٠	٣٠٠	١٠٠			٤٠٠	١٦٦,٥
٢٦	كاتب الغيبة الصوفية	١٥								٤٢٠		٣٠٠		٣٠٠		١٠٠		٣٠٠				١٠	٤٠			٨٥		٥٥٠					٥٠٠	٣٠٠,٥
٢٧	كاتب الغيبة للمؤذنين									٢٨٠																								٢٨٠
٢٨	قارئ القرآن	٥	١٥				٣٠	٣٠	٥٠			٦٧		٤٠٠				٤٤٠		٦٧						٨٥		٣٠٠	٣٠٠		١٨٠	١٠٠		١٦١,٥٨٣
٢٩	قارئ القبة	٢٢,٥																																
٣٠	سراج	١٠								٢٨٠						١٠٠						١٠	٤٠		١٥٠								٣٠٠	١٤٦,٦٦٧
٣١	مؤدب			٣			٦٠	١٠٠		٣١٠		٣٠٠				٤٠٠		٣٠٠		٣٠٠		٣٠			٣٤٨	٣٠٠	٤٠٠	٤٠٠			١٠٠		٦٠٠	٢٧٤,٨٥٧
٣٢	قارئ الشباك									٢٥						١٠٠		٤٠				٥٠			١٤٤						١٨٠			٩١,٥
٣٣	مرقي الخطيب											١٠٠		٣٠٠				١٠٠							١٥٠				٣٠٠		١٥٠		٣٠٠	٣٠٠
٣٤	عمل من الكتاب (يتيم)			٧			٣٠	٣٠		٧٠		١٠٠			٤١			٣٠٠					٥		٩٩,٨٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠			٦٠	١٢٠	١٠٠	٨٣,٢٧٤٣
٣٥	شيخ الطحاوي									١٠٥٠																								١٠٥٠
٣٦	طلاب الطحاوي									٢٨٠																								٢٨٠
٣٧	قارئ العقيدة									٨٤٠																								٨٤٠
٣٨	عريف									١٠٥										١٠٠							١٠٠	١٠٠					٣٠٠	١٢١
٣٩	خدم المصاحف الاربعة											٨٤		٣٠٠				٢٢٠													١٥٠		٤٠٠	٢١٠,٨
٤٠	ساعى الامية											٣٠٠																						٣٠٠
٤١	قارئ الصوفية																	٣٠٠				١٠					٥٥٠	٥٥٠	١٠٠		١٨٠		٣٠٠	٢٨٤,٢٨٦
٤٢	قارئ السيرة النبوية																					٤٠٠	٣٣											٢١٦,٥
٤٣	خازن الكتب	١٥								٢٨٠		٣٠٠						٣٠٠				١٠			١٩٩,٩٣		٣٠٠	٣٠٠	٣٠٠					٢٣٣,٧٤
٤٤	فراش	١٥				٥٠			١٠٠	٣١٠		٣٠٠	٣١٠	٣٠٠	٧٠٠			٣٠٠	٤٠٠	٦٠٠	٣٠٠	١٠	١٠		٢٤٧,٩٣		٣٠٠	٢٥٠	١٥٠	٣٠٠	٨٠٠		٤٢٥	٢٧٣,١٤٦
٤٥	بردادار									١٤٠		٣٠٠						٣٠٠									٥٠٠	٥٠٠					٦٠٠	٢٥٦,٦٦٧
٤٦	بواب للباب الرئيسي	١٥			٥٠	٥٠		١٣٠	١٠٠	٤٣٠	٣١٠	٤٠٠				٣٠٠		٤٠٠	١١٠٠		٣٠٠	٥٠		١٥٠	٣٥٣		٣٠٠	٣٠٠	٣٥٠	٣٠٠	٥٠٠	٣٥٠	٦٠٠	٣١٠,٠٩٥
٤٧	بواب للباب الخلفي	١٠								٣١٥																	٣٠٠	٣٠٠						٢٢٨,٣٣٣
٤٨	بستاني	١٥										٣٠٠						٣٠٠		٣٠٠	٤٠٠				١٩٩,٩٣		٢٥٠	٢٥٠	٣٠٠	٣٠٠	٦٠٠			٢٨٩,٩٩٣
٤٩	مزملاتي سقا	١٥								٣٠١		٥٠٠	٤٩٠	٥٠٠		٣٠٠		٥٠٠	٧٧٠			٦٠			٥٠٤	٣٠٠	٤٠٠	٤٠٠	٢٥٠	٦٠	١٧٠٠		١٠٠٠	٥٠٣,١٨٨
٥٠	قومه / وقاد	١٥	١٠		٥٠	٤٠				١٤٠	٣١٠	٣٠٠				٣٠٠		٣٠٠		٣٠٠	١٥٠	١٠	١٠		١٩٩,٩٣		٢٥٠	٢٥٠		١٥٠	٣٠٠		٦٠٠	١٩١,٧٦
٥١	شاعر													٥٠٠		٦٠٠				٥٠٠								١٥٠٠	٦٠٠			٥٠٠	١٠٠٠	٧٢٨,٥٧١
٥٢	مسحر									٢٨٠															١٥٠		٣٠٠	١٥٠			٧٢			١٩٠,٤
٥٣	خدم القبة	١٥																									٦٠٠	٦٠٠						٦٠٠
٥٤	صاح	٣٠																																
٥٥	سواق الساقية	٣٠								٤٣٠		٤٠٠	٤٩٠			٣٠٠		٤٠٠							١٧٥,٩٣		٦٠٠	٦٠٠		١٥٠	٣٠٠٠			٥٥٣,٥٩٣
٥٦	كناس / رشاش	٣٠								٣١٠		٣٠٠						٣٠٠				٦٠				١٥٠	٢٥٠	٢٥٠			٣٤٠٠			٤٩٠
٥٧	حكيم طبائعي	١٥								٣١٠																								٣١٠
٥٨	كحال	١٥								٣١٠																								٣١٠
٥٩	جراح									٣١٠																							٣٠٠	٢٥٥
٦٠	مهندس									٣١٠												٦٠	٦٠				١٠٠	٣٠٠					٣٠٠	١٣٨,٣٣٣
٦١	مرخم									٣١٠																	١٠٠	٣٠٠					٣٠٠	١٧٧,٥
٦٢	مساك									٣١٠																	١٥٠	١٥٠	٣٠٠		١٠٠		٣٠٠	١٨٥
٦٣	شاهد الوقف									٤٣٠		٥٦٠										١٥٠			١٩٩,٩٣		١٥٠٠	٨٠٠	٣٠٠		٥٠٠		١٠٠٠	٦٠٣,٣٢٤
٦٤	شاهد العمارة									٣١٠																							٤٠٠	٣٠٥
٦٥	بين الحواصل									٢٨٠																	٥٠٠					١٧٥		٣١٨,٣٣٣
٦٦	سائس									٢٨٠																								٢٨٠
٦٧	مخضرى									٢٨٠																								٢٨٠
٦٨	حرس									٧٠٠		٦٠٠				٣٠٠		٦٠٠		١٠٠٠					١٩٩,٩٣		٥٠٠	٥٠٠					١٨٠٠	٦٧٧,٧٦٩
٦٩	شد الوقف									١٤٠٠		٩٨٠		٥٠٠		٣٠٠		٨٨٠		٤٠٠		٣٠٠						٣٠٠٠	٥٠٠		٥٠٠			٧٦٦
٧٠	ناظر الوقف											٢٧٠٠				٥٠٠		٣٠٠٠		١٠٠٠		٣٠٠			١٨٠٠		١١٠٠	٣١٠٠			٣٠٠٠	٧٦٦,٤٨		١٤١٦,٦٥
٧١	صراف الوقف									٢٨٠																								٢٨٠
٧٢	مرجع الاوقاف									٢٨٠		٣٥٠						١٥٤٠										٣٠٠			١٥٠			٥٢٤
٧٣	مشرف على توزيع الخبز											٣٠٠						٣٠٠															٣٠٠	٢٣٣,٣٣٣
٧٤	مرجع حسابات											٩٠٠															١٥٠٠	٥٠٠					١٨٠٠	١١٩٥
٧٥	كاتب الوقف																					٣٠٠									٦٠٠		١٠٠٠	٦٠٠
٧٦	نجار																													٦٠			١٥٠	١٠٥
٧٧	حرس																													٤٠٠				٤٠٠
٧٨	سوق الوقف																															٦٥٠		٦٥٠

أسماء المصادر والمراجع

أولاً : الحجج

أ – الحجج ال

م	رقـ... الحجا...
١.	٥٣
٢.	٥٦
٣.	٦٠
٤.	٦١
٥.	٦٤
٦.	٦٥
٧.	٦٦
٨	٦٧
٩.	٦٨
١٠.	٧٠
١١.	٠٦
١٢.	٠٧
١٣.	٠٩
١٤.	١٠
١٥.	١١
١٦.	٦٥
١٧.	٦٧
١٨.	٦٨
١٩.	٨٣
٢٠.	٨٧
٢١.	٨٨
٢٢.	١٢
٢٣.	١٦
٢٤.	١٨
٢٥.	٢٢

أولاً : الحجج الشرعية

أ – الحجج الشرعية المحفوظة بدار الوثائق :-

م	رقم الحجة	النوع	التاريخ
١.	٥٣	وقف	٢٩ من رجب ٧٩٦ هـ
٢.	٥٦	وقف	٦ من جماد أول ٨٠٢هـ / ١٨ من ربيع ثان ٨٠٣ هـ
٣.	٦٠	وقف	٢٩ جماد أول ٨٠٧ هـ
٤.	٦١	وقف	٢٦ رمضان ٨٠٧هـ / ٨ صفر ٨٢٤ هـ .
٥.	٦٤	وقف	٢٢ من ذى الحجة ٨٠٩ هـ
٦.	٦٥	وقف	١٨ من ذى الحجة ٨١٠ هـ
٧.	٦٦	وقف	٧ من محرم ٨١٢ هـ
٨	٦٧	وقف	٢٧ من جماد ثان ٨١٣ هـ
٩.	٦٨	وقف	٢٨ من جماد ثان ٨١٣ هـ
١٠.	٧٠	وقف	٢ من رمضان ٨١٥ هـ
١١.	١٠٦	وقف	١٦ من جماد أول ٨٥٢ هـ
١٢.	١٠٧	وقف	١٥ من ذى الحجة ٨٥٢ هـ
١٣.	١٠٩	وقف	٢٢ من رمضان ٨٥٣ هـ
١٤.	١١٠	وقف	٦ من صفر ٨٥٥ هـ
١٥.	١١١	بيع	١٩ من ذى القعدة ٨٥٥ هـ
١٦.	١٦٥	وقف	٢٤ من ربيع أول ٨٧٤ هـ
١٧.	١٦٧	استبدال	٨ من جماد أول ٨٧٤ هـ
١٨.	١٦٨	بيع	٢٥ من شوال ٨٧٤ هـ
١٩.	١٨٣	وقف	٢ من ذى القعدة ٨٨١هـ/٤ شوال ٨٩٩ هـ
٢٠.	١٨٧	وقف	٢٧ من رمضان ٨٨٤ هـ
٢١.	١٨٨	وقف	٩ من ربيع الأول ٨٨٥ هـ
٢٢.	٢١٢	وقف	٦ من ربيع الآخر ٨٩٥هـ ، ٢٨ من رجب ٨٩٧ هـ
٢٣.	٢١٦	وقف	٩ من شعبان ٨٩٧ هـ ، ١٨ من جماد أول ٨٩٩ هـ
٢٤.	٢١٨	استبدال	٥ ربيع الآخر ٩٠٠ هـ
٢٥.	٢٢٢	وقف	٢ من جماد أول ٩٠٣ هـ

م	رقم الحجة	النوع	التاريخ
٢٦.	٢٢٣	وقف	٢٠ من جمادى آخر ٩٠٣ هـ
٢٧.	٢٢٤	وقف	أول شعبان ٩٠٣ هـ
٢٨.	٢٢٥	وقف	٢٦ من ربيع الآخر ٩٠٤ هـ
٢٩.	٢٤٢	وقف	٢٠ من شعبان ٩٠٩ هـ
٣٠.	٢٤٤	بيع	أول ذى الحجة ٩٠٩ هـ
٣١.	٢٤٥	بيع	٢ من المحرم سنة ٩١٠ هـ
٣٢.	٢٤٦	وقف	أول جماد الثانية ٩١٠ هـ
٣٣.	٢٤٧	وقف	٦ من رجب سنة ٩١٠ هـ
٣٤.	٢٤٨	بيع	١٩ من رمضان ٩١٠ هـ
٣٥.	٢٤٩	استبدال	٢ من ذى القعدة ٩١٠ هـ
٣٦.	٢٥٥	وقف	٢٧ من ربيع أول ٩١٢ هـ
٣٧.	٢٥٧	وقف	٥ من ربيع آخر ٩١٢ هـ
٣٨.	٢٥٨	بيع	٢٦ من ربيع آخر ٩١٢ هـ
٣٩.	٢٥٩	استبدال	١٨ من رجب ٩١٢ هـ
٤٠.	٢٦٠	استبدال	٢٧ من شعبان ٩١٢ هـ
٤١.	٢٦١	استبدال	٢١ من رمضان ٩١٢ هـ
٤٢.	٢٨١	وقف	٢٧ من شعبان ٩١٩ هـ

ب – الحجج الشرعية المحفوظة بالدفترخانة بوزارة الأوقاف :

م	رقم الحجة	النوع	التاريخ
٤٣.	٦٥	بيع	٩١٩هـ
٤٤.	٧٠	وقف	٨٧٦هـ
٤٥.	٢٠٩	بيع	٨٧٢هـ
٤٦.	٦٧٦	وقف	٨٧٩هـ
٤٧.	٦٧٧	وقف	٨٦٤هـ

أ- مخطوطات دار الكتب المصرية :

١. **الأزهرى** (مصطفى الدهنة الدمشقى) د.ت : رسالة مختصرة فى الطاعون ، دار الكتب ، ٤٩٢ طب طلعت ، ميكروفيلم ١٩٨٧٨ .

٢. **ابن إياس** (محمد بن أحمد الحنفى) ت٩٣٠ هـ : نشق الأزهار فى عجائب الأقطار ، دار الكتب ، ٤٣٩ جغرافيا ، ميكروفيلم ٤٥٨٥٣ .

٣. **البيلونى** (محمد فتح الله بن محمود) د.ت : خلاصة ما تحصل عليه الساعون فى أدوية دفع الوبا والطاعون، دار الكتب ، ٦٣٣ طب ، ميكروفيلم ٣١١٦٧ .

٤. **ابن حجر العسقلانى** (شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على) ت ٨٥٢ هـ : بذل الماعون فى فضل الطاعون ، دار الكتب ، ٢٣٥٣ تصوف ، ميكروفيلم ٢١٠٩١ .

٥. **ابن أبى حجلة** (التلمسانى) ت ٧٧٦هـ : كتاب سلوة الحزين فى موت البنين ، دار الكتب ، ٢٣١٨٢ ب، ميكروفيلم ٣٩٦٢ .

٦. **أبو الخير** (عصام الدين) د.ت : رسالة الشفا لدواء الوباء ، دار الكتب ، ٩٠٠ طب ، ميكروفيلم ٣١٢١٢ .

٧. **أبو زكريا الأنصارى** (أبو يحيى) ت٩٢٦ هـ : تحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين، دار الكتب ، ب ٢٥٧٣٢ .

٨. **ابن أبى سرور البكرى** (شمس الدين) ت ١٠٨٧هـ : الكواكب السائرة، دار الكتب، ٢١١٢ تاريخ تيمور ، ميكروفيلم ٣٤١٩٣ .

٩. **ابن أبى سرور البكرى** : النزهة الزاهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة، دار الكتب، ٢٢٦٦ تاريخ ، ميكروفيلم ١٧١٨ .

١٠. **السيوطى** (عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد جلال الدين) ت ٩١١ هـ : كوكب الروضة، دار الكتب، ٥٥٤ تاريخ تيمور ، ميكروفيلم ٥٠٩٤٩ .

١١. **الشامى** (محمد) د.ت : الفضل المبين فى الصبر عند فقد البنات والبنين، دار الكتب ، ٦٧ مجاميع ، ميكروفيلم ٥١٢٢ .

١٢. **ابن شاهين** (عبد الباسط بن خليل الملطى) ت٨٧٣هـ : الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم، دار الكتب ، ٢٤٠٣ تاريخ تيمور ، ميكروفيلم ٥١٥١٥ .

١٣. **الشهاب الحجازى**(أحمد بن محمد بن على بن حسن بن ابراهيم الأنصارى الخزرجى السعدى العبادى) ت ٨٧٥ هـ ، نيل الرائد فى النيل الزائد، دار الكتب ، ٣٨٠ جغرافيا ، ميكروفيلم ٤٥٨٤٤ .

١٤. **ابن عربشاه** (شهاب الدين) ت٨٤٦هـ : سيرة السلطان الملك الشهيد الظاهر جقمق ، دار الكتب ، ٢٥٩٣ تاريخ ،ميكروفيلم ٣٥٩٤٨ .

١٥. **المحلى** (محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن هاشم المصرى جلال الدين) ت٨٦٤ هـ : مبدأ النيل على التحرير، دار الكتب ، ميكروفيلم ٤٥٨٤٧ .

١٦. **ابن مكانس** (فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرازق) ت ٧٩٤ هـ : رسالة تشتمل على محاورة بين ٥٤ شخصا من أرباب الحرف ، دار الكتب ، ٥٨٢ أدب تيمور ، ميكروفيلم ٢٧٩٤٦ .

١٧. **المنبجى** (محمد بن محمد) ت٧٨٥هـ : تسلية أهل المصائب فى موت الأولاد والأقارب، دار الكتب ، تصوف ،٣٥٥١ ، ميكروفيلم ١٨٤٦١ .

١٨. **المنوفى** (أحمد بن محمد بن محمد بن عبد السلام بن موسى ويعرف بابن عبد السلام، شهاب الدين، أبو الخير) ت ٩٣١ هـ : الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد ، دار الكتب ، ٦٦جغرافيا ، ميكروفيلم ٤٨١٠٨

١٩. **مجهول** : إثبات الدلالات على نصرة الملك الناصر أبى السعادات، دار الكتب،ميكروفيلم ٤٨٤ .

٢٠. **مجهول** : تاريخ السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى، دار الكتب ، ٦١ تاريخ ، ميكروفيلم ١٦٣٤١ .

٢١. **مجهول** : رسالة فى الدعوات التى تقال فى إزالة الوباء والطاعون ، دار الكتب ، ٢٥٠٧ تصوف ، ميكروفيلم ٣٤٠٦٤ .

٢٢. **مجهول** : كتاب فى التاريخ من ٨٧٣ حتى ٩٠٤ هـ ، دار الكتب ، ٥٦٣١ تاريخ ، ميكروفيلم ١٤٦١٨ .

٢٣. **ابن الهايم** (أبو العباس أحمد بن محمد المصرى ثم المقدس الشافعى) عاش فى عام ٧٩١هـ : نزهة النفوس فى بيان حكم التعامل بالفلوس ، ١٠٧٣ فقه شافعى

٢٤. **الهروى** (على بن أبى بكر بن على) ت٦١١هـ : رحلة الهروى ، دار الكتب ، ٣م ، ميكروفيلم ٧٤٧٤.

٢٥. ابن يحيى (عبد الصمد الصالح) : هدية العيد القاصر إلى الملك الناصر (أبى السعادات محمد بن قايتباى)، دار الكتب ، ٢٦٠٢ تاريخ ، ميكروفيلم ٣٥٩٩٤ .

ب – مخطوطات دار الكتب القومية للتراث الثقافى البروسى ـ القسم الشرقى برلين :-

Staatsbibliothek zu Berlin Preussischer kulturbesitz, Orientabteilung .

٢٦.البدليسى (إدريس بن حسام الدين) ٩١٧هـ : رسالة الإباء عن مواقع الوباء ، Spr.727

٢٧. ابن خاتمة (الأنصارى) ٧٤٦هـ : تحصيل غرض القاصد فى تفصيل المرض الوافد We. 1205

٢٨.ابن سودون ت ٨٦٩ هـ . كتاب نزهة النفوس ومضحك العبوس We. 168

٢٩. الكازروى د.ت : كتاب المغنى We .1185

٣٠. مجهول : مجموعة الشفاء لأدوية الوباء مع رسائل للبسطامى (علش البسطامىعام ٨٢٢هـ) LBG.999

٣١.مجهول : فى الطاعون "كتب حوالى ١٢٠٠ هـ " LBG. 671.

٣٢.ابن نجيم المصرى (زين الدين) ٩٧٠ هـ : فى الطعن والطاعون LBG.598

٣٣. نعمة الله الجزايرى د. ت: مسكن الشجون فى حكم الفرار من الطاعون PM. 505

٣٤. ابن يوسف الحنبلى (مرعى) ١٠٣٣هـ : تحقيق الظنون بأخبار الطاعون We.1840

ثالثا :المصادر العربية :

١ آبادى (أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم) : عون المعبود شرح سنن أبى داوود ، جـ٤ ، ط٢ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة، ١٩٦٨ .

٢ الأبشيهى (شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح) ت ٨٥٠ هـ : المستطرف فى كل فن مستظرف، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د. ت.

٣ **ابن أجا** (شمس الدين محمد بن أحمد أبى الفتح) ت ٨٨١ هـ : تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٤ .

٤ **أحمد بن حنبل** (الإمام) ت٢٤١ هـ : منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل، المجلد الثالث، بيروت ، دار صادر، ١٩٦٩م .

٥ **ابن الأخوة** (محمد بن محمد بن أحمد القرشى) ت ٧٢٩ هـ : كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،١٩٧٦ .

٦ **الإسحاقى** (محمد عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد المغنى بن على) ق١١ : أخبار الأول ، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٠٣ هـ .

٧ **الأسدى** (محمد بن محمد خليل) ت ٨٥٤هـ : التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٧م .

٨ **ابن إياس** (محمد بن أحمد الحنفى) ت٩٣٠هـ : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ١ ، ق٢ ، جـ٢ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٢ . جـ٣ ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٣ . جـ٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤

٩ **ابن بسام** (محمد بن أحمد) أواخر القرن ٦ وأوائل القرن ٧هـ : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى ، بغداد ، ١٩٦٨

١٠ **البغدادى** (عبد اللطيف) ت ٦٢٩ هـ : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، دمشق ، دار قتيبة ، ١٩٨٣ م

١١ **ابن تغرى بردى** (جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٧٤ هـ : حوادث الدهور ، لندن ١٩٣٨م

١٢ **ابن تغرى بردى** : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، تحقيق وليام بوبر ، كاليفورنيا ، جـ١٣ ، تحقيق فهيم محمد

شلتوت ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ . جـ ١٤ ، تحقيق جمال محمد محرز ، وفهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ . جـ ١٥ ، تحقيق إبراهيم على طرخان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ . جـ ١٦ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ .

١٣ **ابن تغرى بردى** : المنهل الصفاى والمستوفى بعد الوافى ، جـ ١ ، جـ ٢ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ م .

١٤ **التيفاشى** (أحمد بن يوسف) ت ٦٥١ هـ : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، تحقيق محمد يوسف حسن ، ومحمود بسيونى خفاجى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٥ **ابن تيمية** (تقى الدين أحمد ابن عبد الحليم) ت٨٢٨هـ : الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية ، تحقيق صلاح عزام ، دار الشعب ، ١٩٧٦

١٦ **ابن الجزار** ق٩ هـ : سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ .

١٧ **ابن الجيعان** (يحيى بن شاكر) ت ٨٨٥ هـ : كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، تحقيق برنهارد موريتس ، فرانكفورت ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، المجلد الخمسون، ١٩٩٢ م.

١٨ **ابن الحاج** (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى) ت٧٣٧ هـ : المدخل ، جـ٣ ، القاهرة ، المطبعة المصرية الأزهرية ، ١٩٢٩م .

١٩ **ابن حجر العسقلانى** (شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على) ت ٨٥٢ هـ : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، جـ ١ ، ط ٢ ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٦ .

٢٠ **ابن حجر العسقلانى** : إنباء الغمر بأنباء العمر . جـ ٢ ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، جـ٣ ، جـ٤ ،تحقيق السيد عبد الله بن أحمد مديحج العلوى الحسينى الحضرمى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦ م

٢١ **ابن حجر العسقلانى** : غراس الأساس ، تحقيق وتعليق توفيق محمد شاهين ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٠ م .

٢٢ **ابن خاتمة** (أحمد بن على الأنصارى) ت ٧٧٠ هـ : ديوان ابن خاتمة الأنصارى المرينى الأندلسى ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دمشق ، ١٩٧٢ .

٢٣ **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ١٩٧٩ م .

٢٤ **ابن خلدون** : المقدمة ، القاهرة ، دار الشعب ، د. ت .

٢٥ **الدميرى** (كمال الدين) : حياة الحيوان الكبرى، جـ٢ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٣٠ هـ .

٢٦ **ابن رشد** : وسائل ابن رشد الطبية ، تحقيق جورج شحاته قنواتى، وسعيد زايد ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م .

٢٧ **أبو زكريا** (الأنصارى) ت ٩٢٦ هـ : فتاوى شيخ الاسلام أبى يحيى زكريا بن محمد الأنصارى ، جمعها أحمد عبيد ، دمشق ، المكتبة العربية ، د.ت .

٢٨ **السبكى** (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب) ت٧٧١هـ : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق داوود ولهلم موهرمن ، ليدن ، ١٩٠٨ .

٢٩ **السخاوى** (الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر) ت ٩٠٢ هـ : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، د. ت .

٣٠ **السخاوى** : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، جـ ١ ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د.ت .

٣١ **ابن سيده** (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى) ت ٤٥٨ هـ : المخصص ، مج١ ، جـ ٥ ، بيروت ، د. ت .

٣٢ **ابن سينا** : القانون فى الطب ، شرح وترتيب جبران جبور ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٩٩٣م

٣٣ **السيوطى** (جلال الدين عبد الرحمن) ت٩١١هـ : برد الأكباد عند فقد الأولاد ، القاهرة ، المطبعة الفائقة ، ١٣٠٤ هـ .

٣٤ **السيوطى** : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جـ ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٨م .

٣٥ السيوطى : مقامات السيوطى الأدبية والطبية ، تحقيق أحمد الطويلى ، تونس ، دار سحنون ، ١٩٨٨ م .

٣٦ ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى) ت ٨٧٢ هـ : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤ م .

٣٧ الشيزرى (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر) ت٥٨٩ هـ : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٦ .

٣٨ الشيزرى : المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ، تحقيق على عبد الله المرسى ، الأردن ، مكتبة المنار، ١٩٨٧ .

٣٩ الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت٩٠٠ هـ : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٣ .

٤٠ طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .

٤١ ابن طولون (شمس الدين محمد) مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، القسم الثانى ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤م .

٤٢ ابن عربشاه : التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق " أبى سعيد جقمق " ، جـ٢ ، منشور ضمن رسالة أحمد عبد الحميد خفاجى : السلطان الظاهر جقمق وعصره . ، دكتوراه ، آداب الإسكندرية ١٩٧٢

٤٣ العينى (بدر الدين محمود) ت٨٥٥ هـ : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧ م .

٤٤ ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى بن محمد) ت٧٤٩ هـ: التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ، مطبعة العاصمة ، ١٣١٢ هـ .

٤٥ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، السفر الثانى والعشرون ، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ،

فرانكفورت ،

٤٦ **ابن قاضى شهبة** (تقى الدين أبى بكر بن أحمد) ت ٨٥١ هـ : تاريخ ابن قاضى شهبة ، المجلد الأول ، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربية ، ١٩٧٧ .

٤٧ **القرمانى** (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى) ت ٩٣٩هـ : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، القاهرة ، مكتب المتنبى ، د.ت.

٤٨ **القزوينى** (الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد) ت ٢٧٥ هـ : سنن ابن ماجة ، جـ١ ، جـ٢ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ .

٤٩ **القلقشندى** (أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١ هـ : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٣ ، جـ ٤ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية، ١٩١٤

٥٠ **ليون الإفريقى** (الحسن بن محمد الوزان الفاسى) زار مصر ٩٢٣هـ : وصف أفريقيا ، جـ ٢ ، ترجمة محمد حجى ، محمد الأخضر ، ط٢ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٣ .

٥١ **ابن ماجة** ت ٢٧٣ هـ : سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ، جـ١ ، المطبعة التازية ، د.ت .

٥٢ **مجهول** : ألف ليلة وليلة ، تحقيق محسن مهدى ، المجلد الأول ، ليدن ١٩٨٤ .

٥٣ **المقريزى** (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥ هـ : إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين محمد الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠ .

٥٤ **المقريزى**: البيان والإعراب ، عما بأرض مصر من الأعراب مع دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦١ .

٥٥ **المقريزى** : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ٣ ، ق ٣ ، جـ ٤ ، ق١ ، ق٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٢ . جـ٤ ، ق ٣ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ .

الكتب ، ١٩٧٢ . جـ٤ ، ق ٣ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ .

٥٦ **المقريزى:** النقود الإسلامية المسمى ,,شذور العقود فى ذكر النقود ,,تحقيق محمد السيد على بحر العلوم ، النجف ، ط٥، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٧ .

٥٧ **المقريزى:** النقود القديمة والإسلامية ، تحقيق رأفت محمد النبراوى ، العصور ، مج٣ ، جـ١، المملكة العربية السعودية ، دار المريخ ، ١٩٨٨ ، (١١٧ - ١٤٧) .

٥٨ **المقريزى** : درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، المجلد الأول ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٢ .

٥٩ **المقريزى** : نحل عبر النحل ، تحقيق عبد المجيد دياب ، القاهرة ، دار الفضيلة ، ١٩٩٧ .

٦٠ **المقريزى** : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ١ ، بيروت ، دار صادر ، جـ٢ ، بيروت ، دار صادر ، د. ت.

٦١ **ابن مماتى** (الأسعد شرف الدين أبو المكارم) ت ٦٠٦هـ : كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ،مكتبة مدبولى ، ١٩٩١

٦٢ **ابن منظور** (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب .

٦٣ **ابن ناصر الدين الدمشقى** (ابو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٨٤٢ هـ : برد الأكباد عند فقد الأولاد ، قدم له عبد القادر ابن شيبة الحمد ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، د. ت .

٦٤ **النبهانى** (يوسف بن إسماعيل) : دليل التجار إلى أخلاق الأخيار ، القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامى د.ت.

٦٥ **النورى** (جلال الدين) د.ت : تحفة الظرفا فى مناقب الملوك والخلفاء ، ضمن كتاب حوادث الدهور ، لندن ، ١٩٨٣ م .

٦٦ **النويرى** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٣هـ : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ ١ : ١١ ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

المراجع العربية

١. **آشتور** : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادى عبله ، دمشق ، دار قتيبة ،١٩٨٥ .

٢. **آمال أحمد حسن العمرى** : المنشأت التجارية فى القاهرة فى العصـو المملوكى ، دكتوراه ، أداب القاهرة ، ١٩٧٤ .

٣. **إبراهيم الدسوقى جاد الرب** : ابن مكانس والشعر فى عصر المماليك ، القاهرة ، مركز النشر لجامعة القاهرة ، ١٩٩٠ .

٤. **إبراهيم حسن سعيد** : الجيش فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٣

٥. **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية فى عصـــر ســلاطين الممــاليك ، الإسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٣ .

٦. **إبراهيم على طرخان** : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكســـة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠ .

٧. **إبراهيم على طرخان** : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوســـط فـــى العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشـــر ، ١٩٦٨ .

٨. **أحمد السيد الصاوى** : مجاعات مصر الفاطمية أســـباب ونتـــائج ، بيروت ، دار التضامن ، ١٩٨٨ .

٩. **أحمد صادق سعد** : تاريخ مصر الاجتماعى – الاقتصادى ، بـيروت ، دار ابن خلدون ١٩٧٩ .

١٠. **أحمد عبد الحميد خفاجى** : موقف مصر من الحجـــاز فـــى عصـــر المماليك الجراكسة، ماجستير ، آداب الإسكندرية ، ١٩٦٨.

١١. **أحمد عبد الحميد خفاجى** : السلطان الظاهر جقمق وعصره ٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨- ١٤٥٢م ، دكتوراه آداب الإسكندرية ١٩٧٢ .

١٢. **أحمد عبد الحميد خفاجى** : طبقة التجار فى مصر المملوكية وأثرها فى المجتمع المصرى ، مجلة كلية الآداب ، جامعـــة طنطـــا ،ع١ ، ١٩٨٢م

١٣. **أحمد عبد الرازق أحمد** : الفخار المصرى المطلى فى العصر المملوكى ، ماجستير، آثار القاهرة .

١٤. **أحمد عبد الرازق أحمد** : العلاقات الأسرية فى المصطلح المملوكى ، القاهرة ، المجلة التاريخية ، مجـ٢٣ ، ١٩٧٦ .

١٥. **أحمد عبد الرازق أحمد** : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩ .

١٦. **أحمد عبد السلام ناصف** : الشرطة فى مصر الإسلامية ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٧.

١٧. **أحمد عيسى** : تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ط٢، بيروت ، دار الرائد العربى ، ١٩٨١ .

١٨. **أحمد مختار العبادى** : الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية " الصناعة والأصناف ، عالم الفكر ، مجـ ١١، ع١، الكويت ، ١٩٨٠ .

١٩. **أمل أحمد أمين المصرى** : حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى ، جـ١ ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ .

٢٠. **أمين سامى** : تقويم النيل ، جـ١ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩١٦ .

٢١. **أندرية ريمون** : القاهرة العثمانية بوصفها مدينة ، المجلة التاريخية ، المجلد العشرون ، القاهرة ، ١٩٧٣

٢٢. **أندرية ريمون** : القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ .

٢٣. **انطوان خليل ضومط** : الدولة المملوكية التاريخ السياسى الاقتصادى والعسكرى ط٢ ، بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٢ .

٢٤. **أولج فولكف** : القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد صليحة ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، ع١٢ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

٢٥. **البيومى إسماعيل الشربينى** : المصادرات فى عصر سلاطين المماليك ، دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ١٩٩٥ .

٢٦. **توفيق اسكندر** : نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجيــة فــى العصر الوسيط ، القاهرة ، المجلة التاريخية ، مج٦ ، ١٩٥٧ .

٢٧. **توفيق الطويل** : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، تــاريخ المصريين ، العدد ٢١ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

٢٨. **جرجس فام ميخائيل** : السلطان جقمق وحالة مصر فــى عصــره، ماجستير ، آداب القاهرة، د.ت .

٢٩. **جمال إبراهيم مرسى الخولى** : دراسة مقارنة لوثائق الاستبدال فــى مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى فى القرن العاشر الهجرى ، ماجستير، آداب القاهرة، ١٩٧٤ .

٣٠. **جمال الدين الشيال** : دراسات فى التاريخ الإسلامى، بــيروت، دار الثقافة، ١٩٨١ .

٣١. **جمال جرجس يوسف** : الاحتكار فى الدولــة المملوكيــة الثانيــة، دكتوراه ، بنات عين شمس ، ١٩٨٥ .

٣٢. **حامد زيان** : الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، المكتبة العالمية ، ١٩٧٦ .

٣٣. **حسن الباشا** : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثــائق والآثــار ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ .

٣٤. **حسن الباشا وآخرون** : القاهرة تاريخها فنونها آثارهــا، القــاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠ .

٣٥. **حسن حبشى** : الاحتكار المملوكــى وعلاقتــه بالحالــة الصحيــة، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس ، المجلد التاسع، ١٩٦٤ .

٣٦. **حسن سيد جودة القصاص** : مساجد الأمراء فى عصــر الســلطان جقمق ، دكتوراه ، آثار القاهرة، ١٩٨٥.

٣٧. **حسن عبد الوهاب** : توقيعات الصناع على آثار مصر الاســلامية، مجلة المجمع العلمى المصرى ، مج ٣٦، جــ٢ ، القاهرة، مطبعــة المعهد العلمى الفرنسى، ١٩٥٥

٣٨. **حسن محمد نور عبد النور** : السجاد المملوكى (دراسة أثرية فنيــة فى ضوء مجموعة متحف الفن والصناعة بفيينا والتى يبلغ عددهـــا ١٥٩ سجادة، دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١ .

٣٩. **حسنى محمد حسن نويصر** : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٧٥ .

٤٠. **حسين السيد متولى أحمد النحال** : العلاقات السياسية والاقتصادية بين دولة المماليك الثانية ودول البحر المتوسط الأوربية فيما بين سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م – ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م) ، ماجستير، آداب الزقازيق ، ١٩٨٧ .

٤١. **حسين عبد الرحيم عليوه** : المعادن (حسن الباشا وآخرون : القاهرة ، تاريخها ، آثارها ، القاهرة ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٠) .

٤٢. **حسين على محفوظ** : المقاييس والمكاييل والموازين فى التراث العربى (دراسات فى الحسبة والمحتسب عند العرب) ، بغداد ، مطبعة العمال المركزية ، ١٩٨٨ .

٤٣. **حسين مصطفى حسين رمضان** : طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الإسلامية ، دكتوراه ، آثار القاهرة ، ١٩٨٧ .

٤٤. **حكيم أمين عبد السيد** : قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧ .

٤٥. **حلمى محمد سالم** : حرف وصناعات الأطعمة والأشربة فى العصر المملوكى ، دكتوراه، آداب الإسكندرية ، ١٩٧٠ .

٤٦. **حمود بن محمد بن على النجيدى** : الموارد المالية لمصر فى عهد الدولة المملوكية الأولى ، ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٤ .

٤٧. **حياة ناصر الحجى** : المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك ، ٦٩٤ – ٦٩٥ هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٥ م , حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع ٧ ، جامعة قطر ، ١٩٨٤ .

٤٨. **دولت عبد الله عبد الكريم** : الخوانق فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، دكتوراه ، آداب القاهرة، ١٩٧٣ .

٤٩. **م. س ديماند** : الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط٣، القاهرة، دار المعارف ،١٩٨٢.

٥٠. رأفت محمد محمد النبراوى : مسكوكات المماليك الجراكسة فى مصر " نظمها وقيمها النقدية " دراسة أثرية، دكتوراه، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١ .

٥١. رأفت محمد محمد النبراوى : السكة الإسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر ، ١٩٩٣ .

٥٢. رأفت محمد محمد النبراوى : أسعار السلع الغذائية والجوامك فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، الرياض ، ١٩٩٠.

٥٣. سامى أحمد عبد الحليم إمام : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية بالقاهرة، ماجستير، كلية الأداب، جامعة القاهرة ، ١٩٦٩ .

٥٤. ستانلى لينبول : سيرة القاهرة ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣ .

٥٥. سعاد محمد حسن حسنين : الحمامات فى مصر الإسلامية ، دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ .

٥٦. سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط٢ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .

٥٧. سعيد عبد الفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية، عالم الفكر، المجلد ١١، ع٤، الكويت ،١٩٨٠ .

٥٨. سعيد عبد الفتاح عاشور: أضواء جديدة على المؤرخ أحمد بن على المقريزى وكتاباته ، عالم الفكر ، المجلد ١٤ ، ع٢ ، الكويت ، ١٩٨٣ .

٥٩. سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٨٣ .

٦٠. سليمان عطية : سياسة المماليك فى البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباى (١٢٥٠ - ١٤٣٨م) دكتوراه، آداب القاهرة، ١٩٥٩ .

٦١. السيد السيد النشار : تاريخ المكتبات فى مصر " العصر المملوكى" ، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣ .

٦٢.
٦٣.
٦٤.
٦٥.
٦٦.
٦٧.
٦٨.
٦٩.
٧٠.
٧١.
٧٢.
٧٣.
٧٤.

٦٢. **السيدة زينب محمد محفوظ هنا** : وثائق البيع فـــى مصـــر خـــلال العصر المملوكى ،دكتوراه، آداب القاهرة ، ١٩٧٧ .

٦٣. **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصـــر الإسلامى ، ط٢، الإسكندرية ،دار المعارف ، ١٩٦٩ .

٦٤. **شوقى عبد القوى عثمان** : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ٤١ - ٩٠٤ / ٦٦١ - ١٤٩٨م ، عالم المعرفة ، العـــدد ١٥١ ، الكويت ، ١٩٩٠ .

٦٥. **الشيخ الأمين محمد عوض الله** : أسواق القـــاهرة مـــنذ العصـــر الفاطمى حتى نهاية عصر المماليك ، دكتوراه، بنات عيـــن شـــمس، ١٩٨١ .

٦٦. **صبحى لبيب** : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية، مج٤ ، ع٢ ، ١٩٥٢ .

٦٧. **عاصم محمد رزق عبد الرحمن** : مراكز الصناعـــة فـــى مصـــر الإسلامية من الفتح العربى حتى مجئ الحملة الفرنســـية ، القـــاهرة، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

٦٨. **عامر النجار** : الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها وروادها ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٦ .

٦٩. **عبد الحفيظ فرغلى القرنى** : الحافظ جلال الدين السيوطى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ .

٧٠. **عبد الرحمن فهمى محمد** : النقود العربية ماضيـــها وحاضرهـــا ، القاهرة ، المكتبة الثقافية، ع ١٠٣ ، ١٩٦٤

٧١. **عبد الرحمن محمود عبد التواب** : قايتباى المحمودى ، الأعـــلام ، العدد ٢٠، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ .

٧٢. **عبد العزيز محمود عبد الدايم** : مصـــر فـــى عصـــرى الممـــاليك والعثمانيين ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٩٦ .

٧٣. **عبد العظيم حامد خطاب** : قانصوه الغورى ونهاية الدولة المملوكيـــة فى مصر والشام ، دكتوراه، آداب عين شمس ، ١٩٧٣ .

٧٤. **عبد الغنى النبوى الشال** : الفخار الشعبى فى مصر ، عالم الفكـــر ، المجلد السادس ، ع٢، الكويت ، ١٩٧٦ .

٧٥. **عبد الغنى محمود عبد العاطى** : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ .

٧٦. **عبد الفتاح يوسف عرابى حسين** : قوص فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير، آداب سوهاج ، ١٩٩٠

٧٧. **عبد اللطيف إبراهيم على** : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى ، دكتوراه ،آداب القاهرة، ١٩٥٦ .

٧٨. **عبد اللطيف حمزة** : الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية إلى مجئ الحملة الفرنسية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، د.ت .

٧٩. **عبد المنعم ماجد** : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

٨٠. **عبد المنعم ماجد** : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، جـ٢ ، ط ٢، القاهر ة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ .

٨١. **عبد المنعم ماجد** : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨ .

٨٢. **عبد الوهاب حموده** : صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥ .

٨٣. **عطية القوصى** : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ .

٨٤. **علاء طه رزق** : عامة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك، ماجستير، آداب الزقازيق ، ١٩٨٩ .

٨٥. **على إبراهيم أبو زيد** : تمثيليات خيال الظل ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣ .

٨٦. **على السيد على محمود** : الفناء الكبير والموت الأسود فى القرن الرابع عشر الميلادى، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب ، القاهرة ، المجلة التاريخية ، مج ٣٣ ، ١٩٨٦ .

٨٧. **على السيد على محمود** : الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ، سلسلة تاريخ المصريين ، ع ١٨ ، القاهرة ، الهيئة العامة لكتاب ، ١٩٨٨

٨٨. **عماد بدر الدين محمود أبو غازى** : وثائق السلطان الأشرف طومان باى ، دراسة وتحقيق ونشر لبعض وثائق الوقف والبيع والاستبدال ، ماجستير، آداب القاهرة ، ١٩٨٨ .

٨٩. **عماد بدر الدين محمود أبو غازى** : دراسة دبلوماتية فى وثائق البيع من بيت المالى عصر المماليك الجراكسة ، دكتوراه آداب القاهرة ، ١٩٩٥ .

٩٠. **فاروق عثمان أباظة** : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، الاسكندرية ، مطبعة الانتصار ، ١٩٨٨ .

٩١. **فاطمة حسين المصرى** : الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصرى ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

٩٢. **فايزة محمود عبد الخالق الوكيل** : جهاز العروس فى مصر فى عصر السلاطين المماليك ، دكتوراه ، آثار القاهرة ، ١٩٨٨ .

٩٣. **فهمى عبد العليم رمضان** : العمارة الإسلامية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ، دكتوراه ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ .

٩٤. **فوزى السيد السيد المصرى** : تاريخ الأوبئة والصحة العامة فى مصر ، ١٨١٣ - ١٨٨٢م ، دكتوراه ، آداب طنطا ، ١٩٨٩ .

٩٥. **فوزى محمد أمين** : أدب العصر المملوكى الأول قضايا المجتمع والفن، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣ .

٩٦. **قاسم عبده قاسم** : أحمد ابراهيم الهوارى : الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .

٩٧. **قاسم عبده قاسم** : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣ .

٩٨. **قرشى عباس دندراوى** : أدب السيوطى دراسة نقدية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٤ .

٩٩. **كارل بروكلمان** : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، ط١١ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٨

١٠٠. **كلود كاهن** : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط٣ ، بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٨٣ .

١٠١. **لبيبة إبراهيم مصطفى محمد** : الرقيق وتجارته فى مصر والشام فى عصر دولة سلاطين المماليك، ماجستير ، آداب القاهرة، ١٩٩٣ .

١٠٢. **ليلى عبد اللطيف أحمد** : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى، ١٩٨٧

١٠٣. **ليلى كامل محمد على الشافعى** : مدرسة جوهر اللالا ٨٣٣ هـ / ١٤٣٠م ، ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٧٧ .

١٠٤. **محاسن الوقاد** : الطبقات الدنيا فى القاهرة فى عصر المماليك، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٩١ .

١٠٥. **محمد الحبيب الهيلة** : النظم الإدارية بمصر فى القرن التاسع الهجرى من خلال كتاب روضة الأديب ونزهة الأريب لمحمد بن ابراهيم بن ظهير الحنفى الحموى ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، جـ٣ ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧١ .

١٠٦. **محمد الششتاوى سند الرفاعى** : متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م .

١٠٧. **محمد أمين صالح** : التنظيمات الحكومية لتجارة مصر فى عصر المماليك الجراكسة، دكتوراه ، آداب عين شمس .

١٠٨. **محمد أمين صالح** : النظام المالى والاقتصادى فى الإسلام ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٤ .

١٠٩. **محمد بخيت المطيعى** : فى نظام الوقف ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٦ هـ

١١٠. **محمد حمدى المناوى** : نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦

١١١. **محمد رجب النجار** : الشعر الشعبى الساخر فى عصور المماليك، عالم الفكر، المجلد ١٣ ، العدد ٣ ، الكويت ، ١٩٨٢ .

١١٢. **محمد عبد الستار البنا** : الريف المصرى فى العصر المملوكى ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ ، ماجستير ، آداب طنطا ، ١٩٩٥ .

١١٣. **محمد عبد الستار عثمان** : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة ، ماجستير ، آثار القاهرة ، ١٩٧٧ .- المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، ع ١٢٨ ، الكويت ، ١٩٨٨ .

١١٤. **محمد عبد الله عنان** : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٦٩ .

١١٥. **محمد عفيفى** : الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ، سلسلة تاريخ المصريين ، ع ٤٤ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،١٩٩١ .

١١٦. **محمد فتحى عوض الشاعر** : إقليم الشرقية فى عصرى سلاطين الأيوبيين والمماليك ، ماجستير، آداب القاهرة ، ١٩٧٦

١١٧. **محمد كامل الفقى** : الأدب فى العصر المملوكى ، القاهرة ، الهيئة العامة لكتاب ، ١٩٧٦ .

١١٨. **محمد كمال الدين عز الدين على** : الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة دراسة عن التاريخ والمؤرخين ، دكتوراه ، بنات عين شمس ، ١٩٨٩ .

١١٩. **محمد كمال الدين عز الدين على** : أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٢.

١٢٠. **محمد كمال الدين عز الدين على** : دراسات نقدية فى المصادر التاريخية ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٣ .

١٢١. **محمد محمد أمين** : وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٢ ، ١٩٧٥ .

١٢٢. **محمد محمد أمين** :الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ .

١٢٣. **محمد محمد أمين** : فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى ، د.ت .

١٢٤. **محمد مصطفى زيادة** : نهاية السلاطين المماليك فى مصر ، المجلة التاريخية ، مج٤ ، ع١ ، القاهرة ، ١٩٥١ .

١٢٥. **محمود إسماعيل** : سوسيولوجيا الفكر الإسلامى " طور الانهيار " ، جـ٣ ، القاهرة ، سينا للنشر ، ١٩٩٢ .

١٢٦. **محمود رزق سليم** : الأشرف قانصوه الغـورى ، سلسـلة أعـلام العرب ، العدد ٥٢ ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمـة ، د. ت

١٢٧. **محمود رزق سليم** : عصر سلاطين الممـاليك ونتاجـه العلمـى والأدبى ،ط ٢، مج١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٦٢ .

١٢٨. **محمود محمد السيد** : تاريخ القبائل العربية فى مصر فـى عصـر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، ماجستير، آداب الاسكندرية ، ١٩٧٧ .

١٢٩. **مصطفى الشكعة** : جلال الدين السيوطى مسيرته العلمية ومباحثـه اللغوية ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٨١ .

١٣٠. **منى إبراهيم عبد الرحمن** : السفارات الأجنبية فـى مصـر علـى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير ، آداب القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٣١. **الموسوعة العربية العالمية**، جـــ١٥ ، جـــ٢٧ ، السـعودية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦

١٣٢. **نادية محمد عبد المنعم** : محمد بن أبى السرور البكـرى وبعـض قضايا عصره من خلال مؤلفاته ، ماجسـتير ، آداب الاسـكندرية ، ١٩٩٤ .

١٣٣. **نعيم زكى فهمى** : طرق التجارة الدولية ومحطاتـها بيـن الشـرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتـاب ، ١٩٧٣ .

١٣٤. **هاشم طه شلاش** : الأدوية والإدواء فى معجم تاج العروس ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٩٨٧ .

١٣٥. **هايد** : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصـور الوسـطى ، جـ٣ ، جـ٤ ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، القاهرة ، الهيئـة العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م

١٣٦. **وليم قازان** : المسكوكات الاسلامية " مجموعة خاصة " بـيروت ، بنك بيروت ، ١٩٨٣ .

خامسا : المراجع الأجنبية :

Abberviations

IJMES : International of Journal of Middle East Studies .
IZGKIO : Der Islam Zeitschrift für geschichte und Kultur des Islamischen Orients
JAOS : Journal of the American Oriental Society
JESHO : Journal of the Economic and Social History of the Orient
JRAS : Journal of the Royal Asiatic Society

1- **Ashtor, Eliyahu** : Le coût de la vie dans L' Egypte Medievale , JESHO , vol 3 , Part1, Leiden , 1960 , (pp.56-74) .

2- L'Evolution des prix dans le procheorient a la Basse – Époque , JESHO, vol 4 , part 1 , Leiden , 1961 . (pp.15-46) .

3- Miscellanea , Débat sur L' evolution Economico- Sociale de L' Egypte ála fin du Moyen áge , Apropos d'un livre Recent (Semenova , L. A. Salah addin et les Mamlouks en Egypt , Moscou , 1966 , GESHO , vol 7 , part1 , Leiden, 1969 , (pp. 102-112) .

4- A Social and Economic History of the near east in the middle ages , London, 1976 .

5- Levantine Sugar Industry in the later Middle Ages - An Example of Technological Decline, Israel Oriental studies 7. Tel Aviv, 1977.

6- The Economic Decline of the middle East during the later Middle, Ages - An Outline, Asian and African studies 15, Haifa, 1981.

7- Levantine weights ans Standard Parcels: A contribution to the Metrology of the later Middle Ages, Bulletin of the school of Oriental and African studies 45, London, 1982, pp. 471- 488.

8- The Wheat supply of the Mamluk Kingdom, Asian and African studies 15, Haifa, 1984.

9- **Ayalon, David** : The plague and its effects upon the Mamluk army (Journal of the Royal Asiatic Society , part 1 , London , 1946 .

10- The Circassian in the Mamluk Kingdom (JAOS)69-3 , New Haven , 1949.(pp.135-147) .

11- Le Régiment Bahriya dans L' armée Mamelouke , Revue des etudes Islamiques ,19 , Paris , 1951 (pp. 133-141) .

12- The system of payment in Mamluk military society, Journal of Economic and Social History of the Orient, 1, 183, Leiden, 1958.

13- The Muslim City and the Mamluk Military Aristocracy, Israel Academy of Sciences and Humanities, 2, Jerusalem, 1968, pp. 311-329.

14- **Bacharach, Jere L.:** Circassian Monetary Policy (Silver), (NC 1971), pp. 267-281

15- The Dinar versus the Ducat, I JMES, 4, 1973, pp.77-96.

16- Circassian Monetary Policy (Copper), JESHO, 19, part 1, 1976, pp. 32-47.

17- **Balog, Baul :** The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, the American numismatic society, New York, 1964.

18- **Benedictow, O. J. :**Plague in the late Medieval Nordic Countries, Epidemio-logical. studies , Norway , 1993

19- **Bean, J.M.W. :** The Black death. The Crisis and its Social and Economic Consequences, (Daniel Williman: The Black death, the impact of the fourteenth century plague), New York, 1982, pp. 23-38.

20- **Cahen . C :** L' Histoire Économique et Sociale de L' orient Musulman Medieval, Revue des etudes Islamiques , T. 18 cahier 1 , paris , 1960 , (pp.95-103)

21- **Conrad, Lawrence Irvin:** The plague in the early medieval Near East, New Jersey, 1981.

22- Die Pest und ihr soziales umfeld im nahen Osten des fruehen Mittelaters. Der Islam zeitschrift fuer geschichte und Kultur des Islamischen Orients, Band 73. Berlin, 1996, pp. 81-112.

23- **Darrag .A :** L' Egypte sous le régne de Barsbay 825-841 \1422-1438 , Damas , 1961 .

24- **Dols, M.W :** The Black death in the Middle East, Princeton University Press, 1979.

25- **Fernandes, L.:** The evolution of Asufi institution in Mamluk Egypt, The Khanqah, Berlin, 1988.

26- **Ferdinand, Wuestenfeld :** Calcaschandi's Geographie und Verwaltung von Ägypten, Islamic Geography, 52, Frankfurt, 1992, pp.1-223.

27- **Foege, W.H.:** Plagues: Perceptions of Risk and Social Responses, (Arien Mack, in Time of Plague), New York, 1991, pp.9-20.

28- **Guo .L :** Mamluk Historiographic studies , the state of the art , Mamluk studies review , 1 , chicago , 1997 .

29- **Halm, Heinz:** Ägypten nach den mamlukischen Lehenstregistern, 1, Oberaegypten und das Fayyuem, Goettingen, 1979. 2 , das delta , Wiesbaden ,1982 .

30- **Hanna .N :** An Urban history of Bulaq in the Mamluk and Ottoman periods , supplément aux annales Islamologiques , le caire , 1983 .

31- **Hans, Ernst :** Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai Kolsters, Wiesbaden, 1960.

32- **Homerin . E :** Reflection on Arabic Poetry in the Mamluk age , Mamluk studies review , 1 , chicago , 1997 .

33- **Humphreys, R.S.:** The expressive intent of the Mamluk architecture of Cairo, a Preliminary essay, Stvdia Islamica, Paris, 1972, pp.69-119

34- **Johansen, B.:** The Islamic law on land tax and rent, London, 1988.

35- **Labib, Sobhi** : Ein Brief des Mamluken Sultans Qaitbey an den Dogen von Venedig aus dem Jahre 1473. Der Islam, Zeitschrift für geschichte und Kultur des islamischen Orients, 32, Berlin, 1957, pp.324-329.

36- Geld und Kredit, Studien zur Wirtschaftsgeschichte Ägypten im Mittelalter, Akten des vierundzwanzigsten internationalen Orientalisten Kongresses, München, 1957.

37- Handelsgeschichte Ägyptens im spaetmittelalter (1171-1517), Wiesbaden, 1965.

38- **Lapidus, IRA.M.:** The Grain economy of Mamluk Egypt , (JESHO) ,vol 7 , part 1, Leiden , 1969 , pp.1-15 .

39- Muslim Cities in the later Middle Ages, Cambridge University, 1984.

40- A Histroy of Islamic Societies, New York, 1988.

41- **Lederberg, Joshua** : Pandemic as a natural evolutionary phenomenon, (Arien Mack, in time of plague), New York, 1991, pp.21-38.

42- **Levanoni, Amalia** : Aturning point in Mamluk History, The third reign of al-Nasir Muhammad Ibn Qalawun 1310-1341, Koln, 1995.

43- **Martin, A.Lynn** : Plague: Jesuit accounts of epidemic disease in the 16 th century, sixteenth century journal publishers, 1996.

44- **Michel, M.Bernard** : L'organisation financiere de L'Egypte sous les Sultans Mamelouks d'apres Qalqachandi, Islamic Geography, 52, Frankfurt, 1992, pp.225-245.

45- **Niemeyer, Wolfgang** : Ägypten zur Zeit der Mamluken eine Kultur, Landeskundliche skizze, Berlin, 1936.

46- **Perty, Carl F.:** Twilight of Majesty. The Reigns of the Mamluk Sultans al-Ashraf Qaytbay and Qansuh al-Ghawri in Egypt, London, 1993.

47- **Poliak, A.N :** Les Révolts Populaires en Égypte A L'epoque des Mamlouks, et leurs cases Économiques, (Revue des Etudes Islamiques, VIII, Paris, 1934, pp.251-271.

48- Le Caractére Colonial de L'état Mamelouk dans ses repports avec la Horde D'or, Revue des etudes Islamiques, T-IX, Paris, 1935, pp.231-241.

49- Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon 1250-1900, London, 1939.

50- **Polzer, Joseph :** Aspects of the fourteenth century Iconography of death and the Plague, (Daniel Williman: The Black death, the impact of the fourteenth century Plague), New York, 1982, pp.9-20.

51- **Rabie, H.M.:** The size and value of the Iqta in Egypt (Cook: Studies in the Economic History of the Middle East from the Rise of Islam to the present day, London, 1970.

52- **Rosenkrantz, B.G.:** Case Histories-An Introduction, (Arien Mack, in Time of Plague), New York, 1991, pp.75-77.

53- **Sato, Tsugitaka :** The Evolution of the Iqtā System under the Mamluks -An analysis of al-Rowk al-Husami and al-Rowk al-Nasiri, Memoirs of the Toyo Bunko, 37, 1979, pp.99-131.

54- **Shatzmiller, Maya :** Labour in the medieval Islamic World, Koln, 1994.

55- **Shai, Har-El :** Struggle for Domination in the Middle East, The Ottoman - Mamluk War 1485-91, Koln, 1995.

56- **Shoshan , Boaz :** popular culture in medieval Cairo , Cambridge ,1993 .

57- **Sublet, Jacqueline :** La Peste prise aux Rêts de la Jurisprudence, Le traité D'Ibn Hagar Al: Asqalâni sur la peste, Stvdia Islamica, 33, 1971, pp.141-149.

58- **Ullmann, Manfred**: Die Medizin im Islam, Koln, 1970.

59- **Walloe, Lars :** Plague and Population, Narway 1350-1750, University of Oslo, 1995.

60- **Wiener, Muller.M.:** Eine Stadtgeschichte Alexandrias von 564-1169 bis in die Mitte des 9/15 Jahrhunderts, Berlin, 1992.

61- **Younis, Bechir Iman :** Die einwirkungen der Mamlukischen beziehungen zu Nubien und Begaland auf die Historische entwicklung dieser gebiete, Hamburg, 1971.

62- **The Cambridge History of Islam,** Volume IA, edited by:P.M.Holt, London ,1970 .

فهـــرس الملاحـــق

أولاً ـ الأشكال :

ثانياً ـ الجداول :